

كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار

وصف مكة والمدينة ، ومصر ، وبلاد المغرب

لكتاب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري (١٢ م)

نشر وتعليق

الدكتور سعد زغلول عبد الحميد

أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية سابقا

الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الكويت



مطبعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة - أفاق مربية.

حقوق الطبع محفوظة
لجميع المراسلات
لرئيس مجلس إدارة دار الشؤون الثقافية العامة

العنوان :
العراق - بغداد أقطعية
ص. ب. ١٠٣٢ - تليكس ١١٤١٢ هاتف ١١٣٦٠٤٤

كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار

وصف مكة والمدينة ، ومصر ، وبلاد المغرب

لكتاب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري (١٢ م)

نشر وتعليق

الدكتور سعد زغلول عبد الحميد

استاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية سابقا
الاستاذ بكلية الآداب بجامعة الكويت

مقدمة

لنا أول من يعنى بكتاب الاستبصار . فنذ حوالى قرن نشر الفرد فون كرمير الجزء الخاص منه بالمغرب نقلا عن مخطوط كان في حوزته (١) . ولكن هذه النشرة غير كاملة : إذ تنقصها الفصول الخاصة ببلاد شمارة ، واستقرار الأدارسة بالمغرب ، وزندقة برغواطية ، ومدينة سجلماسة ، وبداية العبيديين الفواطم ، ومدن درعة وأغمات ونفيس وتينملال ومرآكش ، وكذلك الفصول الخاصة ببلاد السوس المتاخمة للسودان (دون ذكر بلاد السودان نفسها) . وإلى جانب ذلك فإن نشرة فون كرمير تحتوى هنا وهناك على بعض النقص مما كبر حجمه أو صغره . وبعد ذلك بحوالى خمسين عاما نشر ا. فانيان ترجمة فرنسية كاملة لهذا الجزء نفسه مصحوبة بهوامش وتعليقات ، واستخدم طبعة فون كرمير ، ومخطوطى الجزائر ، ومخطوط باريز (٢) . ومع أن فانيان عمل في ترجمته على تكملة نشرة فون كرمير وسد الثغرات التى كانت بها إلا أن ما قام به لا يغنى عن النص العربى ، ولا يرضي حاجة المشتغلين بالدراسات العربية .

هذا إلى جانب أن الجزء الذى بقي من الكتاب دون نشر كبير ومهم ، يبلغ حوالى نصف النص العربى الكامل . وهو ينقسم على قسمين : الأول ويبلغ الثلث خاص بالأماكن المقدسة فى مكة والمدينة ؛ والثانى خاص بمصر وعجائبها .

وهكذا تحدد عملنا — الذى يهدف إلى إكمال ما قام به كرمير وفانيان — فى نشر النص الكامل لكتاب الاستبصار ، ثم ترجمة الجزء الخاص بالأماكن المقدسة ومصر إلى الفرنسية .

Alfred Von Kremer, Kitab al - Istibsar fi 'Aja'ib al - Amsar :

(١)

Description de l'Afrique par un géographe arabe anonyme du VI^e siècle de l'Hégire, Vienne, 1852.

E. Fagnan, L'Afrique septentrionale au XII^e siècle de notre ère; Extrait (٢)

du recueil des notices et mémoires de la société archéologique de Constantine, 1900

(ب)

المؤلف :

ومما يدعو إلى الأسف أننا نجهل مؤلف كتاب الاستبصار . فباستثناء ابن أبي زرع ، صاحب كتاب روض القرطاس ، الذى يذكر عنوان الكتاب (١) لم يشر أى كاتب آخر إلى الكتاب أو إلى مؤلفه . هذا كما أن المؤلف لا يمدنا خلال كتابته بأية معلومات تكشف لنا عن شخصيته . وهنا نجد ثلاث كلمات تعبر عنه وهى : " المؤلف " أى صاحب الكتاب ، " الناظر " ثم " الواضع " ولها معنى كلمة المؤلف . وعلى ذلك فسنتفى بالعناية بكلمتى " المؤلف " و " الناظر " . هل تعنى الكلمتان شخصية واحدة أو شخصيتين مختلفتين ؟ يمكن أن تكون كلمة الناظر لقبا كان يحمله المؤلف وبهذا تدل " المؤلف " و " الناظر " على شخص واحد . ولكن هذا الافتراض غير محتمل إذ لا نعرف " الناظر " لقبا فى تلك الفترة . وقد يكون معنى كلمة " الناظر " قريبا من معنى كلمة " المراجع " أى الذى أعاد النظر فى الكتاب ونظمه وأعطاه شكله الأخير . وهنا تعنى كلمة الناظر شخصا آخر غير المؤلف . وهذا ما تؤيده الفقرة التالية التى تختم الكتاب (ص ٢٢٦) : " قال الناظر : هنا انتهى ما وجدته من هذا الموضوع ، ولقد أحسن واضعه ورتب ما حقق ، وهذا لعمري أقرب وأخصر من غيره ، ففيه ما فى غيره وليس فى غيره ما فيه . وحققت وطرزت كتاب الواضع بما قيدت فى هذه المواضع ، وأنا مؤمل أن أتفرغ لوضع كتاب كامل يحتوى على ذكر بلاد المغرب وممالكها إلى هذه الأيام السعيدة الإمامية ، وأضيف إليها ما رفعتة للحضرة العلية من مفاخر هذا الأمر العالى - أيد الله دوامه - سنة ٨٠ [هـ] [= ١١٨٤ - ١١٨٥] ، وهو ما يزيد عندي من فتوحاته المستأصلة لشأفة الأعداء ... " .

(١) يذكر ابن أبي زرع كتاب الاستبصار عندما ينقل عنه جزءا خاصا بمدينة فاس (أنظر روض القرطاس ، ص ٢٤) . ولما كان هذا الجزء لا يوجد فى الكتاب كما هو بين أيدينا اليوم فإن هذا يدعو إلى الظن أن كتاب الاستبصار إما أن يكون قد وصلنا ناقصاً أو مختصراً .

(ت)

وأيا ما كان فلإنا نعتبر "الناظر" هو المؤلف الحقيقي للكتاب بصورته التي وصلتنا ؛ فهو قد لجأ إلى كتاب قديم نجهل صاحبه ، فوضع له المقدمة ، ورتب فيها منهجه (من وصف الأماكن المقدسة ومصر وبلاد المغرب) ، وهو قد نقح الأصل وحققه وأضاف إليه ، ثم ختمه . وهو يعد بإخراج كتاب خاص بتاريخ المغرب إلى أيامه . وفي الكتاب فقرات تبين أن الناظر عاش على عهد يعقوب المنصور الموحدي ، وأنه كان ينظر بعين الولاء لأحد كبار رجال الدولة حينئذ وهو الشيخ أبو عمران بن أبي يحيى بن وقتين الذي يهدي إليه الكتاب ويطلب منه حسن الرعاية (ص ٢٠١) . ويظهر أنه كان يصنف الكتاب في سنة ٥٨٧ (١١٩١) كما يفهم من بعض إشارات (ص ١٣٨) ، وخاصة بمناسبة سفارة ابن منقذ رسول صلاح الدين إلى الخليفة المغربي (ص ١٠٧) ؛ وبمناسبة العمليات الحربية ضد بني غانية بإفريقية (ص ١١١) . ولكنه يتضح أيضا أن الكتاب كان موضع تنقيحات تالية بالنسبة لهذا التاريخ ؛ والمثل لذلك زيارة ابن منقذ . فهذه المناسبة يعود صاحب الكتاب ، بعد أن يذكر أنه كتب ذلك في رمضان سنة ٥٨٧ (سبتمبر - أكتوبر ١١٩١) ، فيقول إن رسول صلاح الدين ترك العاصمة المغربية في ١١ من المحرم سنة ٥٨٨ (٢٨ من يناير ١١٩٢) .

هذا وتدل التفصيلات التي يمدنا بها عن مكناسة وفاس ومراكش على معلوماته الغزيرة عن هذه المدن . فلا شك أنه عاش فيها إن لم يكن أصله منها ؛ فهو لا يكتفى بالوصف الدقيق للعواصم المغربية بأمبراطورية الموحدين على عهده ، ولا بالأعمال الإنشائية التي تمت على عهد يعقوب وسلفيه ، بل يقترح خططاً عمرانية أخرى تهدف إلى نشر الرخاء في هذه المناطق .

وزيادة على ذلك فإن المعلومات التي يعطيها عن الحملة العسكرية ضد بني غانية في إفريقية تتفق بشكل غريب مع إحدى الرسائل الرسمية الصادرة من ديوان يعقوب المنصور ، والتي يقتطف منها بعض الفقرات (ص ١٥٩ وهامش ١) . وهو عندما يتكلم عن بلاد السودان يقول إنه اطلع على الرسائل

(ث)

الرسمية الصادرة باسم غانة ملك أحد هذه البلاد إلى يوسف بن ناشفين (ص ٢١٩)؛ ومعنى هذا أن سجلات المرابطين القديمة كانت في متناول يده؛ أو وصلت إليه صور منها هنيئاً الأقل.

من كل ذلك يمكننا أن نفترض أن المؤلف "الناظر" كان يشغل وظيفة لدى يعقوب المنصور كانت تمكنه من الاطلاع على مجرى الأمور في ديوان الخليفة أو في بلاطه. وهنا يمكننا أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنظن أنه ربما كان صاحب الرسالة الرسمية نفسه أي ابن محشرة^(١). يؤيد ذلك ما يظهره المؤلف من آيات الولاء والخضوع للخليفة وسلفيه، ذلك الولاء الذي لا يصدر إلا من خادم مخلص للموحدين.

الكتاب :

إن النظرة السريعة إلى كتاب الاستبصار تبين أن موضعه بين كتب المكتبة الجغرافية العربية. ورغم ذلك فإنه من الصعب وضعه في موضعه الصحيح بين أصناف الكتب الجغرافية المعروفة: من كتب الأطوال والعروض، وكتب تقويم البلدان، وكتب المسالك والممالك، أو كتب العجائب^(٢). والحقيقة أننا لو أخذنا بعنوان الكتاب، وهو «كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار» لوجب وضعه بين كتب المجموعة الأخيرة. ولكن الأمر ليس كذلك؛ إذ هو ليس كتاب جغرافية خالصة. فرغم تاريخ تأليفه المتأخر نسبياً نلاحظ أنه يحتوي على خليط من التاريخ والجغرافية من كل لون، مما يجعله أشبه ما يكون بكتب الجغرافية من النوع البدائي الأول.

فن وجهة النظر الجغرافية — ولهذا السبب وحده — يمكن أن يقال بشكل عام إن الكتاب ليس من كتب الجغرافية العلمية المبتكرة، فهو غير مخصص

(١) أبو الفضل جعفر بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي المعروف بابن محشرة (٥٤١ - ١١٤٦/٥٩٨ - ١٢٠١). أنظر E. Lévi-Provençal, un recueil de lettres officielles almohades, étude. p. 9 et note 22.

(٢) أنظر R. Blachère, Extraits des géographes arabes, Paris, 1932؛ سعد زغلول عبد الحميد، ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة، مجلة كلية آداب الاسكندرية، سنة ١٩٥٤، ص ٩١.

لعمدات البلدان ، كما يمكن أن نتوقع ، وإنما هو مصنف يحوى معلومات
دقيقة وأخبار أعمامة وأساطير طريفة ، جمعت بعضها إلى جانب بعض بغرض
لقديم وصف سهل لطيف مستساغ للقارئ لا تثقله الدقة العلمية المتعبة والتي
لا تهم سوى الإحصائيين .

المصادر :

إن مما يعين على معرفة المصادر المختلفة التي أخذ عنها المؤلف معلوماته
أن نأخذ بعين الاعتبار أن الكتاب ينقسم إلى ثلاثة أقسام مختلفة هي : الأماكن
المقدسة ومصر وبلاد المغرب .

والجزء الأول عبارة عن وصف مكة والمدينة ، والهدف منه هو تصوير
شعائر الحج . والمؤلف يعنى فيه بوصف مكة عناية بالغة ، فهو يعدد ضواحيها
وتلالها ، والجبال المحيطة بها . ثم هو يصف بكل دقة الكعبة ومقاييسها وبابها
والحجر الأسود بها . ثم هو يستطرد في وصف المسجد الحرام ، ويصف
بئر زمزم ؛ وهو خلال ذلك يشرح مناسك الحج . وإلى جانب هذا يصف
المساجد الأخرى مثل مسجد الحيف ومسجد المزدلفة . وفيما يتعلق بالمدينة
يستطرد المؤلف بنفس الشكل عند الكلام عن مسجد النبي وقبره المبجل ،
ومسجد قبا ؛ وينهى وصفه بالكلام عن قبور الشهداء في سفح جبل أحد .

وهذا الجزء عظيم الأهمية نظرا لمعلوماته الدقيقة وطريقته العلمية ؛
ولكننا لانعرف من أى المصادر استقيت مادته . فالمعلومات التي يمدنا بها
عن مكة مختلفة عن معلومات الأزرقي (القرن الثالث الهجري = ٩ م)
التي ينقلها ابن رُسْتَه (نهاية القرن الثالث = ٩ م) ، وهي تختلف كذلك
عن معلومات ابن جُبَيْر المعاصر لمؤلف الاستبصار ؛ والمعروف أن ما كتبه
الأزرقي وابن جبير يعتبر أهم ما كتب عن مكة والكعبة وأكثره أصالة . وهنا
نجد أن المؤلف لا يدين بشئ لذين الكاتبين . ويمكن بعد هذا أن نفترض
أنه نقل عن البكري الذي كتب في سنة ٤٦٠/١٠٦٧ كتابه المعروف بالمسالك
والممالك . والحقيقة أن كتاب البكري هو المصدر الرئيسي لصاحب الاستبصار

بالنسبة للجزء الخاص بمصر والمغرب ، ولكن ضاعت من كتاب البكرى
 الفصول الخاصة بالأماكن المقدسة ؛ وهكذا فلا سبيل إلى القول بأن صاحب
 الاستبصار نقل هذا الجزء أو شيئاً منه عن البكرى أو لم يفعل . وفيما يتعلق
 بوصف المدينة ومسجد النبي لانعرف أيضاً المصدر الذى أخذ عنه الاستبصار ،
 ومعلوماته تختلف عما كتبه ابن رسته وابن جبير . وهنا نجد أن المؤلف يقول
 إنه فى سنة ١١٣٣/٥٢٨ - ١١٣٤ كان يوجد فى رواق المسجد وطاء طبرى
 (ص ٤١) . وهذا يحملنا على الظن أن الجزء الأول من الاستبصار نقله مؤلفه
 سنة ١١٩١/٥٨٧ عن مصدر لم يصل إلينا كتب سنة ٥٢٨ أو بعد ذلك .

أما الجزء الثانى من كتاب الاستبصار فيوضع بصفة عامة ضمن ما كتب
 عن عجائب العالم : فكل ما يحويه عبارة عن غرائب وأشياء مدهشه فريدة
 فى نوعها . وزيادة على ذلك نلاحظ أن خطة الفصول الخاصة بمصر تنقسم
 على فترتين : فترة مصر القديمة ، التى تنقسم بدورها على فترتين يفصل بينهما
 الطوفان ؛ ثم فترة مصر الحديثة أى العربية . وتبدأ الفترة الأولى بوصف عام
 للبلاد ، وتنتهى بظهور الإسلام وفتح مصر على أيدي العرب . والفترة الثانية
 خاصة بوصف المدن المصرية ، وتبدأ بقصة الفتح منقولة عن ابن عبد الحكم .
 والحقيقة أن هذه التقسيمات ليست مقبولة إلا بصفة عامة ، وذلك أن المعلومات
 الجغرافية والتاريخية ، القديمة منها والحديثة ، تختلط وتتداخل خلال التقسيمات
 الصغيرة بعد ذلك بشكل لا يدع مجالاً للتفرقة بينها .

والمؤلف يستخدم فى تصنيفه لهذه الفصول خمسة مصادر مختلفة يذكرها
 فى بعض الأحيان ، وهى : المسعودى (توفى ٣٤٥/٩٥٦) ؛ وابن وصيف - شاه
 الذى يظن أنه فارسى الأصل وأنه كان يسكن بلدة اخميم ، الذى يكتب حوالى
 سنة ١٠٠٠ للميلاد (أواخر القرن الرابع الهجرى) (ص ٦٠ هامش ٢) ،
 وكان عالماً بتاريخ مصر القديمة - حسب مفهوم ذلك التاريخ فى العصور الوسطى
 بطبيعة الحال ؛ وابن عبد الحكم ؛ ثم البكرى . وأخيراً هناك معلومات الناظر
 الشخصية وهى تتعلق فى معظم الأحيان بالأحداث التى عاصرها ، وهى فى كل
 مرة يسبقها بكلمتى : " قال الناظر " . والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو :

هل أخذ المؤلف معلوماته مباشرة عن المصادر التي يذكرها ؟ هنا نلاحظ أن القطع الباقية من كتاب البكرى والخاصة بمصر (مخطوط المكتبة الوطنية بباريز ، القسم العربى ، رقم ٢٢١٨) تشبه بشكل واضح ، من حيث الخطه ومن حيث التفصيلات ، الفصول المماثلة من الاستبصار . وهذا يجعلنا نعتقد أن صاحب الاستبصار نقل عن كتاب البكرى معلوماته التي أخذها عن المسعودى وابن وصيف - شاه وابن عبد الحكم . وهذه الملاحظة لا تمنع من أن يكون المؤلف قد قرأ هذه الكتب التي كانت شائعة في عصره ، وأن يكون قد أخذ منها معلومات أضافها إلى ما كتبه البكرى . ورغم أنه لا يذكر كتاب الإدريسي فالظاهر أنه تأثر به في أكثر من موضع . والمؤلف عندما يعالج قصة الفتح العربى لمصر ينقل عن ابن عبد الحكم كما سبق أن نقل البكرى ؛ وفيما يختص بمصر القديمة يذكر ابن وصيف - شاه وينقل عنه . وفى مجال التاريخ القديم هذا لا ننتظر من المؤلف شيئا جديدا ، وذلك على عكس ما كنا ننتظره منه من المعلومات الجديدة عندما يعالج موضوع المدن المصرية ، كما فعل بالذمة مدن المغرب ، وهذا ما لم يفعله . فالصليبية فى الشام كانت على أشدها والمدن المصرية كانت مسرحا لعدد من المآسى التي كان لها صداها فى المغرب ولكن المؤلف الذى خصص صفحات - فى آخر هذه الفصول - للصليبية وانتصار صلاح الدين اكتفى بنقل الوصف التقليدى للمدن المصرية كما فعل المسعودى وابن عبد الحكم والبكرى . وأكثر من هذا فإنه يؤخذ عليه أنه كاد يوقع القارئ فى الخطأ عندما أهمل ذكر المصدر الذى نقل عنه ، وغير شكله إلى حد ما ذاكرأ تاريخ الوقت الذى كان يكتب فيه هو نفسه . والمثال لذلك هو معلومات المسعودى عن مدينتى تنيس ودمياط التي يذكرها صاحب الاستبصار ويختمها بالشكل التالى :

ويسكن بجزيرة تنيس ودمياط نصارى هم الآن تحت الذمة بحمد الله ، ونحن فى سنة ٨٦ [٥] [١١٩٠] " (ص ٨٨) ؛ كما لو أن هذه الحقيقة كانت واقعة على أيامه أو كما لو أنه حققها بنفسه . وهو فى الحقيقة لم يعرف

أن تنيس كانت هدفا لعدد من غارات الصقليين والصلبيين ، وأن أهلها جلاوا عنها في سنة ٥٨٨ [= ١١٩٢] عندما كان يعيد النظر في تأليفه (هامش ١ ص ٨٨) .

وما أن يترك المؤلف مصر ليعالج بلاد المغرب والسودان حتى يتخلص من آثار الماضي التي تسلطت على نفسه وقلمه ، فهو يسجل ما يشاهده ويعطى وصفا أكثر دقة . وإذا ما راعينا أنه كان مغربيا وبالتالي عارفا بالبلاد التي هي موطنه ، فهمنا بسهولة أن هذا القسم من الكتاب يفوق في أهميته ما سبقه من الأقسام .

هنا نجد أن المصادر التي يأخذ عنها الكاتب معلوماته والتي يذكرها هي ، المسعودي والبكري - وهذا الأخير يعتبر المصدر الأول للقسم الثالث من الكتاب خاصة . هذا إلا أن مجهود المؤلف لا ينكر ، فهو ينتهج منهجا خاصا به ، ويعطى معلومات شخصية في غاية الأهمية ، لاسيما عن إفريقية والمغرب الأقصى .

أهمية الكتاب :

يعتبر الكتاب مصدرا لمعلومات متنوعة الألوان من جغرافية وتاريخية وأثرية . وهو يسهب في وصف رخاء مصر الزراعى ، الذى يرجع إلى النيل ، ويؤكد بصفة خاصة خصوبة منطقة الفيوم . والفيوم تجذب انتباهه بفضل عمليات المياه فيها ، وهذه تزيد من مزروعاتها وفواكهها . وفيما يتعلق بمنطقة القرما يذكر أن تمرها يعد من عجائب الدنيا . أما عن معادن الزمرد الواقعة بين مدينة قوص ومدينة أسوان فهي موضوع خصب لاسترسال قلمه وإسهابه . وهو بعد ذلك يعنى بصناعة النسيج في دمياط وتنيس ، حيث كانت تصنع أردية لا تدخل في نسجها خيوط الذهب ، ويساوى الرداء منها مع ذلك مائة دينار . وكانت حرقه صيد السمان مربحة لأهالى المدينتين . وفي هذا العصر كانت مدينة عيذاب ميناء مهما منه تتجه المراكب نحو الحجاز واليمن والهند وغيرها من البلاد .

ولها يخلص بلاد المغرب بين الكتاب الثروة الزراعية والمعدنية لكل مدينة مثل : حرير فاس ، وزيت تستافقس الذى يصدر إلى صقلية وإيطاليا وفرنسا (الأرض الكبيرة) ، ومنسوجات سوسة ، وأسماك بنزرت ، ومرجان تطرقة ، وتمر الواحات وبلاد الجريد ، وذهب البلاد الواقعة بين الواحات ومصر ، ولستق قفصة ، وقح باجة ، وصوف وجة ، ونحاس فاس ، وزيت مكناسة وضواحيها ، وجلد اللط والملح ثم السكر ، بصفة خاصة ، التى اشتهرت بها بلاد السوس ، والتى كانت تصدرها إلى كل بلاد المغرب والأندلس وإفريقية ، وكذلك النحاس المصنوع والعسل والنيل والدقيق والعنبر الممتاز . وعندما يتكلم عن بلاد السودان يستطرد في ذكر الشب الأبيض وحجر المغناطيس .

ومن الناحية التاريخية يحتوى الكتاب على معلومات مختلفة في طبيعتها ، وفي قيمتها : كالقصص التاريخية القديمة المنقولة عن كتب معروفة أو مفقودة وهى من طبقة الأساطير ذات القيمة الأدبية فقط ، ومثل الوثائق التاريخية المعاصرة ذات الأهمية البالغة .

والقسم الأول الذى يصف الأماكن المقدسة بشكل مطول مهم بالنسبة لتاريخ الفن ، ولا سيما إذا نظرنا بعين الاعتبار إلى ندرة المصادر الخاصة بالآثار ، مما يجعل مهمة مؤرخ الفن من الصعوبة بمكان .

والقسم الخاص بمصر يعطينا فكرة عن الروح التى كانت تسيطر على مفهوم تاريخ مصر القديمة : فكل ما هو قديم ينبغى أن يكون عجيباً دون اعتبار للوثائق الأكيدة الموجودة في متناول الأيدي . وهكذا قبل إن الرصاص استعمل بدل الملاط في بناء الأهرام ، وكان يكفى النظر في هذه الآثار للتأكد من أن الأمر ليس كذلك . وترتب على هذه الفكرة أن أصبح الجزء الثانى من الكتاب — على عكس الجزء الأول الجاف — ذا صبغة أدبية بصفة خاصة .

والفصل الخاص بمدينة الإسكندرية مهم جداً ، ففيه يصف المؤلف المنار المشهور بإسهاب ، ويبين موقع المدينة من الناحية العسكرية ، وكيف أنها كانت هدفاً لتهديدات الأعداء التقليديين النصارى ، وخاصة الصقليين

منهم . أما عن جهاد صلاح الدين وانتصاره على الصليبيين ، وسلام
ابن منقذ إلى المنصور الموحدي ، فقد شغلت عدة صفحات مهمة كـ
نأمل لو أنها زادت إلى أكثر من ذلك .

والقسم الأخير الخاص بالمغرب مهم جداً بالنسبة لتاريخ الموحدين .
فصاحب الكتاب يندد بمرارة بثورة علي بن غانية في إفريقية ، ويدافع
عن موقف سيده الأمير . أما المعلومات المتعلقة بالمغرب الأقصى فهي أصيلة
ومهمة للغاية : مثل المجهودات المعمارية التي قام بها أمراء الموحدين الثلاثة
الأول ، وخاصة يعقوب منهم : كعمليات المياه ، وبناء المساجد والقصور ،
ثم إنشاء الحصون في مدن مراکش وفاس ومكناسة .

من كل ما تقدم يتبين أن كتاب الاستبصار يعتبر حقيقة موسوعة تاريخية
جغرافية مختصرة .

تحقيق النص :

وقد رجعنا في تحقيق النص إلى مخطوطات ثلاث : واحدة بالمكتبة الوطنية
بباريز (القسم العربي رقم ٢٢٢٥) ، وهي بخط مغربي مقروء ، ولكن
تنقصها الورقات الأولى والأخيرة ، هذا بالإضافة إلى بعض النقص الذي
يوجد فيها من حين لآخر ، واثنان بالمكتبة الوطنية بمدينة الجزائر : أولاهما
(رقم ١٥٦٠) في حالة جيدة وهي كاملة ؛ والثانية (رقم ٣٢١٦) رغم أنها
كاملة ، إلا أنها في حالة رديئة وذات خط غير مقروء في بعض الأحوال .
وإلى جانب ذلك رجعنا أخيراً إلى طبعة فون كرممر (von kremer) الخاصة
بالمغرب والتي نشرها عن مخطوط لا نعرف مصيره ، وهي تحتوي على كثير
من النقص .

ولقد رمزنا لمخطوط باريز بالحرف "ب" ولمخطوطي الجزائر - حسب
ترتيبهما المذكور - بالحرفين "ج" ، "م" ، ولطبعة كرممر بالحرف "ك" .

وأول ما نلاحظه هو أن الأخطاء الإملائية الكثيرة والنحوية في بعض الأحيان ، وكذلك اختلاف أسماء الأعلام ، تبين أن هذه المخطوطات نقلت في عصر متأخر بالنسبة للمخطوط الأصلي بمعرفة نساخ لم ينالوا حظا كبيرا من الثقافة . وترتب على ذلك أن اضطررنا إلى الرجوع — في كثير من الأحيان — إلى المؤلفات القديمة ، ومن ذلك أن جامع " الحَيْف " كتب في جميع ما بين أيدينا من نسخ جامع " الحنيفة " (ص ٣٣ و هامش أ) . ورغم اتساع دائرة عملنا نتيجة لذلك فإننا لاندعى أن النص الذي حققناه قد استقام بشكل كامل لأخبار عليه . فإزالت بعض الكلمات بل وبعض الجمل غير دقيقة أو قليلة الوضوح . وقد صادفتنا عبارات يبدو أنها من مصطلحات العهارة الإسلامية وهي غير محددة المعنى عندنا ، وذلك مثل " بحر مُرَّخَم " (ص ١٤-١٥) أو " حجارة مطرورة " (ص ٣٣ ، ٣٤) . وقد فهمنا هذه العبارات حسب المعنى العام للجملة . وهكذا أخذنا " بحر مرخم " بمعنى فراغ مكسو بالرخام (الترجمة ص ٩) ، " وحجارة مطرورة " بمعنى حجارة مصقولة محددة أو حجارة مطينة مزينة (الترجمة ص ٢٠) . ونذكر كذلك كلمات « ثوران من نحاس » (ص ٢٠) ولقد فهمناها على أنها مسرجتان (شمعدانان) من نحاس (الترجمة ص ١٢) ، وجملة " فَنَازَعْنِي فِي الْقُرْبِ وَالشَّوْلِ فغلبته " (ص ١٨٥) التي فهمناها على أنها : فتنأقشنا في أمر سملك التَّنِّ والزَّجَرِ ولكنني فزت عليه . ونذكر أخيرا كلمة " ثليث " (ص ٢٠٠) وهي اسم علم لمدينة في جنوب مراکش قرب سجلماسة ولا نعرف عنها شيئا .

وفيما يختص بالترجمة فقد اجتهدنا في نقل النص العربي إلى الفرنسية دون تصرف . ولم نخرج عن هذه القاعدة إلا في الحالات التي يصعب فيها الترجمة الحرفية ، ففي هذه الحالات حاولنا نقل المعنى مع الحرص على عدم الابتعاد عن النص على قدر الإمكان . ولقد لاقينا في هذا صعوبات كثيرة : كالتباين الخفيف بين مفهوم الكلمات ذات المعنى الواحد ، والصور التي يصعب نقلها كما هي ، والأساليب الخاصة بكل لغة . وعلى الجملة فقد كانت روح كلا اللغتين هي المهددة في كل هذه الحالات . ويمكن إعطاء أمثلة كثيرة

(س)

لتوضيح هذه العقبات ، ودون البحث بعيدا في أعماق النص يكتفى النظر في الصفحات الأولى من الكتاب ، حيث تكثر أمثلة هذه الصعوبات .

ولقد حرصنا على أن نزود النص بالهوامش المناسبة . والغرض من هذه الهوامش إما تحديد المؤلفات السابقة التي تعتبر من المصادر الرئيسية للنص ، وإما مقارنته بها . ولهذا السبب أيضا ذكرنا في الهوامش بعض المصنفات المهمة من عصور متأخرة .

تقديم الطبعة المغربية

لما كانت طبعة جامعة الاسكندرية (1958) لكتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، وهو الكتاب الذي كان أصلا رسالة ثانوية للدكتورة التي تقدمنا بها إلى جامعة باريس في يونيو 1951، قد نُفِدت منذ مدة طويلة . ولما كان الدارسون لتاريخ مكة والمدينة ومصر وبلاد السودان الغربي في العصور الإسلامية حتى القرن السادس الهجري / 12م في حاجة إلى النظر في هذا الكتاب، فضلا عن حاجة دارسي تاريخ أقطار الشمال الأفريقي الإسلامية وجغرافيتها، وهو الأمر الذي تنبه إليه منذ مدة طويلة بعض الزملاء الأفاضل والناشرين في تونس وفي مصر، فإنه يسرني أن تقوم الآن دار النشر المغربية بمدينة الدار البيضاء، مشكورة، بمعرفة مديرها السيد البوري محمد سعيد بإعادة نشر الكتاب في طبعة مغربية جديدة، أرجو أن تكون مفيدة للمشتغلين بالتاريخ الإسلامي وتاريخ الشمال الأفريقي - إن شاء الله .
هذا، ولقد قمنا بتصحيح الأخطاء القليلة بطبعة الاسكندرية الأولى، وعلى الله التوفيق .

سعد زفلول عبد الحميد

الكويت في 1985/1/6

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد

كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار

الحمد لله عالم الأسرار ، غافر الأضرار ، الواحد القهار ، العزيز الجبار ، المنزه الذي لا يقبض يديه سهاد الليل والنهار ؛ نحمده حمد معترف بوحدايته ، ونشكره شكر معترف من بحر نعمته ، متقلب في ظل رحمته .
واصل على نبيه سيدنا محمد المبعوث بالآيات الباهرة ، والبينات القاهرة ،
الآنخذ عن النار بالحجرات ، الداعي إلى سبيل ربه بالآيات البينات ،
وعلى آله الأخيار ، وأصحابه الأبرار ، صلاة باقية إلى يوم الدين .
ورضى عن نجله الأطهر (١) ، وسليبه الأبر ، الإمام المهدي (١) ،
الذي جدد رسم الدين بعد البلى ، وجاهد في سبيل الله حق جهاده وأبلى ،
وإلى طريق الحق [دعا] الثفري والجفلى ؛ وعن الخلفاء الراشدين ، أئمة
المهدي ، ومصاييح من رشد واهتدى . ونوالى الدعاء لخليفته المبارك الأسعد ،
سيدنا أمير المؤمنين يعقوب (٢) بنصر تتصل أسبابه بسعادته ، وفتح يسوقه
القدر وفق إرادته .

وبعد ، لما كان العلم أنفس ما يقتنى ، وأشرف ما به يعتنى ، لم يزل ينقله
خلف عن سلف ويحمله ذو شرف عن ذى شرف ، وجب أن يكون أفضل
ما يهديه مهد أو يستهديه مهدي ، ورغبة في الاتسام برسمه ، والارتسام والدخول

(١) ج : الأظهر .

(١) المهدي محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين (توفي ٥٢٢ - ٥٢٤ ؟ = ١١٢٨ - ١١٣٠) .

(٢) أبو يوسف يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن بن علي وثالث خلفاء الموحدين .
وملكه من سنة ٥٨٠ هـ إلى سنة ٥٩٥ هـ (١١٨٤ - ١١٩٩) .

في رعيته ، والاستئثار بمجازة مأثر من تواريخ الأمم ، وسير العرب والمسلمين ،
إذ كان المرء يقف منها على أخبار من غير ، وآثار من ذهب ودر ،
ويشاهد ممالك ذهبت وبادت (١) ، كأنها عادت إلى الحياة أو كادت :

لم يبق شيء من الدنيا أسر به إلا الدفاتر فيها الشعر والخبر
مات الذين لهم فضل ومكرمة وفي الدفاتر من أخبارهم أثر

وقد بما وضع (ب) الناس التواريخ ورتبوها ، ودونوا الأخبار وكونوها ،
حرصا منهم على نظم فرائدها وتقييد شواردها ، وما زال واضعوها
يتقلبون بين إكثار وإقلال ، وإسهاب واختصار ، وكلهم يجرى على طريقة
إلى غاية يضيفها ويسطرها . وكثيرا ما خلد خدم العقلاء ملوك أزمنتهم
بالتواريخ المؤلفة والتواليف المزخرفة ، تفننا لمسراتهم وترضيا لمبراتهم ،
ولولا ذلك لم يحصل الأثر على علم الأول ، ولا عرفت أخبار الملل والدول .
ولذلك رأيت الشيخ الأجل المعظم ، الأغر الأسنى ، الأجدد المكرم ،
أبا (ج) عمران بن الشيخ الأرفع ، المرحوم أبي يحيى بن وقتين (١) أدام
الله علاهم ، ووصل مجدهم وسراهم ، قد أبرز على الفضلاء فضلا ، وأرّبى
على النبلاء نبلا ، وزاد على أهل زمانه في العلم والحلم ، وغبطة بالعلم ووصل
العلماء ومراضاة الفقهاء . وكانت همته السامية إلى طراف الأخبار ، وإيثار
أهل الآثار ، إلى أن شادت بذلك الرفاق ، وامتألت بحديثه الآفاق ،
ونازعتني الرغبة والتصدي لشكر النعمة ، إلى أن أطرز باسمه كتابا يجمع
بين الأخبار والصحائف ، ويأخذ بطرفي شرائد الطرائف ، متضمنا بذلك
إحسانه ، راجيا بذلك فضله وامتثانه بمنه حسبما أردته . و [لما] اتسق وصفه على
ما اخترت ، سميته بكتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، بعد أن قصدت
في أكثره التحقيق واطرحت في مستودعه التلقيق .

(١) ج : أبادت . (ب) ج : وضعها . (ج) ج : أبو .

(١) إننا لا نعرف شيئا عن هذين الشخصين ، ولكن يمكن أن يقال ، من اسميهما ، إنها
من أصل بربرى .

وابتدأت بمكة شرفها الله تعالى ، وما يجب ذكره من وصف حرمتها ، وأسماء
الجبال المحيطة بها ، وذكر أرباضها ، ووصف المسجد الحرام بحسب الوسع ،
وذراع الكعبة من خارج ، ووصفها من داخل . ووصفت الصفا والمروة ، وعرفة
ومزدلفة ، ومِنَى وجبل الرحمة ، مع شريعة إبراهيم عليه السلام وصفة بطن
المحسر إلى غير ذلك من المناسك ، وصفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة . ووصفت منبره عليه السلام ، ووصفت عدد أبواب المسجد ،
وجميع ما فيه من العمدة (أ) وعدد ما فيه من القناديل ، ووصف روضته
عليه السلام . ثم وصفت بقية المدينة ، وروضة عثمان رضي الله عنه
ووصفت مسجد قبا ، وقبور الشهداء (ب) بأحد رحمة الله عليهم تبركا بذلك
وتيمنا بالاستفتاح به :

ثم عدت إلى بلاد مصر وما فيها من العجائب ، ووصفت
نيل مصر وعدد أمياله ، من وسطه إلى موقعه ، وذكرت بناء
الأهرامات والبرابي (ج) ومن بناها ، وصورتها وطولها وعرضها وما صنع
فيها من العجائب ؛ وذكرت من عمرها من الملوك قبل الطوفان وما نزل
بها بهذا الطوفان ؛ وذكرت فتحها في أيام سيدنا عمر (د) بن الخطاب
رضي الله عنه . ثم عدت إلى مدينة الإسكندرية ، ووصفت بناءها وصفة
منارها وصفة المرأة التي كانت بها وبناءها وتداول الملوك عليها .

ثم ذكرت بلاد إفريقية وما فيها من العجائب ، ووصفت مدينة قرطاجنة
وآثارها وعجائبها ، ووصفت البلاد إلى آخر بلاد المغرب . وقسمت أقطارها
قسمين ، ورتبتها صنفين : فمنها الصحراوية أو ما قاربها ، والساحلية وما يليها .

ولم أذكر شيئا مما سقته إلا ما كاد ينعقد على أكثره الإجماع ،
ويتفق عليه العيان والسمع ، وللمولى أدام الله تأييده ووصل سعوده ،
أن يقدر عبده فيما أورده ، ويحقق فيما رجاه أمله ومعتمده ، فإنه وإن كان
قد أنفذ وسعه في الاختيار ، وتوسط بين الإقلال والإكثار ، حرى بالاحسان

(أ) ج : العمود . (ب) ج : الشهود . (ج) ج : الهارمات والبربري .

(د) ج : عمار .

ظنا، ويرى التغميض عن هناته سنا ، إذ هو فيما ذكر كمن حمل الثمر إلى هجر (١) ،
ومنك استعدنا كل غريبة ، فانت غريبة في عيون الغرائب . وهذا حين
أبتدىء بذكر ما أردته فيما أوردته ، مستعينا بالله سبحانه ، راجيا صفحه
وغفرانه ، والله سبحانه يمتع الأدب ببقاء المولى ، ويشكره ما منح الخلق
من يده وأولى :

الناس يهدون على قدرهم وإننى أهدى على قدركا
يهدون ما يفنى وأهدى الذى يبقى على الأزمان من فخركا

ذكر حدود حرم مكة شرفها الله (٢)

حد الحرم من ناحية المدينة من ذى طوى (٣) على ثلاثة أميال من مكة ،
وحده من طريق جدة على عشرة أميال ، وحده من طريق اليمن على سبعة
أميال ، وحده من طريق العراق على ستة أميال ، وحده من طريق الطائف
على أحد عشر ميلا فعدد أميال الحرم ٣٧ ميلا (٤) ، ودور الحرم
حول مكة ٧٣٣ ميلا (٥) ، وكان النبي صلعم بنى بالحرمين ١٥ مسجدا (٦) .

(١) هجر هي مدينة البحرين المشهورة بكثرة تمرها . أنظر أبو الفدا (الجغرافية) ، الترجمة ،
ج ٢ ص ١٢٧ وهامش ٢ ، ٣ ؛ البكرى ، المعجم ، ج ٢ ص ٨٢٥ ، ٨٢٧

(٢) الحرم هو المنطقة المقدسة بمكة . ولكن هذا الإسم يطلق أيضا على أرض المدينة ومن هنا
سميت المدينتان الحرمين

(٣) ذو طوى هو أحد أودية مكة على طريق المدينة وفيه توقف النبي عند فتح مكة . أنظر
البكرى ، المعجم ، ج ٢ ص ٤٥٧ ؛ الأزرق ، ص ١٩٧ ، ٤٢٦ ، ٥٠٠ ؛ ابن جبير ،
ص ١١٢ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٨٩ - ب ؛ الفاسى ، ص ٨٣

(٤) هذا المقياس لا معنى له وذلك أن المؤلف أضاف طول المسافات التى تبين حدود الحرم
في الاتجاهات المختلفة ، بالنسبة إلى المسجد الحرام ، بعضها إلى بعض .

(٥) هذه المسافة مبالغ فيها من غير شك والظاهر أن الصحيح هو ٧٣ ميلا فقط ، وذلك أن
الأرض الحرام تمتد حول مكة مسيرة يوم تقريبا . أنظر أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢
ص ١٠٥ هامش ٥

(٦) أنظر البكرى ، المعجم ، ج ٢ ص ٥٥٩

وصف مكة شرفها الله وأرباضها وأسماء الجبال المحيطة بها

جبل أبي قبيس (١) وهو جبل أدكن (أميل إلى البياض) ، في رأسه
منار يذكر أنه منار إبراهيم عليه السلام . وفي أصله الصفا (٢) ومن عليه
يرق إليه ، ليس (١) له رقى إلا على أربعة مواضع : على الصفا ، وعلى شِعب
عمر ، وعلى شعب على (٣) رضى الله عنهما ، وعلى شِعب أجياد
الصغير (٤) ، ليس لأبي قبيس طريق يرق إليه إلا من هذه الأربعة
مواضع . وهو أحد الأَخَشَبَيْن (٥) فيما يقال ، ويقال إنه أول جبل خلقه
الله تعالى ووضعه في الأرض . وإنما سمي بأبي قبيس لأن رجلا كان يسكنه
على قديم الدهر يكنى بأبي قبيس فنسب إليه ذلك الجبل . وهو أقرب الجبال
إلى المسجد الحرام ، يقابل من مكة ويقابل من الكعبة الركن الأسود .

(١) ج : لرسو .

(١) أبو قبيس هو أحد جبال مكة المشهورة ويشرف على المدينة من جهة الشرق . وحسب
الروايات المتداولة كان هذا الجبل يطلق عليه ، قبل الإسلام ، اسم « الأمين » لأنه حفظ الحجر
الأسود من الطوفان . وهو أحد الجبلين المعروفين باسم « الأخشاب » . ياقوت ، معجم البلدان ،
ج ٢ ص ١٠٢ ؛ ابن جبير ، الرحلة ، ص ٨٠

(٢) أنظر فيما بعد ص ٢٩ والمأش .

(٣) الشعب هو الوادي الصغير أو الطريق يخترق الجبال . وهو الإسم الذي أطلق على أزقة
مكة والطرق التي تؤدي إليها . أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٩٦ . وعن شعب عمر
وشعب على أنظر الأزرق ، ص ٤٧٩ ، ٤٨٦

(٤) هو الطريق الذي يقع مباشرة إلى جانب جبل « أبو قبيس » والذي يؤدي إلى الطريق الآخر
المسمى « أجياد الكبير » . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٣٨ ؛ الأزرق ، ص ٤٩٤ ؛
العبدري ، المخطوط ، ص ٩٣ - ١ . وعن الإسم « أجياد » أنظر فيما بعد ص ٨

(٥) الأخشاب (ومفردها أخشب) وهو الجبل الصعب أو الأرض الحشنة : ياقوت ، معجم
البلدان ، ج ١ ص ١٥٩ - ١٦٣ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٩٢ - ب) هما جبلا مكة الشهيران :
أبو قبيس وجبل الخدمة (الأزرق ، ص ٤٣ ، ١٣٩ ، ٤٧٨ . وعن الخدمة قارن ص ٦) .
وحسب ابن رسته (ص ٢٩) كان موقف إبراهيم الخليل بين هذين الجبلين حينما دعا أهل إيمى
والشام والشرق والمغرب إلى الحج إلى مكة والمسجد الحرام . وقارن البكرى ، المعجم ، ج ١
ص ٧٨ ؛ الاضطرى ص ١٧ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٥ ؛ المقدسى ، ص ٧٧ .

ثم جبل الخندمة^(١) وهو الجبل العالى المستعل على أبي ليس من ناحية الشرق ، وهو (١) جبل أحمر محجر فيه صخرة كبيرة بيضاء كأنها معلقة تشبه الإنسان إذا نظرت إليها من البعد ، تراها من المسجد الحرام من باب السهمين (ب) الصغير . وفي ذلك الجبل تحصن أهل مكة يوم القرمطى (ج) (٢) . وأسفل (د) من ذلك الجبل ، بينه وبين الجبل غار ، شعب على رضى الله عنه .

ثم الجبل الأبيض^(٣) الذى على الأبطح إلى باب مِثْنَى^(٤) ، ومن ذلك الجبل إلى الجبل الأحمر السور ، وجعل هنالك بابين من خشب مصفحين بالحديد ، وهما على المثل (ر) (٥) وهما المعروفان بباب منى . وعند هذا الباب آبار (س) بعيدة الرشا يستقى الناس منها ، وماؤها ليس يعذب

(١) "وهو" ناقصة في ب (ب) "السهمين" ناقصة في ب. (ج) ج : القرموطى .
(د) ب : أسهل . (ر) ج : المثل . (س) ب : آبار .

(١) عن الخندمة أنظر الهامش السابق ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٤٦ ؛ البكرى ، المعجم ، ج ١ ص ٣١٩ ؛ العبدى ، المخطوط ، ص ٩٣ - ١ ؛ ابن الأثير ، ج ١ ص ١٨٨ . وتقول الرواية إن اسم هذا الجبل مأخوذ من الفعل «خدم» وذلك أنه عندما فتح النبي مكة خرج مع المكين رجل كان يسكن هذا الجبل ، ووعد امرأته بأن يعود لها بخادم من أسرى المسلمين . فأطلق على الجبل بعد انتصار المسلمين اسم الخندمة تنديرا وذكرى لهذا الحدث (الأزرق ص ٤٧٩) .
(٢) القرمطى المذكور هنا هو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي الذى استولى على مكة (في ٨ من ذى الحجة سنة ٣١٧ = ١٢ يناير سنة ٩٣٠) وأخذ الحبر الأسود إلى الأحساء . أنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣١٧ ؛ الفاسى ، ص ٢٤١ ؛ G. Demombynes, Pèlerinage, p. 49. sq. دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٢ ص ٨١٣ .

(٣) قارن الأزرق ، ص ٤٧٩ ، ٤٩٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٠٩ .
(٤) تسمى نهاية أزقة مكة التى تؤدى إلى الأبطح (وهو الجزء المنخفض من منطقة مكة) الذى يشرف على موقع المسجد الحرام «أبواب المسجد الحرام» . وأصلها هو باب منى . وعن الآبار القريبة من هذا الباب أنظر الأزرق ، ص ٤٧٩ .

(٥) المثل هو الجزء المرتفع إلى جهة الشرق من مكة وهو الذى يشرف على الأجزاء المنخفضة المسماة بالمسلة إلى جهة الغرب . العبدى ، المخطوط ، ص ٩٢ - ب ؛ ابن جبير ، ص ١١٣ ؛ G. Demombynes, Pèlerinage, p. 197 .

هذا وهذا الدليل الأخير ، يدل من مسجد الحرام (١) (١) إلى المسجد (١) ،
وهو الذي المأوى ، وهذا أصل التسمية يقع منه (٢) . وفي شعب منه
المعظم (١) في حوز الشعب الذي يقابل الحيف الذي كان ينزل فيه
من باب من المصادر الأولى ، منهم من منى إلى آخر أيام التشريق (٥) ،
فيما بين الطهور والمصر والمغرب والعشاء الآخرة ، وكذلك يدخلون مكة .
وقد صرح من (ب) النبي صلى الله عليه وسلم أنه فعل ذلك (٦) .

(١) في النص : " الحنبلين " . أنظر فيما بعد ص ٣٣

(ب) ج ١ ص ١ .

(١) أنظر فيما بعد ص ٣٣ و هامش ١

(٢) الحبرون هو الشعب أي الطريق الذي يؤدي إلى الممل حيث مقبرة مكة . ومن هذا الطريق دخل
إلى مكة من طريقها . ابن جبير ، ص ١٠٩ ، ١١٠ (G. - Demombynes, Pèlerinage, p. 314) ،
ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢١٥ ، العبدري ، المخطوط ، ص ٩٥ - ١ . قارن اليعقوبي ،
ص ٢١٥ ، البخاري ، ج ١ ص ٣٩١ ، ٣٩٩ ، الفاسي ، ص ٨١ .

(٣) بفتح مكة هو أخفض أنحاء المدينة إلى حيث يتجه ماء السيل ، وهو الذي يسمى أيضا
الأطاح والمحصب وذو طوى . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٩٢ ، ٩٥ ، ج ٤
ص ١٢٥ ، البخاري ، ج ١ ص ٤٤١ .

(٤) أنظر الهامش السابق و هامش ص ٣٢ . وهو المكان الذي تلقى فيه الجمرات (ياقوت ،
معجم البلدان ، ج ١ ص ١٤٩) . ويطلق عليه أيضا اسم المحصب لأن ماء السيل ينطلق إليه ويجمع
فيه الحصباء الفاسي ، ص ٩٤ ، اليعقوبي ، ص ٣١٤ . وانظر G. - Demombynes, Pèlerinage, p. 287 .

(٥) من أيام التشريق أنظر فيما بعد ص ٣١ . أما عن شرح اسم التشريق الذي تعرف به الأيام
العمة الأولى من شهر ذي الحجة فيقول المسعودي : « وقد اختلف الناس في علة تسميتها أيام
التشريق وهي أيام منى ولياليها . فقالت طائفة إنما سميت أيام التشريق لأنهم كانوا يذبحون الذبائح
بمنى ويشرقون (يعرضون) اللحم في الشمس . وقال آخرون إنما سميت أيام التشريق لأنهم كانوا
يخرجون بمنى وغيرها كالمزدلفة إلى مصليات لهم في فضاء من الأرض يسمونها المشارق واحدا
مشارق فيسبحون ويدعون . وفيه قول آخر وهو أن طائفة زعمت أنه مأخوذ من ذبح البهائم
وهو الشرق » . مروج الذهب ، ج ٣ ص ٤١٩ ، ٤٢٠ . وقارن تنوير الحوالك ، ص ٣٥٧ .

(٦) قارن تنوير الحوالك ، ص ٣٥٥ ، البخاري ، ج ١ ص ٤٣٩ ، ابن جبير ،

ص ١٧٧ ، العبدري ، المخطوط ، ص ١٠٢ - ب .

ثم الجبل الذى يظهر دار الندوة^(١) يسمى 'قبيقيمان'^(٢)، وهو الذى ينادى
أبا قبيس ، وهو جبل أخضر . وإنما يسمى قبيقيمان لأن مضاض بن جهم
نزل به ، ونزل السُمَيْدَع بن جهم بجبل أجياد ، فدارت بينهما حرب عظيمة
فى تلك الأيام ، فكانت أجياد - أعنى من سكن بها وهو السُمَيْدَع وآله -
أول من جاد بالدم فى الحرم ودعا إلى القتل ، وقالت العرب فيها أجياد
لأنها^(١) أول من جادت بالدم .

ثم جبل أجياد^(٣) ، وهو الجبل العالى الأخضر الذى بغربى المسجد الحرام
فى رأسه منار يذكر أن أبا بكر رضى أمر ببنائه^(٤) ، ينادى عليه المؤذن
فى رمضان ، ويقابل من الكعبة اليماني ، ويخرج إليه من باب إبراهيم
عليه السلام^(٥). وهو يقابل قبيقيمان من ناحية الغرب .

(١) "لأنها" ناقصة فى ب .

(١) عن دار الندوة أنظر فيما بعد ص ٢٦ . بناها قصى بن كلاب وجعل بابها أمام الكعبة .
وفى هذه الدار كان يجتمع القرشيون لمناقشة شئونهم . ولقد اشتراها معاوية ثم دخلت تدريجيا
فى المسجد الحرام على عهد عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك بعده ثم سليمان بن عبد الملك ،
وكذلك على عهد المنصور العباسى إلى أن انتهى الأمر بإدخالها جميعا فى المسجد على عهد المعتضد بالله
سنة ٢٨١ هـ = ٨٩٤ . الأزرق ، ص ٦٥ ، ١٨٨ ، ٣١٠ ، ٣٤٠ وتابع . قارن ياقوت ،
معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥٢٤

(٢) رغم أن المؤلف يظهر رغبته فى شرح أصل اسم هذا الجبل إلا أنه لا يفعل . وتقول
الرواية إنه اثناء الحرب بين السמידع بن جهم وبين الحارث بن مضاض بن جهم ، جعل هذا الأخير
يقبرع الرماح والدروع ومنها أتت كلمة قبيقيمان بمعنى رنين . المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٣
ص ٩٩ ؛ الأزرق ، ص ٤٥ ؛ قارن الاصطخرى ، ص ١٥ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٣ ؛
اليعقوبى ، ص ٣١٤ ؛ المقدسى ، ص ١٠٣

(٣) قارن الأزرق ، ص ٤٥ وتابع ، ص ٤٩٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١
ص ١٣٨ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٩٩ . فيما يتعلق باسم أجياد يقول الأزرق وياقوت
إنه مأخوذ من كلمة جياذ بمعنى خيل . وذلك أن السמידع عند ما خرج للحرب كان معه جياذ مسرجة
حسنة وبها سُمى المكان

(٤) لا يقول الكتاب شيئا من هذه المثلثة التى بناها أبو بكر .

(٥) من باب إبراهيم أنظر فيما بعد ص ٢٤ - ٢٥

ثم جبل ان ميران (١)، وهو الجبل الأسود الذي بين آل فليس وأحسان ،
وهو سامهما . ويظهر من البعد ذاته بينهما ، يمايل من الذئبة الجدار
اليماني ، وهو أميل إلى الركن اليماني قليلا .

ثم جبل البكا (٢) ، وهو غارج على الجبال المحيطة بمكة ، وهو في العطف
الذي في آخر ذي طوى ، عن يمينك وأنت غارج تريد التنعيم (٣) .
وهناك عن يسارك المتكا (٤) ، وهو الحجر الذي قعد عليه النبي ولعم
واستراح عند إقباله عليه فيما يذكر أهل مكة ، روي عن مشيختهم .

عدد أرباض مكة شرفها الله

ولمكة أربعة أرباض منها الحجون (٥) وما حوله إلى المروة (٦) ، وربض
قُحَيْقِيعَانَ (٧) وما حوله إلى باب ذي طُوى (٨) ، وربض أجياد الكبير (٩)

(١) يسمى الأزرق (ص ٤٩٤) هذا الجبل « رأس الانسان » . قارن ياقوت ، معجم البلدان ،
ج ٢ ص ٧٣١

(٢) لا يقول الكتاب شيئا عن هذا الجبل .

(٣) يبدأ أهل مكة الإحرام من أجل العمرة من هذا المكان . وهو يسمى أيضا « مسجد
هائشة » وهو ليس من الحرم . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٧٩ ؛ البكري ، المعجم ،
ج ١ ص ٢٠٠ ؛ ابن جبير ، ص ١١١ (G. Domombynes, Pèlerinage, p. 195) ؛
قارن ابن حوقل ، ص ٢٥ ؛ المقدسي ، ص ٧٧

(٤) لا يقول الكتاب شيئا عن هذا الحجر .

(٥) أنظر فيما قبل هامش ٢ ص ٧

(٦) المروة أشهر تل في مكة واسمه مرتبط دائما باسم تل « الصفا » ، فيبينهما يجرى طقس
من أهم طقوس الحج والعمرة ألا وهو السعى . القرآن ، سورة ٢ ، آية ١٥٣ ؛ البخاري ، ج ١
ص ٤١٤ ؛ البكري ، المعجم ، ج ٢ ص ٥١٩ ؛ ابن جبير ، ص ١٠٧ ؛ المعدي ، المخطوط ،
ص ١٠٢ - ١ ؛ ابن رسته ، ص ٥٤ ؛ الاصطخرى ، ص ١٦ ؛ اليعقوبي ، ص ٢١٥ ؛
المقدسي ، ص ٧٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥١٩

(٧) أنظر فيما قبل هامش ٢ ص ٨

(٨) أنظر فيما قبل هامش ٣ ص ٤

(٩) أنظر فيما قبل ص ٨ وهامش ٣

مع شعب أبي بكر رضه إلى المنة ثغلة (١) إلى باب اليمانيين ، ثم إلى الأبطح (١)
وما حوله من باب منى (٢) إلى شعب على مع شعب عثمان (٣).

ذرع الكعبة كرمها الله من خارج (٤)

طول وجه الكعبة وهو الشق الذى فيه الباب ، من الركن الأسود إلى الركن
الشامى ٢٧ ذراعا (٥) . وعند الثلث الباقى من هذا الجدار من ناحية الركن
الشامى ، يوقف منبر الخطيب يوم الجمعة ويرفع فى سائر الأيام ، وهو منبر
كبير مفصل على ثلاثة قطع (٦) . وطول مؤخرها وهو الشق الغربى ، من الركن
اليمانى إلى الركن الغربى ، ٢٧ ذراعا - طول الذراع الذى به هذا الذرع (ب)
٢٠ أصبعا (٧) . وعرضها من ناحية اليمانى إلى الركن الأسود ٣١ ذراعا

(١) ب ، ج : بطح . (ب) القراءة فى ج : الذى هو الذرع .

(١) أنظر فيما قبل هامش ٥ ص ٦

(٢) أنظر فيما قبل هامش ٤ ص ٦

(٣) أنظر فيما قبل ص ٥ والهامش

(٤) لا يتفق الكتاب على مقاييس الكعبة والمسجد الحرام . ودون أن نحاول تحقيق
المقاييس الصحيحة لكل فترة ، ودون تأييد الواحد منهم أو الآخر ، سنكتفى بالإشارة إلى أهم
رواياتهم . ولكن يحسن الإشارة إلى أن كتاب الأزرق يعتبر المصدر الرئيسى فى هذا المقام . فلقد
نقله ابن رسته وذكره معظم الجغرافيين والرحالة مثل ابن جبير وياقوت والبدرى والفاسى . الخ .
ويحسن أيضا أن نشير إلى أن ما كتبه المؤلف هنا يختلف عن بقية المصادر . وهذا يدعو إلى الظن
بأنه عمل شخصى أى مبتكر ، نقله صاحب الاستبصار عن مصدر لم يصل إلينا . وهو هنا وعلى عكس
بقية أجزاء الكتاب لا يذكر اسم أى مؤلف .

(٥) يقول ابن الفقيه (ص ٢٠) دون دقة إن طول المسجد ، فى وقته ، ٢٧ ذراعا ؛
وعلى العكس من ذلك يروى الأزرق أن طول هذه الواجهة ٢٥ ذراعا (ص ٢٠٥) ؛ ابن رسته ،
ص ٣٠ ؛ اليعقوبى ، ص ٣١٦) . وحسب ابن خردادبه (ص ١٣٣) يكون طوله ٢٤ ذراعا
وشبر وعرضه ٢٣ ذراعا وشبر (المقدسى ، ص ٧٢) .

(٦) قارن ابن جبير ، ص ٩٣ - ٩٤ .

(٧) حسب الأزرق (ص ٢٠٣) يكون طول هذه الواجهة ٢٥ ذراعا (ابن رسته ، ص ٢٠) .
وكذلك الحال بالنسبة لليعقوبى (ص ٣١٦) وابن عبد ربه (العقد الفريد ، ج ٣ ص ٣٦٣) .
ويقرر الأزرق (ص ٢٠٣) أن طول الذراع هنا هو ٢٤ أصبعا (ابن رسته ص ٣٠) .

ونصف ذراع (١) ، وعرضها من ناحية الشام وهو الشق الشامى وهو الذى عليه الميزاب (٢) (١) ، من الركن الغربى إلى الركن الشامى ، ٢٤ ذراعا (٣) .

هذا ذرع البيت من خارج . وذرعه من داخل : طول الجدار (ب) الذى يقابلك إذا دخلت البيت الذى فيه محاريب الفضة (٤) ، وهو الذى صلى عليه النبي صلعم ، من الركن الغربى إلى الركن المائى ، ٢٢ ذراعا (٥) . وطول الجدار الذى فيه الباب ، من الركن الأسود إلى الركن الشامى ، ٢٩ ذراعا (٦) ؛ بسبب (ج) الركن الذى بناه الحجاج بن يوسف فى داخل البيت فى الركن الشامى ، وجعل فيه سلما من داخل الركن يرقى منه إلى ظهر الكعبة لتعليق الكسوة (٧) . وعرض الجدار الشامى ، الذى بين الركن الغربى والركن الشامى ، ١٥ ذراعا ونصف ذراع (٨) ، نقص ذرع (د) الجدار

(١) ج : الضراب (ب) ج : الجبال الجدار (ج) "بسبب" ناقصة فى ب .
(د) "نقص ذرع" ناقصة فى ج .

(١) طول هذه الواجهة ، حسب الأزرق (ص ٢٠٣) ، ٢٠ ذراعا (ابن رسته ص ٣٠) ؛ وكذلك الأمر بالنسبة لليعقوبى (ص ٣١٦) وبالنسبة لابن عبد ربه (العقد ، ج ٣ ص ٣٦٣) . أما ابن الفقيه فيقول إن طولها ١٥ ذراعا وشبر .

(٢) أنظر فيما بعد ص ١٩ وقارن الأزرق ، ص ٢٠٤ ؛ ابن رسته ، ص ٣٠ ؛ ابن جبير ، ص ٨٧ ؛ ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٣٦٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٧٩ .
(٣) قارن الأزرق ، ص ٢٠٣ ؛ ابن رسته (٢١ ذراعا) ؛ اليعقوبى ، ص ٣١٦ (٢٢ ذراعا) .

(٤) لا يقول الكتاب شيئا عن هذا الحائط حيث توجد محاريب الفضة . ولكننا نظن أنها عبارة عن بابين صغيرين من فضة أشبه بالشباكين المصنوعين بركن الحجر الأسود . ابن جبير ، ص ٨٤ .

(٥) قارن الأزرق ، ص ٢٠٤ ؛ ابن رسته ، ص ٣١ (٢٠ ذراعا و ٦ أشبار) .

(٦) الأزرق ، ص ٢٠٤ ؛ ابن رسته ص ٣١ (١٩ ذراعا و ١٠ أشبار) .

(٧) بعد أن فتح الحجاج مكة وفيها ابن الزبير هدم ، بأمر الوليد بن عبد الملك ، الكعبة التى كان ابن الزبير قد بناها (حسب ما كانت عليه أيام إبراهيم الخليل . "تاريخ" البخارى ، ج ١ ص ٤٠١) ، وأعاد بناءها كما كانت من قبل مع بعض الإصلاحات مثل عمل السلم الذى يودى إلى سطح الكعبة . قارن الأزرق ، ص ١٤٦ ؛ ابن رسته ، ص ٣٣ ؛ ابن جبير ، ص ٨٤ .
(G. Demombynes, Pèlerinage, p. 52) ؛ العبدوى ، المغالوط ، ص ٩٨ - ١٠٠ .

(٨) قارن الأزرق ، ص ٢٠٤ ؛ ابن رسته ، ص ٣١ (١٥ ذراعا و ٨ أشبار) .

من أجل ذلك الركن المذكور . وعرض الجدار البني ، من الركن الأسود إلى الركن البني ، ١٧ ذراعا ونصف ذراع (١) . وذرع قاع البيت مكسرا ٣٥٢ ذراعا ونصف ذراع (٢) .

هذا ذرعه من داخل وتكسیر قاعه . وغلظ جدار الكعبة ٥ أشبار (٣) . وارتفاع البيت من خارج ، من الأرض إلى أعلى البيت ٣٠ ذراعا : طول جدار البيت منها ٢٧ ذراعا ، وعليه طرايزين وارتفاعه ذراع ، تعلق منه الكسوة وقد استعلت عليه ذراعا ، وكمل بذلك ارتفاع البيت ٣٠ ذراعا (٤) . هذا ارتفاعه من خارجه . وارتفاعه من داخله : جدره كلها من قاع البيت إلى السماء الأولى (١) ٣٠ ذراعا ، ومن السماء الأولى إلى السقف الأعلى ذراعا (٥) .

هذا ارتفاعه من داخله . وذكر أن إبراهيم الخليل عليه السلام إنما بني البيت الحرام يوم بناه في ارتفاع ٩ أذرع (٦) غير مسقف (ب) ، فلما بنته قریش واقتصرت عن طوله ٦ أذرع تركت ذلك في الحجر ، وزادت في ارتفاع البيت ٩ أذرع ، فكان البيت يومئذ من ١٨ ذراعا

(١) ج : الأول . (ب) "غير مسقف" ناقصة في ج .

(١) قارن الأزرق ، ص ٢٠٤ (١٦ ذراعا و ٦ أشبار) .

(٢) فيما يتعلق بمقاييس المسجد الحرام الخارجية يقول الأزرق (ص ٢٠٣ ؛ ابن رسته ص ٣٠) إن مساحة الكعبة عبارة عن ٤١٨ ذراعا مربعا .

(٣) قارن الأزرق ص ٢٠٣ ، ابن رسته ، ص ٣٠ (ذراعا) .

(٤) ارتفاع البيت الحرام ، حسب الأزرق (ص ٢٠٣ ؛ ابن رسته ص ٣٠ - ٣١) ، هو ٢٧ ذراعا دون حساب ذراعين ونصف ذراع هي طول حائط السطوح حيث تعلق الكسوة أوثياب الكعبة . وهذا يجعل طوله جميعا ٢٩ ذراعا ونصف ذراع : قارن يعقوبي ، ص ٣١٦ (٢٨ ذراعا) ؛ ابن خرداذبة ، ص ١٣٣ ؛ المقدسي ، ص ٧٢ (٢٧ ذراعا) .

(٥) يقول الأزرق (ص ٢٠٣ ؛ ابن رسته ، ص ٣٠) إن ارتفاع الكعبة من الداخل هو ١٨ ذراعا ونصف ذراع إلى السقف الأول و ٢٠ ذراعا إلى السقف التالي .

(٦) الأزرق ص ٣١ ، ٤٨ ، ١٤٤ ، ٢٠٢ ؛ ابن رسته ، ص ٢٨ (Blachère, Extraits, p. 44) ؛ ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٣٦٣ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٩٨ . وعلى عكس هؤلاء الكتاب يقرر ابن الفقيه (ص ٢٠) وياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٨١) أن ارتفاع مسجد إبراهيم ٧ أذرع .

في الارضاع (١) . فالأصح في ذلك أن الله عز وجل أمر بارتفاعه وأمر بارتفاعه
 وارتفاعه ما كان أساسه قريش ، فأمر الله بارتفاعه ذلك فصار الارتفاع ،
 فإد في ارتفاعه ٩ أذرع . وقال إن قريشا راد فيه ٩ أذرع وأنا أزيد
 فيه ٩ ، فصار البيت من يومئذ من ٢٧ ذراعا (٢) (١) في ارتفاعه ،
 لم يزد فيه أحد من يومئذ .

صفة البيت من داخله وفضله وفضل الصلاة فيه

ينبغي لمن يهتج أن يرغب في داخل البيت وفي الصلاة فيه . فإن في ذلك
 ففياة كثيرة (٣) . فإذا دخل فيه أحد فليتركع وليلج بالدعاء والرغبة
 إلى الله . فإنه مشهد كريم . وليخلع نعليه ولا يبصق ولا يمتخط ولا يئزّه
 ما استطاع فإنها بقعة مكرمة مقدسة مطهرة ، كرمها الله عز وجل وشرفها
 على بقاع الأرض كلها . وهو قبال البيت المعمور الذي يحججه الملائكة
 في السماء كما يحج هذا بنو آدم في الأرض (٤) .

وصفة قاع البيت هو مبسوط بالرخام الأبيض ، وفي رخامة منها عند دخولك
 من باب الكعبة مسارفضة ، وكذلك جميع جدره مرخمة بالرخام الأبيض قدر ٩
 أذرع (ب) ، وما فوق ذلك منقوش مذهب بفراشة الذهب ليس بصفايح (ج)
 إلى سماء البيت . وفي ترخيم جدر (د) البيت ألواح حمر وخضر ، يقال إن الوليد
 ابن عبد الملك بعث تلك الألواح من الشام مع الرخام الذي رخم به البيت ،
 ومع ذلك ٣٠ ألف دينار ، وأمر أن يرخم البيت ويذهب ، وهو أول
 من كساه بالرخام وذهبه .

(١) ب ، ج : ٢٩ ذراعا . (ب) أذرع ناقصة في ج .
 (ج) ج : بصفيح . (د) ب ، ج : الجدد .

- (١) الأزرق ، ص ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ٢٠٢ (ابن رسته ، ص ٢٩ - ٣١)
 (Blachère, Extraits p. 43) ؛ ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٣٦٣
 (٢) الأزرق ، ص ١٤٤ ، ٢٠٢ (ابن رسته ، ص ٣٠) ؛ (Blachère, Extraits p. 45-6)
 ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٣٦٣ ؛ ابن الفقيه ، ص ٢٠ ؛ المقدسي ، ص ٧٤
 (٣) أنظر البخاري ، ج ١ ص ٢٩٩

(١) تقول الروايات إن الملائكة هم الذين بنوا الكعبة نفسها قبل خلق آدم وإنهم أدوا عندما
 فريضة الحج . الأزرق ، ص ٤ - ٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٨١

فمن تلك الألواح في الجدار الغربي مقابل من داخل البيت ٥ : ألواح :
 ٣ حمر و ٢ أخضران (١) . وبين هذه الألواح الخمسة في ذلك الجدار
 ٣ محاريب فضة ، طول كل محراب منها ٥ أشبار وعرضه ٣ أشبار ،
 بين كل محراب منها منقوش : « أقبل على صلاتك ولا تكن
 من الغافلين » . وفي جهة كل محراب منها منقوش : « لا إله إلا الله
 محمد رسول الله » . وفي ذلك الجدار أيضا مما يجاور الركن اليماني ، في أعلى
 الترخيم على رأس اللوح الأحمر ، محراب ذهب طوله شبران وعرضه شبر
 ونصف (١) . وعلى رأس تلك الألواح والمحاريب بحر مرخم فيه مكتوب
 بالمسك المحلول : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » مكرر في سطرين .
 وبعد ذلك : « الإمام المطيع لله أمير المؤمنين » (٢) . وفي سطر
 تحته (ب) : « الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين » (٣) .

وفي الجدار اليماني من تلك الألواح ٤ : أخضران وأحمران ، فوقهما بحر
 مرخم فيه مكتوب : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة (ج) مباركاً وهدي
 للعالمين ، فيه آيات بينات (د) مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً » (٤) .

وفي الجدار الذي كان فيه الباب من تلك الألواح ٣ : أخضر بين أحمرين ،
 وفوقهم بحر مرخم مكتوب من طرف عتبة الباب : « ولله على الناس حج
 البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » (٥) ،
 « بسم الله الرحمن الرحيم . إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين
 آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » (٦) .

(١) ج : خضر . (ب) ج : في وسط الثاني تحته .
 (ج) ج : بمكة . (د) هذه الآية منقولة في "ج" الى كلمة بينات فقط .

(١) يخطى الأزرق (ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ؛ ابن رسته ص ٣٤ ، ٣٥ ،
 ٣٦) تفصيلات أكثر إسهاباً عن هذه النقاط وهو يذكر أن الوليد بعث ٣٥ ألف دينار ولكنه
 لا يقول شيئاً عن محاريب الفضة ولا عن محاريب الذهب . أما ابن جبير فهو كما سبق أن أشرنا
 (هامش ٤ ص ١١) لا يتكلم إلا عن شباك الفضة الملتصقين بحائط الركن .

(٢) هو المطيع لله أبو القاسم الفضل ابن المتوكل (توفي سنة ٣٦٤ = ٩٧٤) .

(٣) هو المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن أحمد الخليفة العباسي (توفي سنة ٣٢٠ = ٩٣٢) .

(٤) القرآن ، سورة ٣ ، آية ٨٩

(٥) القرآن ، سورة ٣ ، آية ٨٩ ، ٩٠

(٦) القرآن ، سورة ٣٣ ، آية ٥٦

وفي الجدار الشامي من تلك الألواح ٣ أيضا : أخضر بين أحمرين ،
ولولهما بحر ورسم فيه مكتوب : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا
من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين
والعاكفين والركع السجود » (١) . هذه صفة البيت من داخله وخارجه (١) :

صفة سقف البيت وعمده

وسقف البيت على ثلاثة عتب أطرافها من الجدار الشرقي إلى الجدار
الغربي (٢) . والعتب على ثلاثة أعمدة من خشب مخروطة على قواعد
من خشب فيها مسامير فضة . وهي مصطفة من الجدار الشامي إلى الجدار
اليماني ، بين العמוד الأول والجدار الشامي ٤ أذرع ، وبين ذلك العמוד
والعمود الأوسط ٧ أذرع ، وبين الأوسط والثالث الذي يليه الجدار
اليماني ٧ أذرع ، وبين العמוד الثالث والجدار اليماني ٦ أذرع (٣) .

وسماء البيت مذهب في خضرة ليس بمنقوش إنما هو دائري في خضرة مذهب .
وفي سماء البيت أربعة روازن للضوء ، جميعها مغطاة بحجر أبيض يسمى الطلق ،
يذكر أن عبد الله بن الزبير بعث به من اليمن فغطى منه (ب) الروازن ليدخل
منها (ج) الضوء ولا يدخل منها الماء . واحدة من الروازن على الحجر (د)
الأسود ، والثانية على وسط البيت بإزاء رأس العמוד الأوسط ، وثالثة (ر)

(١) ج : داخلها وخارجها . (ب) ج : منها . (ج) ب : منه

(د) ب : حجر . (ر) ب : ثلاثة .

(١) القرآن ، سورة ٢ ، آية ١١٩

(٢) حسب بن عبد ربه (المقد ، ج ٣ ص ٣٦٢) يشتمل المسجد على ثلاثة أروقة . ولكن
حسب بن جبير (ص ٨ ، ٤٨ G.-Demombynes, Pèlerinage, p. 51) يقوم المسجد على ثلاثة
أعمدة من خشب الساج .

(٣) طول المسافات بالأذرع بين الأعمدة والجدران ، حسب الأزرق (ص ٢٠٥ ،
بن رسته ص ٣١) ، هي بالتوالي : ٢٠٥ ، ٤٠٥ ، ٤٠٥ ، ٢ وثلاث . قارن بن عبد ربه ، المقد ،

ج ٣ ص ٢٦٣

على الركن الشامي ، ورابعة (١) على الركن البماني (١) . وفي الركن عمود
به قصبة فضة (ب) ، وهي التي كانت بها قرط مارية والتميمة وقرن
الكبش (٢) . وليس بها اليوم إلا قنديلان من فضة كبيران منقوشان ،
ومعلق فضة بقنديلين آخرين. لا غير (ج) .

صفة باب الكعبة وذرعه وعتبته

عتبة الباب من ساج أسود مكتوبة من داخل البيت مذهبة من خارجه .
وطول باب (د) البيت ٧ أذرع ونصف ذراع ، وعرضه ٤ أذرع
إلا أربعة أصابع (٣) . وهو مكسو بصفايح الفضة المذهبة ، وله حلقتان
من فضة بيضاء غير مذهبتين . وكان قفل البيت من نحاس أحمر مذهب ، بعضه
قد انكشف وبقي بعضه مذهباً ، وهو اليوم (ر) حديد مكسو بالفضة (٤) ،

- (١) أربعة . (ب) القراءة في ب : وبين الركن عمودين قصبة فضة .
أما في "ج" فالقراءة : وبين كل عمودين قصبة فضة .
(ج) ج : ومعلقان فضة في آخرين . (د) كلمتا "طول باب" ناقصتان في ج
(ر) « اليوم » ناقصة في ب .

(١) يقول الأزرق (ص ١٤٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ؛ ابن رسته ، ص ٣٠ ، ٣٢ ؛
ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٣٦٣) إن الحجر الذي استجلبه ابن الزبير من اليمن خاصة لكسوة
هذه الروايات يسمي الناق ولسن الطلق . وحسب ابن جبير (ص ٨٣ ؛ G. Demombynes, p. 61)
Pèlerinage, p. 61) قال : قد دخلت روضة روضة بالزجاج العراقي ولكن أحدها لم يكن ظاهراً .
(٢) قال ابن رسته ، منها في ذلك مثل كل المعابد ، تحتوي في الجاهلية كما في الإسلام
على بعض الآثار المعاصرة . وقد ذكر من بينها قرفي الكبش الذي تقول الرواية إنه الكبش الذي ضحى به
إبراهيم من أجل إيمانه لإسماعيل . ولقد التهمت النيران التي أحرقت الكعبة أثناء الحصار الذي ضربه
الحسين بن أمير سنة ٦١ = ٦٨٣ . أنظر الأزرق ، ص ١٥٦

(٣) قال ابن جبير : كان للعبة كان للباب مصراع واحد فجعل له ابن الزبير مصراعين
ارتفاعهما ١١ ذراعاً . ولكن عقب إصلاحات الحجاج أنقص ارتفاع الباب إلى ٤ أذرع وشبر
(الأزرق ، ص ١٤٥ - ١٤٦) ، حتى أصبحت مقاييسه ٦ أذرع و ١٠ أصابع طولاً ، و ٣ أذرع
و ١٨ أصبعا عرضاً (الأزرق ، ص ٢١٦ ؛ ابن رسته ، ص ٣٦) . ابن الفقيه يقول (ص ٢٠)
إن عرض الباب ٤ أذرع . أما ابن جبير (ص ٨٢ ؛ G. Demombynes, Pèlerinage, p. 61)
فيروي أن ارتفاعه ١٠ أشبار وعرضه ٨ أشبار .

(٤) أنظر الأزرق ص ٢١٦ ، ٢١٧ (ابن رسته ص ٦٤) ؛ ابن جبير ، ص ٨٢ ؛

G. Demombynes, Pèlerinage, p. 51

بأنه أصل شجر ، والثاني في الجدار الشريف ، وبين الركن الأسود
م أذرع ، ويسمى هذا الموضع الملتزم (١) ، بينه وبين الركن الشامي
١٨ ذراعاً ، وارتفاع الباب من الأرض ٥ أذرع (٢) .

صفة الحجر الأسود وارتفاعه في الركن وفضله

الحجر الأسود على ثلاثة أذرع من الأرض (٣) ، وطول ما يظهر منه
في الركن شبر غير أصله في الجدار شبر (٤) . وهو مصدوع مكسور
على ثلاثة قطع : اثنان كبيرتان وواحدة صغيرة (٥) ، ذكر أن عبد الله
ابن الزبير كان ألمقه وشده بالقضة وأدخله في الركن . وكان قد بقيت
العملة الصغيرة منه عند بني شيبة ، فلما رده القرمطي بعد أخذه ، ألصق
أثلاث ، وأضاف إليه بنو شيبة القطعة الثالثة ، وأفرغ حوله القضة ودارت
القضة بينها حتى صار كشبه العين (٦) .

(١) الملتزم أو المدعى أو المتعوذ وهو مشهور بالاسم الأول هو المكان الخالي الواقع بين
ركن الحجر الأسود وباب الكعبة . وهو مكان مبارك فيه يستجيب الله لدعاء عباده (الأزرق ،
ص ٢٤٦ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٦٢٩) . أما حسب ابن جبير (ص ٨٢)
فهو المكان الواقع بين ركن الحجر الأسود والحجر . وحسب الأزرق يسمى الجزء الخلفي من الكعبة
أصلها ملتزم هجائن قریش .

(٢) يقول الاصطخرى (ص ١٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٧٩) إن الباب
على ارتفاع قامة . ويذكر ابن جبير (ص ٨٢ ؛ G. Demombynes, p. 51) أنه على ارتفاع
١١ شبراً ونصف شبر من الأرض .

(٣) يقول الأزرق (ص ٢٤٦ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢١٢) إنه على ارتفاع
ذراعين وثلاث ذراع من الأرض . أما اليعقوبي فيذكر (ص ٢٣) أنه على ارتفاع قامة من الأرض
وهو حسب ابن جبير (ص ٨٦) على ارتفاع ٦ أشبار .

(٤) يقول الأزرق (ص ٢٤٦ ؛ ابن رسته ، ص ٣٩) إنه مدفون في الحائط إلى عمق
ذراعين وثلاث ذراع . ولكن حسب ابن جبير (ص ٨٩) لا يصل هذا العمق إلا إلى ذراعين فقط .

(٥) قارن الأزرق ، ص ١٤٤ ، ٢٤٥ (ابن رسته ، ص ٣٨) . يقول ابن جبير
(ص ٨٩ ؛ G. Demombynes, p. 41) إنه يتكون من ٤ أجزاء ملصوقة بعضها إلى بعض .

(٦) نفس المصدر . عن القرمطي أنظر فيما سبق هامش ٢ ص ٦

وفيه أيضا طرق كثيرة غير الصدع ، فأكثر من استلامه ومن (١) الركن اليماني ، فإن ذلك يحط الخطايا^(١). وتقول عند استلامه : بسم الله ، والله أكبر ، اللهم إيمانك وتصديقك لما جاء به نبيك عليه السلام .

صفة الحجر وذراع (٢)

الحجر مكعب يشبه الصهرج ليس بالمربع ، مرخم قاعه وحوائطه بالرخام الأبيض ، طرفاه ليسا بملصوقين بركن البيت ، يقابلان من الأركان الشامي والغربي . بين طرفي حائط الحجر الواحد والركن الشامي ٨ أذرع ، وبين الطرف الثاني والركن الغربي ٦ أذرع ، وهما بابا (ب) الحجر من حيث يدخل إليه^(٢). ودور الحجر ٤٥ ذراعا ونصف ذراع^(٣) ،

(١) « ومن » ناقصة في ب . (ب) ب و ج : باب .

(١) الاستلام هو عادة تقبيل اليد بعد لمس الحجر الأسود أو تقبيل الحجر نفسه . ولكي تصبح هذه العادة المأخوذة مما قبل الإسلام والمنافية لروح الإسلام الوجداني المجرد مقبولة تقول الرواية إن الحجر الأسود يمثل يد الله اليمنى يمدّها للناس لكي يستلموها . ودون الإشارة إلى الأساطير التي تروى أنه حجر من الجنة نذكر أن عمر بن الخطاب اقترب من الحجر الأسود وقبله وقال : « إنما أنت حجر ولولا أني رأيت رسول الله صلّم قبلك ما قبلتك » . أنظر البخاري ، ج ١ ص ٤٠٤ وتابع ؛ تنوير الحوالك ، ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ ؛ الأزرق ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٤ ؛ ابن جبير ، ص ٩٠ ؛ G. Demombynes, Pèlerinage, pp. 43, 209

(٢) الحجر هو المكان الخالي الذي تركه القرشيون عند ما بنوا كعبة إبراهيم من جديد ؛ ولقد أحاطوه بمحائط من حجر واذلك سمي الحجر (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٠٨) . وهو على شكل نصف دائرة تقع بين الركن الشامي والركن الغربي . وحسب ما يقوله الكتاب دفن في هذا الموضع إسماعيل وأمه هاجر . أنظر الأزرق ص ٩١٨ (ابن رسته ، ص ٢٨ ، ٣٧ ، ٣٨ ؛ Blachère, Extraits..., p. 45 et note ؛ الاصطخرى ، ص ١٦ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٣ ؛ ابن خردادبه ، ص ١٣٣ ؛ ابن جبير ، ص ٨٦ ، ٨٨ ؛ المقدسي ، ص ٧٢ ؛ G. Demombynes, Pèlerinage, pp. 21, 27, 36; Note sur la Mekke et Médine, p. 22.

(٣) عرض كل من مدخل الحجر ، حسب ابن جبير (ص ٨٨) ، هو أربع خطوات أي ستة أذرع . ولكن الأزرق يقول (ص ٢٢٦ ؛ ابن رسته ، ص ٣٨) إن عرض الواحد منها ٥ أذرع و ٣ أصابع .

(٤) مقياسه من الداخل ، حسب الأزرق (ص ٢٢٦ ؛ ابن رسته ، ص ٣٨) ، ٣٨ ذراعا ومن الخارج ٤٠ ذراعا . ويذكر ابن خردادبه (ص ٣٣) أنه ٥٠ ذراعا . أما عند المقدسي (ص ٧٢) فهو ٢٥ ذراعا فقط .

وطوله من جدار البيت إلى آخر جوف الحجر ٢٠ ذراعا (١) ،
وهو من ما بين طرفيه ٢٥ ذراعا (٢) لأن طرفه الواحد يخرج عن ركن
البيت الذي قدر ذراع وكذلك مقابله . والميزاب في وسط ذلك الجدار
الذي على الحجر (٣) في وسط ما بين طرفي الحجر ، لاصق بجدار
الكعبة وخامتان خضراوان تجر إلى صفرة ، ملصوقتان (١) بالرصاص يقع
عليهما ماء الميزاب . وارتفاع حائطه ٥ أشبار ، وعرض غلظه أربعة
أشبار ، مسطح أعلاه بالرخام الأبيض . وعلى ظهر الحائط في وسطه
ما يقابل الميزاب رخامة خضراء ، تجعل صدرك عليها للدعاء في تمام كل
أصبع ، هذه صفة الحجر .

صفة المقام .

حجر لوله بين الدكنة والحمرة ، منقط بنقط سوداء ، له رأسان مختصر
الوسط مخروم جدا ، وعمق الأقدام في الحجر أكثر من ثلثي الشبر يزيد
نصف أصبع (١) .

صفة القدمين في الحجر : وصفة القدمين في الحجر إبهام الواحد إلى كعب
الثاني ، وأصابع القدم اليمنى مما يلي مستقبل المقام ، وكعب ذلك القدم إلى البيت
الحرام ، وأصابع القدم الشمال إلى البيت الحرام ، وكعبه مما يلي مستقبل

(٣) ب و ج : ملصوق .

(١) لارن الأزرق ، ص ٢٢٥ ، ابن رسته ، ص ٣٨ (٢٠ ذراعا) .

(٢) للمصدر (٢٢ ذراعا) .

(٣) أنظر فيما سبق ص ١١ وهامش ٢

(١) تقدم لنا الروايات الإسلامية عددا من الأقاصيص الطريفة عن المقام وهو أثر
الكعبة المشهورة . فتقول إحداها ، وهي أكثرها رواجا ، إنه عند ما كان إبراهيم يبني المسجد
الحرام بمساعدة ابنه اسماعيل وعند ما ارتفع الحائط أحضر اسماعيل حجرا مكعبا لأبيه لكي يقف
عليه ويواصل البناء ، فترك إبراهيم بطريقة إعجازية أثر رجله على الحجر . وحسب أقصوصة أخرى
كان صعود إبراهيم على الحجر عند ما دعا الناس لحج البيت الحرام (الأزرق ، ص ٢٧١ وتابع ؛
ابن رسته ، ص ٣٨ ، ٥٤) . وحسب رواية ثالثة تم وطء إبراهيم برجله للحجر عند ما زار
ابنه اسماعيل فأحضر أصهاره الحجر فداس عليه وهو راكب على مطيته . وهذا يفسر الوضع الغريب
لأثر القدمين على الحجر إذ أنهما معكوسان حسب رواية الاستبصار . أنظر المسعودي ، مروج
الذهب ، ج ٣ ، ص ٩٧

المقام ، وبين القدمين غلظ مما يلي البيت الحرام ثلاثة أصابع ، ثم يضيق (١)
فيرجع في وسط المقام إلى أصبعين مغلقين ، ثم يضيق حتى يرجع في آخر
الجهة مما يلي مستقبله إلى أقل من غلظ أصبع (١) .

ذكر صفة المقام : والمقام مكسو بغاشية فضة ، في الرأس الأعلى
منقوش في الغاشية مقابل مستقبله « سبحان الله » ، وفي الجهة التي تلي زمزم
« والحمد لله » ، وفي الجهة التي تلي البيت الحرام « لا إله إلا الله » ، وفي الجهة
التي تقابل دار الندوة « والله أكبر » (٢) . وفي المقام ، في رأسه الأسفل ،
مقابض فضة ملصقة في الغاشية يرفع بها المقام عند تحريكه وغسله . وهو قاعد
في وسط حويض من رخام أبيض مربع مكسو بغاشية فضة ، عمق الحويض
٤ أصابع مغلقة فيه حلقتان . تنزل على المقام مكبة من خشب ارتفاعها ٤ أشبار ،
وتدخل تلك الحلقتان في فتح في المكبة ويضرب عليهما قفلان الواحد
من جانب زمزم والآخر من جانب دار الندوة . ولها مكبة أخرى من حديد
فإذا قرب الحج وكثر الناس وأتى المرور ، رفعت مكبة الخشب وأنزلت
مكبة الحديد (٣) ، ويوضع عن يمين المكبة وعن يسارها كرسيان من خشب
يجعل عليهما ثوران من نحاس عليهما شمع من قير . وبين المقام والكعبة
٣٠ ذراعاً ، وبينه وبين حد الطواف ١٢ ذراعاً . فعرض الطواف هنالك
٤٢ ذراعاً ، وليس يقابل باب الكعبة إنما يقابل وسط جدارها .

(١) القراءة في ب : بين القدمين قدم غلظه مما يلي البيت الحرام ثلاثة الأصابع .
أما في ب فالقراءة : وبين القدمين غلظ مما يلي البيت الحرام ثلاثة أصابع
فيرجع في وسط المقام إلى ...

(١) رواية المؤلف هنا مختلفة عن بقية روايات الكتاب . قارن الأزرق ، ص ٢٧٨ ،
٢٧٩ . (ابن رسته ، ص ٤٠) ؛ ابن الفقيه ، ص ٢٠ ؛ ابن جبير ، ص ٨٤ ؛ المقدسي ،
ص ٧٣ ؛ كتاب الجغرافيا ، المخطوط ، ص ٢٨ - ١ ؛ المبدري ، المخطوط ، ص ٩٥ - ١ .

(٢) يقول الأزرق (ص ٢٧٨ ؛ ابن رسته ، ص ٣٤) إنه مكسو بفشاء من الذهب .
وحسب ابن جبير كان يكسوه طبقة من الفضة . ولكن رغم دقة هؤلاء الكتاب فإنهم لا يذكرون
شيئاً عن النقوش التي تزين هذا الغطاء .

(٣) قارن الأزرق ، ص ٢٧٩ (ابن رسته ، ص ٤٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤
ص ٢٨٠ ، ٥٨٨) ؛ ابن جبير ، ص ٨٥ ؛ ابن الفقيه ، ص ٢١ ؛ المقدسي ، ص ٧٣ ؛
ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ .

صفة بئر زمزم وذرعها وذرع قبتها وما فيها من الماء وفضلها^(١)

يستحب لمن حج أن يستكثر من ماء بئر زمزم (أ) ، ويكون منه شرابه ووضوؤه ما أقام بمكة ، ويكثر من الدعاء عند شربه وليقل إذا شربه : « اللهم إني أسألك علما نافعا وشفاء من كل داء » ، فإنه لما شرب . ويستحب لمن حج أن يترود منه لبلده (ب) فإنه شفاء لمن استسقى موقنا ببركته (٢) . قال ابن عباس : « اشربوا من شراب الأبرار وصلوا في مصلى الأخيار » ؛ قال وشراب الأبرار ماء زمزم (ج) ومصلى الأخيار تحت الميزاب (٣) . وغور بئر زمزم من أعلاها إلى قاعها ٧٢ ذراعا^(٤) ، ومن وجه الماء إلى أعلى البئر ٣٤ ذراعا ، ومن وجه الماء إلى قعر البئر ٣٨ (د) ؛ ذراعا^(٥) ؛ ويذكر أنها تقرب ليلة النصف من شعبان في وسط الليل^(٦) . وذكر أيضا أنه ليس يبق أحد بمكة إلا يطهر منها تلك الليلة ، فيخرج منها من الماء ما لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى ، فما زادت ولا نقصت (ر) ولا تغير الماء عن حاله . وكذلك في المواسم ما نقصت شيئا إلا

(أ) ب : ماء زمزم ، ج : بئر زمزم . . (ب) لبلده ناقصة في ج .

(ج) هذه الجملة ناقصة في ب . (د) ج : ثلاثة وثلاثون .

(ر) « ولا نقصت » ناقصة في ب .

(١) ينسب أصل بئر زمزم إلى اسماعيل : فعند ما عطش الطفل الصغير وتيقنت والدته الفلقة من موته فجرت ملهوفة بين الصفا والمروة ، ضرب الأرض برجليه فنبع الماء تحت ضرباتها . وهكذا اتخذ هذا المورد صفة قدسية . الأزرق ، ص ٢٧٩ وتابع (ابن رسته ، ص ٨٠) ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٩١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٩٤١ .

(٢) قارن الأزرق ، ص ٢٩٠ ؛ ابن جبير ، ص ٩٠ .

(٣) الأزرق ، ص ٢٩٢ .

(٤) يباغ عمقها ، حسب الأزرق (ص ٣٠٠ ؛ ابن رسته ص ٤٢ - ٤٣) ٦٩٠ ذراعا ؛ ولقد كان في أول الأمر ٦٠ ذراعا ثم زيد فيه ٩ أذرع سنة ٢٢٣ ، ٢٢٤ = ٨٣٨ ، ٩٣٩ . وحسب ابن جبير (ص ٨٨ ؛ ابن بطوطة ، ص ٣١٨ ؛ G. Demombynes, Pèlerinage, p. 7 B) يبلغ عمقها ١١ قامة .

(٥) يقول ابن جبير (ص ٨٨) إن عمق الماء ٧ قامات .

(٦) يحتاج ابن جبير (ص ١٤٠ ؛ 4 ؛ G. Demombynes, Pèlerinage, p. 83) ضد هذا الاعتقاد الساذج الذي أثبت شخصيا عدم صحته . قارن العبدري ، المخطوط ، ص ٩٥ - ب .

أن الماء يتمكن قليلا في المواسم . وقيل إنها غارت في سنة ٣٢٤ وعطلت أياما ، وكانت تجم ليجتمع فيها الماء . وذكر أيضا أنها جفت في بعض تلك السنين حتى أن رجلا دخل (١) فيها فصلى في قاعها ركعتين (١) .

ودور سعة البئر ١٨ ذراعا (٢) ، وذرع سورها ٦ أذرع (٣) ، وعليها قبة مربعة على ١٦ سارية (ب) منقوشة كلها (٤) ، و ٤ أركان معلقة بشراحيب الحديد ترجع إلى باب لطيف من ناحية قبة الشراب ، ويعرفها أهل مكة بساقية زبيدة (٥) . قاعها مبسوط بالرخام ، وسقفها ملبس منقوش من داخله بخشب الساج (ج) (٦) ، معمول من خارجه بالفسيفساء ، مصنوع من زاج قد جعل فيه فرشاة الذهب . وفي أعلى القبة قببة فيها سلسلة من نحاس ، يوقد على جميعها الشموع ليلة الحتمة في رمضان . وعليها يرتفع الداعي لأمير المؤمنين بالدعاء (٧) ، وله مرتب على ذلك .

وقبة زمزم هذه تقابل من الكعبة الملتزم وهو ما بين الركن الأسود وباب الكعبة (٨) ، وركن القبة خارج عن ركن الكعبة ، ودور القبة من داخل : صهاريج يصب فيها الماء ، يتوضأ الناس منها للصلاة .

(١) « دخل » ناقصة في ب . (ب) ب : ٦ سوارى .

(ج) القراءة في ب : من داخلها في خشب الساج

(١) حدث ذلك كما يقول الأزرق (ص ٣٠٠ ؛ ابن رسته ، ص ٤٢ - ٤٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥٤٢) سنتي ٢٢٣ و ٢٢٤ = ٨٢٨ و ٨٢٩

(٢) قارن الأزرق ، ص ٣٠٠ ؛ ابن رسته ، ص ٤٣ (١١ ذراعا) .

(٣) نفس المصدر (ذراعان وشبر) .

(٤) قارن المقدسي ، ص ٧٢

(٥) هي زبيدة زوجة هارون الرشيد . أنظر G.Demombynes, Pèlerinage, p. 240

(٦) قارن الأزرق ، ص ٣٠١ ، ٣٣٦

(٧) قارن ابن جبير ، ص ١٠٠ ، ١٠٣

(٨) أنظر فيما سبق هامش ١ ص ١٧

صفة قبة الشراب (١)

وبإزاء بئر زمزم قبة الشراب ، وهى مقبوة على أرجل من خشب ، مغطى بينها بالشرجب ، ترجع إلى باب صغير من جانب دار الندوة . وذرع القبة ٨٠ ذراعا ، وقاعها معمول بالجيار فيه خواب مملوءة بالماء يسقى الناس منها من المغرب إلى العتمة ، سقفها معمول بالفسيفساء ، فى أعلاها زج (١) يشبه صورة طائر من نحاس تديره الرياح ، بينها وبين قبة زمزم ٣٥ ذراعا .

صفة بيت اليهودية (٢)

هو داخل المسجد الحرام ، وهو بيت مربع أعلاه مُشْرِف ، جدره ملبسة بالجيار . وليس فى المسجد الحرام بناء غير ما وصفت .

صفة المسجد الحرام وذرعها وما فيه من الصنع

وفى المسجد الحرام أربع أئمة : فالإمام الشافعى إلى المقام ، والإمام المالكي إلى الركن الغربى ، والإمام الحنفى إلى الميزاب ، والإمام الحنبلى يصلى إلى الركن اليمانى (٣) . وطول المسجد الحرام من ركن بنى شَيْبَةَ ، وهو الباب الذى يدخل الناس منه أول ما يدخلون المسجد الحرام ، إلى ركن بنى جُمَح الذى عند باب السهميين الكبير ٤٠٧ أذرع (٤) . وعرضه من باب السهميين ، وهو ركن

(١) ج : زوج .

(١) الأزرق ، ص ٣٣٧ وتابع ؛ ابن جبير ، ص ٨٩ (G. Demombynes, Pèlerinage, p. 89) . وقبة الشراب تعرف بقبة العباس وطولها ٢٤ ذراعا وعرضها ١٩ ذراعا . قارن العبدى ، المخطوط ، ص ٩٥ - ١ .

(٢) عقب قبة العباس توجد القبة المعروفة بقبة اليهودية وهى منحرفة عنها . والقبتان عبارة عن مخزنين لأوقاف البيت الحرام من مصاحف وكتب وشع وغيرها . أنظر ابن جبير ، ص ٨٩

(٣) يضيف ابن جبير (ص ١٠١ - ١٠٢) إماما خامسا غير مهم هو إمام الزيدية من الشيعة المعتدلين .

(٤) قارن الأزرق ، ص ٣١٩ ؛ ابن رسته ، ص ٤٤ ؛ ابن عبد ربه ، المقد ، ج ٣ ص ٣٦٢ (٤٠٤ ذراعا) ؛ ابن خرداذبة ، ص ٣٢ ؛ المقدسى ، ص ٧٢ (٣٧٠ ذراعا) .

بنى جمع ، إلى ركن منى وأجباد الكبير الذى على باب اليمانيين ٢٨٠ ذراعاً (١) .
هذا ذرع المسجد الحرام فى الطول وفى العرض .

وللمسجد الحرام خمس منائر (٢) : منارة فى ركن أجباد ، ومنارة على ركن
أبى قبيس - وفى ركن ذلك المنار مما يلي دار إبراهيم الخليل (٣) عليه السلام
الميل الأخضر (٤) الذى منه ابتداء الهرولة - ومنار ثالث على ركن بنى شيبة ،
ومنار رابع على باب دار الندوة ، ومنار خامس على باب جمع ، ويعرف
بباب السدة .

عدد أبواب المسجد الحرام شرفها الله

له من الأبواب ١٧ باباً (٥) منها فى الشق الغربى وهو الذى يلي باب
جمع وبنى سهم ٣ أبواب (٦) : باب السهمين الكبير وهو باب العمرة ومنه
يخرج الناس إلى التنعيم لعمل العمرة ، وهو حنية كبيرة بلا سارية . ثم باب

(١) قارن الأزرق ، ص ٣١٩ (ابن رسته ، ص ٤٤) . عرض المسجد من مثذنة بنى
أجباد إلى مثذنة بنى سهم ٢٧٨ ذراعاً .

(٢) للمسجد ، حسب الأزرق (ص ٣٣١) ، أربع مآذن تقع فى الأركان الأربعة للبناء .
إلا أن ابن جبير (ص ٩١) يذكر أن للمسجد سبع مآذن : أربع منها فى الأركان الأربعة للمسجد ،
وراحدة قائمة فوق دار الندوة وسادسة فوق باب الصفا والسابعة الأخيرة فوق باب إبراهيم . ولكن
يحسن الإشارة إلى أن رواية العبدري (المخطوط ، ص ٩٣ - ب) تتفق بدقة مع رواية الاستبصار .

(٣) دار إبراهيم عبارة عن دار مبنية فوق جبل «أبو قبيس» . ويحتج الأزرق
(ص ٤٢٥ - ٤٢٦) على نسبة هذه الدار إلى إبراهيم الخليل ويقول إنها كانت محل إقامة رجل
من سائر الناس اسمه إبراهيم .

(٤) الميل الأخضر عبارة عن علامة أشبه بالوتد قائمة لتبين حدود الأرض الحرام .
وأول من أقام الأميال الخضراء هو المهدي العباسي . الأزرق ، ص ٣١٢ .

(٥) لا يتفق الكتاب على عدد الأبواب فى المسجد الحرام . فهى حسب الأزرق
(ص ٣٢٣ ؛ ابن رسته ، ص ٤٨) ٢٣ باباً . قارن المقدسى ، ص ٧٣ (١٩ باباً) ؛ ابن جبير ،
ص ١٠٥ (١٠٥ باباً) ؛ ابن بطوطة ، ص ٣٢١ - ١٩ باباً) ؛ كتاب الجغرافيا ، المخطوط ، ص ٢٨ - ١
(١٨ باباً) ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٩٣ - ١ (٣٩ باباً) . أنظر : G. Demombynes ,
Pèlerinage, p. 131 sq .

(٦) يعد الأزرق (ص ٣٢٧ ؛ ابن رسته ، ص ٥١) ٦ أبواب فى هذه الواجهة ؛ وكذلك الأمر
بالنسبة لابن الفقيه (ص ٢١) .

إبراهيم عليه السلام وهو ٧ أقواس على ٨ أعمدة (١) من آجر (ب) ملبسة بالجيار ، تدخل منه قبل وصولك إلى المسجد ، إلى دار كانت دار الحنطة (ج) رادتها زبيدة (١) . وهي دار مربعة طولها ٥٦ ذراعا وعرضها كذلك (د) ؛ وهي سقائف معمولة على أعمدة من آجر ملبسة بالجيار تشتمل على ٥٢ عمودا . ثم تمضي منها إلى صحن المسجد ؛ وخارج هذا الباب على ضفة الوادي بئر غدورة وبئر إبراهيم (٢) ، وهما بعيدا الرشا ملحان لا يشرب منهما . ثم باب جعفر (ر) ، وهو المعروف بباب اليمانيين ، وهو قوسان على سارية .

وفي الشق الذي إلى جانب الوادي وأبي قيس ٦ أبواب (٣) : باب البقالين وهو باب أجياد الكبير ، ويقابل هذا الباب دار أبي جهل ، وهو قوسان على سارية ، ثم باب الغزالين وهو قوسان على سارية ؛ ثم باب الصفا (س) وهو باب بني مخزوم ، ومنه يخرج إلى الصفا وهو ٥ أقواس على ٤ سوار ؛ ثم باب الحياطين وهو باب بني طلحة ، وهو قوسان على سارية وفي هذا الباب يبيع البدو أطعمتهم إذ يأتون إلى مكة .

وفي الشق الذي إلى جانب المسعى ٤ أبواب (٤) : باب على (ص) ابن أبي طالب رضه ، وهو ٣ أقواس على ساريتين — وفي مقابل السارية الواحدة التي إلى جانب باب النبي صلعم الميل الأخضر الذي في ركن دار جعفر لصق دار العباس ؛ وهو رجل ملبس بالجيار ، قد صبغ بالخضرة ، بناء المهدي ، جعله علما حيث تنقطع افرولة . ثم باب النبي صلعم وهو قوس

- (١) القراءة في ج : وهو على سبعة أقواس على ثمانية أعمدة . (ب) ج : آجور .
 (ج) ج : دار للحنطة . (د) " كذلك " ناقصة في ب .
 (ر) ب : الجعفر . (س) كلمات : " ثم باب الصفا " ناقصة في ب .
 (ص) ج : باب السيد على .

(١) قارن الأزرق ، ص ٣١٥ ، ٣٢٨ . ولكن صاحب الاستبصار أكثر دقة فيما يخص هذه النقطة .

(٢) لا يذكر الكتاب شيئا عن هذين الموردين .

(٣) يمد الأزرق (ص ٣٢٥ ؛ ابن رسته ، ص ٤٩) ٧ أبواب في هذه الواجهة .

(٤) يمد الأزرق هنا (ص ٣٢٣ - ٣٢٤ ؛ ابن رسته ، ص ٤٩) خمسة أبواب .

صغير بلا سارية ، ومنه يخرج إلى الحدائق وإلى الصياداة ، وعنده طبل عظيم عرضه ٥ أشبار وهو من خشب تم عليه رائحة الزنجبيل وهو مجلد من ناحية ، يضرب من أول ١٠ ذى الحجة عند كل صلاة . ثم باب بنى شَيْبَة وهو ٣ أقواس على ساريتين ، ومنه دخل النبي صلعم ، ومنه يدخل كل من دخل مكة حاجا أو معتمرا . وعتبته من القوس الأول إلى القوس الثالث هُبَل (١) الصنم الأعظم الذى كان فى الكعبة ، وكانت قریش تعبد من دون الله غيره الإسلام عن حاله وجعله عتبة لهذا الباب (ب) تطأه الأقدام ؛ وإنما قصد به هذا الباب لأن الناس يدخلون عليه من جميع الآفاق (١) ، والحمد لله على نعمة الإسلام . وفى هذا الشق المسعى وهو ما بين النصف والمروة (٢) ، وهو بطن المسيل (ج) ، وفيه سوق مكة يجتمع فيه الباعة للمطاعم والصنائع .

وفى الشق الذى يلي دار الندوة ٤ أبواب (٣) : باب السوارى وهو قوس صغير بلا سارية ؛ ثم باب الندوة وهو قوسان على سارية ، يدخل منه إلى دار الندوة التى زيدت فى المسجد (٤) . وهى دار مربعة يدخلها تبنيق من جانب دار العجلة (٥) ، وهى سقائف من كل جانب على أعمدة آجر ملبسة بالجيار (د) . طول الدار ٣٢ ذراعا ، وعرضها مثل ذلك ، وجميع ما فيها من العمود ٧٧ عمودا ؛ ولها باب آخر يدخل منها إلى المسجد أيضا يعرف أيضا باب الندوة (٦) ،

(١) هـ ا هـ ل ، (ب) « الباب » فاتحة فى ب . (ج) ب : أهيل .
(د) ج ا بالجير .

(١) يرى الأزرقى (ص ٣١٦) أن هذا الاعتقاد لا أساس له من الصحة وأنها حجارة أحضرها من يمدى القسارى لبناء الخوض المعروف باسم بركة البردى (ابن جبير ، ص ١١٣ ،
(G. Demombynes, Pèlerinage, p. 132) .

(٢) أنظر فيما بعد ص ٢٩ وهامش ٤ .

(٣) بعد الأزرقى (ص ٣٢٨ ؛ ابن رسته ، ص ٥٢) ستة أبواب فى هذه الواجهة .

(٤) أنظر فيما سبق هامش ١ ص ٨

(٥) يقال إنها أول دار أنشأها القرشيون فى مكة (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥٢٢) . أما عن تسميتها فيقول الأزرقى (ص ٤٦٤) أنه عندما أعاد ابن الزبير بناءها كانت أحجار البناء تعمل على عجلة تجرها الثيران ومنها أخذ اسم الدار .

(٦) من وصف دار الندوة يقول الأزرقى (ص ٣٤٥) إن طولها ٨٤ ذراعا وعرضها ٧٦ ذراعا . وهو بعد فيها ٢٢ عمودا دون أعمدة الأبواب .

وهو قوسان على سارية مما يلي دار العجلة . ثم باب الطبرى وهو قوس صغير
بلا سارية ، يقال له باب السدّة ، ومنه يخرج إلى دار جعفر الصادق . وفي هذا
الشق أيضا ستة أبواب (١) إلى الدور التي تجاور المسجد الحرام ليست
من المسجد في شيء .

عدد سوارى المسجد الحرام وذكر معجزة النبي صلعم في ابتياعه السارية الحرام

وجميع ما في المسجد الحرام من السوارى ٤٧٠ سارية ؛ هذا في السقائف
خاصة ، وفي أبواب المسجد ٢٦ سارية ليست من العدد الأول . وفي الدارين
المزيدتين في المسجد : دار الندوة ودار الحنطة ١٢٧ (١) عمودا فكل ذلك
عدد السوارى والأعمدة ٦٢١ عموداً (٢) . والمسجد الحرام من كل جانب
٣ بلاطات في كل شق من تربيعة (٣) . وفي طول المسجد من ناحية الصحن
٤٦ قوسا ، وفي عرض المسجد من جهة الصحن أيضا ٣١ قوسا (٤) ، وفي الوجه
الذى يلي دار الندوة — في وسط المسافة — سارية حمراء كانت لليهودية ، وطالبها النبي
صلعم ليبتاعها منها فأبت أن تبيعها منه إلا بوزنها من ذهب ، فابتاعها منها صلعم
فأخذها عليه السلام بهذا الشرط . فوضعت السارية في كفة (ب) الميزان ووضع

(١) ب : ١٢٩ والأصح أن تكون ١٢٥ حتى يصبح المجموع ٦٢١

(ب) « كفة » ناقصة في ب .

(١) باضافة هذه الأبواب الستة التي لا يعددها المؤلف يصبح عدد الأبواب جميعا ٢٣ بابا
وهو نفس رقم الأزرق (هامش ٥ ص ٢٦) .

(٢) يعدد الأزرق (ص ٣١٩ - ٣٢٠ ؛ ابن رسته ، ص ٤٤ ؛ كتاب الجغرافيا ،
المخطوط ، ص ٢٨ - ١) ٤٨٤ عمودا ؛ ويعد ابن جبير (ص ٩٠) ٤٧١ عمودا منها ؛ أما ابن الفقيه
(ص ٢١) فيذكر أن عددها ٤٦٥ عمودا ؛ ولا يذكر ابن عبد ربه (المقد ، ج ٣ ص ٣٦٢)
العدد الكامل للأعمدة بل يكتفى بأن يقول إنه يوجد ٥٠ عمودا في كل صف مقابل للواجهة الداخلية
للصحن طولاً و ٣٠ عمودا عرضاً ، وإن عدد الأعمدة ذوات التيجان المذهبة ٣٢٠ عمودا .

(٣) قارن ابن عبد ربه ، المقد ، ج ٣ ص ٣٦٢ ؛ ابن جبير ، ص ٩٠ .

(٤) قارن الأزرق (ص ٣٢٢ وتابع) فهو مختلف ولكنه أقل دقة ؛ يذكر أبو جعفر على الفنكي
القرطبي أن كلا من واجهات الجوانب الكبيرة تحتوي على ٣٦ قوسا ، أما الجوانب الصغيرة فلا تحتوي
كل منها إلا على ٢٤ قوسا (أنظر : G. Demombynes, Pèlerinage, p. 125) .

النبي صلعم في الكفة الثانية مثقالا فرجح الميثقال ببركته صلعم ، فأعلاها عليه السلام ووزنها مثقالا واحدا فهذا من براهينه^(١) صلعم . ووجه كل بلاط من ناحية الصحن منزول بالفسيفساء .

عدد قناديل المسجد الحرام وما فيه من الحطيم والثريا^(٢)

داخله ١٠ (١) أرجل من خشب مصفحة بالنحاس تسمى كل واحد منها بالحطيم ، تجعل عليه القناديل وتعلق منه بأكواس من زجاج في رمضان . فمنه حطيم صاحب بغداد وحطيم شاه (ب) ملك العجم وحطيم سنجار ملك الفرس وحطيم السيدة ؛ وهذه (ج) من ناحية المقام موقفة . وحطيم الحنيفة من ناحية الشام ينظر إلى الركن الغربي . فحطيم بغداد يتعلق منه ٢٠ قنديلا ، وحطيم شاه يتعلق منه ١٠ قناديل ، وحطيم سنجار يتعلق منه ١٠ قناديل أيضا ، وحطيم الحنيفة يتعلق منه ٦ قناديل . ويتعلق من الذي على زمزم ١٠ قناديل ، ويتعلق من الأربعة الباقية ١٨ قنديلا ، فعدد ما يتعلق منها ٧٢ قنديلا (د) . ويتعلق من سقائف المسجد الحرام

(١) ب : خمسة . (ب) ج : شاهين . (ج) ب ، ج : هؤلاء .
(د) المجموع يساوي ٧٤ قنديلا .

(١) يذكر الأزرق (ص ٢٠٨ ، ٢٢١) العمود الأحمر ولكنه لا ينسبه إلى اليهودية ولا يقول شيئا عن المعجزة .

(٢) يعطينا المؤلف هنا تفصيلا فريدا . ولكن يرجع الفضل إلى ابن جبير (ص ١٠٢ ؛ ابن بطوطة ، ص ٣٧٤) في وصف الحطيم : فهو عبارة عن خشبتين موصول بينهما بأذرع من الخشب أشبه بالسلم تقابلها خشبتان على تلك الصفة وكل منهما معقودة على رجلين من الجص قليلتي الارتفاع . وتتصل الخشبتان في أعلاهما بخشبة مسمرة ثلاثة معترضة قد تدلت منها خطاطيف الحديد تحمل القناديل .

أما عن الأزرق (ص ٢٦٧) فالحطيم عبارة عن المكان الواقع بين الركن الأسود والمقام وبئر زمزم والحجر . وهو المكان الذي كان يقوم فيه إساف ونائله اللذين غيرهما الله إلى حجر لخرأتها على اللقاء في الكعبة وتدنيهما . أما اسم الحطيم فقد أعطى للمكان لأن الناس يقومون فيه بالدعاء . فهو مكان يجيب الله فيه السائلين ضد الظالمين .

أما عن ياقوت الذي يأخذ بهذا الرأي (معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٩٠) فهو يضيف أن كلمة حطيم ، حسب رواية بن عباس ، تعني حائط وهو حائط الكعبة .

١٥٠ قنديلا و ٥ ثريات : واحدة على باب إبراهيم الخليل عليه السلام ،
والثانية (١) على باب (٢) الصفا ، وثالثة على باب شيبه ، ورابعة على باب
السواري ، والخامسة على باب بنى جمع (١) .

وأرض المسجد الحرام رملة في قوام السميد (٢) ؛ وقد رتب فيه نفسان
بأيديهما ونفان يرفعانها عند كل صلاة (٣) .

صفة الصفا والمروة

والصفا حجر أزرق عظيم قد بنى عليه درج (ج) ، ومن عليه يصعد
إلى أبي قبيس ، وعدد درجاته ٣٠ درجة وإلى آخر موضع الوقوف منها (د)
١٨ درجة . والمروة أيضا حجر عظيم كأنه قد انقسم فصار بعضه كذا وبعضه كذا
وصار ما بينهما فرجة نحو ١٢ ذراعا ، بنى في تلك الفرجة درج نحو
العشرة إلى موضع الوقوف عليها ، وبنى في أسفلها من ناحية الشرق محراب .
وليس يرى من البيت من أعلى المروة إلا قدر ذراعين (٤) .

زرع المسعى : وذلك من الصفا إلى الميل الأخضر الأول ، الذى فى ركن
المنار الذى على باب الوادى ، وهو ١٨٠ ذراعا . ومن ذلك الميل إلى الميل

(١) ب : ثمانية . (ب) « باب » ناقصة فى ب . (ج) ب : ذرع .
(د) ب : آخر الموضع الموقوف منها .

(١) قارن الأزرق ص ٣٣١ (٤٥٥ قنديلا و ٨ ثريات) .

(٢) يقول العبدري (المخطوط ٩٣ - ١) إن أرض المسجد مغطاة بالرمال الأبيض الجميل
المنظر .

(٣) يسمى ابن جبير (ص ٩٦) هذه الآلة الفرقة : وهى عبارة عن عود مخروط أحمر
قد ربط فى رأسه مرسى من الأديم المفتول فى طرفه عذبة صغيرة ينفذها بيده فى الهواء فتأتى بصوت
هال يسمع من داخل الحرم وخارجه كأنه إيذان بوصول الخطيب .

(٤) لم يكن هناك سلم على التلين إلى عهد أبى جعفر المنصور العباسى الذى بناه . الأزرق
ص ٣٥٠ (ابن رسته ، ص ٥٤) ؛ ابن جبير (ص ١٠٦) ؛ ابن بطارطة ، ص ٣٢٧ يقول إن
سلم الصفا يتكون من ١٤ درجة .

الأخضر الثاني ، الذى فى ركن دارى جعفر والعباس ١٢٥ ذراعا ، ويقابل كل واحد من الميلىن الأخضرين مثلهما على شكاهما . ومن ذلك الميل إلى المروة ٤٧٥ ذراعا ؛ فجميع ما بين الصفا والمروة ٧٨٠ ذراعا (١) .

صفة منى والجمرة ورميها (٢)

إذا دخلت منى فقل اللهم هذه منى وهى مما دللتنا عليه (١) من المناسك (ب) ، فأسألك أن تمن علينا فيها بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك وعبادك الصالحين . ومنى شبه القرية التى بنيت على ضفتى الوادى النازل من عرفات (٣) . وفى وسط ذلك الوادى الجمرتان (٤) : والجمرة الأولى

(١) ج : ذلتنا . (ب) « من المناسك » ناقصة فى ب .

(١) رواية الأزرق أكثر تفصيلا (ص ٣٤٩ وتابع ؛ ابن رسته ، ص ٥٤) ولكنها مختلفة بشكل محسوس عن هذه الرواية . قارن الاصطخرى ، ص ١١٦ ؛ المقدسى ، ص ٧٣ ؛ العبدى ، المخطوط ، ص ١٠٢ - ١ .

(٢) منى هو المكان الذى تدور فيه أهم مناسك الحج من رمى الحصى إلى ذبح الأضاحى . وهناك رواية تقول إن الاسم مأخوذ من التمنى : وذلك أن جبريل عند ما أتى بآدم إلى هذا المكان سأله ماذا يتمنى فقال العودة إلى الجنة . فهكذا سمي منى . الأزرق ، ص ٤٠٦ ؛ ابن جبير ، ص ١٥٧ . أما ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ص ٦٤٢) فيقول إنه سمي منى نسبة إلى الدم المراق أثناء احتفال التضحية .

(٣) يقال إن اسم عرفات مأخوذ من الاعتراف بالذنب . فالملاك جبريل هو الذى نصح آدم بالاعتراف بخطئه فى هذا المكان (ابن رسته ، ص ٢٥) . وحسب أسطورة أخرى يقال إنه المكان الذى التق فيه آدم بحواء بعد خروجهما من الجنة وحيث عرف كل منهما الآخر (المسعودى مروج الذهب ، ج ١ ص ٦٢) . وحسب قصة ثالثة سمي المكان بعرفات لأن جبريل عرف آدم فيه كيفية القيام بمناسك الحج (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٦٤٥ - ٦٤٦) .

وهو عبارة عن أرض مسطحة يحدها التل الذى يشرف على وادى عرفة ويمتد حتى الجبال ثم المكان المعروف باسم وضيق ثم وادى عرفة (الأزرق ، ص ٤٨) . وحسب ابن جبير (ص ١٧٢) ينتهى بجبل الرحمة . قارن الاصطخرى ، ص ١٧ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٥ ؛ المقدسى ، ص ٧٧ ؛ تنوير الحوالك ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٨ .

(٤) الجمرة هو المكان الذى تلقى فيه الحصىات ، وإلقاء الحصىات من مناسك الحج والعمرة الرئيسية . والاسم مأخوذ من التجبير أى التجميع وذلك لأن الحصىات تتجمع فيه فوق بعضها أيام الحج . أنظر الأزرق ، ص ٤١٠ وتابع . ابن جبير ، ص ١٥٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ١١٧ ؛ الاصطخرى ، ص ١٦ ؛ ابن عبدربه ، المقد ، ج ٣ ص ٦٩ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٣ ؛ المقدسى ، ص ٧٦ ؛ البخارى ص ٤٣٧ ، ج ١ ؛ تنوير الحوالك ، ص ٣٥٩ ؛ العبدى ، المخطوط ، ص ١٠٣ - ب ؛ G.-Demombynes, Pèlerinage, pp. 230, 275.

هي جرة العقبة أول ما تأتي منى في رأس العقبة على يسار الداخل في منى من ناحية مكة ، فارمها من أسفلها من بطن الوادي بسبع حصيات . وتقول مع كل حصاة (أ) : « لا إله إلا الله والله أكبر على رغم الشياطين (ب) أو الشيطان وخزيه » . فإن رماها قبل الفجر لم تجز وأعاد رميها بعد الفجر ولا ذم عليه . والحصاة قربان لما تقبل منه رفع ، وما لم يتقبل منه بقي (أ) . وليس على الخارج بمنى صلاة العيد وإنما صلاتهم في ذلك اليوم وقوفهم بالمشعر الحرام (٢) .

وأيام منى أيام ذكر الله ، قال الله تعالى : « وأذكروا الله في أيام معدودات » (٣) فالمعدودات أيام منى الثلاثة ، ترمى فيها الجمار وهي أيام التشريق (٤) وليس يوم النحر منها لقوله تعالى : « فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه » (٥) فلو كان منها لقال فمن تعجل في ثلاثة . فالنفر هو في اليوم الثاني من الثلاثة التي بعد يوم النحر (ج) ، والأيام المعلومات يوم النحر واليومان اللذان بعده ، واليوم الرابع للمعدودات خاصة . فإذا رميت جرة العقبة نحررت هديك واستقبلت به إلى القبلة ، وقلت : « باسم الله اللهم منك ولك فأسألك أن تتقبل منى كما تقبلت من إبراهيم (د) خليلك عليه السلام » . وفي سفح الجبل على جرة العقبة مسجد وفي حائطه من ناحية الجوف حجر مبسوط أدكن فيه (ر) أثر قدم إسماعيل عليه السلام ولد إبراهيم الخليل حين أضجعه للذبح فركض برجله فلان له الحجر

-
- (أ) ب : حصيات . (ب) « الشياطين » ناقصة في ج .
(ج) هذه الجملة مشوشة في ب إذ أن قراءتها : فالنفر الأول الثاني من الثلاثة التي يعمل بعد يوم النحر . (د) ج : سيدنا إبراهيم .
(ر) « فيه » ناقصة في ب .

- (١) قارن تنوير الحوالك ، ص ٣٥٩ .
(٢) المشعر الحرام الذي يعرف أيضا باسم جمع أو المزدلفة أو قزح ، هو المكان الواقع بين منى وعرفة . وهو المكان الذي يقف فيه الحاج ليلة (وقفه) عيد الأضحى .
قارن الأزرق ، ص ٤١٧ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ص ٨٧ ؛ ابن جبير ، ص ١٧٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ١١٨ ؛ الفاسي ، ص ٩٧ . وانظر . G. Demombynes, Pèlerinage, p. 238 .
(٣) القرآن ، سورة ٢ ، آية ١٩٩
(٤) أنظر فيما سبق هامش ٥ ص ٧
(٥) القرآن ، سورة ٢ ، آية ١٩٩

ففرق رجله فيه صلعم^(١) . وفي هذا الموضع أثر الكبش وأسلل من ذلك في جوف الشعب عند طلوعك إلى العقبة عن يسار الطريق مسجد بيعة^(٢) الأنصار التي كانت في الإسلام ، بقي أثره إلى اليوم^(٣) . ثم تدخل منى فتلقى الجمرة الثانية عن يسارك على باب مضرب السيل ومضرب المعتر ، بينهما وبين جرة العقبة ٤٠٠ ذراع^(٤) ؛ ثم الجمرة الثالثة وهي وسط المحجة بينها وبين الجمرة الوسطى ٣٥٠ ذراعا^(٥) . وترمي الجمرات الثلاث بسبع حصيات ، وتقول إذا رميتها مثل ما تقدم من القول . وليعلن الحاج بالكبير أيام منى ، ويذكر الله ويكبر في أي ساعات النهار شاء ، ولا يقطع (ب) التكبير حتى يصلي الظهر والعصر بالمُحَصَّب^(٦) . فإذا دخلت مكة وطفقت طواف الإفاضة^(٦) فقل : « اللهم لك الحمد على تسليمك إياي حتى قضيت حجتي مفلحا ، قد غفرت لي ذنبي وقضيت لي حوائجي ، إنك على كل شيء قدير » (ج) . فإذا ودعت البيت وصدرت (د) عنه ، فلا ترد له ظهرك حتى تغيبه ؛ وتقول عند ذلك : « اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً وعملاً مقبولاً وسعيًا مشكوراً يا أرحم الراحمين . اللهم لا تجعله آخر العهد من بيتك المعظم (ر) ومن زيارة قبر نبيك المكرم وأقلبنى سالماً إلى أهلي إنك على كل شيء قدير » .

(١) ب : بمث (ب) ب : يقطعوا . (ج) « شيء قدير » ناقصة في ب .
(د) ب : صدت . (ر) « المعظم » ناقصة في ب .

- (١) أنظر ابن جبير ، ص ١٥٧
(٢) قارن الأزرق ، ص ٢١٣ ، ٤٢٨ ؛ ابن جبير ، ص ١٥٧ . عن بيعة المدنيين أنظر ابن الأثير : ج ١ ص ٧٣ وتابع .
(٣) مقياس هذا المكان حسب الأزرق (ص ٤١١) ٤٨٧ ذراعا و ١٢ أصبعا .
(٤) يقول الأزرق (ص ٤١١) إن المسافة بين هاتين الجمرتين ٣٢١ ذراعا .
(٥) عن المحصب أنظر فيما سبق ص ٧ و هامش ٣ ، ٤ . وهو مكان قليل الارتفاع على يسار الطريق من شعب الحجون إلى منى . واسم المحصب مأخوذ من الحصباء وهي الحصى الدقيقة التي تتجمع فيه . وليس لهذا المكان أهمية خاصة فيما يتعلق بمناسك الحج ؛ فالذي حدث هو أن النبي وقف فيه ينتظر عائشة التي كانت تقوم بالحج . وعلى ذلك فهو محطة اختيارية للحاج . البخاري ، ج ١ ص ٤٤١ ، الأزرق ، ص ٣٨٧ ؛ الفاسي ، ص ٩٤ . وأنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٢٦ ؛ البكري ، المعجم ، ج ٢ ص ٥١٠ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ص ١٠٧ و هامش ٣ .

(٦) أنظر G.-Demombynes, Pèlerinage, pp. 224, 256

صفة مسجد الحنيفة (١) وذريعة وذكر الغار الذي بقربه (١)

المسجد في أصل الجبل بين الطريق إذا سرت إلى المزدلفة من منى . وهو من حجارة مطرورة (ب) أكثرها آجر ملبسة بالجيار ، البيت منه على ثلاث أمتار ، وحول الصحن من جانب سقيفة على أقواس معقودة على أرجل من آجر ملبسة بالجيار ، جميع ما في المسجد كله ١٨٥ رجلا (٢) . وطول المسجد ١٧٥ ذراعا وله ٧ أبواب وباب ثامن صغير في قبلة المسجد قريب من العراب إلى دار الإمام (٣) . وفي وسط صحنه منار قد تثلم أعلاه (٤) . وبالقرب من المسجد في أصل الجبل غار دخله النبي صلعم منحنيا فلم يمكن له فيه جلوس حتى لان له فيه الحجر ففرق فيه مرفقه ورأسه صلعم (ج) ؛ فدخل من دخله لا يتمكن له فيه جلوس حتى يضع مرفقه ورأسه في الموضع الذي وضعه فيه النبي صلعم (ج) . وفي هذا الغار أنزلت عليه سورة «المرسلات» (٥) فيعرف بغار المرسلات .

صفة مسجد المزدلفة (٦)

ومسجد المزدلفة أسفل من المسجد الحرام على يسارك إذا مضيت إلى عرفات ؛ وفيه يجمع ما بين المغرب والعشاء إذا نفرت من عرفات ، لقول النبي صلعم : «الصلاة أمامك» (٧) . وهو مبنى بحجارة مطرورة دون سقف ؛ إنما هو حائط

(١) القراءة في النص : الحنيفة . (ب) ج : مطرده .
(ج) الحملة الواقعة بين صلعم وصلعم ناقصة في ج .

(١) أنظر الأزرق ، ص ٤٠٦ - ٤٠٧ (ابن رسته ، ص ٥٥ - ٥٦) ؛ ابن جبير ، ص ١٥٧ ؛ الاصطخرى ، ص ١٦ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٣ ؛ ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٣٦٥ ؛ المقدسي ، ص ٧٦ ؛ ياقوت ؛ معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥٠٨ .

(٢) الأزرق ، ص ٤٠٧ ؛ ابن رسته ، ص ٥٦ (١٦٨ عمودا) .

(٣) نفس المصدر (٢٠ بابا) .

(٤) قارن الأزرق ، ص ٤٠٨ .

(٥) القرآن ، سورة ٧٧ ، وانظر G.-Demombynes, Pèlerinages, p. 238

(٦) الأزرق ، ص ٤١٢ (ابن رسته ، ص ٥٥) ؛ ابن جبير (ص ١٧٧) يسميه مسجد المشعر الحرام ؛ الاصطخرى ، ص ١٧ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٣ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٩٨ - ب .

(٧) البخاري ، ج ١ ص ٤٢٠ ؛ تنوير الحوالك ، ص ٢٣٦ ؛ ابن جبير ، ص ١١٧

من جميع جهاته الثلاثة ، والوجه الرابع غير قائم وليس له مراء ، وفي القبلة منه حجر منقوش . وطول المسجد ٦٣ ذراعا ، وعرضه ٥٠ ذراعا (١) ، وارتفاع حائطه ١٠ أذرع . والمزدلفة كلها مشعر الابطن مُحَسَّر (٢) . ولا تدع التكبير والتهليل في نزولك بالمزدلفة ، وفي دفعك منها إلى منى وقل : «اللهم إني أسألك جوامع الخير كله» ، واسأله ما شئت فإنه (١) موقف عظيم ، وخذ حصيات الجمرات من المزدلفة فإنه أحسن (٣) .

صفة المشعر الحرام (٤)

وهو موضع مرتفع ، عن يمين الطريق إذا مضيت إلى عرفات ، من أصل جبل بنى قُرَح (٥) في ذلك إلى الارتفاع . وهو منار من حجارة مطرورة بالجيار (٦) ، ارتفاع ذلك المنار ١٢ ذراعا ، ودور غلظه ١٢ ذراعا ونصف ذراع . ويرقى إليه من داخله على ١٥ درجة ؛ وله باب صغير نحو الكعبة . وحيثما وقفت من المشعر الحرام فكله موقف ؛ وارتفع عن بطن مُحَسَّر . وإذا دفعت مع الناس فادفع بالسكينة والوقار والذكر حتى تأتي بطن مُحَسَّر (ب) فتحرك فيه بكل حال إن كنت ماشيا أو كنت راكبا ، فهورول حتى تخرج منه فإنها السنة .

(١) ب : لأنه . (ب) الجملة السابقة ابتداء من كلمتي "وإذا دفعت" ناقصة في ج .

(١) يتكون المسجد حسب الأزرق (ص ٢١٢ ؛ ابن رسته ، ص ٥٥) من مربع طول الضلع فيه ٥٩ ذراعا وشبرا . ويحتوى على أربع واجهات وليس ثلاث فقط : حائط الجزء الخلفي منها ارتفاعه ثلاثة أذرع بينما ارتفاع الحوائط الثلاثة الأخرى كالأق : حائط القبلة ٧ أذرع و ٣ أشبار ، والحائط الشرق ١٠ أذرع ثم الحائط الغرب ١٠ أذرع .

(٢) بطن مُحَسَّر عبارة عن واد ضيق يقع بين وادي منى ووادي المزدلفة أنظر ص ٣٦ . وكل امتداد المزدلفة عبارة عن «موقف» سوى الوادي الذي يبدأ عنده «الدفع» من المزدلفة إلى منى . ابن جبير ، ص ١٧٢ ، ١٧٧ (ابن بطوطة ، ص ٤٠٠) ؛ الأزرق ، ص ٤٥ ؛ الفاسي ، ص ٩٣ ؛ تنوير الحوالك ، ص ٣٤٨ ؛ الاصطخرى ، ص ١٧ ؛ المقدسي ، ص ٧٧ . وانظر G. Demombynes; Pèlerinage, p. 238 .

(٣) ابن جبير ، ص ١٧٧

(٤) أنظر فيما سبق هامش ٢ ص ٣١

(٥) الأزرق ، ص ٤١٢

(٦) ابن جبير ، ص ١٧٢

صفة عرفات وجبل الرحمة (١) (١)

وعرفات قرية صغيرة في جانب بني ضبّة، لحربها تحت الموقف، عن يمينك إذا استقبلت الموقف، وجبل الرحمة الذي يطلع الناس إليه للدعاء هو أقرب الجبال إلى الموقف، وهو جبل صغير ليس بالعالى جدا ينقطع من كل جانب. وهو على الموقف، وقد بنى حوله شبه الساقية، يرتقى منه إلى الجبل من ثلاثة مواضع من ناحية الموقف، في الواحد منها ١٧ درجة، وفي الاثنين عشر. وفي أسفل الجبل منها ٣ صهاريج للماء (ب)؛ وفي أعلى المبنى مسجد لأم سلمة زوج النبي صلعم (٢).

صفة شريعة إبراهيم عم (٣)

وهو حائط مبنى من كل جهاتها غير مسقف، وقد انهدم أكثرها فما بقى منها إلا نضدار القبلة وفيه المحراب؛ وعن يمينك إذا استقبلت المحراب ٣ أقواس معقودة يدخل منها الناس. وموضع المنبر هناك عن يمين مستقبل المحراب، طول الشريعة ١٧٠ ذراعا وعرضها ١٥٠ ذراعا. وبقبلى الشريعة بركة للماء، وخلف تلك البركة منبت الأراك (ج)؛ وهو بطن عُرنة، قريبة إلى العلمين اللذين هما حد الحرم. وهناك يجب الارتفاع للمشاة والراكب؛ ومن وقف عليه عشية الوقوف (د) فقد فسدت حجته لقوله عليه السلام: «عرفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن عُرنة (٤)». وقيل إنه من الحرم؛ وعرض ذلك الوادى قدر ٨٠٠ ذراع إلى العلمين (ر).

(١) القراءة في ب «وجبال الرحمة» بينما في ج «وجبل الحرم».

(ب) «للماء» ناقصة في ب. (ج) ب: الاداء.

(د) ب: الموقف. (ر) ب: العلمين.

(١) جبل الرحمة: حسب رواية ابن جبير (ص ١٧٣)، جبل بمنزل في أرض مسطحة. وهو عبارة عن حجارة متقطعة كان من الصعب الصعود عليها فيما مضى. قارن الفاسى، ص ٨٥.

(٢) قارن ابن جبير، ص ١٧٣.

(٣) ابن جبير، ص ١٧٣؛ أبو الفدا، الترجمة، ص ١٠٠. هنا يجب ألا نخلط بين هذا المسجد ومسجد الخيف كما فعل الأزرق (ص ٢١٠). فسجد الخيف يقع في منى وهو معروف بهذا الاسم أى بمسجد منى بينما يقع جامع إبراهيم بعرفة.

(٤) يقع بطن عُرنة عقب منطقة عرفة مباشرة بينها وبين الميادين الأخضرين اللذين يحددان الأرض الحرام، وهو يظهر وكأنه من عرفة. قارن تنوير الحوالك، ص ٣٤٨؛ ابن جبير، ص ١٧٢؛ الأزرق، ص ٤١٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٣ ص ٦٥٧؛ الفاسى، ص ٨٧. وانظر G. Demombynes, Pèlerinage, pr 245.

صفة بطن 'مَحْتَسِر' (١) وفي أى موضع هو من المازدلفة

بطن 'مَحْتَسِر' فى أول دخولك إلى المزدلفة من ناحية الغرب إلى الشرق يشقه الطريق ؛ وهو بطن مسيل عرضه ١٠٠ ذراع ، ثم تفصل عنه إلى موضع مرتفع وأنت خارج إلى المزدلفة ؛ وسقاية عباس هناك عن يمينك ، وهى بركة عظيمة ليس بها ماء عظيم (١) اليوم .

صفة المأزَمَيْن (٢)

هما جبلان فى فم المضيق إذا خرجت عن المشعر الحرام تريد إلى عرفات ، وتوقد هناك فى ليلة النحر مشاعل كثيرة عن يمين الطريق وعن يساره .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : ثم جمع ما شرطنا من وصف مكة — شرفها الله تعالى — فلنذكر الآن صفة مسجد النبي صلعم بالمدينة وصفة روضته وصفة البقيع وصفة قبور الشهداء (٣) رضى الله عنهم .

(١) « عظيم » ناقصة فى ب .

(١) أنظر فيما سبق هامش ٢ ص ٣٤ .

(٢) المأزمان مفرد مأزم ومعناه المضيق . ولكن كلمة مأزم هنا تطلق على كل من التلين الواقعين بين المشعر الحرام وعرفات . والحقيقة أن المقصود بها هو المضيق بينهما . ويعرف التلان باسم مأزى عرفة أو مأزى منى . ياتوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٩١ ؛ الأزرق ، ص ٤١٠ ؛ الفاسى ، ص ٧١ ، ٩٦ .

(٣) هنا تنبنى الإشارة إلى أن كتاب ابن النجار المعروف باسم «الدرة الثمينة» (مخطوط المكتبة الوطنية بباريس - القسم العربى رقم ١٨٣٠) يستحق مديح (المرحوم الاستاذ ج . سوفاجيه : J. Sauvaget, La Mosquée Omeyyade de Médine, p. 39

ولما كان ما كتبه الكتاب لا يختلف كثيراً بنفسه عن بعض ، فلن نحاول أن نعرض لكل النصوص ولا لذكر جميع المصادر . أنظر J. Sauvaget, La Mosquée Omeyyade de Médine, p. 13

صفة مسجده صلعم

ومسجد النبي صلعم مستطيل غير مربع ، يزيد طوله على عرضه ١٠٠ ذراعاً^(١) . وسماه المسجد منقوشة مدهونة (أ) محفورة مذهبة ، كلها على عتب منقوشة على أعمدة خرز (ب) أسود بعضه على بعض ملبسة بالجيار^(٢) . وهو ليس على أقواس إلا ما كان إلى الصحن ، فإنه أقواس معقودة وجوها منزولة بالنسيفساء على أعمدة من خرز ملبسة بالجيار . والأعمدة التي إلى صحن المسجد هي أقصر من التي عليها سماه المسجد ، وتلك الأقواس التي إلى صحن المسجد مغلفة بشرايب الساج ، مقدم المسجد خمس بلاطات معترضة ، ومؤخره مثل ذلك^(٣) ، ومجنبه المسجد الشرقية فيها ٣ بلاطات معترضة ، ومجنبته الغربية ٤ بلاطات^(٤) ، ومن مقدم المسجد إلى الصحن ١١ قوساً ، وكذلك من جنبته الأخرى . وطول المسجد من ركن منار بلال رضه وهو الذي بإزاء قبر النبي صلعم (ج) إلى ركن مؤخره ، وعرضه من باب جبريل عليه السلام وهو الذي بإزاء قبر النبي صلعم (ج) إلى باب الرحمة التي بجانب دار السيدة ١٧٠ ذراعاً .

(١) « مدهونة » ناقصة في ب . (ب) ج : رخام .

(ج) الحمل الواقعة بين صلعم و صلعم ناقصة في ج .

(١) نكرر أنه لا جدوى من مقارنة ما أورده الكتاب من الروايات المأخوذة من أصول مشتركة بما يورده صاحب الاستبصار . انظر ابن رسته ، ص ٦٤ ، ٧٥ ؛ ابن الفقيه ، ص ٢٤ ؛ المقدسي ، ص ١١ . وفيما يختص بما كتبه ابن النجار والعبدري (المخطوط ، ص ١١٦-١) وما فوت (معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٦٦) فإنه يتفق مع ما يكتبه مؤلفنا . حسب ابن النجار (المخطوط ، ص ٢٣-١) أصبح مقياس المسجد بعد إضافات عمر والوليد والمهدى ٣٠٠ ذراع طولاً و ٢٠٠ عرضاً . ويقول ابن جبير (ص ١٩٣) إن طوله ١٩٦ خطوه وعرضه ١٢٦ خطوة .

(٢) يقول ابن جبير (ص ١٩٣) إن السواري التي تشبه الأعمدة من حجر منحوت قطعاً صغيرة مثقبة ، توضع أثني في ذكر ويشدها الرصاص حتى تصبح عموداً ثم تكسى بغلالة من الجيار الذي يدلك بدقة حتى تصبح كالرخام .

(٣) ابن جبير ، ص ١٩٠ ، ١٩٣ (ابن بطوطة ، ص ٢٦٣) .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٩٠ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ١٠٨ - ب .

صفة الروضة التي بين القبر والمنبر

طول الروضة التي بين قبره صلعم والمنبر ٥٦ ذراعا (١). وذرع الموضع المرخم الذي في وسطه الروضة ، وهو الموضع الذي كان يقعد فيه النبي صلعم ، ويستند إلى تابوت من خشب كان يرفع فيه حوائجه صلعم ، فذلك الموضع اليوم شبه الحوض ، مرخم عمقه قدر شبر وطوله ٣ أذرع . والتابوت فيه باق إلى اليوم ، وعليه قفل من حديد ما فتحه أحد ولا يعلم ما في داخله ، والتابوت في قبلة الحوض منزول منه إلى الأرض بمقدار ما يتحرك (٢) .

صفة الروضة التي فيها قبر النبي صلعم (٣)

قبره صلعم في ثلث البلاط الأوسط من ناحية الشرق ، وهو في روضة مخلقة ولها ٥ أركان : في الحائط الذي ينظر إلى القبلة منها ، في الركن منه من ناحية المنبر ، وجه النبي صلعم إلى القبلة ؛ وعند قدر وسطه عليه السلام وجه أبي بكر رضى ، وقبل ذلك مسبار فضة علامة لموضع وجهه رضى ؛ وعند قدر وسط أبي بكر وجه عمر رضى (٤) ومن ذلك الحائط إلى حائط القبلة ٢٠ ذراعا ، وطول هذا الحائط ١٩ ذراعا ، وطول الحائط الذي يلي باب جبريل عليه السلام ١٥ ذراعا ،

(١) يقول ابن جبير (ص ١٩٢) إن المسافة بين المنبر والروضة ٤٢ خطوة .

(٢) يتكلم ابن جبير (ص ١٩١) عن صندوق من خشب الأبنوس والصندل تكسوه لوحات من الفضة على شكل النجوم . والصندوق موضوع قرب الحائط الشرقى من الروضة . وبعد ذلك (ص ١٩٢) يذكر حوضا يكسوه الرخام موضوع في وسط الروضة . ويقول عنه البعض إنه بيت (غرفة) فاطمة ويقول الآخرون إنه قبرها . قارن المبدرى ، المخطوط ، ص ١٠٩ - ب .

(٣) تقول الرواية إن اسم الروضة مأخوذ من حديث منسوب إلى النبي ، قال فيه : « ما بين حجرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » . وحسب تفسير آخر : قيل معناه كانت الصحابة تقتبس من العلم في ذلك الموضع فهو مثل الروضة . ابن النجار ، المخطوط ، ص ٢٦ - ١ ، ٢٦ - ب ؛ البخارى ، ج ١ ص ٣٠٠ .

(٤) يورد ابن النجار في هذا المقام الروايات المتباينة التي يوردها الكتاب عن الموضع الصحيح للقبور الثلاثة . المخطوط ، ص ٤٢ - ١ وتابع . وقارن الاضطخري ، ص ١٨ ؛ ابن عبد ربه ، المقد ، ج ٣ ص ٣٦٦ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٦ ؛ المقدسى ، ص ٨٢ ؛ ابن جبير ، ص ١٩١ (ابن بطوطة ، ص ٢٦٤) ؛ المبدرى ، المخطوط ، ص ١٠٩ - ب .

وبين هذا الحائط وحائط المسجد الشرقي ٩ أذرع . وطول الثلاثة أوجه سوى هذه ١٥ ذراعا ، وارتفاعها من الأرض نحو ١٢ ذراعا ، وهي مرتفعة كلها ، وعليها مما يلي سقف المسجد شبك الحديد ، وهي مكشوفة ليس لها سقف ، ولها مهاء إلى سقف المسجد (١) . وقد أسدلت عليها أستار من الديباج الملون إلى قدر ثلثي المحيطان ، والثلث الباقي من ناحية القبلة والغرب ملطخ بالعنبر والمسك والزعفران .

وفي الركن الذي عند رأس النبي صلعم رخامة خضراء ما رأى أحد أجمل منها ، جعلت علامة لموضع رأسه (٢) صلعم .

صفة المنبر

هو من ٨ درجات (٣) يقعد الخطيب منها في الدرجة السابعة ، والثامنة عليها مكتبة من خشب لثلا يرقى عليها أحد لأنها الدرجة التي كان يقف عليها النبي (٤) عم . وبين المنبر وحائط القبلة ٢٠ ذراعا ، وبينه وبين المقصورة (٥) ١٢ ذراعا ، وبين وجه المقصورة وحائط القبلة ٨ أذرع (١) . وفي جانب المنبر من ناحية الروضة حلقة فضة على كوكب فضة تدور لها صوت

(١) « القبلة » ناقصة في ب .

(١) انظر ابن جبير ، ص ١٩١ .

(٢) يقول ابن جبير (ص ١٩١) إن العلامة عبارة عن سمار فضة يحدد مكان وجه النبي .

(٣) يقول الاصطخرى (ص ١٨) إن المنبر الأول يعلوه منبر آخر أحدث منه . وحسب ابن رسته (ص ٧٦) قام مروان بن الحكم بعمل المنبر على عهد معاوية . وهو من تسع درجات بينما كان منبر النبي من ثلاث درجات فقط (ابن النجار ، المخطوط ، ص ٢٥ - ب ، ٢٦ - ب) . والمنبر حسب المقدسي (ص ٨٢) يتكون من ثمانى درجات (ثلاث قديمة وخمس أضافها معاوية ، ابن جبير ، ص ١٩٢) . أنظر J. Sauvaget, La Mosquée Omeyyade de Médine, p. 87

(٤) إن وجود اللوح الذي يغطي الدرجة الأخيرة حتى لا يجلس الخطيب في مكان النبي يدعو إلى الظن أن الدرجات التي أنشأها الأمويون كانت قاعدة للدرجات الثلاث القديمة . وبعد أن يقرر المهدي ذلك (المخطوط ، ص ١١٧ - أ) يقول إن منبر معاوية بما فيه منبر النبي راح ضحية للحريق وإن المنبر الموجود أنشئ بعد ذلك الحادث .

(٥) أنظر J. Sauvaget, La Mosquée Omeyyade de Médine, p. 41

إذا حركت ، كان النبي صلعم يشغل بها الحسن والهيبة .
وفي قبلة المنبر ، مائلا إلى الشرق قليلا ، عمود من أعمدة المسجد . فإلمح فيه
قدر شبر ، ودخل في جوف العمود الجذع الذي حن لرسول الله (٢) صلعم .

صفة المحراب

المحراب ليس في وسط (١) . حائط القبلة ، إنما هو أميل إلى الشرق بـ ٢٠
ذراعا (٢) . والقبلة مرخمة وعلى الترخيم مكتوب ، من باب الرحمة إلى باب
السلام ، من أول سورة « والشمس وضحاها » إلى آخر سورة « قل أعوذ برب
الناس » (٤) الخ . وعلى جانب المحراب كوكب كبير ، وفي وسطه حجر
من ياقوت أزرق يذكر أنه وسط عقد فاطمة الزهراء رضه . وفي قبلة
المسجد عن يمين المحراب باب صغير ، تحت المقصورة في وسط البلاط ،
يهبط منه على درج إلى باب كان يسكن فيه آل عمر (٥) رضه .

عدد أبواب مسجد النبي صلعم

وللمسجد ٢٠ بابا : منها في الجانب الشرقي ٧ أبواب (ب) مربعة بمصاريع
مشرجة ، وفي الجانب الغربي كذلك منها باب صغير بدقة ، وهو قوس

(١) « وسط » ناقصة في ج . (ب) القراءة في ج : عشرة سبعة أبواب .

(١) قارن ابن جبير ، ص ١٩٢ - ١٩٣

(٢) أنظر ابن النجار ، المخطوط ، ص ٢٤ - ب ، ٢٥ - أ .

(٣) قارن ابن رسته ، ص ٧٥ . يؤكد العبدري (المخطوط ، ص ١١٩ - أ) أنه يقع
إلى الغرب أكثر منه إلى الشرق .

(٤) القرآن ، سورة ٩٣ ، آية ١١٤ . عمر بن عبد العزيز هو الذي أمر بنقش هذه
الآيات على القبلة . أنظر ابن رسته ، ص ٧٠ ؛ ابن النجار ، المخطوط ، ص ٣٢ - أ .

(٥) يقول ابن النجار (المخطوط ، ص ٣٢ - أ) إن هذه الفتحة كانت باب مسكن آل
عمر بن الخطاب . وإنه عند ما أمر المهدي بتوسيع المسجد سدت ؛ ولكنه عند ما صالح العبريين
أعاد فتحها وجعل لها ثلاث درجات وباب تحت الأرض (قارن ابن رسته ، ص ٧٣) . ويقول
ابن جبير (ص ١٩٢ - ١٩٤ ؛ ابن بطوطة ، ص ٢٦٤) إن هذا المرداب يؤدي إلى مسكن
آل أبي بكر .

أبواب المسجد ، باب القبة ، (١) وفي الجانب الجنوبي ٤ أبواب أيضا كباب
وباب في القبلة ، وباب تحت المقصورة التي تقدم ذكرها (١) .

عدد ما في المسجد من العمدة (ب)

وجمع ما في المسجد من العمدة ٢٧٦ عمودا (٢) . وللمسجد ٣ منائر
كل ٣ أركان (٣) : منها على ركن القبلة الشرق منار ، وعلى الغرب منار ،
وعلى ركن مؤخر المسجد منار . والمسجد مبسوط مقدمه ومؤخره ومُجَنَّبَتَه
بالحصى الأدكن . وكان في البلاط الأوسط عام ٥٢٨ [= ١١٣٤] وطاء طبرى
(٤) مبطن . وجميع جدره مُرْتَمَّة قدر قانتين أو أزيد قليلا ، وصحنه مبسوط
بالحصى ، وهو مغروس بالنخيل . في البلاط الشرق بناء قائم يشبه المحراب ،
وإن كان موضع صلاة فاطمة رضى . وفي الجوف (د) ، في وجه البلاط
في الصحن ، بناء قائم كأنه بيت ، ذكر أنه مخزن المسجد .

عدد ما فيه من القناديل

وفي المسجد من القناديل ٢٨٤ (د) قنديلا (٤) ؛ وكان يحرق كل ليلة ١٠
أرطال من الزيت .

- (١) « بقوس غيره » ناقصة في ج . (ب) ب ، م : العمود .
(ج) ب : صبرى ، ج : وطاصير . (د) « في الجوف » ناقصة في ب .
(ر) القراءة في النص : ثلاثمائة قناديل الا ستة قناديل .

(١) حسب ابن رسته (ص ٧٥) كان للمسجد ٢٢ بابا سنة ٢٩٠ = ٩٠٢ . وعند ما يتكلم
من فتحات المسجد بالتفصيل (ص ٧٧) يقول إن للمسجد ٢٤ بابا ، ولكنه لا يعدد منها سوى
٢٠ فقط . المقدسى ، ص ٨٠ (٢٠ بابا) ؛ ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٢٦٦ (للمسجد ١٨
بابا . ولكن المؤلف لا يعمل حساب باب حائط القبلة ولا باب المقصورة) . ابن جبير
(ص ١٩٥) يعد منها ١٩ بابا . وما يلفت النظر أن العبدري (المخطوط ، ص ١٠٩ - ١) لا يعد
منها إلا ٤ أبواب .

(٢) يروي ابن رسته (ص ٧٦) أن عدد الأعمدة ٢٩٦ عمودا . وابن جبير (ص ١٩٣)
يعد في المسجد ٢٩٠ عمودا .

(٣) يقول ابن رسته (ص ٧٠) إنه بعد إضافات الوليد بن عبد الملك أصبح للمسجد ٤ مآذن :
واحدة في كل زاوية . ولكنه عند ما يتكلم عن المآذن بالتفصيل (ص ١٧٦) لا يذكر منها
إلا ثلاث . والحقيقة أن إحداها هدمت على عهد سليمان بن عبد الملك . أنظر ابن النجار ، المخطوط ،
ص ٣٢ - ١ ؛ ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٢٦٦ ؛ ابن جبير ، ص ١٩٥ .

(٤) قارن ابن رسته ، ص ٧٦ (٢٩٠ قنديلا) .

صفة بقيع المدينة (١)

بقيع المدينة من ناحية الشرق ؛ فأول ما تلقى إذا خرجت إلى البقيع قبر مالك رضى ، وهو قبر مهمل مبنى بالحجر والطين مرتفع من الأرض نحو ٤ أشبار . وعند رأسه حجر أدكن منقوش تاريخه من يوم مات . ثم تسير منه قليلا وقد بصقت القبور موتاها ورفضت الأرض جميع ما دفن فيها من صغير وكبير ، ولم يبق في بطنها منهم شيء إلا رفضته (١) على وجهها . فلم يبق عضو من أعضائها ولا عظم من عظامها ، ولو كان مقدار خردلة إلا وخرج على الأرض من ناس أهل المدينة خاصة . وترى البقيع شبه المقتلة من دفن قديم وحديث وجماع الموقى بالية قديمة وأخرى حديثة ، فهذا عبرة لمن اعتبر . ثم تسير قليلا فتلقى روضة العباس بن عبد المطلب رضى ، ثم روضة إبراهيم ولد النبي عم ، ثم روضة عثمان بن عفان رضى ، وروضات كثيرة (٢) .

صفة مسجد قبا (٢)

وهو مسجد على ثلاثة أميال من المدينة ، تصلى فيه إذا مررت به . وهو مسجد مربع طوله ٧٠ ذراعا (٣) وعرضه كذلك ، مقدمه ٣ بلاطات ، ومؤخره مع مجنبتة سقيفة واحدة على أعمدة من خرز ملبسة بالجيار عددها

(١) ربما كانت كلمة لفظت هنا غير من كلمة رفضت الموجودة في النص .

(١) تسمى مقبرة المدينة ببيع الفرقد لأنها كانت مغطاة بالنباتات الشوكية المعروفة بالفرقد . أما كلمة ببيع فعناها المكان المزروع بعدد من أنواع الشجر . أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٠٤ وهامش ٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٠٣ ؛ البكري ، المعجم ، ج ١ ص ١٧٠ ؛ ابن جبير ، ص ١٩٥ ؛ المقدسى ، ص ٨٢ ؛ ابن النجار ، المخطوط ، ص ٤٩ - ب (٢) قارن ابن جبير ، ص ١٩٦ ؛ ابن النجار ، المخطوط ، ص ٥١ - ١ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ١٠٨ - ب ؛ ابن الأثير ، ج ٣ ص ١٤٤ .

(٣) ابن جبير ، ص ١٩٧ (ابن بطوطة ، ص ٢٨٨) ؛ ابن النجار ، المخطوط ، ص ٣٤ - ١ ؛ الاصلطخرى ، ص ١٨ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٦ ؛ ابن الفقيه ، ص ٢٦ ؛ المقدسى ، ص ٨٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٣ .

(٤) يقول ابن النجار (المخطوط ، ص ٣٦ - ب) إن طوله ٦٨ ذراعا وعرضه مثل طوله . ويمكن ابن جبير (ص ١٩٧) بأن طوله مثل عرضه .

٤٧ مودود (١)، و (٢) أبواب (١) مزارع (١) وعلى ركن مؤخر المسجد مكتوب من عبار من أصل المزارع : « إن النبي صلعم دخل على أم أيمن وهي مريضة فقالت له ليس عدي ما أحج به فقال لها صومي أيام العشر ثم ابت مسجداً فيها يوم عرفة ف صلى فيه ركعتين تنقلني بثواب حجة » (٢) . ومكتوب أيضاً أن سعد بن أبي وقاص رضى عنه قال : « لئن آت مسجداً قبا فأصلي فيه ركعتين أحب إلي من أن أزور بيت المقدس مرتين . ولو علم الناس ما في مسجد قبا المهربوا إليه آباط الإبل » (٣) .

وبئر قبا التي مضمض النبي صلعم ومج فيها وكانت ملحة فعذبت ببركتها (٤) صلعم ، وهو بغربي المسجد . وبيت سعد بن خيثمة الأنصاري الذي كان يقيم فيه النبي صلعم بين المسلمين ، هو قريب من ركن المسجد الغربي (٥) . ومن مقدم المسجد والشجرة التي كانت تحتها البيعة سقف ، وذلك السقف جزع وهو مغطى بالألواح (٦) .

صفة قبور الشهداء بأحد رحمة الله عليهم

وقبور الشهداء في أصل جبل أحد (٨) ، أقرب ما يكون منها بأحد حطير (١) مبنى من حجارة ارتفاعه إلى المحزّم (ب) ، فيه من القبور ٣٧ قبراً (ج) .

(١) ب ، م : بحضير . (ب) ب : المحرم . (ج) ب و ج : منبرا .

(١) حسب ابن النجار (المخطوط ، ص ٣٦ - ب) يكون عدد الأعمدة ٣٩ عموداً .

(٢) يقول ابن جبير (١٩٧) إنه ليس له إلا باب واحد .

(٣) أم أيمن هي مريضة النبي (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٠٠) . أما فيما يختص بالمسجد هذا المسجد فيروى ابن النجار (المخطوط ، ص ٣٦ - ٦) أن النبي قال : « من توضأ وجاء مسجد قبا فصل فيه ركعتين كان له أجر عرفة ... » . وقارن ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٢ ص ٩

(٤) أنظر ابن النجار المخطوط ، ص ٣٦ - ١ .

(٥) أنظر ابن جبير ، ص ١٩٧ .

(٦) أنظر مقال دائرة المعارف الإسلامية .

(٧) أنظر البكري ، المعجم ، ج ٢ ص ٨٠١ .

(٨) أحد هو أقرب الجبال إلى المدينة . وهو جبل أحر مل بعد ميل تقريبا من شمال المدينة ، وقربه دارت معركة أحد الشهيرة حيث استشهد ٧٠ من صحابة النبي . ياقوت ، =

مغطاة بالجنادل . وقبر العروسين معاذ بن عمرو بن الجحوح ومرا... ماذ بن عمرو
 اللذين أمر النبي صلعم أن يدفنا في قبر واحد^(١) ، وهما بغربي ذلك الحظير ،
 بينهما قدر رميتين بحجر ؛ وعليه لوحان مكتوبان الواحد من مسن المدينة والآخر
 من خشب . وقبرا هما مقبو عليهما ، ارتفاعه قدر القامة عنده ١٢ قبرا . وأسفل
 من الحظير قبر حمزة بن عبد المطلب^(٢) ، وقد بنى حوله حظير ، وقطع منه مسجد
 وقبر . والقبر في الحظير أمام المسجد غير ممهد ، عند رأسه لوح من مسن المدينة
 فيه مكتوب : « هذا قبر حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلعم ، أسد الله وأسد
 رسوله ، سيد الشهداء وقائدهم إلى الجنة ؛ شهد بدرا وقتل يوم أحد رضىه » . وعند
 ظهره لوح مكتوب فيه : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم
 الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون » إلى آخر الآية^(٣) . وعند رجله
 لوح مكتوب فيه : « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا
 عليه وسلموا تسليما »^(٤) . « هذا قبر حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد
 رسوله ، شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا » .

ومن ذلك الحظير على يساره إذا مضيت إلى أحد ، عن يمينك قبل
 أن تبلغ قبر حمزة ، مبنى ارتفاعه إلى المخزم ، عليه لوح مكتوب من خشب : « هذا
 قبر سهل بن قيس بن سعد ، صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا »^(٥) .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : انتهى ما قصدته من ذكر مكة شرفها الله ،
 وما سقته معها من ذكر المناسك ، ووصف مسجد النبي عم بالمدينة . والآن أشرع
 فيما أشرطه من ذكر البلاد بمبلغ الوسع والاجتهاد ، والله الموفق للصواب .

== معجم البلدان ، ج ١ ص ١٤٤ وقارن الاضطخري ، ص ١٨ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٦ ؛
 ابن جبير ، ص ١٩٥ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ١٠٨ - ب ؛ ابن الاثير ، ج ٢ ص ١١٢

(١) أنظر ابن النجار ، المخطوط ، ص ١٦ - ب ، ١٧ - ب .

(٢) أنظر ابن جبير ، ص ١٩٥ ؛ المقدسي ، ص ٦٢ ؛ ابن النجار ، المخطوط ،
 ص - ب .

(٣) القرآن ، سورة ٩ ، آية ١١٢

(٤) القرآن ، سورة ٢٢ ، آية ٥٦

(٥) أنظر ابن النجار ، المخطوط ، ص ١٥ - ب .

ذكر بلاد مصر وما فيها من العجائب (١)

١. مصر في أول الإقليم الرابع ، لها من البروج الجوزاء ، ومن النجوم
 طارد (٢) . وهي من أسوان إلى الإسكندرية ، وخصبها وزرعها وفواكهها
 كثيرة جدا ، يسقى جميعا بالنيل (١) . والنيل من عجائب العالم لا يعرف له منبع
 من تحت جبل القمر (٣) ، وراء خط الاستواء بتسع درجات ونصف درجة ،
 مروج من ١٢ عينا هنالك ، يجتمع في بحيرتين هناك كالبطائح (٤) ،
 ثم يذهب من كل بطيحة ٣ أنهار ، منها نيل مصر وغيره من الأنهار الكبار التي يأتي
 منها ما إن شاء الله تعالى . وذلك في البلاد المحترقة الجنوبية التي لا يكون فيها
 نبات ولا حيوان ، لقرب الشمس من ذلك الموضع (٥) .

(١) ب : يسع جميعها .

(١) هنا ينبغي ألا يغيب عن الذهن أن كتاب البكري المعروف بالسالك والممالك (أنظر
 مدارط المذنب الوطنية بباريز ، القسم العربي ، رقم ٢٢١٨) يعتبر المصدر الرئيسي الذي يأخذ
 به صاحب الاستبصار . والبكري ينقل بدوره عن المسعودي وابن عبد الحكم
 وابن رصيف - شاء جزأ منهما من معلوماته .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ص ١٨٢ ، ج ٢ ص ٣٥٦ ، التنبيه ،
 ص ٣١ وتابع . وتحسن الإشارة إلى أن مصر ، حسب الجغرافيين العرب ، تقع في الاقليمين الثاني
 والثالث . وحسب الإدريسي (ص ١٤) تقع أسوان في الاقليم الأول . قارن ياقوت ، معجم
 البلدان ، ج ١ ص ٣١ ، ج ٤ ص ٥٤٥ ، الإدريسي ، ص ٤٢ ، ١٥٦ ، المقرئزي ،
 المخطط ، ج ١ ص ١٤ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٨ .

(٣) أنظر عبد اللطيف ، ص ٤ والترجمة ص ٢ والهامش ؛ المسعودي ، مروج الذهب ،
 ج ٢ ص ٣٦١ ، التنبيه ، ص ٥٤ ، المقرئزي ، المخطط ، ج ١ ص ١٨ ، ٥١ ، ٥٢ ؛
 السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٠ ، ٢٤٦ . وحسب صاحب كتاب الجغرافية (المخطوط ،
 ص ٦ - ١) يطلق على هذا الجبل اسم جبل القمر لأن لونه يتغير تدريجيا بالنسبة لكبر القمر
 التاريخي يوما بعد يوم .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٠٥ ، ولكنه بعد ذلك (ج ٢ ص ٣٥٩)
 يبرر منهجه ويبحث عن تفسير ~~له~~ ديني فيقول إن النيل يخرج من الجنة ، أنظر ابن رسته ، ص ٩٠ ،
 ٩٩ ، ١٠٠ ؛ ابن الفقيه ، ص ٦٣ ؛ كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٦ - ب ؛ المقرئزي ،
 المخطط ، ج ١ ص ٥٣ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٠ .

(٥) قارن ابن رسته ، ص ٩٩ ، المقرئزي ، المخطط ، ج ١ ص ٥٣ .

قيل ينبعث نيل مصر في رمال وجبال ، ثم يخترق أرض السودان ، ثم إلى بلاد
الزنج ، ثم ينبعث منه خليج يشق بلاد الزنج بصب في بحر الزنج (١) . وتظهر (١)
في هذا الخليج الزيادة التي تظهر في نيل مصر ؛ وفيه التماسح الكائن في نيل مصر ،
ويسمى الورل الذي يكون في الصحراء والبراري إنما أصله من التماسح .
وذلك أن التماسح يخرج من النيل فيسرح على السواحل ، فربما قبض عنه الماء فيبقى
في البر ، فيتناسل فيكون منه الورل المشهور . والتماسح لا يوجد إلا في نيل مصر ،
أو في نهر أصله من ماء واحد مع نيل مصر (٢) .

وفي نيل مصر السمك الرعاد (٣) ، من صاده لم تزل يده ترتعد ما دام
في شبكته أو في صنارته . وعلى النيل جبل هامد ، يراه أهل تلك الجهة ، من انتضى
سيفه ثم أوجله فيه ، وقبض على مقبضه بيديه جميعا ، اضطرب السيف في يده

(١) ب : نهر .

(١) بحر الزنج هو المحيط الهندي .

(٢) قارن عبد اللطيف ، ص ٧٢ ، ٧٤ ؛ الاصطخرى ، ص ٥٠ ؛ ابن حوقل ، ص ٩٨ ؛
ابن رسته ، ص ٨٠ ؛ المسعودي ، التنبيه ، ص ٥٥ ؛ الإدريسي ، ص ٤٦ ، ١٤٥ ؛
كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٣٧ - ١ ؛ القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ؛
ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٦٦ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٦٧

ولما كان التماسح يوجد في نهر مهران (الاندوس) ظن بعض الجغرافيين العرب أن هذا النهر
يشارك مع النيل في منابه (اليعقوبي ، ص ٣٣٦ ؛ ابن الفقيه ، ص ٦١ ؛ المقدسي ، ص ٢٠٨ ؛
المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٥٣ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٨) . ولكن
روح النقد عند المسعودي تنضح عندما يحتج على هذا الاعتقاد الخاطئ الذي يلقى تبعته على الجاحظ
إذ يقول (مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٠٦) : «وقد ذكر الجاحظ أن نهر مهران السند من نيل
مصر واستدل على ذلك بوجود التماسح فيه فلست أدري كيف وقع له هذا الدليل . وذكر ذلك
في كتابه المترجم بكتاب الأمصار وعجائب البلدان وهو كتاب في نهاية الحسن ، وإن كان الرجل لم
يسلك البحار ولا أكثر الأسفار ... ولم يعلم أن مهران السند يخرج من أعين مشهورة من أعالي
بلاد السند : من أرض قنوج من مملكة بوورة وأرض قشمر والقندهار والطافن حتى ينتهي
إلى بلاد المولتان ...» .

(٣) أنظر عبد اللطيف ، ص ٤٢ والترجمة ص ٤١٦ وهامش ٥٣ ص ١٦٧ ؛
الاصطخرى ، ص ٥٠ ؛ ابن حوقل ، ص ٩٨ ؛ ابن رسته ، ص ٨٠ ؛ ابن الفقيه ، ص ٦٧ ؛
المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٩٢ ؛ عجائب المخلوقات ، ص ١٣٤ - ١٣٥ ؛ المقرئ
الخطط ، ج ١ ص ٦٦ ، ٦٧ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٦

فأرسله ، ولا يمدد على إنسانه وأما قال ابن الفقيه : وإذا أُخذت بحجارة هذا
البحر من مصر أو غيره ، لا يؤثر فيه حديد أيا ، وجذب الإبر والمسال أشد
جدا من المغناطيس ، ولا يمتلئ الثوم ماله فما يبطل المغناطيس . وحجر الجبل
منه لا يجذب الحديد ، فإن أُخذت عليه الحديد ، جذب ذلك الحديد (١) ؛ وهذا
من المعجائب .

وقال إن نيل مصر تجري على وجه الأرض ٧٠٠ فرسخ ، وتجري في غير
مصر مسيرة ٤ أشهر ، وفي بلاد السودان مسيرة شهرين ، وفي بلاد مصر (١)
مسيرة شهر ، من أسوان إلى أن يصب في البحر بحلق رشيد بشرق
الإسكندرية (٢) . وذكر هورشبش الرومي (٣) في تاريخه أن منبعه إلى موقعة
٩٩٠٨٣٠ ميل (٤) . والنيل مخالف لكل نهر من أنهار الأرض : لأن كل
نهر يستقبل الجنوب ، والنيل يستقبل الشمال ، فهو مخالف لجميع أنهار الدنيا ؛
وهذه تلك أن منبعه من الجنوب ؛ قال الشاعر :

بلاد مصر شأنها عجيب ونيلها تجري به الجنوب (٥)

فيل وليس في الدنيا نهر يسمى بحرا ويمتا غير النيل ؛ قال الله تعالى : « فإذا خفت

(١) الأمصار .

(١) أنظر نفس الرواية : ابن الفقيه ، ص ٦٧ ؛ القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص ١٧٢ .
وإرن كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٣١ - ١ . وعن تأثير الثوم على المغناطيس أنظر المسعودي
مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٠٧

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٦٢ ؛ عجائب المخلوقات ، ص ١٨٥ ؛ السيوطي ،
حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٤ . وحسب ابن خردادبة (ص ٨٣) وابن الفقيه (ص ٥٩)
أن طول النيل ٤٠ ليلة . ولكن حسب الأخير طول بلاد السودان ٧ أشهر . ومن الغريب
أن هذه الرواية الأخيرة اقتبسها المسعودي (مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٦٨) دون تعليق.

(٣) هو المؤرخ الروماني Paulus Orosius (القرن الخامس الميلادي) .

(٤) لا يتفق الكتاب بشأن طول النيل : المسعودي ، التنبيه ، ص ٥٧
(٧٤٨ فرسخا = ٢٢٤٥ ميلا) ، مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٠٨ (٩٠٠ - ١٠٠٠ فرسخ تقريبا)
الإدريسي ، ص ١٤٤ (٥٦٣٤ ميلا) ؛ كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٦ - ب (١٠٤٥
فرسخا) ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٦ (٨٦١٤ و ٦٦ ميلا) .

(٥) ينقل ويؤكد معظم الجغرافيين العرب هذه الرواية التي لا أساس لها . المسعودي ،
مروج الذهب ، ج ٤ ص ٢٧٣ . أنظر ابن الفقيه ، ص ٦٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤
ص ٨٦٢ ؛ القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص ١٨٥ ؛ المقرئ المخطوط ، ج ١ ص ٦٤ ؛
السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٥ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٩

عليه فألقيه في اليم» (١) ، والعرب تسميه بحرا . وليس في الدنيا نهر يطبق
على الأرض ويزرع عايه ويغنى عن المطر غير النيل . وقيل إن بلاد مصر ٣ أشهر
درة بيضاء ، و ٣ أشهر مسكة سوداء ، و ٣ أشهر زمردة خضراء ، و ٣ أشهر
سبيكة حمراء . وتفسير ذلك أن النيل إذا استوى ، طما جميع أرض مصر فتبقى قراها
وضياعها في رواب وتلال كأنها الكواكب ، ويتصرف الناس بينها في الزوارق
فتكون الأرض كدرة بيضاء . وتمكث عليها الماء ٣ أشهر ، فإذا قبض عنها الماء
أخذ الخزائون في بذر الزرع ، فتمكث الأرض سوداء إلى أن ينبت الزرع
وتظهر خضرته ٣ أشهر ، فكأن الأرض مسكة سوداء ، وأيضا فإنها تفوح منها
رائحة طيبة عطرة . فإذا كبر الزرع وظهرت خضرته ، كانت الأرض كأنها
زبرجدة خضراء . وبقيت كذلك ٣ أشهر ، إلى أن يصفر الزرع ويبس ويتناهى ،
كانت الأرض عند ذلك كأنها سبيكة ذهب حمراء ، وبقيت كذلك ٣ أشهر حتى
يتم الحصاد (٢) .

وذكر أن مصر في كتب الأوائل مصورة وسائر البلاد مادة اليها أيديها
تستطعمها (٣) ، ومعنى (١) ذلك أنها أكثر بلاد الله زروعا . وذكر أن هارون
الرشيد صورت له مدائن مصر ومدائن الدنيا (١) فما استحسن منها غير عمل
مدينة أسبوط ، وهى بسيط واحد لو قطرت فيه قطرة فاضت على جميع نواحيه ،
يئذرفيها جميع (ب) الحبوب ، فإذا اخضر فلا يكون على الأرض بساط أعجب

(١) الجمل الواقعة بين (١) ، (١) ناقصة في ب .

(ب) « جميع » ناقصة في ب .

(١) القرآن ، سورة ٢٠ ، آية ٣٩ . أنظر المسعودى ، ج ٢ ص ٣٦٠ ؛ عبد اللطيف ،
الترجمة ، ص ٧ وهامش ١ ؛ ابن جبير ، ص ٥٧ . ويحاول المقدسى (ص ١٨) أن يعطى تفسيراً
آخر فيقول إن مصب النيل ربما كان في بحر القلزم (البحر الأحمر) وإن أم موسى ألفت بابها
في هذا البحر ومنه دخل إلى النيل .

(٢) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٥٧ وتابع ، التنبيه ، ص ٢٠ - ٢١ ؛
البكرى ، المخطوط ، ص ٧ ؛ كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٣١ - ب ؛ المقرئى ،
المخطوط ، ج ١ ص ٢٦ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٦

(٣) البكرى ، المخطوط ، ص ١١ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ١٢

١١) . والجانب الغربي من ماء المدينة جبل أبيص كأنه طيسان (١) ،
وعلاها من الجانب الشرقي جبل أبي صاوا ، وقد شيدت عليه في
الأمم الأستار والثروم ، ولا سمع فيه السلام من شدة أدوات الديور (٢) .

وإلى مصر في زباده وتدفقاته عجائب كثيرة ، عرضنا عن ذكرها لكثرة
معرفة الناس بها . وليلة الغداس بمصر من أعجب شيء ؛ وتسمى في هذا الزمان
بمصر الحاج ، وهي لعشر تمضي من كانون الآخر (ب) وهو بلغة الروم ينشر ؛
ولذلك الوقت يستوى مد النيل ويأخذ في الانحطاط . وأصفي ما يكون ماء النيل
في ذلك الوقت . وهذه الليلة بمصر شأن عظيم ، وذلك أنه يخرج تلك الليلة جميع
الناس ممن يقدر على الخروج تلك الليلة وقد أعدوا ما أمكنهم من الأطعمة
والخمرية ، ولبسوا أحسن ما عندهم من الملابس ، وأظهروا ما أمكنهم
من الحواجر وأواني الذهب والفضة ، وأحضروا جميع الملاحى . ويدخل الناس
في الرواق ، ومنهم من يدخل في الدور المشرقة على النيل ، ويشعلون المشاعل (ج)
والشمع الكثير . ويشعل صاحب مصر الشمع على جانب النيل (ج) ، فيحرق
في تلك الليلة بمصر من الشمع ما لا يحصى عدده ؛ فترى الناس على شطوط النيل
في الرواق ، ومنهم في الدور المشرقة على النيل بالطبول والأبواق وجميع الملاحى .
وهي أحسن ليلة تكون بمصر وأكملها سرورا ؛ ويغطف أكثر الناس في النيل ،
ومن لم يغطف يرش عليه من الماء ، ويزعمون أن ذلك أمان من المرض (٣) .

قال عمرو بن العاص : « ولاية مصر تعدل الخلافة » (٤) ، لأنها جعلها الله
موسطة بين الإقليم الثالث والرابع ؛ سلمت من حر الإقليم الأول والثاني ، ومن برد
الإقليم الخامس والسادس . وقال الجاحظ : « أهل مصر أعقل الناس صغارا

(١) القراءة في النص « سيلطان » ولكنها « طيلمان » في البكرى (المخطوط) ،

ص ١١ . (ب) ج : كانون الأول الآخر .

(ج) الحمل الواقعة بين (ج) ، (ج) ناقصة في ج .

(١) البكرى ، المخطوط ، ص ١١ ؛ وانظر فيما بعد هامش ص ٣ ص ٨٤

(٢) البكرى ، المخطوط ، ص ١١

(٣) البكرى ، المخطوط ، ص ٩ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٦٤-٣٦٥

(المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ٤٩٤) ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٦٦ ؛ المقريزى ،

الخطط ، ج ١ ص ٦٥ ، ٢٦٤ - ٢٦٥

(٤) البكرى ، المخطوط ، ص ١١ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٢٢ - ٢٣ ؛

المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ٢٧

وأحشهم ذبارة»^(١). وقبل إن مصر لم يعمل الله في أرضها، أهلها ولا، أمواتهم نصيبا مما قسم على عباده : من الرحمة بالغيت الذي جعله الله عمارة البلاد .

نبذ من أخبار ملوك مصر من لدن عمارتها

يقال والله أعلم إن أول من ملك مصر عند قسمة الأرض بين ولد آدم ، زمن أنوش ، بوصية آدم عليه السلام ، ملك يقال له نقراوش بن أضرم . وهو أول من اتخذ المصانع ، وعمل الطلسمات وأقام الأساطين ، وزبر عليها التواريخ ، وبنى المدن (١) . وهو الذي حفر النيل وعمقه ووسعه ؛ وكان قبل ذلك ينقطع ويستنقع . وعمل للتماسيح على شاطئ النيل في آخر بلاد النوبة مبنين ، وزبر عليهما أحرفا منعت التماسيح أن تنحدر في النيل . وكانت كتابتهم بالقلم الخلقطير وهو قلم آدم عليه السلام . وكان عالما كاهنا وكان له رأى من الجن ؛ ويقال وقع إليه بعض العلوم التي كان رزآبيل الملك علمها آدم عم ، فعمل بها عجائب : منها صورة طائر على أسطوانة عالية يصفر في كل يوم مرتين ، عند طلوع الشمس ، وعند غروبها ، تصفيرا مختلفا يستدل به على ما يكون من الحوادث . وعمل في مدينة برسان ، وهي التي بناها لابنه مصرام ، قبة ذهب على منار عال ، لا تزال على تلك القبة تنعش من الشمس . وعمل على باب المدينة أصناما موجهة إلى نواح مختلفة ، إذا قصد أرضهم قاصد بسوء أرسلت عليه نارا فأحرقت . فكان ملكه ٢٣٠ سنة . فلما مات جزع عليه قومه أشد جزع ، فقاموا يطوفون به على أعناقهم ٣٠ سنة (٢) .

(١) القراءة في النص « المدون » .

(١) البكري ، المخطوط ، ص ١١ ؛ المقرئى ، ج ١ ص ٥٠

(٢) يوجد في مخطوط البكري خرم لا نعرف مقداره ، ولكنه يستمر من هنا إلى بناء الأهرامات (انظر هامش ٣ ص ٥٦) . ورغم ذلك فإن معظم المعلومات الخاصة بمصر القديمة ، حسب ما كانت مفهومة في ذلك العصر ، توجد في كتاب المقرئى . أنظر الخطط ، ج ١ ص ١٢٩ - ١٣٠ (عن الملك فناوش) ، ص ٥٢ (عن تقويم مجرى النيل) .

أما عن تسمية كتابة قدماء المصريين بالخلقطير فالكلمة يونانية . أنظر Journal Asiatique 1913, t I p. 201 . ويسمى البعض هذه الكتابة بالخط « المسند » (ابن خرداذبه ، ص ١٥٩ ؛ ابن رسته ، ص ٨٠ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٠١) . ولكن للأسف يعتقد

فيقصه على من أمامه . فيقول له : إنك رأيت هذا في ممالك مصر ، فليكن لك ، فلا تنسى عما أمرت به ويبشره بالثوبة عليه ، ويرفع له خنجره . واما ما عنده من حينه (١) .

قال المؤلف فلما هلك الملك نقرأوش المتقدم الذكر ، ملك بعده ابنه سورت . وكان موحدا مؤمنا . فغلق هياكل الكواكب فقل النيل في أيامه ، فرفضه بنو أبيه وخلعوه وملكوا أخاه الأصغر مصرام المتقدم الذكر . وكان جبارا فزاد في هياكل الكواكب ، واحتفل في شكرها وبر سدننها وزاد في دخلها وقرايينها . وكان له رأي فأمره أن يحتجب عن الناس ، وألقى على وجهه نورا حتى لم يتمكن أحد من النظر إليه ؛ وذلك له الأسد فركبها ، وادعى الإلهية ودعا الناس إلى عبادته ، وغاب عن الناس نحو ٣٠ سنة . وركب في غيبته أنواعا من الدواب العظام من الوحوش والسباع لها منظر بهول . ومضى به ذلك الربى حتى أوقفه على البحر الأسود ، فبنى في وسطه صنما من حجر أسود أبيض ، وزبر عليه اسمه وجعله قربانا للشمس ، وعمل قلعة الفضة التي في البحر الأسود وخبرها مشهور .

ذكر ذلك الموس الكاهن في سير الملوك القدماء . وزبر على ذلك الصنم : أنا مصرام الجبار جامع الأخبار وكاشف الأسرار والعالم القهار : وأظهرت الحكمة العجيبة وكشفت الأمور الغريبة ؛ ونصبت الأعلام الهائلة على البحار السائلة ليعلم من بعدى أنه لا ملك مثل ملكي . وقيل إنه ركب في مدينة برسان شجرة تؤكل منها كل فاكهة ، وعمل عجائب وغرائب يطول وصفها (٢) .

فلما هلك مصرام ملك بعده من بنيه عدة ملوك ، كل واحد منهم يعمل في وقته عجائب وغرائب في البناء ، وغير ذلك من الطلسمات والصور والأصنام المركبة من الحواهر الغالية ؛ إلى أن ملك من بنيه شوندين بن سلمون صاحب الأهرام . وكان ملكا عاقلا عالما محبا للعلماء ، وكان أوتي من العلم والحكمة ما لم يسبقه إلى ذلك ملك ولا غيره ، وكان يتعهد من مصالح الرعية ما لم يتعهده سواه من الملوك ، وكان ينفق على الزمنا والضعفاء من ماله . واتخذ امرأة من أخلاط

(١) المقصود هنا بالحشيشية طوائف الإسماعيلية المعروفين أيضا بالحشاشين الذين كانوا على عهد الصليبيين يحتلون عددا من القلاع وخاصة بالشام ، والذين اشتهروا باغتيال خصومهم . والإسم مأخوذ من الحشيش الذي كانوا يستعملونه للوصول إلى حالة الذهول أو الانجذاب . أنظر دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) أنظر ابن وصيف شاه (العجائب) ، الترجمة ، ص ١٨١ ؛ قارن المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٣٠ ، ١٧١ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ١٦ .

وأما ما قيل من أن هذه الأهرام مبنية على وجه الأرض ، فذلك غير ذلك ،
 بل هي مبنية على ما يسمى بالبحر ، وذلك قد مر ، وإن كان قد مر أن يأمروهم بالنظر
 إلى ما هو عليه في العالم ، فذلك ما لا يمكن ، فجميع إله العلماء والكهنة
 والسيوف من جميع أقطار الأرض ، وحققوا له ما أرادوه وتم له ذلك ، وعملت له
 العجايب والفضائل والبر والبطول ، وغير ذلك ، وفي أيامه بنيت الأهرام التي
 ليس مصر ، فيقال إنه ليس على وجه الأرض حجر موضوع على حجر أغرب
 من ماء أهرام مصر .

وكان سبب بناء هذه الأهرام أن الملك شوندين رأى رؤيا مائلة ،
 ذلك أنه رأى الكوكب المعروف بالبنية في صورة طير أبيض
 يمشي على العالم ويأكلهم بين جبلين ، وكان الجبلين انطبقا عليهم ، وأن
 الكوكب المسمى بالبنية كانها . فأخبر بذلك رؤساء الكهان والعلماء
 وأمرهم أن يأتوا ما تدل عليه الكواكب مما يحدث في العالم ، فأقاموا
 في ذلك في مراكبها في وقت مسألة فدلّت على آفة نازلة من السماء وخارجة
 من الأرض . فلما بان لهم ذلك أخبروه به . فقال ما هو ذلك فنظروا في خفي
 أمورها ودقائق غامها . فوجدوها مفسدة للأرض وأهلها وحيوانها وجميع
 ما فيها ، وقالوا إن هذه الآفة محيطة بجميع أقطار الأرض إلا اليسير ، وذلك إذا نزل
 من الأسد بأول دقيقة من السرطان . وتكون الشمس والقمر في أول دقيقة
 من الحمل . فلما تيقن الملك شوندين من ذلك ، وعلم أن تلك الآفة تكون ماء يفرق
 الأرض ومن عليها ، أمر ببناء الأهرام (١) - وهي البراني لتخليد علومهم
 ومساكنهم وسير ماوكهم وسننهم في رعيهم وأهل ممالكهم - وبنیان أعلام
 مقام تكون خزائن لأموالهم وكنوزهم وذخائرهم ، وتكون أيضا قبورهم ولأهل
 بينهم . تحفظ أجسادهم من الفساد وتبقى علمهم صحيحا (٢) ، وأمر بأن يبنى
 ذلك كله من حجر صلد لا يغيره الدهر ولا يفسده الطوفان .

(١) هذه المقتطفات منقولة عن ابن وصيف - شاه . أنظر العجائب ، الترجمة ، ص ٢٠٠
 وراجع . وينسب المسعودي بناء الأهرام حيناً إلى يوسف (مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٦٥)
 وحيناً إلى المصريين القدماء (نفس المصدر ، ص ٤٠٢) . أما ابن خردادبه (ص ١٥٩) فينسبها
 إلى بعلبيوس . هذا وينسبها آخرون إلى باني الإسكندرية ومنارها وهو الإسكندر أو شداد
 ابن ماد الأسطوري (ابن عبد الحكم ، ص ٣٤ ؛ المسعودي ، التنبيه ، ص ٢٠) . أنظر ياقوت ،
 معجم البلدان ، ج ٤ ص ٩٦٣ ؛ المقرئ ، الخلط ، ج ١ ص ١١١ وتابع ؛ السيوطي ،
 حسن المحاضرة ، ج ١ ص ١٩ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٤٠ .

(٢) من معنى كلمة «بري» أنظر عبد اللطيف ، الترجمة ، ص ١٨٢ وهاشم ٤٨ (ص ٢٢٩) .
 ولها يختص بالأهرامات ، حسب الاصطلاح (ص ٥٢) ، فكانت مقابر الملوك . -

ويقال إنه أمر أن تبنى هذه الأهرام والبرابي من حجاره و... طين إذا كان الحادث ماء ذهب التي من طين (١) وبقيت التي هي من حجاره . وإن كانت نارا ذهب التي هي من حجارة وبقيت التي هي من طين (ب) . فكان ذلك الحادث ماء فذهب الطين وبقيت الحجارة . ثم أمر الملك وزرائه فشوا مع المنجمين والكهان فاختاروا موصعا لبناء تلك الأعلام ، وهي الأهرام والبرابي ، فاختاروا موصعا بقرب النيل في الجانب الغربي فبنيت فيه مدينة مرقه ، معناه بلسانهم «مطلب الحكمة» . ثم أمر الملك بجمع الناس والفعلة فجمع ٧٠٠٠ لقطع الحجارة ونحتها ، ومثلهم لهندستها ، وأضعافهم للبناء . وعمل قضبان الحديد واستخرج الرصاص ، فكانوا ينصبون البلاطة ويجعلون في وسطها عامود حديد قد نفذها ، والعامود قائم قد ضبط بالرصاص المسبوك ، وتركب عليها بلاطة أخرى في قدرها وهندستها ، مثقوبة بقدر دخول القضيب فيها ، ثم يسكب الرصاص حول العامود وعلى البلاطتين معا ، حتى أتى بنيانا ما بُني في العالم قط مثله (١) . وطول حائط الهرم ١٥٠ ذراعا بأذرعهم ، وفي عرضه مثل ذلك وارتفاعه في الفضاء ٤٠٠ ذراع (٢) . ويقال إن عمقها تحت الأرض مثل ارتفاعها فوق الأرض ، وعرض الحائط من حيطانها ٢٠ ذراعا بأذرعهم .

(١) الحمل الواقعة بين (١) ، (ب) ناقصة في ج .

== أما حسب ابن حوقل (ص ١٠١) فإنها كانت مقابر ومخازن لجمع الطعام . ويرى المقدسي (ص ٢١٠) أنها طلبات وأهرام بناها يوسف أو أنها مقابر .

(١) إن استعمال الرصاص في بناء الأهرام لا أساس له من الحقيقة إلا في خيال الكتاب . وليس من الضروري أن يكون الإنسان عالما بالآثار لكي يقرر أن الأمر ليس كذلك ، فالنظرة العابرة تدل على عدم استعمال أي معدن في بناء هذه الآثار .

(٢) يتفق معظم الكتاب ، على عكس صاحب الاستبصار ، بالنسبة لمقاييس الأهرامات فهي حسب رواياتهم عبارة عن ٤٠٠ ذراع في كل ناحية . عبد اللطيف ، ص ٩٤ والترجمة ، ص ١٧٤ (ولكنه في مكان آخر - ص ٩٤ والترجمة ، ص ١٧٥ - يقول إنه رأى « بعض أرباب القياس قال عمودها ٣٠٠ ذراع ونحو ١٧ ذراعا يحيط به أربعة سطوح مثلثات . طول كل ضلع منها ٤٦٠ ذراعا ») ؛ الاصطخرى ، ص ٥١ ؛ ابن رسته ، ص ٨٠ ؛ المسعودي ، التنبيه ، ص ١٩ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١١٤ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٤٢ (٥٠٠ ذراع) .

فقال لهم : هذه الأهرام والبرابي ، أمر الملك أن يكتب على حيطان البرابي
 ما يعرفها جميع الأنبياء ، والوهابين ، والأمم ، من دلائل النجوم وعللها وسائر
 الحساب والطالع ومذنباتها ، والوهابين العظام وعمل الأدوية وتأليفها ، ومعرفة
 الدمار وأسمائها ومذورها ، وعلم صنعة الكيمياء وغير ذلك مما ينفع ويضر .
 قال لهم : اكتبوا ما تعرفون من كتبهم وفهمها . ونقش في حيطانها وسقوفها
 جميع المطالبات وكتب على كل طلسم خاصيته ونفعه وضرره ، وكما وضع
 في تلك الأهرام فنونا من الذهب والفضة والكيمياء وحجارة الزبرجد الرفيعة
 والياقوت والفضة ، إلا يحصيه ، ووصف ووصف . وكذلك فعل بنوه من بعده .

فأما ما أتت هذه الأهرام والبرابي على ما أراد الملك قال لهم أنظروا هل تفسد
 هذه الأهرام ، فنظروا فوجدوها باقية لا تزول . فقال لهم هل يفتح منها موضع ،
 أو هل يدخل إليها ، فنظروا فقالوا له يفتح في الهرم الفلاني في الجانب الشمالي
 . فقال لهم حققوا النظر في معرفة الموضع بعينه ، فنظروا وعرفوه بالموضع .
 فقال لهم عرفوني متى يكون ذلك ، فنظروا فعرفوه أنه يكون ذلك لمدة ٤٠٠٠
 دورة للشمس والدورة سنة . فقال لهم أنظروا مقدار ما ينفق في فتح هذا
 الموضع ، فنظروا فعرفوه بالقدر ، فقال لهم اجعلوا في الموضع الذي يوصل
 به إلى داخل الهرم ذهبا بمقدار ما ينفق على فتحه . ثم حثهم على الفراغ من
 بناء الأهرام والبرابي ، ففرغوا منها في ٦٠ سنة . وأمر أن يكتب عليها : «بنينا هذه
 الأهرام في ٦٠ سنة فلهدمها من هدمها في ٦٠٠ سنة ، على أن الهدم أهون
 من البناء » (١) . ثم قال لهم أنظروا هل يكون بعد هذه الآفة كون مضر غيرها ،
 فماروا فإذا الكواكب تدل في وقتهم وتظهرهم على آفة أخرى نازلة من السماء ،
 وتذنون في آخر الزمان وهي ضد الأولى ، وهي نار محرقة لأقطار العالم ،
 فأخبروه بذلك . فقال لهم فهل من خبر آخر توقفونا عليه بعد هذه الأمور ،
 فقالوا له ننظر في ذلك ، فنظروا على آلاف السنين ، وقالوا له إذا قطع قلب الأسد
 ثلث دورة ، وهي آخر دقيقة من برج العقرب ، لم يبق من حيوان الأرض
 تحرك إلا تلف ، فإذا استتم دورة تحللت عقد الفلك . فقال لهم في أي يوم
 تحلحل عقد الفلك ، فقالوا له اليوم الثاني من وجود الفلك . قال فتعجب الملك
 من ذلك ، وأمر بكل ما قاله العلماء من هذه الحكم أن تخلد في الكتب ،
 وتستودع في تلك الأهرام ، فيقال إن فيها علم الأولين والآخرين .

(١) قارن ابن حوقل ، ص ٨٨ ؛ ابن رسته ، ص ٨٠ ؛ ابن الفقيه ، ص ٦٨ ؛
 المقدسي ، ص ٢١٠ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٠٥ ؛ المقرئ ، الخطط ،
 ج ١ ص ١١٣ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٤٢ .

نرجع الآن إلى حديث الثلثة : قيل فلما كان في يوم الاثنين الأول من هارون الرشيد ، وفرغ من حرب التيماء وأقام بمصر (١) ، أراد هدم الأهرام ، فعرفه بعض شيوخ المصريين أن ذلك غير متمكن ، وقال له ولا يحسن بأمر المؤمنين أن يطلب شيئا ولا يبلغه (٢) ؛ فقال له لا بد أن أعلم ما فيها . ثم أمر بفتح هرم من أعظم الأهرام ، ففتح فيه ثلم من جانبه الشمالى ، لقلعة دوام الشمس على من يعمل فيه ؛ فلما ابتدؤا عمله وجدوا حجرا صلدا يكل فيه الحديد . فكانوا يوقدون النار عند الحجر ، فإذا حمى رش بالحل ورمى بالمنجنيق فزبر الحديد ؛ وأقاموا على ذلك أياما حتى فتحوا الثلثة التى فيه الآن ، فنها يدخل إلى ذلك الهرم . ووجدوا بنيانه بالحديد والرصاص (٣) ووجدوا عرض الحائط ٢٠ ذراعا ؛ وبالقرب من الموضع الذى فتحوا مظهرة من حجر أخضر فيها مال على حول الدنانير العريضة ، وزن كل دينار منها ٢٧ مثقالا وثلاثي مثقال . فقال المأمون زنوه فوزنوا الحملة فوجدوا فيها مالا معلوما ، وكان المأمون رحمه الله فطنا ، فقال رحمه الله ارفعوا ما أنفقتم على فتح هذه الثلثة ، ففعلوا فوجدوه موازنا لما وجدوا من المال . فعجب أمير المؤمنين من ذلك ، ومن معرفتهم بالموضع الذى يفتح منه ذلك الهرم على طول الزمان ، وازداد فى علم النجوم يقينا . قال فشئى المأمون حتى دخل الهرم ، ومشى فيه فوجد صنما أخضرا مادا يده وهو قائم فلم يعلم خبره . ونظر إلى الزلاقة والبئر الذى فى الهرم ، وأمر بالدخول والنزول فيه . قال فنزل فيه قوم من رجاله من درجة إلى درجة حتى أفضوا إلى صنم أحمر ، عيناه مجزعتان سواد فى بياض كأنهما حدقتا لإنسان ينظر إليهم ، فهاهم أمره وقاروا أن له حركة ، فجزعوا منه فخرجوا وعرفوا أمير المؤمنين الحال . قال فحراه ذلك على مطلب مخابىء كثيرة . ويقال إنه وجد فيه مالا كثيرا .

(١) أنظر ابن وصيف - شاه ، الترجمة ، ص ٢١٠ . كان حضور المأمون من الشام إلى مصر ٢١٦ هـ = ٨٣١ م عقب قيام ثورة محلية . ابن الأثير ، ج ٦ ص ٢٩٦ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١٩٦

(٢) من الغريب أن هدم هذه الآثار الشهيرة كان مجالا لتفكير ملوك مصر الذين غلبت عليهم فكرة وجود كنوز مدفونة فيها . وحسب عبد اللطيف (ص ٩٦) حاول عثمان بن صلاح الدين سنة ٥٩٣ = ١١٩٦ هدم واحد من الأهرامات الصغيرة ، ليستعمل حجارتها فى بعض مشاريعه العمرانية ، ولكنه اضطر إلى العدول عن هذه المحاولة الصعبة (المقرئى ، الخطط ، ج ١ ص ١١٥)

(٣) هنا ينتهى الحرم الأول الموجود فى مخطوط البكرى (أنظر هامش ٢ ص ٥٠) .

[illegible]

(١١) قارن ابن وصيف - شاه ، الترجمة ، ص ٢١٧ . وانظر البكري ، المخطوط ،
ق ١٢ - ١٣ ؛ المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص (معلوماته مأخوذة عن كتاب المسعودي
المفرد والمعروف باسم أخبار الزمان) ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٤٣ ، السيوطي ، حسن
المحاضرة ، ج ١ ص ٤٧

(1) م ن ه و ف ق ك ط ز ح ط ي
ا ب ج د ه و ز ح ط ي

وكان من العجائب . وفي بعض أخبار مصر أن قوما قصدوا الأهرام ، فزلوا
في تلك الأبار ، ومالبوا أن يدخلوا في تلك المضائق التي تخرج منها الرياح ، واحتملوا
مهمهم سرحا في أوان رخام . فلما حصلوا في تلك المضائق ، خرجت عليهم ريح
عاصف وأخرجتهم منها عنفا ، وأطفأت أكبر سرجهم . فأخذوا أحدهم وكان
أدهم حاشا وأشدهم عزما وأصلبهم قلبا ، فربطوا وسطه بالحبال ، وقالوا ادخل
هنا . رأيت شيئا تكرهه جذبتك ، فلما دخل المغرور وزاحم تلك الرياح ،
امتن عليه ذلك الفتح ، فجذبه فانقطعت حبالهم ، وبقي الرجل
في ذلك الشق وهم لا يعلمون له خبرا ، فصعدوا هاربين حتى خرجوا من البئر ،
واعتدوا لما أصاب صاحبهم . فجلسوا عند الظلمة مفكرين في أمر صاحبهم ،
وفي أمرهم وما أقاموا عليه . فبينما هم كذلك إذ انفجرت من الأرض فرجة كالكوّة ،
وأثارت لهم ذلك الرجل عريانا مشوه الخلق ميت الدم جامد العينين ، وهو يتكلم
بصوت عجيب لا يفهم ، فلما فرغ من كلامه سقط ميتا . فازداد وجلهم وتضاعف
خوفهم وجزعهم ، وعلموا أنهم خالصون من أمر عظيم (٢) . قال فاحتملوا
صاحبهم ، واتصلت أنباؤهم بوالى مصر وهو ابن المدبر في أيام المتوكل (٣) ،
فأبلغهم عن أمرهم ، وأخبروه بذلك فعجب . وأمر أن يكتب الكلام الذي قال
ذلك الرجل الذي مات ، حسب ما قاله ، وأقام ابن المدبر يطلب من يفسره إلى أن
وجد رجلا يعرف شيئا من ذلك اللسان ، ففسره : « هذا جزاء من طلب ما ليس له
و أراد الكشف على ما يخفى ، فليعتبر من رآه » . قال فمنع حينئذ ابن المدبر أن
يعرض أحد للأهرام .

(١) لا نستطيع التعليق على مصدر هذا الخط ولا عن طبيعة العلاقة بين هذه الحروف وبين الفونش المصرية القديمة أو الحروف اليونانية أو القبطية وإن كان هناك تشابه بين بعضها . والأمر متروك للاختصاصيين .

(٢) أنظر ابن وصيف - شاه ، الترجمة ، ص ٢١٣ . وقارن السكري ، المخطوط ، ص ١١٤ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٣ - ١٤

(٢) أحمد بن المدبر كان صاحب خراج مصر حوالي سنة ٢٤٢ = ٨٥٦ م . وعند ما وصل
عبد بن طولون إلى مصر سنة ٢٥٤ = ٨٦٨ قام بين الرجلين الطموحين صراع مر ، انتهى
بصار أحمد بن طولون انتصارا حاسما فاختفى ابن المدبر دون أن نعرف تاريخ وفاته . انظر
Zaky Hassan, Les Tuluicides, p. 35 sq., 71 sq

وفي خبر آخر أن جماعة دخلوا الأهرام فوجدوا في بعض البيوت زلاقة إلى بئر، فزلوا فيها فوجدوا سربا، فساروا فيه نصف يوم حتى انتهوا إلى حفير عميق وفي عدوته باب لطيف . وكانوا يتبينون منه شعاع الذهب والفضة والجواهر النفيسة . ومن رأس الحفير مما يليهم إلى ذلك الباب المحاذي لهم ، الذي فيه الذهب والجواهر ، عامود حديد قد ألبس محورا من حديد يدور عليه ولا يستمسك في دورانه . فاحتالوا في وقوفه وذهاب حركته فلم يقدرُوا على ذلك ، فربطوا أحدهم في جبل ، وتعلق بالعامود ليصل إلى الجانب الآخر ، فدار به المحور (١) فتحير وسقط وانقطع الجبل الذي كان فيه ، فخرجوا هاربين لا يلوون على شيء .

وفي خبر آخر أن قوما دخلوا بعض الأسراب التي في الهرم ، فأنتهوا إلى صنم أخضر على صورة شيخ ، وبين يديه أصنام صغار كأنه يعلمهم . ثم ساروا فوجدوا فوارة تحت قبة يقع فيها ماء من أعلى تلك القبة ، فيكون له نشيش شديد كأنه يطغى نارا ، ثم يفيض هناك ولا يتبين . ثم داروا فوجدوا بيتا مسدودا لا يظهر له باب غير حجر صلد ، وفيه دوى شديد لا يدرى ما هو ، ووجدوا عنده شبه المطهرة الكبيرة فيها ماء ودنانير ، منقوش في الوجه الواحد صورة أسد وفي الوجه الثاني صورة طير ، فأخذوا من تلك الدنانير شيئا ، فلم يقدرُوا على حركة ولا كلام حتى تركوها في موضعها .

وأما البرابي ففيها من الطلسمات والكتابة ، وعمل الصناعات وتصوير جميع الآلات وتعليم جميع الصناعات ، كل ذلك منقوش في الحجر الصلد ، وإن الناس يمشون إليها فيأخذون فوائد كثيرة (١) . قال الوصيفي (٢) : رأيت في برني إخميم صورة عقرب فألصقت عليها شمعا فلم أتركها في موضع إلا أن انحاشت العقارب إليها من كل موضع ، وإن كانت في تابوت اجتمعت

(١) « المحور » ناقصة في ب .

(١) أنظر البكري ، المخطوط ، ص ١٥

(٢) أننا لا نعرف شيئا دقيقا عن هذا المؤلف . وكل ما يذكره المقرئ الذي يأخذ عنه

كثيرا من معلوماته هو أنه يسميه الأستاذ إبراهيم بن وصيف - شاه (الخطط ، ج ١ ص ١١١ ، ١٣٥) . أما عن مصنفه عن المجائب فلقد ترجمه Carra de Vaux ترجمة جزئية (L'Abrégé des Merveilles. Paris, 1908) . وحسب ما حققه Seybold كان ابن وصيف شاه يكتب حوال سنة ١٠٠٠ ميلادية (أنظر Orientalische Litteratur Zeitung, Mai 1908, p. 146) .

هو الالهوت و الله . فلما راى بعض اهل البيت الى ائمة فوجاهت
 تلك الصورة فادبرت و افسدت . و فى هذا البرق ، عند الباب الذى يدخل
 به الى المصعد . على يسار الداخل ، صورة رأس إنسان عظيم اللحية كثير الشعر
 اتاه رأس روحى بغير جسد ، فذكر أن الأولين كانوا يبخرون ذلك الرأس ،
 و هو لهم معروف عندهم ، فكل من بخره وجد عنده دينارا ، فكان فى ذلك
 صورة لأهل المسألة . قال الوصيفى : تصفحت الموضع الذى بقرب ذلك الرأس ،
 فوجدت أثر البخور والطيب بينا فيه . و ذكر أن على باب إخم طلم ،
 و هو قطعة من الحجر فى صورة القلنسوة ، معقبة الرأس كأنه منقار طائر ،
 قال إن نعمة مال عظيم ، وقد جهد جماعة من الولاة على إخم فى قلعتها
 أو تسرها فلم يقدرُوا على ذلك ، و تنكسر المعاول كلها ولا يتلثم منها شئ .
 و أخبرنى رجل بأنه رأى هنالك صورة استحسناها ، و هى صورة إنسان
 على رأسه طائر و إلى جنبه كلب رابض و تحت رجليه كتابة ، قال فأخذتها و صورتها
 و فرمىها كما رأيته فأقمت ثلاثة أيام فلم أهجع ولم آكل ولم أشته شيئا
 من الطعام ولم أدر ما السبب لذلك حتى فكرت فى الصورة التى عندى فنزعته عنى
 فاشتيت الطعام و أكلت و نمت (١) . و حدث رجل من أهل إخم أن رجلا
 من أهل المشرق نزل عندهم و كان بصيرا بهذه العلوم فتذاكروا معه أمر الربى
 فقال ذلك المشرق لبعضهم إن وجدت فى صورة إنسان عريان مؤثر بمنزلة
 و فى يده اليمنى فأس له رأسان و فيه ورقة معلقة فأنسخه لى و ما حوله من الكتابة .
 قال ففعلت ذلك و أتيت بها إليه و سألته عن خاصيتها ، فأطعمنى (١) فيها
 و قال ليس ينتفع عندها أو تفسد الربى . قال فشيت إليها فخدشتها بمنقار
 حتى أفسدتها و طمسها ثم سألته عن علمها فخلط على ولم يعطنى فائدة . فلما كان
 بعد ذلك تحدثت به مع قوم أهل المشرق فتلهف أحدهم فسألته عن أمرها فقال
 إن تلك الصورة إذا جعلت فى موقع فيه كنز ارتفع من الموضع غبار فيعلم
 أن فيه خيرا و هى دلالة على الكنوز فغمنى أن كنت أفسدتها . وكذلك يتحدث
 أهل سمنود عن الربى الذى عندهم (٢) بعجائب كثيرة منها أن بعض من دخله
 كتب على كفه صورة من تلك الصور أعجبه ، فأطبقت عينه الواحدة حتى أتاه
 من كتب على كفه الصورة المحاذية لها فانفتحت عينه .

(١) ج : فأطعمنى .

(١) هنا يوجد غرم فى مخطوط البكرى لا نعرف مداه . قارن المقرئى ، المخطوط ،

ج ١ ص ٢٤٠

(٢) عن برى سمنود أنظر فيما سبق ص ٥٨ و هامش ٢

قال الوصيفي : وأخبرني من أثق أنه رأى برابي صورة صورة الشيطان في صورة
بهما سلسلة بكتابة ، وهما تمسكان طرفي السلسلة وبينهما كتابة ، قال : فصور
ذلك كما هو ، وأمسكته عندي إلى أن جاءني من عرفها ، فقال لي : هذا حرز عظيم
من جميع السباع ، ومن كل من يروم الإذابة ، ولوجعل على هذا الطلسم لحم ، وجوع
كلب أو سبع وقرب منه لم يقدر على (١) أخذ شيء منه بوجه ولا بحال ، قال
فعجبت من قوله فامتنحت الطلسم فوجدته كما قال . ومن المتعارف عند أهل
الإجم ، أنه كان في البربي الذي كان عندهم ، صورة شيطان قائم على رجل واحدة
وله يد واحدة قد رفعها إلى الهواء ، وفي جبهته وحواليه كتابة ، وله إحليل ظاهر
ملتصق بالحائط . فقل من احتال لذلك الإحليل حتى ينقب عليه ، وينزعه
من غير أن ينكسر ، ويعلقه في وسطه لم يزل منعظا إلى أن ينزعه ، ويجمع ما أحب
ولا ينكس ما دام عليه . وقيل إن ابن الغمر لما ولي إجم أخبر بذلك ، فطلب تلك
الصورة في البربي فلم يجد منها غير واحدة قرب سقف البربي ، فاحتال عليها حتى
أخذ الإحليل ، فكان يستعمله فيخبر عنه بعجب ، وقيل إنه كان في البربي منه
صور كثيرة فلم [تزل] تؤخذ حتى فقدت (١) .

قال الوصيفي : حدثني من أثق أنهم وجدوا في بعض البرابي أشنانه زجاج
أحمر مربعة الشكل موضوعة في طاق وفيها ماء أصفر ، فلم يدروا لم يصلح ذلك
الماء فاهرقوه منها ، وأخذ أحدهم تلك الأشنانه . قال فأقامت عنده مدة إلى أن
رآها رجل غريب نزل عليه ضيفا ، فاستظرفها فسأله عنها فأخبره بخبرها وبخبر
الماء الذي كان فيها ؛ فتلهف ذلك الرجل على الماء ، وقال أضعتم علما عظيما وخيرا
كثيرا . وقال إنكم لو حميتم الفضة وغستموها في ذلك الماء لصارت ذهبا ،
قال فندمت على التفريط في ذلك الماء . ثم قال لي أتريد أن أريك في هذه الأشنانه
عجبا ؟ قلت نعم قال زنها ، قال فوزنتها فوجدت بها ٤ أرطال سواء ، فقال لي
املاها ماء أو ما أحببت ، قال ففعلت ، قال لي زنها فوزنتها ، فوجدت وزنها واحد
وهي ممتلئة مثل وزنها وهي فارغة ٤ أرطال لا تزيد ولا تنقص شيئا (٢) ،

(١) « لم يقدر على » ناقصة في ب .

(١) قارن المقرئ ، الخطوط ، ج ١ ص ٢٥ ، ٢٤٠

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٤ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٤٧

فقد كان ذلك وشاع من هذا من قبل من الأولاء وهو إلى ما سندها منى .
 و كان في هذه البراني محاذ من الملائكة في ورش في قد درس أكثرها . وتهدم
 البراني . وأما الأهرام فهي بأفريقية على حالها ما احتل منها شيء ؛ فيقال إن كل
 ما يهدم من هذه المباني كل وتغير . مثل برني بوصير (١) وبرني سمنود وغير ذلك
 من المباني كل . أن المنجمين تركوا الاستقصاء في أخذ الطالع وتصحيحه في وقت
 وضع الأساس . وكذلك ما بقي منها فللقرب الطالع من الصحيح . ولا شك
 أن الذين بنوا هذه البراني كانوا على بعد من الملوك ، ولم يكونوا يحضرونهم ولا
 منظرهم . فيستقصوا النظر كما اتفق في بناء الأهرام . وكان بالقرب من صاحب
 مصر فكان يتفقدتها . والبراني أكثر إنما هي في الكور . قيل ولكل برني
 من هذه البراني خاصة ومنفعة في الموضع الذي يكون فيه وما إلى جهته ؛
 وأهل تلك الديار لا يشكون أنه لما هدم برني سمنود ، وحملت حجارته إلى أشتوم
 دمياط (٢) ، أن اليوم الذي فرغ فيه من هدم الحائط الغربي ، دخل حباسة
 الإسكندرية وخر بها (٣) ، وكثرت الرمال في أسباب البحر بها حتى انقطع النيل
 عنها في شهور الصيف ، وكان يمر عليها صيفا وشتاء ؛ وقلت زكاة الزرع
 وكثر الفأر فيه والجراد والفساد الذي لم يعهد قبل ذلك . ومن العجائب
 المذكورة بأرض مصر في قرية يقال لها بدرسنة (١) ، كنيسة قديمة للروم
 فيها بيت يصعد إليه في نيف وعشرين مرقى ، وهناك سرير عليه صبي ميت ،
 وتحت السرير صورة ثور عظيم من زجاج في جوفه باطية زجاج فيها أنبوبة
 نحاس موضوع فيها فتيل كتان ، ويصب عليه يسير زيت فما تلبث أن تمتلئ

(١) « بدرسنة » غير مقروءة في ب .

(١) كانت هناك أربع مدن تحمل اسم بوصير ؛ ونعتقد أن بوصير المذكورة هنا هي التابعة
 لمدينة سمنود والتي كانت شهيرة بمعبدها القديم . أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٦ .
 وقارن البكري ، المخطوط ، ص ٥٧ ؛ Quatremère, Mém. géog. et hist., t I, p. 112

(٢) أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٧٦

(٣) هو حباسة بن يوسف قائد عبيد الله الفاطمي . ولقد نجح في محاولاته الأولى من أجل
 دخول مصر لحساب سيده في دخول الإسكندرية على رأس مائة ألف مقاتل ، وذلك في ٨ من
 المحرم سنة ٣٠٢ هـ = أغسطس سنة ٩١٤ . الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٢٦٩ ؛
 ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦ ، المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٧٢ ؛ السيرطي ، حسن المحاضرة ،
 ج ٢ ص ١٩٨ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ١٨٢

الباطية من الزيت حتى يفيض إلى جوف الثور ، فإثما . ثم الكاهنة ذلك الزيت دائماً ، فيسرج منه قناديل الكنيسة كلها ، ولا ينقطع نهاره ولا يادله على مرور الدهور والأيام . فإن أزيل الصبي الميت ، طفيت النار ولم يفيض الزيت ، فإذا أعيد عاد الزيت إلى ما كان عليه . وقد سار إلى هذه الكنيسة جماعة من الناس رأوا ذلك وأفرغوا الباطية ثم أسرجوها بيسير من الزيت ، ففاضت وبدأ منها ما ذكرنا .

ثم نرجع إلى ذكر الملك شوندين (١) .

قال فلما هلك الملك شوندين بعد أن ملك ١٣٥ سنة ودفن في الهرم الغربي ، ملك بعده ابنه قمناوش وكان جباراً ظلم وجار وسفك الدماء واغتصب النساء ، واستخرج كثيراً من الكنوز ، فبنى بها قصور الذهب والفضة ورصعها بالجوهر الغالية ، وعمل بركاً فصب فيها الجواهر وأرسل عليها الماء ، وفعل من مثل هذه الأشياء ما لم يفعل غيره من الملوك ، واستجهل من مضى من آبائه ، واستعبد الناس واستخف بالهياكل . فلما هلك ملك بعده ابنه فترك الظلم وتحبب إلى الناس ، وطلب العلم (١) وأعاد الهياكل كل إلى ما كانت عليه في أزمان أجداده ، وجمع المنجمين والكهان ، وعملت في أيامه من العجائب والغرائب ما كانت تعمل في أيام آبائه (٢) ، وملك مدة ولم يكن له ولد . وطلب النسل من ٣٠٠ امرأة ، فلم يقدر عليه لأن أرحام النساء عقمت في أيامه . وفي وقته شاع خبر نوح عم . قال فلما لم يكن له ولد ولا أخ ، خاف على ذهاب ملكه فأشرك في أمره فرعان ، وكان من بني عمه ، وكان أحد الجبابرة ففتح البلاد وقهر الأمم ، فوافقته امرأة من نساء الملك على أن يقتل الملك ويلى الملك ففعل ، واحتوى على الملكة فتجبر وعلا وقهر . وأصل الفراعنة مشتقة منه ومن اسمه (٣) .

(١) هنا يوجد غرم قدره حوالي صفحتين في ج . (أنظر هامش ١ ص ٦٦) .

(١) أنظر ابن رسته ، ص ٨١ ؛ المقرئى ، الخطط ، ج ١ ص ٣٢ ، ٣٧ .

(٢) هنا ينتهى غرم البكرى (أنظر هامش ١ ص ٦١) .

(٣) عن كلمة فرعون يقول المسعودى (مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤١٤ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٦٩) : « سألت جماعة من القبط بالصعيد وغيره من أهل الخبرة عن تفسير فرعون فلم يخبروني عن معنى ذلك ولا تحصل في لغتهم . فيمكن والله أعلم أن هذا الاسم كان سمة =

وَنَسَبَ إِيَّاهُ وَوَصَّاهُ فِي ذَلِكَ بِمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَمَرَ نُوحًا بِمَنْعِ
إِلَهِهِ فَرَحَانَ بِشِيرٍ عَلَيْهِ بِقَتْلِ نُوحٍ فَهَلَكَا فِي الطُّوفَانِ .

ذكر أول من نزل مصر بعد الطوفان

قال إن أول من نزل مصر بعد الطوفان مصر بن ينصر بن حام بن نوح
عم ، الدعوة سبقت له من جده نوح عم . روى عن ابن عباس أنه قال دعا نوح
مصر بن ينصر بن حام ، وهو أبو القبط ، فقال : « اللهم بارك فيه وفي ذريته
وأرضه الأرض المباركة ، التي هي أم البلاد وغوث العباد ، التي نهرها أفضل أنهار
الدنيا ، واجعل فيها أفضل البركات وسخر له ولولده الأرض وذلها لهم وقوهم
عليها » . قيل وكان السبب في نزول مصر أرض مصر ، وبه سميت ، أن فليمون
الظاهر صدق نوحا عم وآمن بالله تعالى ، وسأل نوحا أن يحمله بأهله وولده معه
في السفينة فحملة . قال فلما انجلى الطوفان ، قال فليمون لنوح عم يا نبي الله اجعل
لي رفعة وقدرًا أذكر به بعدى ؛ فزوج نوح [مصر بن] ينصر بن حام من بنت
فليمون (١) فولدت له ولدا فسماه فليمون (١) على اسم جده لأمه . فلما أراد
نوح قسمة الأرض بين بنيهِ قال له فليمون : يا نبي الله إن بلدي خير البلاد
وأولى الناس به ابني مصر ، فابعثه معي إليه أظهره على كنوزه وأوقفه على علومه
ورموزه . قال فأنفذه معه في جماعة من أهل بلده ، قيل إن عددهم كان ٣٠ رجلا
فقطعوا الصخور وبنوا المصانع والمعالم ، وبنوا مدينة سماها ماقه ، ومعنى ماقه
٣٠ بلغتهم (١) وهي مدينة منف . وأطلع فليمون صهره مصر بن ينصر على

(١) الكلمات الواقعة بين (١) ، (١) ذاقصة في النص ولكنها موجودة في البكرى
(المخطوط ، ص ١٧) .

== ملوك تلك الأمصار ، وأن تلك اللغة تغيرت كتغير الفهلوية وهي الفارسية الأولى إلى الفارسية
الثانية » . وحسب الطبري (ج ١ ص ٢١٧) يكون الفراعنة من نسل العماقة . قارن البكرى ،
المخطوط ، ص ١٦ .

(١) انظر البكرى ، المخطوط ، ص ١٦ - ١٧ ؛ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ،
ص ٧ - ٨ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٨٠ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٣٥ ؛
النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٥١ - ٥٣ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٢٠ ؛ ياقوت ،
معجم البلدان ، ج ٤ ص ٦٦٧ ؛ ابن دقيق ، ص ١٣٠ .

كنوز مصر وعلومها : وعلمه خط البرابي ، وأخرج له المعادن من الذهب والفضة والزبرجد والفيروز وغير ذلك من الجواهر ، وأطلعه على عمل الصنعة في الجبل الشرقي فسمى به المقطم .

وتزوج الملك امرأة من بنات الكهنة ، فولدت له أربعة من الولد منهم قطيم وإليه عهد بعد موته . فلما حضرته الوفاة أمر أن يحفر له سرب بين جبلين طوله ١٥٠ ذراعا ، ويفرش بالمرمر ، ويجعل في وسطه مجلس مصفح بالذهب له ٤ أبواب ، على كل باب تمثال من الذهب عليه تاج مرصع بنفيس من الجواهر ، جالس على كرسي من الذهب قوائمه من الزبرجد . ونقشوا في صدر كل تمثال آيات عظاما وأسماء من أسماء الله تعالى مانعة من أخذه ، وجعلوا جسده في تابوت من زبرجد مصفح بالذهب ، وجعلوا معه في ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجد المخروط ، وألف تمثال من الجواهر النفيس ، وألف إناء مملوءة من الدر الفاخر . ووضعوا هنالك الصنعة الإلهية والعقاير السرية ، ومعها الطلسمات العجيبة ، وأكوام من سبائك الذهب بعضها فوق بعض ، ثم كتبوا على المجلس : « مات مصر بن ينصر بن حام بن نوح عم بعد ٧٠٠ سنة مضت من أيام الطوفان ، ولم يعبد الأصنام إذ لا هرم ولا أسقام ، ولا عوز ولا اهتمام ، وحصن مجلسه بأسماء الله تعالى العظام ، التي لا يصل إليها أحد من الأنام ، وكان يلين للملك الديان ، ويؤمن بالمبعوث بالقرآن ، الداعي إلى الإيمان ، الظاهر في آخر الزمان » . ثم دهموا ذلك بالصخور العظام وجعلوا فوقها الرمال ، وذلك بين جبلين متقابلين ، وجعلوا فيها علامات (١) .

ثم ولي ابنه قطيم وهو أبو الأقباط ، وكان (١) جبارا عظيم الخلق وفي أيامه هلكت عاد (٢) بالريح ، فكان ملكه ٤٠٠ سنة . وكان قد عمل

(١) هنا ينتهي الحرم الموجود في ج (أنظر هامش ١ ص ٦٦) .

(١) انظر البكري ، المخطوط ، ص ١٧ - ١٨ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٩٤ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٩ ، ٢٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٥٢ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٢٠ .

(٢) عاد هي القبيلة التي قضت عليها العاصفة كما هو مذكور في القرآن ، سورة ٨٦ ،

الوجه قبل موته سربا تحت الأرض معقودا على آراج في الجبل الغربي .
وكان في من السائر والعرائس والمائل . ومن العجائب والعجائب
التي سلكها . ١٦ كان في نواويس أبائه .

قال ، فما زال هؤلاء الملوك من ذرية . مصر بن ينصر يتوارثون
الملك . من سلف . إلى أن كان منهم ملك يسمى عديم . وكان عاقلا عالما ،
وكان من سبب ذلك أن امرأة ورجلا زنيا في أيامه . فأمر بهما
فصليا على منارين بينهما طعنا ، وجعل ظهر كل واحد منهما إلى ظهر الآخر .
ولما صليا بالطلبة مانعة لفناء جثتهما . وزبر على المنارين اسمهما وما فعلا . وتاريخ
الملك . الذي على بهما ذلك فيه ؟ فأنهى الناس في أيامه عن الزنا . وناووس عديم
هذا من أعجيب الدنيا . وهو في صحراء قفط (أ) على وجه الأرض . وهو قبة عظيمة
من رصاص أخضر براق ، معقودة على ثمانية آراج ، قدر قطرها (ب) ١٠٠ ذراع
وارتفاعها في الهواء ١٠٠ ذراع ، منحصر منحصرتها ما حولها من الأرض
على رأس القبة طائر من الذهب منشور الجناحين موشح بجوهر نفيس ، وهو
طائر تلك القبة ، يمنع الوصول إليها وإلى ما فيها . وذكر أن قوما قصدوا ذلك
الناووس في صحراء قفط ، ورأوا القبة وعابثوا ما فيها ، وأقاموا عليها أياما
لا يتقدرون عليها ، وكانوا منها على قدر ٨ أذرع ، وكانوا إذا قصدوها (ج) دارت
الفة على يمينهم وشمالهم . وذكروا أنهم عابثوا ما فيها من العجائب ، وأنهم رأوا
الملك وهو على سرير من ذهب ، مشبك عليه ثياب منسوجة بالذهب منظمة
بمس الجواهر ، وهو مكشوف الوجه ، فقدروا وجهه بذراع ونصف ، وقدروا
طول بدنه بـ ١٠ أذرع ، وله لحية كبيرة . وفي جانب القبة ١٧٠ مصحفا
من مصاحف الحكمة ، وفيها ٧ موائد على كل مائدة أوانيها : فمنها مائدة درماني
وآنيها منها ، ومنها مائدة ذهب أحمر يختطف الأبصار وهو الذهب الذي يعمل
به تيجان الملوك وآنية المائدة منها ، ومنها مائدة من حجر الشمس المضيء
وآنيها منها ، ومائدة من الزبرجد الذي إذا نظرت إليه الأفاعي سالت عيونها ،
ومنها مائدة كبريت أحمر مدبر على ما ذكره من تدبيره في مصاحف حكمتهم
وآنيها منها ، ومائدة ملح أبيض براق (د) يكاد نوره أن يخطف الأبصار

(أ) القراءة في النص « نبط » ولكننا فضلنا قفط حسب البكري (المحفوظ ،

ص ٢١) والمقرئ (المخطوط ، ج ١ ص ٣٣) .

(ب) « قمارها » ناقصة في ب . (ج) الحملة الأخيرة ناقصة في ب .

(د) الحملة الأخيرة ناقصة في ب .

وآنتها منها ، ومنها مائدة زئبق معقود وحافاتها ولواكها زئبق أصفر معقود وآنتها من زئبق أحمر معقود . وقيل وجعل معه في القبة جواهر عظيمة ، وأواني من الفضة المدبرة ، وجعل حوله سبعة أسياف صاعقية وسبعة كاهنية ، وفي القبة معه تماثيل أفراس من ذهب ، وعليها سروج من ذهب ، وعدة تواييت مملوءة بالدنانير التي ضربها وصور عليها صورته . وفي تلك القبة أشياء من العجائب والفرائب يطول وصفها (١).

وقيل إنه ملك من ذرية هؤلاء الملوك ملك يسمى ساوس ، وهو أول من عبد البقر . وقيل إن السبب في ذلك أنه اعتل بعلة يثس فيها من نفسه ، وأنه رأى في منامه صورة روحاني عظيم الخلق يخاطبه ويقول له : لا يخرجك من علتك إلا عبادة البقر ، لأن الطالع كان حلوله بك في صورة ثور . فأمر ذلك الملك بأخذ ثور أبلق حسن الصورة ، فبنى له مجلسا في وسط قصره عليه قبة مذهبة ، ووكل به سادنا ، وكان يبخره له ويطيئه . وكان يعبده سرا من أهل مملكته ، فبرا من علتة وعاد إلى أحسن حاله . وقال آخرون وكان السبب في ذلك أن هذا الملك كان يتفقد بلاده ويطوف عليها ، وهو أول من عملت له العجل ، وعملت عليها قباب من خشب مذهبة وفرشت بالفرش . وكانت البقر تجره فيطوف على جميع بلاده ، فإذا مر بالمكان الحرب أمر بعمارته . فقيل إنه نظر ذات يوم إلى ثور من تلك البقر التي كانت تجر تلك العجلة التي كان فيها الملك ، وكان ثورا أبلقا حسن الهيئة ، فأعجبه فأمر بإزالته من جر العجلة وسوقه بين يديه ، وجعل عليه حللا من فاخر الديباج . فتفرد به يوما ينظر إليه ، فبينما هو قائم بين يديه يخاطبه الثور فقال له : لو رفعتني أبها الملك كفيتك جميع أمورك ، وأعتك على ما تريد ، وقويتك على ملكك وأزلت عنك جميع علك . فارتاع الملك من كلامه ، وأمر به حينئذ وغسل وطيب وبنى له هيكلًا ، وأمر بعبادته . وكان في ذلك الثور آية أنه لا يروث ولا يبول ولا يأكل إلا أطراف ورق الشجر مرة واحدة في الشهر . قال فافتتن الناس به ، وصار ذلك أصلا لعبادة البقر بأرض مصر . وصار ذلك الثور يعبد مدة ثم إن ذلك الثور أمرهم أن يصنعوا صورة مثل صورته من ذهب مجوفة ، ويؤخذ من رأسه شعرات ومن ذنبه ومن تحت قرونيه ومن أظلافه ويجعل في ذلك التمثال . وعرفهم أنه لاحق

(١) انظر ابن وصيف - شاه ، الترجمة ، ص ٢٤٧ . وقارن البكري ، المخطوط ،

ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ٣٣ ، ١٣٧

أماله ، وأمرهم أن يعبدوا جسده في حرا من حجارة وينصب في الهيكل ، وينصب
 أماله عليه ، ويكون ذلك وزحل في شرفه ، والشمس مسعودة تنظر إليه
 من ثلث ، والقمر زائد ، وتنقش على التمثال علامات الكواكب السبعة . فأمر
 الملك فعملت صورة الثور من ذهب ، وكللت بأصناف الجواهر ، وصنعوا سائر
 ما أمرهم به ذلك الثور ، وفي الوقت الذي حدد لهم . وكان ذلك التمثال يخبرهم
 بالمعجائب وما يحدث وقتا وقتا ، ويخبرهم عن جميع ما يسألونه عنه ، فعظم أمر
 ذلك التمثال ، فنذرت له النذور وقربت له القرابين ، وقصده الناس من الآفاق
 فكان يخبرهم بما يريدون . وبقيت عبادة البقر سنة في دولة ذلك الملك يتوارثونها
 عاف عن سلف (١) ، إلى أن ملك منهم ملك يقال له ما ليق ، وكان موحدًا
 على دين من سبق من أجداده ، قطيم ومصر ، فكانت القبط تدمه لذلك ، وكانت
 القبط تعبد الكواكب والبقر . وكان هذا الملك يستعمل الغزو والجولان على البلاد ؛
 وأرغم بعض أهل مصر أن الله تعالى أيده بملك من الملائكة يوعظه ويرشده ، وربما
 أناه في نومه فأخبره بالأشياء وأمره ونهاه . فجمع جيوشا عظيمة وأخذ سفنا
 كثيرة في البحر ، وغزا جموع البربر برا وبحرا وهزمهم وأستأصل أكثرهم ، وبلغ
 البربرية وقتل أكثر أهلها وكانوا على الكفر . واتخذ في بحر الروم ٤٠٠ سفينة ،
 وكان لا يمر بأمة إلا أبادها إلى أن غزا بلاد الأندلس . ومشى إلى بلاد الأفرنج
 وكان بها ملك عظيم ، فحشد أمم نواحيه وأقام يحاربه شهرا ثم طلب السلامة
 والأمان ، وأهدى إليه هدايا كثيرة . فسار عنه ودوخ الأمم المتصلة بالبحر
 الأخضر وأطاعه أكثرها ، وعمل أعلاما على البحر الأخضر ، وزبر عليها اسمه
 وتاريخ الوقت الذي عملها فيه . وخرب مدن البربر حيث كانت حتى الجاهم
 إلى ذرى الجبال ، ثم رجع إلى مصر ، فتلقيه أهل مصر بصنوف اللهو والطيب ،
 وفرشت له الطرقات بأنواع الرياحين والأزاهير ، ودخل قصره وهو غانم موفور ؛
 وذلك صنع الله لمن وحده ولم يشرك به شيئا . وأمر أن يبنى له ناووس فكان
 يعبد فيه ، فلما حضرته الوفاة أمر أن يدفن فيه ، وألا يدفن معه ذهب ولا فضة
 ولا جواهر . فلم يدفن معه سوى الطيب ، وصحيفة مكتوبة بخطه : هذا ناووس فلان

(١) قارن البكري ، المخطوط ، ص ٢٤ ، المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ١٣٨

ابن فلان الملك، مات مؤمنا بالله لا يعبد معه غيره، بريئا من الأصنام وعبادتها، مؤمنا بالبعث والحساب والمجازاة على الأعمال، فمن أحب النجاة من عذاب الآخرة فليؤمن بما أومن به (١).

وكان من ذرية هؤلاء الملوك، كلكتن الملك الجبار، كان يعقد التاج على رأسه، وكانت دار مملكته منف، وهي كانت دار الملوك قبله. وكان يحب الحكمة، وإظهار الحكمة والعجائب، ويقرب العلماء والمنجمين وأهل الصنعة، فلم تعمل الكيمياء قط في وقت من الأوقات كما عملت في أيامه، حتى أستغنى أهل ذلك العصر عن معادن الذهب فلم يشتروها، ولم يكن الذهب أكثر منه في أيامه، ولا الصنعة أقوى منها في وقته. كان يطرح المثقال من مثاقيل الكيمياء على القناطير الكثيرة من الفضة فيصبغها. ويحكى القبط عنه أنه اخترع أشياء تخرج عن حد العقل حتى أنهم يسمونه حكيم الملوك، غلب جميع الكهنة في علمهم حتى كان يخبرهم بما غاب عنهم فخافوه. وفي وقته كان نمرود إبراهيم الخليل عم (١)، وكان نمرود جبارا شديدا البأس، وكان ملكه بالعراق، وكان قد أوتي قوة وبطشا فغلب على أكثر الأرض، فأراد أن يستوزر كلكتن الملك. وبعث إليه في ذلك فخافه كلكتن وأجابه إلى ذلك، ووجه إليه أنه يريد أن يلقاه منفردا من أهله وحشمه، ليريه من حكمته وسحره، فسار النمرود إلى موضع يلقاه فيه كلكتن. فأقبل كلكتن تحمله أربع أفراس ذوات أجنحة، وقد أحاط به نور كنار، وهو في صورة مهيبة، فدخل بها وهو متوشح تنينا عظيما، والتنين فاغرقاه، ومعه قضيب آس، فكلما رفع التنين رأسه ضربه بالقضيب الذي بيده، فلما رأى النمرود هاله ما رآه، واعترف له بجليل حكمته وسأله أن يكون له ظهيرا ففعل. وتزعم القبط أن كلكتن الملك كان يجلس إلى الهرم الغربي، وهو أعظم الأهرام، في قبة على رأس الهرم. وكان يجمع إليه رعيته وحشمه ويأمرهم وينهاهم من أعلى الهرم، ويقم

(١) الحملة الأخيرة ناقضة في ب.

(١) أنظر ابن وصيف - شاه، الترجمة، ص ٣١٣، البكري، المخطوط، ص ٢٧ - ٢٨، المقرئ، الخطط، ج ١ ص ٣٦، ١٣٩، ١٤٠، النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٦٢، السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٠، ابن عبد الحكم، ص ٩، المسعودي، مروج الذهب، ج ٢ ص ٣٩٥. حسب ابن الفقيه (ص ٦٧) كانت مملكة فرعون تمتد غربا حتى تشمل بلاد المغرب والأندلس.

ملك المومنين انما كان له في الدنيا ما يشاء ، ثم إنه غاب عنهم فلم يقفوا على موته
ولا على شيء من أمره ، وانما انما كان له في الدنيا ما يشاء ، ثم إنه غاب عنهم فلم يقفوا على موته
أما مقامه في الآل والشراب والرياسة ، غير ناظر في شيء
من الحكمة . وانما انما كان له في الدنيا ما يشاء ، ثم إنه غاب عنهم فلم يقفوا على موته
إليه . وكان للمالكا ولد كان أكبر ولده ، وكان جبارا جريئا شديدا البأس ، وكان
بجهل أباه نالوده إلى الراحة ، فأعمل الحيلة في قتله وحملته على ذلك أمه وبعض
وزراء أبيه ، فهجم على أبيه في رواقه وهو سكران فقتله ، وقتل معه امرأة له
من بنات المالوك كانت قد غلبت على أمره ، فقتلها وصلبها وجلس على سرير ملك
أبيه . وكان مهيبا شديدا البأس كثير القتل ، فزعم القبط أنه أول الفراعنة بمصر ،
وأنه فرعون ابراهيم عم (١) .

والفراعنة سبعة وهو كان أولهم . وقيل إنما سمي فرعون لأنه أكثر القتل
حتى قتل قرابته وأهل بيته وخدمه ونسائه وكثيرا من الكهنة والحكماء . وكان
حريصا على الولد فلم يرزق ولدا غير ابنة واحدة سماها حورية ، وكانت
عاقلة حكيمة ، وكانت تسدد أباه كثيرا ، وتمنعه من كثير من الشر والقتل . فلما رأت
أمره يزداد فسادا خافت على زوال ملكه فسمته ، فمات بعد أن ملك سبعين سنة .
فتنازعوا في تملكها عليهم ثم اجتمعوا عليها إلا أهل مدينة أبريت فانهم ملكوا
عليهم رجلا منهم ، وكان من ولد أبريت بن مصر الملك المتقدم الذكر ، وبه سميت
مدينة أبريت ، يقال له أبراحش . فجرت بينهم حروب كانت الدائرة فيها على
أبراحش ، فهرب خوفا من حورية إلى الشام ، وكان بها الكنعانيون من ولد عمليق ،
فاستغاث بملكهم فأخبره بأمره وقرب عليه مصر ، وسول له تصييرها إليه .
فجهز ملك الشام مع أبراحش جيشا عظيما (١) ، وقدم عليه رجلا من قواده ، فلما
قرب من مصر بعثت حورية (١) طيرا لها إلى جيرون تقول له : إن فلانة سمعت
بك وأحبتك ، وهي تريد زواجك وأن تكون لها أهلا ، وتعطيك بلاد مصر . فسر
جيرون بما سمع منها ورغب فيما قالت له ، ثم عقدت معه أن يقتل أبراحش . فقال

(١) الجمل الواقعة بين (١) ، (١) فاقصة في ب .

(١) البكري ، المخطوط ، ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢
ص ٣٩٦ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ٩ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٣٦ - ٣٧ ، ١٤٠

لها وكيف أصنع؟ فأخرجت له سما ، فسم به أبراحش لما مات ، في الحبس ، فلما أراد أن يصل إليها بعثت إليه أنه لا يجوز أن أتزوجك حتى تظهر في بلادى قوتك وحكمتك لكي أعذر في زواجك ، وأريد أن تبني لي مدينة عجيبة أدخل معك فيها ، فإني أكره الدخول عليك في بلادى وبين أهل بلادى . وأن مدينة في بلاد مصر كانت لأوائلنا قد خربت ، فانظر موضعها واطهر حكمتك فيها ، وبعثت معه من بريه الإسكندرية .

قبل فجد جيرون في بنائها ، وبعثت إليه حورية من مصر مائة ألف صانع ، فأقام في بنائها مدة وأنفق جميع ما كان معه من المال ، فلما فرغ من بناء المدينة ، وجه إليها يعلمها بتمام المدينة ويحثها على القدوم عليه . فوجهت إليه فرشا كثيرة فاخرة وآلات عجيبة ، وقالت له : « قسم جيشك أثلاثا وابعث الثلث الأول ، حتى إذا بلغت نصف الطريق فابعث إلى الثلث الثاني ، فإذا بلغت الثلثين من الطريق ، فابعث إلى الثلث الثالث حتى يكون الجيش من ورائي ومن أمامي ، لئلا يراني أحد إذا دخلت عليك ؛ ولا أحب أن أجد معك سوى صبية تخدمك . ثم أقامت تجهز له الجهاز والأموال حتى أيقن بإقبالها ، فوجه إليها ثلث جيشه . فعملت لهم الأطعمة والأشربة المسمومة وخرجت إليهم في خيولها وخدامها ، فلما لقوها أنزلتهم وأمرت حشمها فأقبلوا عليهم بالأطعمة والأشربة والطيب ، كل ذلك من مسموم ، فلم تصبح منهم عين تطرف (١) . ثم سارت فلقبها الثلث الثاني من الجيش ، ففعلت بهم كذلك . ثم سارت فلقبها الثلث الثالث ، ففعلت بهم مثل ذلك ، وهي تبعث إليه وتقول : إني بعثت الجيش إلى مصر بحفظها بعدى ، إلى أن دخلت على جيرون هي وطيروها وجواركن معها ، فرشقت طيرها عليه ، فارتعدت مفاصله وخارت قواه ، ولم يملك نفسه شيئا فأيقن بالهلاك ؛ وقال جيرون : « من ظن أنه يغلب النساء فقد كذبت نفسه » . فقيل إنها فصدته وأسالت دمه حتى مات ، فقالت : « دماء الملوك شفاء النفوس » . وأخذت رأسه فوجهت به إلى قصرها فنصبته عليه ، وحملت بيوت أمواله إلى منف دارمملكها ، وبنت حينئذ منار الإسكندرية ، وزبرت عليه اسمها واسمه ، وما أراد وما فعلت به ، وتاريخ الوقت الذي كان فيه ذلك . ويذكر في بناء منار الإسكندرية غير ذلك مما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى . قيل فلما اتصل خبر حورية بالملوك وما فعلت بالجيش الذي دخل بلادها ، هابوها وعظمت في أعينهم ، فمن كان

(١) الجملة الأخيرة ناقصة في ب .

وأزعمها وبروم أخذ بلادها كف عن ذلك فاشتد ملكها وعظم أمرها ،
وأملت حصونا على بلاد مصر من ناحية النوبة ، وعملت طلائع كثيرة وأعلاما
وأشياء كثيرة يطول وصفها (١) .

ليل فلما ضعفت حورية عن الملك عهدت إلى بنت عم لها تسمى دليفة . فلما
هاكت حورية ضعفت دليفة عن الملك ، وخرج عليها أيموش يطلب ثأر خاله
أبراحش ، واستنصر بملك العماليق صاحب الشام فأجابه ، وخرج في نصرته لما
كانت حورية فعلت بقائده وبجيشه فيما تقدم . وقدم جيش أيموش ، فخرجت
إليه دليفة تحاربه فغلبها ، فلما أيقنت بالغلبة سمت نفسها فهلكت في الحين .
ثم إن ملك الشام العمليقي غلب على مملكة مصر ، وكان اسمه الوليد بن دومع ،
وأصل العماليقة من العرب العاربة ، وكان شديد البأس فأباد الأمم ودوخ البلاد
حتى بلغ فيما يقال إلى جبل القمر الذي ينبعث من تحته النيل ، وإنما سمي جبل
القمر لأن القمر يطلع عليه أبدا لخروجه عن خط الاستواء ، وبلغ هيكल الشمس
وأرض الذهب ، وهي أرض تنبت قضبان الذهب ، واستعبد هذا الملك القبط
وملكهم ١٢٠ سنة ثم هلك . ويقال إنه ركب ذات يوم فرسا وخرج متصيذا
فركض به الفرس فقتله ، ودفن في بعض تلك الأهرام (٢) . ثم ملك بعده ابنه
الريان بن الوليد ، وهو فرعون يوسف عم ، والقبط تسميه نقراوش ، وكان عظيم
الخلق جميل الوجه عاقلا محسنا إلى الناس . لما ولي بعد أبيه أسقط الخراج عن
الناس ٣ سنين ، وفتح خزائن الأموال وفرق على الضعفاء فأحبه الناس وشكروه .
وكان يميل إلى الراحة وغلبت عليه اللذات ، وملك أمر الناس رجلا من أهل
بيته يقال له قطفير ، وهو الذي يسميه أهل الأثر العزيز . وقد ذكره الله تعالى
في القرآن العظيم في قصة يوسف عم (٣) ، وكان رجلا عاقلا حصيف الرأي
نزيه النفس مؤثرا العدل ، وأمر أن ينصب له في قصره سرير من الفضة يجلس

(١) ابن وصيف - شاه ، الترجمة ، ص ٣٢٢ . وقارن البكري ، المخطوط ، ٣١ - ٣٢ ؛
المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٩٦ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ٩ ؛ المقرئ ، الخطط ،
ج ١ ص ١٤١ . وعن الأساطير المختلفة الخاصة ببناء الاسكندرية أنظر فيما بعد ، ص ٩١
وهامش ٢

(٢) البكري ، المخطوط ، ص ٣٤ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ١١ ؛ المسعودي ، مروج
الذهب ، ج ٢ ص ٣٩٧
(٣) القرآن ، سورة ١٢ ، آية ٨٨

عليه والوزراء والكتّاب بين يديه ، وقام بجميع أمور الملك الريان وكفاه أحسن الكفاية ، والملك مشغول ببلذاته عاكف عليها ، قد صنعت له مجلس من الزجاج الملون ومن البللور الشفاف والبللور المصبوغ ، وأرسل حوالها المياه ووضع فيها السمك ، فكانت الشمس إذا وقعت على ذلك الموقع أرسلت شعاعا عجيبا يهر الغيونم وعملت له متزهات على النيل وعلى غير النيل على عدد أيام السنة ، وكان ينتقل (١) كل يوم إلى متزه منها ، وكان في كل متزه من الفرش الغريبة والآنية العجيبة ما ليس في غيره . وفي أيامه كان من أمر يوسف عليه السلام ما قصه الله تعالى في محكم تنزيله ، وخبره مع امرأة العزيز وهي زليخة بنت صاحب عين الشمس ، وعين الشمس مدينة عظيمة من مدن أهل مصر فيها عجائب . وكانت زليخة بنت عم العزيز ، واسم العزيز قطفير بلغة القبط ، واسم الملك نغراوش بلغة القبط ، وقد ذكر الله تعالى اسم العزيز في كتابه العزيز (١) .

ذكر ما نقله القبط من خبر يوسف عم

قبل إن في كتب توارىخ القبط أنه أدخل مصر غلام من أهل الشام كان قد باعه أخوته ، وكانت قوافل الشام تعرس بناحية الموقف (٢) اليوم ، فأوقف غلام فتودى عليه وهو يوسف عم فبلغ زنته ذهباً ، فاشتراه قطفير وهو العزيز ليهديه للملك . فلما أتى به منزله ورأته زليخة امرأته ، قالت له أتركه لنا نربيه ففعل ؛ فكان من أمر افتتانها به ما قصه الله تعالى (٣) إلى أن رأى الملك الرؤيا ؛ فأخرج يوسف من السجن ، وأمر بغسله وكساه الثياب الرفيعة ، وحمل إليه فلما دخل عليه ورآه امتلأ به سرورا وألقيت عليه منه المحبة والهيبة ، وسأله عن الرؤيا ففسرها له كما ذكر الله تعالى ؛ فقال له الملك ومن يقوم لي بذلك ؛ فقال له يوسف أنا ، فأني حفيظ عليم . قبل فرأى الملك امتحان يوسف عم ومعرفته فأمر له بعمل الفيوم ، وكان موضعا يفيض فيه ماء النيل ، فأقام تلك الأرض وأتى بتلك الحكمة

(١) « كان ينتقل » ناقصة في ب .

(١) القرآن ، سورة ١٢ آية ٨٨ ؛ الطبري ، ج ١ ص ٢٧٨

(٢) كان « الموقف » سوقا للحيوانات . انظر ابن دقاق ، ص ٣٤ . وقارن ياقوت ، معجم

البلدان ، ج ٤ ص ٦٨٨

(٣) القرآن ، سورة ١٢

المعجزة والآية البينة في ٤ أشهر ، وقيل في ٩٠ يوما ، وشق تلك الحلجان الثلاثة فلما فرغ يوسف عم من عمل الفيوم وأعلم بذلك الملك ، خرج هو ووزراؤه وأهل دولته ينظرون إلى ما صنع يوسف عم ، فلما نظر الملك إلى حكمة صنع ذلك الموضع في مائة يسيرة ، قال الملك لوزرائه : هذا عمل ألف يوم ، فسمى الفيوم من حينئذ . قيل فسر الملك بيوسف سرورا عظيما وخلع عليه وألبسه تاجا مكللا بفاخر الجواهر ، وأمر الجيش أن يركب معه ويطاف به و يرد إلى القصر ويجلس على سرير العزيز . وكان العزيز قد مات فاستخلفه الملك على ملكه ، وسماه العزيز وزوجه امرأته زليخة ، فدخل بها يوسف عم فوجدها عذراء فقال لها هذا أصلح مما أردت ، فقالت له اعذرني فإن زوجي كان عينا ، ولم تكن تراك امرأة في حسنك وجمالك إلا صبا قلبها إليك .

قيل فلما جاءت سنين الخصب أخذ يوسف في توفير الغلات والاستكثار من الأقوات ، وبني لاختزان الزرع مخازن عظيمة ، ويقال إن بعضها باق إلى الآن فإن الطعام كان يخزن بسنبله كما ذكر الله تعالى . فلما جاءت سنين الجذب ونقص الفيض النيل وتوالى نقصانه فأحسن يوسف عم السياسة والتدبير في تلك المجاعة ، وقسط بيع الزرع بين الناس فلا يبيع لأحد إلا بقدر حتى ساوى بين الناس ، ولولا ذلك لهلك الناس . وقيل إنه صار ليوسف جميع أموال أهل مصر بما باع منهم من الطعام ، فإنه باع منهم بالذهب والفضة والحلى والثياب والدواب والأبنة والعقار ، وبجميع ما بأيديهم من الأموال ، حتى أنه يقال إنهم باعوا منه أولادهم ونساءهم وأنفسهم حتى صاروا له كلهم عبيدا ، وتلك كرامة من الله أكرمه بها لأجل ما بيع يبلدهم (١) . فمن ذلك الوقت صارت أرض مصر كلها للسلطان ليس للرعية فيها ضيعة ولا فدان . وقد اعترضهم بعض ولاية مصر في أيام بني عبيد الذين كانوا بها قبل اليوم ملوكا ، وأراد أخذ ديارهم واحتج عليهم بهذا القول . قيل وقحط أهل الشام في ذلك الوقت ، فكان من أمر يوسف مع أخوته ما قصه الله تعالى في كتابه . فوجه يوسف عم إلى أبيه وحمله من الشام إلى مصر بجميع أهله وولده ، فلما قرب يعقوب عم من مصر خرج

(١) أنظر البكري ، المخطوط ، ص ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ؛ الطبري ، ج ١ ص ٢٧٦ وتابع ؛ ابن عبد الحكم ، ص ١٢ ، ١٣ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ؛ الاصلطخري ، ص ٥٠ ؛ ابن حوقل ، ص ٩٧ ؛ المقدسي ، ص ٢٠٨ ؛ المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ٢٤١ وتابع .

إليه يوسف في وجوه أهل مصر، وتلقاه وأدخله على الملك، وكان يعقوب هم نبيا جليلا فصيحاً فأعظمه الملك وأحبه . قيل فدعاه يعقوب إلى توحيد الله تعالى ونبد الأصنام ، وكان يوسف قد قدر عنده ذلك فتمكن من استبصار الملك وآمن . فيقال إنه كتم إيمانه خوفاً من ذهاب ملكه ، ثم لم يزل يعقوب عليه السلام مكرماً معظماً حتى حضرته الوفاة ، وذلك في حياة الملك الريان بن الوليد ، فأوصى يعقوب أن يدفن في مكانه ومكان آبائه بالشام ، فوضع في تابوت وخرج به يوسف ووجوه أهل مصر حتى بلغوه إلى موضعه . قيل فمنعهم عيصوم أخو يعقوب أن يدفنوه هناك لأن إسحاق عم آباهما وهب لعيصوم ذلك الموضع حتى اشتراه يوسف منه ودفن فيه يعقوب . ثم انصرف يوسف إلى مصر ، وولد له بعد ذلك أولاد كثير .

ثم هلك الملاء الريان واستخلف ابنه دريموس بن الريان ، وهو فرعون الرابع ويسميه أهل الأثر دارم ، وكان الملك الريان قد أوصى ابنه دريموس أن يبقى يوسف على ما كان عليه (١) من استخلاف وحجابه وأن يسمع من رأيه ، فبقى يوسف على ما كان عليه (١) . وكان الملك دريموس يسمع من رأيه غير أنه خالفه في دينه وما كان اعتقده أبوه ، فكان يخدم القمر لأنه كان طالعه ، فكان يصنع له أصناف الفضة وينصبها في قصر الرخام الذي بناه أبوه في شرق النيل . قيل وقبض يوسف عم بعد سنين من ولاية هذا الملك ، فجزع عليه جزعاً شديداً وكذلك أهل مصر ، وأمر الملك أن يكفن في ثياب الملوك ، وجعل في تابوت من رخام ، ودفن في الجانب الغربي من النيل عاماً فأخصب ذلك الجانب ثم نقل إلى الجانب الشرقي عاماً فأخصب أيضاً ذلك الجانب ، فلما ظهرت لهم بركته رأوا رأياً أن يجعل التابوت في وسط النيل ، فشده بالحبال ودلوه في وسط النيل فأخصب الجانبان كلاهما جميعاً (١) .

(١) الجمل الواقعة بين (١) ، (١) ناقصة في ج .

(١) قارن البكري ، المخطوط ، ص ٤١ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ص ٨٧ ؛ الطبري ، ج ١ ص ٤١٣ ، ٤٤٤ ؛ المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ٢٤٤

ويقال إن الملك الريان بن الوليد صاحب يوسف عليه السلام لم يمت
واله عايش إلى زمان موسى ، وإنه فرعون موسى عم المذكور في القرآن ، وإنه لما
أطال الله في عمره أدركه الإعجاب فتأله ودعا الناس إلى عبادته ، وقيل غير ذلك .
وتنازع الناس في أمر فرعون موسى عم ، فمنهم من رأى أنه من العماليق ، ومنهم من رأى
أنه من لحم من الشام ، ومنهم من رأى أنه من الفرس من مدينة اصطخر ، ومنهم من
رأى أنه من ولد مصر المتقدم المذكور والقبط أثبتت ذلك ، وزعم قوم من الأعاجم
أنه من الأندلس من مدينة قرمونة ، وذكر أن اسمه الوليد بن مصعب . وكان
محبب ملكه أنه دخل مدينة منف (أ) من البادية يحمل خمرًا للبيع على أتان له ،
وإن أهل منف (أ) قد اختلفوا في (ب) تولية ملك عليهم فأجمعوا أن يملكوا أول
من يدخل في ذلك اليوم ، فكان أول داخل (ب) ذلك اليوم على باب المدينة
فرعون ، فولوه الملك . ومدينة منف كانت في ذلك الزمان قاعدة مدن مصر ودار
ملكها ، فلما تمكن ملك فرعون ببلاد مصر بذل الأموال وجمع الجيوش وقتل
من خالفه وناوأه ومدن المدن وخندق الخنادق فاستقر له الأمر ، وكان جبارا
معجبا يدعو الناس إلى عبادته ، ويقول لهم أنا ربكم الأعلى كما حكى الله تعالى
عنه في كتابه العزيز (١) . واستعبد بني إسرائيل فكان من أمره مع موسى ما قصه
الله تعالى . ثم ملك موسى بلاد مصر والشام (ج) لبني إسرائيل يتوارثونها ملك عن
ملك ، ومنهم كان داود وسليمان عم إلى أن بعث الله تعالى عيسى عم ، وظهر
دين النصرانية ، ملك أرض مصر النصارى وكانوا يتوارثونها ملك عن ملك
إلى أن جاء الله تعالى بالإسلام ، فدخل المسلمون بلاد مصر وملكوها في أيام
عمر بن الخطاب رضي .

(١) الجمل الواقعة بين (أ) ، (١) ناقصة في ب .

(ب) الجمل الواقعة بين (ب) ، (ب) ناقصة في ب .

(ج) « الشام » ناقصة في ب

(١) القرآن ، سورة ٢٠ ، آية . وقارن البكري ، المخطوط ، ص ٤٢ ؛ إ

هذا الحكم ، ص ١٨ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٩٧

عن مدينة منف أنظر فيما بعد ص ٨٣ وهاش ٢

ذكر فتح مصر

قال عبد الرحمن بن عبد الله بن [عبد] الحكم (١) : لما كان سنة ١٨ من الهجرة [٦٤٠ =] في خلافة عمر بن الخطاب رضه وقدم عمر رضه الجابية ، خلا به عمرو ابن العاص وقد كان دخل مصر في الجاهلية وجرى له بها خبر الكرة (١) ، فكان عمرو بن العاص يعرف أحوال مصر ، فجعل يعظم عند عمر بن الخطاب أمرها ، ويعرفه بكثرة جبايتها ويهون عليه أمرها وفتحها ، حتى ركن لذلك عمر رضه . فعقد له على ٤٠٠٠ وجهزم معه ، وقال له : «سير وأنا مستخير الله تعالى وسيأتيك كتابي سريعا بما أرى إن شاء الله تعالى ، فإن أدركك كتابي آمرك فيه بالانصراف قبل أن تدخل أرض مصر فانصرف ، وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصر به» . فسار عمرو بن العاص في جوف الليل ولم يشعر به أحد ، ثم استخار عمر فكانه تخوف على المسلمين فكتب إلى عمرو يأمره بالانصراف بمن معه ، فأدركه الكتاب وهو في رفح فتخوف عمرو إن قرأ الكتاب يكون فيه الأمر بالانصراف ، فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش ، فسأل عنها ف قيل له إنها من أرض مصر ، فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين ثم قال لهم : ألسن تعلمون أن هذه القرية من أرض مصر؟ فقالوا بلى . فقال لهم إن أمير المؤمنين عهد إلى إن لحقني كتابه وأنا لم أدخل أرض مصر أن أرجع بمن معي ، وإن كتابه لم يلحقني حتى دخلت أرض مصر فسيروا على بركة الله . فساروا حتى توسطوا بلاد مصر فنزلوا بموضع على النيل وهو القسطنطين ، ولم يكن فيه حينئذ مدينة وإنما بنى القسطنطين عمرو . وكان ملك مصر في ذلك الزمان المقوقس وهو الذي أهدى

(١) القراءة في ب : وجرا له الخير الكثير .

(١) أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحكم (توفي بالقسطنطين سنة ٢٥٧ = ٨٧١) هو أقدم مؤرخي مصر العربية . وكتابه يعتبر أحسن وثيقة أصيلة وصلت إلينا عن افتتاح مصر على أيدي العرب ، ولذلك اقتبس منه معظم الكتاب فيما بعد . أما عن الصفحات التالية فقد أخذ عنه البكري ، وعن هذا الأخير نقل مؤلفنا . أنظر البكري ، المخطوط ، ص ٤٥ وتابع . وقارن ابن عبد الحكم ، ص ٤٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٨٩٣ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٢٨٨ وتابع ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٥ وتابع ؛ السيوطي ، حصر المحاضرة ، ج ١ ص ٦٣ وتابع .

لرسول الله صلعم مارية القبطية ، فلما سمع المقوقس دخول المسلمين بلاده ونزولهم في موضع القسطنطين ولم يكن له بهم علم رآه ذلك ، ونظر في توجيه الجيوش إليهم . فكتب عمرو بن العاص إلى عمرو بن الخطاب رضى عنه يستمده ، فأمدته بأربعة الآلاف . ويقال إن أسقفا كان بالإسكندرية من أهل العلم بالكوائن ، لما بلغه قدوم عمرو مع المسلمين إلى بلاد مصر كتب إلى القبط يعلمهم أن ملكهم قد انقطع ، ويأمرهم بتلقى عمرو والطاعة له ، فأطاعه كثير من القبط فاستعان بهم على من سواهم . ثم سار عمرو إلى البلد الذي كان فيه الملك المقوقس ، وكان حصنا عظيما مانعا وقد خندقوا حوله وجعلوا للخندق أبوابا وعلقوا شبك الحديد على تلك الأبواب ، فكان عمرو يفرق أصحابه على جوانب الحصن ليرى العدو أنهم أكثر مما هم ، ويغدوا بهم في الأسفار ويصففهم على أبواب الخندق عليهم السلاح والدروع .

ثم إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى عنه بعث الزبير بن العوام في ١٢ الفا لتقوى المسلمون ، فجعل عمرو يلح بالقتال ووضع المنجنيق ، فلما أبطأ الفتح على المسلمين قال الزبير بن العوام رضى عنه : أنا أهب نفسي لله وأرجو أن يفتح الله على المسلمين . فوضع له سلم (١) إلى جانب الحصن فرقى ثم قال لهم إذا سمعتم تكبرى أجيئوني ، فاشعروا أهل الحصن إلا والزبير على رأس الحصن يكبر والسيف بيده منتضى ، فتحامل المسلمون على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا أن ينكسر بهم ، فهرب أهل الحصن جميعا . وعمد الزبير إلى باب الحصن ففتحه واقتحم المسلمون فيه ، فلجأ الروم والقبط إلى الفوق وهو قصر منيع في الحصن ، فحاربهم المسلمون نحو شهر ، وكان في ذلك القصر المقوقس مع أكابر الروم والقبط ، فخاف المقوقس على نفسه وعلى من معه فخرج من باب خفي وترك في القصر جماعة يقاتلون ، وسار إلى الجزيرة موضع دار الصناعة اليوم ، وأمر بقطع الجسر (ب) . ثم أرسل (ج) المقوقس إلى عمرو بن العاص : « إنكم قوم قد دخلتم بلادنا وطال مقامكم بأرضنا وإنما أنتم عصبة يسيرة ، وقد اضلنكم الروم وجهزوا إليكم الجيوش ، وقد أحاط بكم هذا النيل وأنتم أسارى بأيدينا ، فابعثوا إلينا رجلا منكم نسمع كلامه فعسى أن يتأني الأمر بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب ،

(١) ب : سلم . (ب) ب : الجسر . (ج) « أرسل » ناقصة في ب .

وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جيوش الروم فتندموا . فرد عمرو مع رسله أنه ليس بيننا وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال : إما أن تدخلوا في الإسلام فكنتم إخواننا وكان لنا مالكم وعلينا ما عليكم ، فإن أنتم أبيتُم أعطيتُم الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، أو جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم ، وهو خير الحاكمين . فلما رجعت رسل المقوقس قال لهم كيف رأيتموهم ، قالوا رأينا أقواما الموت أحب إلى أحدهم من الحياة والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ، إنما جلوسهم على التراب وأكلهم على الركب وأمرهم كواحد منهم ، يغسلون أطرافهم بالماء ، فإذا حضرت صلاتهم لم يتخلف عنها أحد منهم ويتخشعون في صلاتهم تخشعا كثيرا . فقال المقوقس والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لزلزلوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ، وإن لم يغتنا صلح (١) هؤلاء القوم وهم محصورون بهذا النيل فإنهم لن يجيئونا إذا تمكنوا من الأرض . وكان ذلك وقت خروج النيل وفيضه ، والمسلمون قد أهدقت بهم المياه من كل جانب لا يقدرّون على النفوذ إلى الصعيد ولا إلى غيره . ثم بعث إليهم عمرو بن العاص ١٠ رجال أحدهم عبادة ابن الصامت ، وكان أسود اللون من العرب ، وأمرهم أن يكون متكلم القوم فإنه كان فصيحاً ، وأمرهم أنه لا يجيبهم إلا إلى إحدى ثلاث خصال وهي المتقدم ذكرها . فركبوا السفن ودخلوا على المقوقس ، فتقدم عبادة للكلام فهابه المقوقس لسواده وقال نحوا عنى هذا الأسود وقدموا غيره ، فقالوا جميعاً إن هذا الأسود سيدنا وأفضلنا رأياً وعلماً . فكلّمه عبادة (ب) ثانياً ، فقال المقوقس لأصحابه : لقد هبت منظره وإن قوله عندي لأهيب ، وإن هذا وأصحابه إنما خرجوا إلى خراب الأرض وما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها . وقال نعطي كل من في الجيش دينارين ونعطي أميرهم ١٠٠ دينار ونبعث إلى خليفتهم ١٠٠٠ دينار ، فلم يجبه عبادة إلا إلى إحدى ثلاث خصال . فقال المقوقس لأصحابه ماذا ترون ؟ فقالوا : أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم فهذا ما لا يمكن ولا نترك دين المسيح إلى دين لا نعرفه ، وأما ما أرادوا [من] أن يجعلونا عبيداً فالموت أيسر من ذلك ، فإن رضوا بأن نضعف لهم ما أعطيناهم وينصرفوا عنا كان أهون علينا .

(١) « لم يغتنا صلح » ناقصة في ب .

(ب) هنا يوجد خرم في ب يقدر بحوال صفحتين لقرئها .

فانصرف عنهم عبادة بن الصامت وأصحابه ولم ينعقد بينهم صلح على شيء ، فألح عليهم المسلمون بالقتال حتى أذعن المقوقس لإعطاء الجزية عن القبط خاصة .
وأما الروم فيخبرون في المقام على الجزية والخروج إلى أرض الروم ، وتم ذلك (أ) بهم وبين المسلمين ؛ قيل فأحصى (ب) يومئذ جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط فكانوا ٦٠٠٠ ألف ممن بلغ الحلم ، سوى الشيخ الفاني والصغير الناشئ والنساء . وفرض على كل رجل منهم دينارين في السنة فكانت فريضتهم ١٢ ألف دينار ، ورفع ذلك عرفاؤهم بالأمان المؤكدة ثم زادت بمن استقر بها من النصارى وغيرهم من النوبة ٣٠٠٠ دينار . فجعل عمرو يبحث عن الأموال والمصمها إلى بيت مال المسلمين ، فذكر له أنه عند عظيم الصعيد مال كثير ، فبعث إليه فيه فقال له ما عندي مال فسجنه . وسأل عمرو من كان يدخل إليه هل سمعوه يذكر أحدا ، فقالوا له سمعناه يكثر ذكر راهب بالطور ، فبعث عمرو فأتوا بخاتم المسجون فكتب كتابا على لسانه إلى ذلك الراهب بالرومية وختم عليه ، وبعث به إلى ذلك الراهب فأتى بقدرة نحاس مختومة بالرصا ص فإذا فيها كتاب فيه : يا بني إذا أردتم مالكم فاحفروا تحت الفسقية . فبعث عمرو الأمانة إلى الفسقية وهي الساقية ، فحفروا تحتها فاستخرجوا ٥٠ أردب دنانير ، والأردب نحو قنطار ونصف .

ثم أمر عمرو المسلمين ببناء دور يسكنونها بالفسطاط وهي مدينة مصر الروم ، وإنما سميت مدينة مصر بالفسطاط لأن عمرو بن العاص حين دخل مصر لمهرب فسطاطه بذلك الموقع ، فلما أراد التوجه إلى الإسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع الفسطاط فإذا فيه يمام قد فرخ ، فقال عمرو لقد تحرم هذا منا بحرم ، فأمر الفسطاط فأقر مكانه وأوصى عليه . فقام المسلمون من الإسكندرية بعد فتحها وقال الناس أين نزل فقبل الفسطاط ، لفسطاط عمرو الذي تركه في المنزل مضروبا بالموضع الذي يعرف اليوم بدار الحصى . ثم بدأ عمرو ابن العاص ببناء المسجد وكان موضعه حدائق وأعاب فقطعت ، ووضعوا أيديهم على البناء فلم يزل عمرو ومن حضر من أصحاب رسول الله صلعم قياما حتى وضعت القبة ، فلما أتمه اتخذ فيه منبرا فكان يخطب عليه . وقال أبو تميم الجهماني : فوصل ذلك عمر بن الخطاب رضى فكتب إلى عمرو ابن العاص : أما بعد فإنه بلغني أنك اتخذت منبرا ترقى فيه على رقاب المسلمين

(أ) « وتم ذلك » ناقصة في ب وج . (ب) القراءة في النص « أحصا » .

أما بحسبك أن تقوم قائما والناس من تحتك ، فعزمت (١) عليك إلا كسرتة . ثم اختط عمرو داره التي هي اليوم عند باب المسجد بينهما الطريق ، وكذلك اختط جميع من أراد السكنى بمصر من المسلمين دارا لنفسه . وكان الزبير بن العوام اختط دارا وجعل فيها السلم الذي صعد (ب) عليه إلى الحصن المتقدم الذكر ، فلما ولي عبد الملك بن مروان اغتصبها من الزبير وأصفها لنفسه ، فلما [ولى] أبو جعفر المنصور من بني العباس ردها على هشام بن عروة بن الزبير (١) .

ذكر المشهور من مدن أرض مصر (٢)

منها مدينة مصر وهي القسطاط (٣) الذي ذكرنا آنفا: وهي حاضرة بلاد مصر فيها من المباني والمصانع والبساتين والغرف المشرقة على النيل والقصور ما بهج العيون ويطرب المحزون .

(١) هنا ينتهى الحرم فى ب (أنظر هامش (ب) ص ٨٠) .
(ب) « صعد » ناقصة فى ب .

(١) لا تتفق روايات الكتاب الآخرين مع هذه الرواية . حسب ابن دقاق (ص ٨ ، ١١) كان الزبير يملك دارين إحداها فى زقاق القناديل والثانية فى المكان المعروف بسوق وردان . وهذه الأخيرة التى كانت تقع قرب دار عمرو بن العاص والمسجد هى المقصودة عند ما يتكلم الكتاب عن دار ابن الزبير . ويقول البعض إنها أدخلت فى المسجد (ابن دقاق ، ص ٦٥ ؛ المقرئى ، المخطوط ، ج ١ ص ٢٤٩) ويقول آخرون إنها راحت ضحية للحريق (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٨٩٥ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٧٧) .

(٢) يلاحظ أن المؤلف يكتفى بنقل المعلومات القديمة عن مدن مصر دون تصرف ، فهو لا يحاول تجديد معلوماته كما يفعل عند ما يتكلم عن أعمال بنى غانية فى إفريقية . والحقيقة أنه وقعت أحداث مدوية على أيامه فى مصر كان ينبغى أن يكون لها صدى عظيم فى المغرب ، مثلها فى ذلك مثل أحداث بنى غانية . فالقاهرة كان يهددها الصليبيون ، والقسطاط أحرقت (سنة ٥٦٤ = ١١٦٩) لوقف تقدمهم ضد العاصمة . ثم كثيرا ما كانت الفرما ودمياط وتونس ضحايا لغاراتهم البرية والبحرية . لم يهتم صاحب الاستبصار بهذا ، وكل ما هم هو انتصارات صلاح الدين فى فلسطين فخصص لذلك صفحات فيما بعد (ص ١٠٤-١٠٦) .

(٣) قارن البكرى ، المخطوط ، ص ٥٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٩٣ وتابع (عند ما يتكلم عن القسطاط ، يذكر قصة الفتح السابقة) . أنظر ابن دقاق ، ص ٢ وتابع ؛ المقرئى ، المخطوط ، ج ١ ص ٢٨٨ و ٢٩٦ وتابع ؛ ابن الفقيه ، ص ٥٩ ؛ المقدسى ، ص ١٩٧ ؛ الإدريسى ، ص ١٤١ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٦٢ وتابع .

مدينة القاهرة : معدنة من بناء العبيد الذين كانوا بها ، بينها وبين مصر نحو ٣ أميال . وهي مدينة كبيرة فيها من القصور والمباني ما يعجز الوصف عنه وكانت دار مملكة العبيدين . وكان الحاكم من بني عبيد قد بنى بين القسطنطينية والقاهرة مسجدا عظيما على ٣ مشاهد كانت هناك ، وجعل فيه سدة ولحدا يوقدون فيه السرج الليل كله . وذكر أنه أراد أن ينقل إليه جثة النبي صلعم ، وقد كانت توجهت له الحيلة في ذلك غير أن الله دفع وأظهر الله تعالى أهل المدينة على ذلك وقاية لرسوله صلعم وردا لكيد عدوه . وذلك أن الحاكم بدل الأموال لرجال من شيعته فمشوا إلى المدينة فاشتروا دارا تلاصق بمسجد رسول الله صلعم ، وبذلوا فيها مالا كثيرا ، وأخذوا ذرع ما بين الدار والقبر ، واحفروا سربا عظيما حتى تكادوا أن يصلوا إلى القبر المكرم ، فأطلع الله أهل المدينة على ذلك ، فقتلوا أولئك البغاة الفسقة ومثلوا بهم ورددوا ذلك الحفر بالحجارة وأفرغوا عليها الرصاص فلا يطمع في الوصول إلى مثل ذلك طامع أبدا (١)

مدينة منف : مدينة عظيمة أزلية قدمة . وهي كانت دار مملكة الملوك القدماء (١) ، وكان بها فرعون موسى عليه السلام . وكان اتخذ لها ٧٠ بابا وفصل حيطان المدينة بالحديد والصفير ، وفيها كانت الأنهار تجري من تحت سريره وكانت ٤ أنهار . ذكر رجل من ولد علي بن أبي طالب رضه ، قال : رأيت منف دار فرعون ، وكنت أمشي في مشارفها ومجالسها وغرفها (ب) وجميع سقائفها وحجورها فإذا ذلك كله حجر واحد منقور . فإن كان بناء قد أحكم حتى صار في الاستواء كحجر واحد لا يستبان فيه جمع حجرين ولا ملتقى صخرتين فذلك عجب ، وإن كان جبلا واحدا فنقر الرجال فيه بالمناقر حتى خرقت فيه لك الحارق فهو أعجب وأعجب (٢) .

(١) ب : القديم ، ج : القديمة .

(ب) القراءة في النص : مشارفه ومجالسه وغرفته .

(١) البكري ، المخطوط ، ص ٥٥ . قارن المقرئ (المخطوط ، ج ٢ ص ٢٧٧ ولاح) الذي يتكلم بالتفصيل عن الجوامع الثلاثة المنسوبة للحاكم وهي جامع باب الفتوح والمسجد المعروف بجامع رashed ثم جامع المقس ، ولكنه لا يذكر شيئا عن هذه القصة .

(٢) البكري ، المخطوط ، ص ٥٦ . وقارن ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٦٦٧ ؛ هذا اللطيف ، ص ١١٦ والترجمة ص ١٨٤ ؛ الاضطحري ، ص ٥٤ ؛ ابن الفقيه ، ص ٧٣ ؛ الخطيب ، ص ٣٣١ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٥٩ . وأنظر ابن دقاق ، ص ١٣٠ ؛ المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ١٣٤

مدينة دلاص : هي مدينة قديمة أزلية عجيبة البناء لها غرائب ،
وهي كانت مجتمع بحرة مصر (١) .

مدينة إخميم : وهي مدينة كبيرة أزلية قديمة في الضفة الشرقية من النيل ، وفيها
أسواق وحمائم ومساجد كثيرة . وداخل سورها (١) البرقي المتقدم الذكر ،
لم يتغير منه شيء . وفيها من عجيب المباني والآثار ما يعجز الوصف عنه (٢) .

مدينة أسيوط : وهي مدينة قديمة أزلية مسورة على الجانب الغربي
من النيل ، جميلة القصة كثيرة الفوائد وهي أكثر بلاد الله قصب السكر وأطيب ؛
وفي وسط سوقها برقي تهدم بعضه (٣) .

مدينة عين الشمس : هذه مدينة قديمة أزلية وهي كانت مدينة فرعون ، وفيها
آثار كثيرة ومباني عجيبة من أساطين الرخام وتمائيل ونقوش ، وفيها بركة عظيمة
وقد نقرت في حجر صلد وحواليها كراسي من رخام ، فكان يجلس فرعون
عليها وتملاً بالخمير وحواليها أنهار العسل وأنواع المشروبات ؛ وبالقرب منها
صورة من رخام يخيل للناظر أنها تتكلم (ب) ، ذكر أنها كانت ماشطة فرعون .
وبالقرب منها صنمان من حجارة كل صنم منها طوله ٦ أذرع ، أحدهما يبكي
والآخر يضحك . وهذه المدينة كانت في طاعة والد زليخة زوجة العزيز ،
وكانت تعرف بنت صاحبها (٤) .

(١) ب : صورها . (ب) « تتكلم » ناقصة في ب .

(١) أنظر البكري ، المخطوط ، ص ٥٧ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٣١ ؛ ابن الفقيه ، ص ٧٣ ؛
ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥٨١ ؛ ابن عبدربه ، العقد ، ج ٣ ص ٣٦٢ ؛ ويقول
الادريسي (ص ٥١ والترجمة ، ص ٥٩) إنها مدينة صغيرة تسلط عليها البرابر من لواته وشرار
العرب فأنفوا عمارتها .

(٢) عن برقي إخميم أنظر ابن جبير ، ص ٦٠ وقابع ؛ المسعودي ، مروج الذهب ،
ج ٢ ص ٤٠٤ ؛ الادريسي ، ص ٤٦ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٦٥ ؛ أبو الفدا ،
الترجمة ، ج ٢ ص ١٥٢ والهامش ؛ كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٣٣ - ب ؛ ابن دقاق ،
ص ٢٥ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٢٣٩

(٣) أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٧٢ ، ج ٣ ص ٢٢٢ ؛ الادريسي ،
ص ٤٨ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٥٤ ؛ ابن دقاق ، ص ٢٢ ؛ المقرئ ،
الخطط ، ج ١ ص ١٨٩

(٤) قارن عبد اللطيف ، ص ١٠٦ وقابع والترجمة ص ١٨٠ وقابع ؛ الاصطخري ،
ص ٥٤ ؛ ابن رسته ، ص ٨٠ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٣٧ ؛ ابن الفقيه ، ص ٧١ ؛ ياقوت ، =

مدينة أنصنا : وهي كانت مدينة السحرة في زمن فرعون وأكثرها خراب .
 وكان بها أيضا برقي لم يبق منه اليوم إلا بيت واحد كأنه من صخرة واحدة .
 ويقال إن مارية القبطية التي أهداها المقوقس إلى النبي صلعم كانت من كورة
 أنصنا ، من قرية يقال لها جفن . ومدينة أنصنا لا يقربها التمساح والناس منه آمنون
 هناك . وأكثر ما يكون التمساح عدوانا بالشاطئ الذي يقابل أنصنا في قرية يقال
 لها الأشمون ، لا يقدر أحد أن يقرب من شاطئها ، فإذا صارت التماسيح في حد
 أنصنا تحولت على ظهورها حتى تجاوز حدها (١) ، وكذلك تصنع بفسطاط
 مصر فوق المدينة بنحو ١٠ أميال حتى تخرج عن حد المدينة بمثل ذلك .

مدينة قوص (٢) : هي مدينة كبيرة أزلية قديمة فيها آثار كثيرة للأوائل ،
 وبينها وبين مدينة أسوان غيران منحوتة في جبال هناك فيها قبور الأموات
 لا يعلم لها عهد ، تستخرج منها المومياء الطيبة (٣) ، وهم يجدونها في رمهم
 وبين أجفانهم . ويقال إن في تلك الصحراء التي بين قوص (١) وأسوان معادن
 الذهب ، غير أن البجاة وهم جنس من الحبشة تمنع منه ؛ وبلادهم بين بحر القلزم
 و النيل مصر ، ويسكن عندهم جماعة من العرب من ربيعة بسبب هذا

(١) ب : قوم .

معجم البلدان ، ج ٣ ص ٧٦٢ ؛ ابن دقاق ، ص ٤٣ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٢٢٨ ؛
 ابن عبد ربه ، المقد ، ج ٣ ص ٨١

(١) قارن المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٠٤ ؛ الإدريسي ، ص ٤٥ ؛
 أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٥٧ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٢٩ ، ٢٠٤ (نقل لرواية
 البكري الناقصة في مخطوط باريز) ؛ ابن عبد الحكم ، ص ٤٤ . حسب ابن رسته (ص ٨١)
 والمقدسي (ص ٢١١) يكون التمساح أخطر ما يكون قرب قرية سردوس ، حتى ليتشل بذلك
 ليهال : « أحذر سردوس ولو كان الماء في قادوس » . أما عن النيل والتمساح الذي شغل اهتمام
 كل الرحالة والجغرافيين العرب فيقول عنه الشاعر (المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٦
 ص ٢٧٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٧٦) :

أظهرت للنيل هجراً ومقلية اذ قيل لي إنما التمساح في النيل
 فن رأيت النيل رأي العين من كتب فما أرى النيل إلا في البواقي

وكذلك عندما يمدح الشقندي اشبيلية يقول إن شرفها غابة لا سباع فيها وإن نهرها نيل خال
 من التماسيح (أنظر (E. G. Gomez, Elogio del Islam espagnol. Madrid-Grenade. 1934).

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٠١ ؛ الإدريسي ، ص ٤٩ ؛ أبو الفدا ،
 الترجمة ، ج ٢ ص ١٥١

(٣) عن المومياء أنظر عبد اللطيف ، ص ١٥١ والترجمة ص ٢٠٠

المعدن (١). ويتصل ببلادهم معدن الزمرد الفائق الذي ليس له مثيل بعمور الأرض ، وهو بموضع يعرف بالخربة في مفازة وجبال محمية بالبجاة ، وإليهم يؤدي الحفارة من يرد لحفر الزمرد . وبين هذا الموضع والنيل أكثر من ٢٠ مرحلة ، وبين هذا المعدن والعمران مسيرة سبعة أيام . ولا يعرف معدن للزمرد غيره إلا ببلاد البلهرى من بلاد الهند ولا يلحق بهذا (١) . والهندي هو الذي يعرف بالملكى لأنه يحمل إلى عدن فيؤتى به مكة فاشتهر (١) بهذا الاسم . والزمرد الذي يقطع من الخربة هو أربعة أنواع : فأعلاها الذي يعرف بالمرور ، وهو كثير المائبة تشبه خضرته السلق إلا أنه يضرب إلى السواد . والنوع الثانى هو البحرى فى لون ورق الآس ، وإنما غلب عليه اسم البحرى لأن ملوك الهند والسند والصين يرغبون فيه ، ويفضلونه على غيره من الزمرد . والنوع الثالث يعرف بالمغربى لأن ملوك المغرب والأفرنج والأندلس والجلاقة يتنافسون فيه . والصنف الرابع وهو المسمى بالأصم ، وهو أدناها وأقلها ثمنًا لقلة مائه وخضرته وكثرة ركوده . وأكثر حجارة الزمرد الفائق يبلغ وزن العدسة ١٠ دنانير ، وهذا المعدن قد انهارت غيرانه وتهدمت لبعد العماره عنه وانقطاع الناس . ولا خلاف عند جميع من يقرب من موضع ذلك المعدن أن الحيات والأفاعى وسائر الحيوان المسموم لا يقرب هذا المعدن ولا حومته ، وقبل إن هذه الحيوانات إذا بصرت بالزمرد الفائق سالت عيونها ، وإن الملسوع إذا سقى منه وزن دائق برئ باذن الله تعالى . وكانت ملوك اليونانيين من أرباب الحكمة تفضله على جميع الأحجار ، وأهل الحكمة يقولون إن شعاعه نورى وخضرته تقوى بزيادة القمر وامتلائه ، والله تعالى فى علمه أسرار مخفية (٢).

(١) الجبل الواقعة بين (١) ، (١) فائصة فى ج .

(١) قارن الاصطخرى ، ص ٥٤ ؛ ابن حوقل ، ص ١٠٧ ؛ ابن الفقيه ، ص ٧٦ ؛ اليعقوبى ، ص ٣٣٤ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٣ ؛ المقرئى ، الخطط ، ج ١ ص ١٩٤

(٢) هذه الرواية مأخوذة عن المسعودى (مروج الذهب ، ج ٣ ص ٤٣ وتابع ؛ أنظر المقرئى ، الخطط ، ج ١ ص ١٩٤ ، ١٩٧) . وقارن المسعودى ، التنبيه ، ص ٢٢ ؛ ابن حوقل ، ص ٩٩ ؛ اليعقوبى ، ص ٣٣ ؛ ابن الفقيه ، ص ٥٩

مدينة قنسط : هي مدينة متوسطة المقدار أزلية لها سور ، وبينها وبين مدينة
لوص أربعة أميال ولها برى وبقرها شعراء كثيفة (١) .

مدينة أسوان : هي آخر مدن (١) مصر لأنها تفر متصل ببلاد النوبة وهم
الفر ، ولولا ما بين بلاد مصر وبلادهم من الجبال والأوعار التي تحول بينهم
لأسد النوبة بلاد مصر . والنيل إنما يهبط من بلاد النوبة على صحور وأوعار
ولا يدخل ذلك الموضع مركب (٢) . ومن أسوان الطريق إلى عيذاب ؛
وعيذاب مدينة على ضفة البحر الغربي المعروف ببحر القلزم . ومن عيذاب يعبر
إلى ساحل الحجاز إلى جدة ، ومن عيذاب يسلك إلى بلاد اليمن والهند وغير
ذلك من البلاد (٣) .

ومن مدن مصر تنيس ودمياط : وهما مدينتان قد غلب على أكثر أرضهما
ماء البحر . فمدينة تنيس مدينة كبيرة أزلية فيها آثار كثيرة للأول ، وأهلها
لوايسار وثروة وأكثرهم حاكمه ، وبها تحاك ثياب الشروب التي لا يصنع مثلها
في الدنيا . ويصنع فيها لصاحب مصر قميص لا يدخل فيه من الغزل سداة (ب)
ولحمة غير أوقيتين وينسج من الذهب ٤٠٠ دينار ، قد أحكمه صانعه حتى لم
يخرج إلى تفصيل ولا خياطة غير الجيب والبناثق (ج) ، والذي تبلغ القيمة فيه
١٠٠٠ دينار . وقد أحكمه صانعه حتى لم يحتاج إلى تفصيل ولا خياطة غير ما قلنا ،
وكذلك إلى الآن يصنع لكل ملك من ملوك مصر هذا الثوب في كل عام .
ويسمى هذا القميص البدنة ، وليس في جميع الدنيا طراز ثوب كتان يبلغ الثوب

(١) النص : مدينة . (ب) ج : مدارة
(ج) « البناثق » ناقصة في ب ، أما في ج فهي اللبائن .

(١) أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٥٢ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٢٣ ؛ المسعودي ،
مروج الذهب ، ج ٣ ص ٥٠ ؛ ابن جبير ، ص ٦٤ ؛ الادريسي ، ص ٤٨ ؛ أبو الفدا ،
الترجمة ، ج ٢ ص ١٥١ ؛ ابن دقاق ، ص ٣٢

(٢) أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٦٩ ؛ ابن الفقيه ، ص ٦٠ ؛ اليعقوبي ،
ص ٣٢٤ ؛ المقدسي ، ص ٢٠٠

(٣) قارن ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٥١ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٣٥ ؛
ابن جبير ، ص ٦٦ وتابع ؛ ابن دقاق ، ص ٣٥

منه وهو سادج دون ذهب ١٠٠ دينار عينا غير طراز تنيس ودمياط . ويسكن
 بجزيرة تنيس ودمياط نصارى هم الآن تحت الذمة بحمد الله ، ونحن في سنة
 ٨٦ [٥] (١) . وأهل تنيس يصيدون السمك وغير ذلك من الطير على أبواب
 دورهم ، فلأنهم يمدون شبكا في سككهم عند أبواب دورهم ، والسمك طير (ب)
 يجزع عند خروجه من البحر فيقع في تلك الشباك . وكانت تنيس أخصب
 بلاد الله وأكثرها ثمارا وفاكهة ، وكانت مقسومة بين ملكين أخوين من ولد
 أبريت بن مصر ، وكان أحدهما مؤمنا والآخر كافرا . فأنفق المؤمن فيها
 من أمواله في وجوه البر حتى باع من أخيه الكافر حصته في تنيس ، فزاد فيها
 الكافر غروسا وأنهارا وبني فيها مصانع ، فاحتاج أخوه إلى ما في يده فمنعه وسطا
 عليه بماله وحشمه وحقره لفقره ، فقال له أخوه المؤمن : مالي أراك غير شاكر
 لله تعالى على ما رزقك ويوشك أن ينزع ذلك (ج) منك وبغير نعمته عنك .
 فأرسل الله تعالى على جناته ومصانعه الماء فأضحت خاوية على عروشها (١) ؛
 فهما اللذان عني الله تعالى في سورة الكهف عز وجل : « واضرب لهم مثلا
 رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً
 فكُلتا الجنة التي آتت لأكليهما ولم تظلم منه شيئا » إلى آخر الآيات المحكمات (٢) .
 وتركب السفن من تنيس إلى القروما وهي [على] ساحل البحر .

(١) ب : ثمان وثمانون (ب) ب : يطير . (ج) ب : لذلك .

(١) قارن ابن وصيف - شاه ، الترجمة ، ص ٤١ - ٤٢ ؛ الادريسي ، ص ١٥٦ ؛
 ابن رسته ، ص ٩٠ ؛ ابن حوقل ، ص ١٠١ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٣٧ ؛ ابن عبد ربه ، العقد ،
 ج ٣ ص ٣٦٢ ؛ عبد اللطيف ، الترجمة ، ص ١٤٥ والهامش ؛ أبو الفدا ، الترجمة ،
 ج ٢ ص ١٦٠ ، ١٦٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٨٢ (تنيس) ، ج ٢ ص ٦٠٢
 (دمياط) ؛ المقدسي ، ص ١٩٥ ؛ ابن دقاق ، ص ٧٨ وتابع ؛ كتاب الجغرافية ، المخطوط ،
 ص ٤٠ - ب (تنيس) ، ص ٤ - ب (دمياط) ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٧٦ وتابع ؛
 Maspéro (J.) et Wiet (G.), Mémoires de l'institut du Caire. t 36 p. 60-1

هنا لا يكتب المؤلف بنقل رواية المسعودي كما هي (أنظر المقرئ ، الخطط ، ج ١
 ص ١٧٧) بل نجده يضيف إليها التاريخ الذي يكتب فيه حتى ليظن أن المعلومات التي يوردها إنما هي
 معلوماته الخاصة . وهو لذلك يجهل أن تنيس كانت هدفا لعدد من غارات أهل صقلية سنة ٥٧١
 (١١٧٥) وسنة ٥٧٣ (١١٧٧) ، وكذلك غارات الصليبيين بعقلان سنة ٥٧٥ (١١٨٠) حتى
 أن الملك الكامل أمر في سنة ٦٢٤ = ١٢٢٧ بهدم المدينة التي كان قد تم الجلاء عنها سنة ٥٨٨ = ١١٩٢
 وهي نفس السنة التي كان يصنف فيها كتابه . أنظر المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٧٦

(٢) القرآن ، سورة ١٨ ، آية ٢١ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٧٦

مدينة الفرما : وهي مدينة كبيرة قديمة أزيلت فيها آثار كثيرة بحجة تدل على أنها كانت دار مملكة . ويقال إن الذي بناها هو الفرما الملك ، ويذكر أهل مصر أن [ابن] المدبر لما ولي مصر وجه إلى الفرما لهدم أبواب من رخام بها في شرق الحصن احتاج إلى أن يعمل منها فرشاً في داره فمنع من ذلك أهل الفرما ، وخرجوا إلى رسله بالسلاح ، وقالوا هذه الأبواب التي ذكرها الله تعالى على لسان يعقوب : « يا بني لا تدخلوا من باب واحد وأدخلوا من أبواب مفرقة » . ومن عجائب الدنيا نخل الفرما فإنها تثمر حين ينقطع البسر والرطب من جميع البلاد ، فيكون رطب نخل (١) الفرما بكانون الأول حين تلد النخل في كل مكان فلا ينقطع ٤ أشهر ، ولا يوجد هذا في بلد من البلاد سوى الفرما ، وهو (١) تمر كبير يوجد في وزن التمرة ٢٠ درهما وطولها فتر (١) .

مدينة رشيد : وهي مدينة كبيرة على كتيب رمل عظيم ، إذا هبت الريح الغربية ، وهي تشتد عندهم ، ملأت عليهم سككهم وبيوتهم رملاً فلا يقدرון على التصرف في أسواقهم . وهم على ضفة النيل قرب البحر ، ومن أعجب منزهات الدنيا ضفة النيل من مصر إلى مدينة رشيد هذه ، ولا غلة ثمار الأرض كغلة هذه الناحية . قال أبو عبيد البكري أن رجلاً أخبره ، من أهل تلك النواحي ، أنه رأى ضيعة ما (ب) لأحد المصريين تغل في رمانها وموزها خاصة ١٥ ألف مثقال في العام (٢) . قال ، وهناك كانت ضيعة الليث بن سعد (ج) رحمة الله ، قال قتيبة سمعت الليث بن سعد يقول : « يدخل (د) على في كل سنة ٥٠ ألف دينار ما وجبت عليها الزكاة قط ، يعني أنها من الفواكه التي لا (ر) تجب فيها الزكاة (٣) » .

(١) الكلمات الواقعة بين (١) ، (١) ناقصة في ج . (ب) ب : ما ضيعة .
(ج) ب : سعيد . (د) ب : دخلت . (ر) « لا » ناقصة في ب .

(١) القرآن ، سورة ١٢ ، آية ٦٧ ؛ قارن ابن دقاق ، ص ٥٣ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٢١٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٨٨٢ - ٨٨٣ ؛ ابن خردادبه ، ص ٨١ (Blachère, Extraits, p. 28 et note) ؛ يعقوب ، ص ٣٣٠ ، ٣٣٧ ؛ المقدسي ، ص ٢٠٩ . لا بأس من أن نذكر هنا أن الفرما لقيت نفس مصير تنيس ، في سنة ٥٤٥ (١١٥٠) دمرها الصليبيون وأحرقوها .

(٢) هنا يوجد خرم في مخطوط البكري . قارن ابن دقاق ، ص ١١٤

(٣) هو أبو الحارث المصري الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهسي (٩٤ - ١٧٥ = ٧١٣ - ٧٩٢) اشتهر بمعرفة بالحديث . ولا نعرف الظروف التي ضاعت فيها تعاليمه ومذاهبه =

ذكر الفيوم : وهو قطر كبير فيه قرى كثيرة ، يقال إن فيه من القرى عدة ما في قطر مصر كله من القرى ، فإن يوسف عم حين صنعه أنزل في كل قرية أهل بيت من قرى مصر ، وسير لكل قرية من الماء بقدر ما يروى أرضها من غير زيادة ولا نقصان . ويقال أيضا إن بالفيوم ٣٦٠ قرية على عدد أيام السنة لا تقصر عن الري أبدا لحكمة شربها ، فإذا نقص النيل في سنة من السنين وغلا السعر بمصر مارت كل قرية منها مصر يوما . وحجر اللاهون بالفيوم من عجائب الدنيا واللاهون قرية كبيرة من قرى الفيوم . وهذا الحجر شاذروان مبنى بأحكام صنعة ، مدرج على ٦٠ درجة فيها فوارات (أ) في أعلاها وفي وسطها وفي أسفلها . فتسقى (ب) العليا الأرض العليا ، والوسطى الأرض الوسطى ، والسفلى الأرض السفلى بوزن وقدر لا ينقص لأحد من دون حقه ولا يزداد له فوق حقه . وهو من أحكم البنيان وأتقنه ، قيل من ذلك الوقت عرفت الهندسة ، وذكر كثير من الناس أن يوسف عم عمله بالوحي . ولم تزل الملوك من الأمم تقصد هذا الموضع ويتأملون حسن صنعته ويتعجبون من غرائب حكمته ، ويقال إن الملك المعاصر ليوسف عم لما تأمله قال هذا من ملكوت السماء ، وهو من البناء الذي يبقى على غابر الأزمان ، ويقال إنه عمل من ٣ أشياء : من الفضة والنحاس والزجاج ؛ وفي الضفة الغربية منه مسجد يوسف عليه السلام . والفيوم يشرب من ١٢ ذراعا ، وليس بأرض مصر موضع يشرب من ١٢ ذراعا غير الفيوم لحكمة بنيان حجر اللاهون ، وإنما رى أرض مصر من ١٦ ذراعا ، فإذا زاد النيل على ١٢ قطع الماء عن الفيوم . فإذا كان يوم زيادته (ج) سد حجر اللاهون ، وحضر ذلك شهود أهل تلك الجهة والمهندسون وأمروهم بالطبول والبنود (د) فلم يكن لمن يدعى نقصان الماء عذر ، وخرجت الإرسال عند ذلك بالبشائر إلى مصر ، وهو عندهم يوم سرور ونزهة . وأهل الفيوم يزدعون والماء باق على جميع أرض مصر ولم يتم جريه ، فإذا كان حصاد أهل مصر كان

(أ) ب : فوران . (ب) « قسقى » ناقصة في ب .

(ج) « زيادته » ناقصة في ب .

(د) القراءة في النص : حضر ذلك شهود تلك الجهة وأمروهم بالطبول والبنود والمهندسون في أهل تلك الجهة .

سرد ذلك أن الشافعي أشاد بعلمه بل وفضله على مالك بن أنس . السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ١٦٤ ، الكندي ، القضاة والولاة ، ص ٢٩ ؛ Brockelmann, G. A. I., II, 82 .

ذلك أول السقية الثانية لأهل الفيوم لأنهم يزدهون في العام مرتين ، ويزدهون السقية الثانية القمح والشعير والأرز فضلاً عن القطاني . والفيوم أنحصب بلاد الله تعالى وأكثرها فاكهة ، لا يعدم بها التمر والرطب شتاء ولا صيفاً ، ولذلك أغلبها أكثر جبايات بلاد مصر .

قال عبد الملك بن حبيب إنما سميت الفيوم لأن أخرائجها ألف دينار كل يوم . والفيوم (١) في وسط بلاد مصر فلا يوثى إلى كورة (١) الفيوم من ناحية من النواحي إلا من صحراء أو مفازة ، ذكر ابن عفر وغيره أن عمرو بن العاص لما فتح بلاد مصر أقام سنة لا يعلم أين موضع الفيوم ولا حيث مكانه حتى بعث عمرو قيس بن الحارث إلى ناحية الصعيد يبحث عن الفيوم ، فسار حتى أتى القيس وبه سميت . فأبطأ على عمرو خبره فقال من يأتنا بخبر قيس ، فقال ربيعة بن حبيب أنا آتيك به ، فركب فرسا له أنثى فجاز بها النيل من الجهة الشرقية وكان معه عمرو بن ربيعة بن حبيب بن الصدفى وأصحابهم ، فشوا فلما سلكوا في الحجابة لم يروا شيئاً وهموا بالانصراف ، ثم ساروا قليلاً فطلع له سواد الفيوم فطلبوا قيساً فوجدوه في القيسيين فأتوا عمرو بخبر الفيوم (١) .

مدينة الإسكندرية : (٢) ذكر أن اسمها برّدة ولها ١٥ كورة ، قالوا كانت الإسكندرية ٣ مدن كبار بعضها بجانب بعض : منها شنة وهي موضع المنار وما إلى ذلك ، والإسكندرية اسم قصبة السلطان وموضعه وهي باقية إلى اليوم ، والمدينة

(١) الكلمات الواقعة بين (١) و (١) ناقصة في ب .

(١) أنظر فيما سبق ، ص ٧٤ - ٧٥ . قارن ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٩٣٣ وتابع ؛ ابن عبد الحكم ، ص ١٣ ، ١٤ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٨٤ (ينسب أصل أهل هذه الجهات إلى فتاة رومية وأما) ، ج ١ ص ٢٠٩ ، ج ٢ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ؛ المقدسى ، ص ٢٠٣ ؛ ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٣٦٢ ؛ الإدريسي ، ص ١٤٦ وتابع ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٥٨ - ١٥٩ وهامش ١ ؛ المقرئى ، الخطط ، ج ١ ص ٢٤٥ وتابع . ومن قيس أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢١٥ ؛ ابن الفقيه ، ص ٧٣ ؛ المقرئى ، الخطط ، ج ١ ص ٢٠٤ . ويحتج Quatremère على نسبة قيس إلى رجل عربي ، ويقول إن القرية كانت موجودة وتحمل نفس هذا الاسم قبل الفتح العربي Mém. géog. et hist. de l'Egypte, t. I p. 141 et suiv.

(٢) الفصول الخاصة بالإسكندرية نقلها البكرى عن المسعودى ؛ والجزء الأول منها لائق في مخطوط البكرى . أنظر المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٢١ وتابع ، ٤٢٩ وتابع . ويجمع ياقوت في معجمه (ج ١ ص ٢٥٦) أم ما قيل عن الإسكندرية ولا تنقصه في ذلك =

الثالثة نقيطة . وكان على كل واحدة منها سور ، ولعل إله كان على الإسكندرية ٣ مدن كبار و ٧ أسوار ب ٧ خنادق . وكان أصل بنائها أن الإسكندر استقام له ملكه (١) في بلاده ، وكانت بلاده رومة وما إلى ذلك من بلاد الروم ، وكان فيما يقال روميا ، فيقال إنه خرج يختار أرضا صحيحة الهواء والتربة والماء يبنى بها مدينة يسكنها ، فأتى موضع الإسكندرية فأصاب به أثر بنيان وعمد رخام منها عمود عظيم مكتوب عليه بالقلم المسند (ب) ، وهو القلم الأول من أقلام حمير وملوك عاد : « أنا شداد بن عاد ، سددت بساعدي الوادي وقطعت عظيم العماد من شوامخ الجبال والأوطاد ، وبنيت إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد . أردت أن أبني هنا مدينة كارم وأنقل إليها كل ذى قدم من القبائل والأمم ، فأصابني ما أعجلني و عما ذهبت إليه قطعني ، فارتحلت عن هذه الدار ، لا لقهر ملك جبار ولا بخوف جيش جرار ، ولكن لتمام المقدار ، وانقطاع الآثار ، وسلطان العزيز الجبار . فمن رأى أثرى وعرف خبرى وطول عمرى فلا يغتر بالدنيا بعدى » . قيل فلما رأى الإسكندر طيب أرض ذلك المكان وصحة هوائه وما به عزم على بنيان مدينة بذلك الموضع ، فبعث إلى البلاد فخشد الصناعات واختط الأساس ، واستجلب العمدة والرخام وأنواع المرمم الملون والأحجار في البحر من جزيرة صقلية وبلاد إفريقية وأفريطش .

فلما اختط أساس المدينة كلها وحفره أراد أن يكون إنزال البناء في وقت سعادة وبقاء على الدهور ، فوضع على حفير الأساس عمود رخام وعلى كل

(١) « له ملكه » ناقصة في ب . (ب) ب : الهند .

== روح النقد . فهو يعرف أن الذى بناها هو الإسكندر بن فيليب ، ولكنه لا يستطيع إنكار المصادر الأخرى مثل ابن عبد الحكم وابن الفقيه والمسعودى وغيرهم ، فهو يورد رواياتهم . وهو لذلك يقدم عددا من الأساطير والخرافات الشعبية ، وينكر بعضها قائلا إن الجهال هم الذين يعتقدون فيها .

قارن عبد اللطيف ، ص ١١٤ والترجمة ص ١٨٣ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ٣٢ وتابع ؛ ابن خردادبه ، ص ١٥٩ (حسب روايته طالت مدة بناء المدينة إلى ٣٠٠ سنة . ابن رسته ، ص ٨٠) ؛ ابن الفقيه ، ص ٦٩ - ٧٠ ؛ المقدسى ، ص ١٩٦ ؛ اليعقوبى ، ص ٢٢٩ ؛ الادريسي ، ص ١٣٨ وتابع ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٥٥ ؛ ابن دقاق ، ص ١١٦ وتابع ؛ ابن جبير ، ص ٤٠ وتابع ؛ البدرى ، المخطوط ، ص ٤٩ - ١ وتابع ؛ كتاب الجغرافيا ، المخطوط ، ص ٣٨ - ١ وتابع ؛ المقرئى ، المخطوط ، ج ١ ص ١٤٧ وتابع .

قطعة من الأرض خشبة قائمة ، ووصل بها حبالا منوطة بعضها ببعض يرجع
جميعها إلى عمود الرخام ، وعلى العمود جرسا عظيما وعلى كل قطعة من تلك
الحبال جرسا صغيرا ، فإذا حركوا حبل الجرس الكبير على العمود وخفق تحركت
سائر الحبال وخفقت الأجراس . وأقام الإسكندر يرقب الوقت المحمود ، وأمر
الصناع إذا سمعوا تحريك الأجراس أن يضعوا الأساس دفعة واحدة وقد
قالوا استعدادا لذلك . فبينما الإسكندر يرقب الوقت أصابته سنة ، فوقع غراب
على حبل الجرس الكبير فحركه فتحركت جميع الأجراس ، فوضع البناؤون في تلك
الساعة الأساس (١) . وارتفع الضجيج بالتحميد والتسبيح فاستيقظ الإسكندر
المسجى بهم ، فسأل عن الخبر فأعلن ، فعجب من ذلك ، وقال : « أردت أمرا فأراد
الله غيره ويأبى الله إلا ما يريد ، أردت طول بقائها وأراد الله سرعة بنائها » (٢) .
ثم تهادى على عملها وبني المدينة على أزاج وطبقات قد عمل لها مخاريق ومتنفسات
للخواء ، يسير الفارس ويده رمح طويل فلا يضيق به طريق من تلك الأزاج حتى
يدور جميع الإسكندرية . وكذلك كانت أسواقها مقنطرة فلا يصيب أهلها
المطر . وبني أسوارها من أنواع الرخام الأبيض والملون ، وكذلك جميع قصورها
ودورها ، فكانت تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام ، وربما علت
على أسوارها شقائق الحرير الأخضر لاختطاف بياضها أبصار الناس (٣) . وبني
عليها ٧ أسوار وأمام كل سور خندق ، وبين كل خندق وسور فصيل .

ويقال إنها كانت أعظم مدينة بنيت في معمور الأرض وأغربها بنيانا ، فقليل
إله كان سكان البحر يؤذون الناس ويختطفونهم بالليل ، فاتخذ الإسكندر الطلسمات
معصورة على أعمدة رخام على هيئة شجرة السرو ، طول العمود منها ٨٠ ذراعا ،
وهي باقية إلى هذه الغاية . يقال إنها على أعمدة نحاس قد خرقت الأرض فصورت

(١) هنا تجدر الإشارة إلى أن ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٤١٥)
يلسب هذه الأسطورة إلى بناء القاهرة .

(٢) القراءة في المسمودي (مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٢٤) : « .. أردت طول بقائها
وأراد الله سرعة بنائها وخرابها .. » .

(٣) حسب رواية أخرى ظل أهل المدينة يضمون الخرق السود على عيونهم طوال ٧٠
عاما خوفا على أبصارهم من شدة بياض الرخام . ابن عبد الحكم ، ص ٣٦ ؛ ابن خردادبه ،
ص ١٥٩ ؛ ابن رسته ، ص ٨٠ .

فيها أشكال وصور تمنع وتدفع (١) . وبني المنار على طرف اللسان الداخلى
 في البحر من البر ، وجعله على كرسى من زجاج على هيئة السرطان في جوف
 البحر (١) ، وجعل طوله في الهواء ألف ذراع (٢) ، وجعل في أعلاه المرآة .
 وكانت المرآة قد ركبت من أخلاط غريبة فيبصر فيها ما يأتي من مراكب العدو
 على مسيرة أيام فيتأهب لهم ، فإن قربت المراكب من البلد عملت أخلاط
 بأدهان يعرفونها وطلبت بها المرآة وعكس شعاعها على تلك المراكب فأحرقها .
 وجعل في المنار تماثيل من نحاس وطلاسم كثيرة تمنع وتدفع أولها خواص ، فبها
 تمثال قد أشار بسبابة يده اليمنى نحو الشمس حيث كانت من مشرق أو مغرب
 أو أفق فيدور معها ، وتمثال يشير بيده نحو العدو إذا كان منه على مقدار ليلة ، فإن
 دنا وأمكن أن يرى بالبصر يسمع لذلك التمثال صوت هائل على ميلين أو ثلاثة .
 وتمثال آخر كلما مضى من الليل أو من النهار ساعة سمع له صوت طرب
 بخلاف الصوت الذى كان منه قبل ذلك . وقد اختلف الناس والرواة في أمر
 بناء هذا المنار فمنهم من رأى أنه من بناء الإسكندر ، ومنهم من رأى أن دلوكة (ب)
 الملكة بنتها ، ومنهم من رأى أن جيرون الملك المتقدم الذكر بناها . وقيل إن الذى
 بنى الأهرام بناها ، وقيل إن الذى بنى رومة المدينة العظمى بنى الإسكندرية
 وبني منارتها . وإنما أضيفت الإسكندرية إلى الإسكندر لسكنائه بها وغلبته
 ممالك الأرض منها . وقيل إن الإسكندر كان لا يخاف أن يطرقه عدو في البحر
 ولا يهاب ملكا يرد عليه فيجعل لذلك مرقبا وحراسا . قال عبد الله بن عمرو

(١) ب : قدوم . (ب) « دلوكة » فاقصة في ب .

(١) يقول المسعودى (مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٣٩ ، التنبيه ، ص ٤٧) إن بطليموس
 بنى المنار بعد موت الإسكندر بن فيليب . ويرى ابن رسته (ص ٨٠ ، ١١٨) وابن الفقيه
 (ص ٧٠) وابن خردادبه (ص ١٥٩) والمسعودى (في مناسبة أخرى ، مروج الذهب ، ج ٢
 ص ٤٣١) أن المنار من عمل الإسكندر ، وأنه حسب قول البعض من عمل دلوكة بالية الأهرام .

(٢) لا يتفق الكتاب فيما يختص بمقاييس المنار . ورغم الإجماع البالغ الذى يشهده فإن
 ياقوت يؤكد خيبة أمه حينما رآه بعد ما سمعه عنه (معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٦٣) .

وعن ارتفاع المنار أنظر عبد اللطيف ، ص ١١٤ والترجمة ص ١٨٣ (٢٥٠ ذراعا) ؛
 ابن جبير ، ص ٤١ (أكثر من ١٥٠ قامة) ؛ اليمقوبى ، ص ٣٣٨ (١٧٥ ذراعا) ؛
 ابن رسته ، ص ١١٨ (٣٠٠ ذراع بذراع الملك أى ٤٥٠ ذراع بمقياس اليد) ؛ الإدريسي ،

ص ١٣٩ (١٠٠ قامة) . قارن Aeto Palacios, Una descripcion nueva del Faro de
 Alejandria, Al-Andalus, 1933, fasc. 2, p. 245, 599.

ابن العاص إن أول من ملك الإسكندرية فرعون والتخذ فيها مصانع ومجالس ،
وهو أول من حمرها ثم تداولها الملوك بعده ، وإن سليمان بن داود عم التخذها
مسكنا وبني فيها قصورا ومصانع عجيبة من بناء الجفن ، وبني في المنار مسجدا
ملقا وهو باق إلى الآن . والأصح أن الإسكندر بناها من أولها واختط أساسها
وبني المنار فيها وعمل المراءة في أعلاها ، فيقال إنه ما ظهر العدو في البحر ولا
حرب بأسيافه الإسكندرية إلا بعد زوال تلك المراءة ، وكان زوالها في خلافة
الوليد بن عبد الملك بن مروان . وذلك أن ملك الروم أعمل الحيلة في زوال
المراءة من المنار ، فبعث خادما من خواص خدمه ذا دهاء ورأى ومعرفة بما
يلائم من أشغاله ، فجاء مستأمنا إلى بعض الثغور . فحمل إلى أمير المؤمنين الوليد
بن عبد الملك بن مروان فأعلمه أنه كان من خواص ملك الروم وأنه أراد قتله
لوجدة لم يكن لها حقيقة ، وأنه هرب منها ورغب في الإسلام فأسلم بين يدي
الوليد ، وأظهر له النصيح في أشياء خدمه فيها . ثم إنه استخرج له دفائن في بلاد
دمشق وغيرها من بلاد الشام بكتب كانت عنده ، فلما رأى ذلك الوليد
شبهت (أ) نفسه وتمكن طمعه وباحته عما عنده من هذا الفن ؛ فقال له إن
الإسكندر استولى على ممالك العالم ، واحتوى على الأموال والذخائر التي كانت
لشداد بن عاد وغيره من ملوك العرب والعجم والفرس وغيرهم من الأمم ؛ فبني
لها الآزاج والأسراب والأنجباء ، وأودعها تلك الذخائر والأموال والجواهر
ثم بنى فوقها تلك المنارة التي بالإسكندرية . فلو هدم ذلك المنار استخرج
من تحته (ب) من الأموال والذخائر والكنوز وما لا عين رأت ؛ فصدق ذلك الوليد
وطمع فيه ، وبعث معه (ب) من خواصه وثقاته من يقف على هدم المنار . وأمر
صاحب الإسكندرية أن يعينه على جميع ما يريد ، فهدم ذلك الرومي قدر نصف
المنار (أ) وأزال المراءة التي كانت غرضه وأراد هدم الكل ، فضج أهل

(أ) ب : شرحت .

(ب) الجمل الواقعة بين (ب) ، (ب) ناقصة في ج

(١) حسب المسعودي (التنبية ، ص ٤٨ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٥٧)
أنهدم جزء من المنار يقدر بحوالى ٣٠ ذراعا في شهر رمضان سنة ٣٤٤ = أكتوبر ٩٥٥ بفعل
الزلازل .

الإسكندرية ، وعلموا أنها مكيدة وحيلة . فلما استفاض ذلك حشى الروى على نفسه ، وهرب فى الليل (١) فى مركب كان قد أعدده لذلك الوقت ؛ وبقيت المنارة على ذلك المقدار إلى هذا الوقت .

صفة المنارة اليوم : هى اليوم ٣ أحزم ؛ أما الحزام الأول فهو مربع البناء ، قد عمل أحسن عمل بحجارة مربعة قد خنى التصاقها حتى صارت كالحجر الواحد لم يغيره الزمان ، ارتفاعه ٣٢٠ ذراعا . ثم ترك فى أعلاه قدر غلظ الحائط وهو ٨ أصابع ونحو ١٠ أذرع سوى ذلك الغلظ (١) ؛ ورفع على مابقى من البناء بناء مشمن الشكل طوله ٨٠ ذراعا (٢) . ثم ترك قدر غلظ حائطه وهو أقل من غلظ الأسفل وهو نحو ٨ أذرع سوى ذلك [الغلظ] ؛ ثم أقيم عليه بناء مربع الشكل ارتفاعه ٥٠ ذراعا (٣) ونحوها . وفى أعلاه ذلك مسجد محكم البناء ويقال إنه مسجد سليمان (٤) . وفى الناحية الشمالية من البناء كتابة من النحاس لم يقدر أحد على فكها ولا معرفة ما هى . وباب المنارة حديد لا يعلم له عهد ، ويرقى إلى الباب من أسفل المنارة فى علوة لا تتبين ، وكذلك إلى أعلاه (ب) الحزام الأول فى طريق يمشى فيه فارسان متناكبان فى أرض سهلة لا يكاد الراقى يعلم فيه

(١) ب : النيل . (ب) « إلى » ناقصة فى ب ، ج .

(١) قارن المسودى ، التنبيه ، ص ٤٧ (الطبقة الأولى ارتفاعها ١١٠ ذراعا) ؛ عبد اللطيف ، ص ١١٤ والترجمة ص ١٨٤ (الطبقة الأولى مربعة وارتفاعها ١٢١ ذراعا) . حسب العبدى (المخطوط ، ص ٥٠ - ١) غلظ الحائط ١٠ أشبار .

(٢) قارن المسودى ، التنبيه ، ص ٤٥ (ارتفاع الطبقة الثانية ٦٠ ذراعا) ؛ عبد اللطيف ، ص ١١٤ والترجمة ص ١٨٧ (الطبقة الثانية مشنة وارتفاعها ٨١ ذراعا ونصف ذراع) .

(٣) على عكس ما يقوله صاحب الاستبصار يذكر عبد اللطيف (ص ١١٤) والترجمة (ص ١٨٤) أن الطبقة الثالثة دائرية (وارتفاعها ٣١ ذراعا) . قارن المقرئى ، المخطوط ، ج ١ ص ١٥٧ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٥٤

(٤) يروى ابن عبد الحكم (ص ٣٥) أن سليمان بنى هذا المسجد عند ما اتخذ الإسكندرية عاصمة للملكة ؛ وبعده هدم الإسكندر المدينة عدا المنار الذى ظل سليما ثم أعاد بناءها . وفى رواية أخرى (ص ٣٦) يقول إن المنار ، حسب ما يقال ، كان من عمل كليوباترة . قارن ابن جبير ، ص ٤١ ؛ عبد اللطيف ، ص ١١٦ والترجمة ص ١٨٤ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٥٤ (الذى ينسب بناء المسجد إلى ابن طولون) .

هل هو راق أو ماش، في كل عطف من هذا المصعد باب دار داخلها بيوت
 مربعة ، سعة كل بيت منها ٢٠ ذراعا إلى ١٠ أذرع ، قد فتع له مضار ومنافس
 للهواء لئلا تهدمها الرياح . وعدد ما في المنار من البيوت ٣٦٤ بيتا (١) ، وعطف
 مطالعها من أسفلها إلى أعلاها ٧٢ عطفًا وفي كل عطف ١٢ درجة . وبيوتها
 كلها أزاج معقودة ، وبناء المنار كله معقود بنخشب الساج ، وعدة أبوابها الظاهرة
 خارجا ٢٢ بابا ، فتحت لتخرقه الرياح ولولا ذلك لهدمته . وهذا المنار من دخله
 ولم يعرف مسالكه تاه فيه وضل لأن فيه طرقا تولى إلى أسفلهِ وإلى سرطان
 الزجاج المتقدم الذكر وإلى البحر . ويقال (١) إن جيش صاحب المغرب حين
 وصل الإسكندرية وذلك في خلافة المقتدر (٢) ، دخل جماعة منهم المنار على خيولهم
 أبروا ما فيه من الغرائب ، فتأهوا وتهوروا هم ودوابهم وفقد منهم عدد
 كثير . وقد كان البحر أثر في أسفل المنارة من غربها كالكهف العظيم فسد
 بعض أمراء مصر - أظنه من العبيدين (٣) - ذلك التلم بأساطين الرخام بعضها
 فوق بعض . فالبحر يضرب اليوم في تلك الأساطين فلا يؤثر فيها شيئا .
 وفي جهة الشمال من المنار بناء عظيم عريض ارتفع من قعر البحر حتى ظهر
 هل وجه الماء ، يدل على أنه كانت عليه مصانع قد ذهبت ، ويسمى ذلك
 الهيكل الفاروس ؛ تحته ترسو السفن لأنه يكف عنها الرياح والموج . وقد زعم قوم
 أن ذلك الظاهر ليس بيتا وإنما هو ما هدم من حجارة المنار الذي ذكرنا .

قال بعض العارفين إذا أردت أن تبصر ارتفاع المنار وعلوه من الجو
 فإخرج من الإسكندرية من باب أشنوم (ب) ، وتسير على ضفة البحر نحو نصف
 ميل ثم تسير نحو الشمال مقدار ذلك ثم تسير على بناء في البحر كالقناطر (ج) ولها
 منافس والبحر يضرب من ناحيتها نحو ٤٠ خطوه ، فإذا خرجت من ذلك البناء سرت

(١) و«يقال» فاقصة في ب (ب) ب : استومر .

(ج) القراءة في النص : كالقناطر .

(١) رغم الروايات المختلفة مثل التي يوردها الاصطخرى (ص ٥١) والمقدسى (ص ٢١١)
 يقرن ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٦٣) أنها مبنية على خرافات ومبالغات لا أساس لها .

(٢) أنظر فيما سبق هامش ٣ ص ١٤

(٣) ينسب المسعودي (التنبيه ، ص ٤٨) هذه الترميمات إلى أحمد بن طولون . قارن
 المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٥٧

في قضاء داخل في البحر كأنه جزيرة والمنازة في أعلا هضبة منها . وقد أحاط البحر بالمنازة من ٣ جهات : من ناحية الشمال والغرب والجنوب ، فنظر حينئذ إلى المنازة فتراها كأنها سحابة قد ارتفعت في الجو ، فتظن أنها ترتعد من انعكاس شعاع الشمس وضرباته في المنازة (١) .

ولهذه المنازة بالإسكندرية مجتمع في العام يسمونه نخميس العدس (١) ، وهو أول خميس في شهر ما به لا يختلف في مدينة الإسكندرية عن الخروج إلى المنار في ذلك اليوم أحد . وقد أعدوا لذلك اليوم الأطعمة والأشربة ، ولا بد في ذلك الطعام من العدس . فيفتح بابها للناس ويدخلون فيها ، فمن ذاكر لله تعالى ومن مصل ومن لاه ومتفرج ، فيقيمون إلى نصف النهار ثم ينصرفون (٢) . ومن ذلك اليوم بعينه يحترس البحر . وفي المنازة قوم مرتبون يوقدون النار الليل كله في الخزام الأول ، فيؤم أهل السفن سمت تلك النار (ب) من جميع البلاد ، ويوقد صاحب السفينة النار في سفينته فإذا رأى المحترسون النار في البحر ، زادوا في وقود النار وأوقدوها من جهة المدينة ، فإذا رأى ذلك محترسو المدينة ضربوا البوقات والأجراس حذرا من العدو .

وكان حول المنار مغائص يستخرج منها أنواع من الأحجار يتخذ منها فصوص الخواتم ، مثل الاسباد شيخ ومثل الكركهن والباقلمون وغير ذلك من الأحجار الغريبة التي لا توجد في هذا الزمان ولها خواص . وهذا الباقلمون حجر يتلون ألوانا مختلفة عند النظر إليه كلون ريش الطواويس الهندية ، فإن ألوان ريشها أحسن ألوانا من هذه الطواويس التي بهذه البلاد . ولطواويس الهند جمال عظيم وخلق عجيب ، تمتاز ألوان ريشها وتترادف فيها فيرى لها منظر عجيب ، وأصلها من الهند وما خرج منها من ديار الهند صفر حجمه وكدر لونه كما (ج) يفعل مانقل من النارج والأترج من بلاد الهند ، فإنها تصغر وتعدم تلك الروائح العطرية لعدم ذلك الهواء والتربة . قيل وكان حول المنار من تلك الجواهر كثير ، فيقال إن الإسكندر أغرق ذلك حول المنار فيوجد هناك إذا طلب ، ويكون ذلك الموضع أبقى لها ويرى الناس على مر الدهور عظيم ملكه

(١) النص : العرس . (ب) ب : الناس .

(ج) « كما » ناقصة في ب .

(١) تارن ابن رسته ، ص ١١٨ ؛ المقدسي ، ص ٢١١

(٢) البكري ، المخطوط ، ص ٦٠ ؛ انظر المقرئزي ، المخطوط ، ص ٢٦٦ ، ٢٩٥

وما قدر عليه لوجود ما حرر هذه غيره (١) مطلبه . وقيل أيضا إنها كانت آلات شراب الإسكندر ، فلما مات كسرتها أمه ورمت بها في تلك المواضع غيره أن ينتفع بها أحد (١) . والقصر الأعظم الذي كان بالإسكندرية ، لم يكن له على معمور الأرض نظير ، هو اليوم خراب . وهو على ربوة عظيمة بإزاء باب المدينة طوله ٥٠٠ ذراع وعرضه على النصف من ذلك ولم يبق منه إلا بعض سواربه ، وبابه من أحكم بناء وأتقنه على عضادة من حجر واحد ، وعتبته حجر واحد ، فيه نحو ١٠٠ أسطوانة قائمة غلظ كل واحدة نحو عشرة إشباز (ب) . وفي نحو الشمال منه أسطوانة عظيمة لم يسمع بمثلها ، غلظها (ب) ٣٦ شبرا وهي من العلو بحيث لا يدرك أعلاها قاذف بحجر ، وعليها رأس محكم الصناعة يدل على أن بناء كان عليها ، وتحتها قاعدة من حجر أحمر مربع الشكل محكم عرض كل ضلع من أضلاعه ٢٠ شبرا في ارتفاع ٨ أشبار . والأسطوانة منزلة في عامود من حديد قد خرقت به الأرض ، فإذا اشتدت الرياح رأيتها تتحرك وربما جعلت تحتها الحجارة فتطحنها لشدة حركتها (٢) . وهذه الأسطوانة (ج) من إحدى أعاجيب الدنيا ، ويقال إن الجن صنعها لسليمان بن داود عم . وكانت وسط قبة وحولها أساطين ، وأعلا الكل قبة تشبه الصفحة من حجر واحد رخام أبيض بأحسن صنعة (د) وأغرب إتقان . فلما مات سليمان بن داود عم (د) ، رفعت الجن تلك القبة ورمت بها في البحر ، فلما كانت من غرائب ما عملت الجن لسيدنا سليمان بن داود عم (د) . قال حمزة بن محمد المصري إن بعض ملوك مصر دخل الإسكندرية ورأى قصرها فنظر إلى قصر عجيب الشأن غريب البنيان من بناء الأولين ، فدعا الصناع وسألهم أن يبنوا له مثله فقالوا له لا نقدر على ذلك ، فعزم عليهم فقام إليه شيخ وقال : أنا أبني لك مثله وأحسن منه إن فعلت لي ما أريد ، قال بلى ، قال : إيتوني بثورين مطيقين وعجلة فأمر له بذلك فدخل

(١) « غيره » ناقصة في ب .

(ب) الحمل الواقعة بين (ب) ، (ب) ناقصة في ب .

(ج) ب : السطوفه . (د) ج : صفة .

(د) الحمل الواقعة بين (د) ، (د) ناقصة في ب .

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٣٧ وتابع .

(٢) البكري ، المعطلوط ، ص ٦١ (والمقتطف الذي نقله De Sacy : عبد اللطيف

هامش ٥٣ ص ٢٣٢ وتابع ٢)

مقابر الأولين واحتفر قبرا منها واستخرج جمجمة عظيمة ، فوضعها في العجلة
فما جرها الثوران إلا بعد مشقة وجهد ، فجاءه فقال أصلح الله الأمير إن أعطيتني
من تكون رؤوسهم مثل هذا الرأس بنيت لك مثل هذا القصر ، فعلم أنه لا يقدر
على ذلك ^(١). وقال حمزة بن محمد أيضا : رأيت بالإسكندرية قصابا عنده
خرس يزن به اللحم زنته ٨ أرطال ^(٢). وكان بالإسكندرية دار ملعب قد تهدم
أكثرها ، وكانت قد بنيت بضروب من الحكمة ، وكانوا يجلسون فيها لقضاء
حوادثهم ، فكان كل جالس فيها إنما جلوسه تلقاء وجه صاحبه ولا يتخفى على أحد
منهم شيء من حال غيره ، يتساوى قريبتهم وبعيدهم في ذلك . وكان لهم يوم مهرجان
يجتمعون فيه في هذا الملعب ، ويحضره رؤسائهم وأبناء ملوكهم وعامتهم ، ويلعب
فيه الصبيان (١) والفتيان بالصوايح وبينهم كرة (ب) . فإن دخلت تلك الكرة كم
رجل ممن حضر في ذلك اليوم فلا بد له من ولاية مصر ، كان هذا عيدهم معروف
لا ينكره أحد . وكان عمرو بن العاص رحمه الله قد سافر إلى الإسكندرية
في الجاهلية تاجرا بالقطن والأدم ، فحضر ذلك الملعب في ذلك اليوم ، فلعبوا فيه
بالكرة فدخلت كم عمرو بن العاص حتى أتى (ج) الله بالإسلام فكان ما قدر
الله تعالى من دخول عمرو مصر وولايتها ٣ مرات ^(٣).

والإسكندرية تعجب كل من رآها لبهجتها وحسن منظرها ، وارتفاع مبانيها
وإتقانها وسعة شوارعها وطرقاتها . وهي بركة بحرية ، وفيها من النعم والأرزاق
والفواكه ما ليس ببلد مع طيب هوائها وتربتها . وقد ذهب بعض المفسرين

(١) « الصبيان » ناقصة في ب . (ب) ج : كورة .
(ج) « أتى » ناقصة في ب .

(١) البكري ، المخطوط ، ص ٦٢ ؛ المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ١٦٠ . يحتاج
عبد اللطيف (ص ١٣٠ والترجمة ص ١٩٠) ضد هذا الاعتقاد ويقول : « وإذا رأى اللبيب
هذه الآثار عذر العوام في اعتقادهم عن الأرائل بأن أعمارهم كانت طويلة وجثثهم عظيمة ، أو أنه
كان لهم عصا إذ ضربوا بها الحجر سمي بين أيديهم » .

(٢) أنظر المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ١٦٠ . وقارن ياقوت ، معجم البلدان ،
ج ١ ص ٢٦١ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٢٤

(٣) أنظر الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٧ ؛ ابن دقاق ، ص ١٢٥ - ١٢٦ ؛
المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ٣١ ، ١٥٨ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٥٥

إلى أن إرم ذات العماد هي الإسكندرية^(١) ، وقال الناظرون في الأعمار في جميع
الأقاليم والأمصار : لم تطل أعمار الناس في بلد من البلدان كطولها بمريوط ووادي
فرغانة ، ومريوط قرية من قرى الإسكندرية بالقرب منها ؛ وهي كبيرة ولها بساتين
كثيرة (١) ومنها تجلب الفواكه إلى الإسكندرية . ويروى أن عوف بن مالك
حين دخل مدينة الإسكندرية قال لأهلها^(٢) : « ما أحسن مدينتكم » ، فقالوا
له إن الإسكندر حين بناها قال : « أبني مدينة إلى الله فقيرة وعن (ب) الناس غنية »
فبقيت بهجتها على مر الدهور . وكان الفرما أخو الإسكندر بني مدينة الفرما
وقال : « إني أبني مدينة عن الله غنية وإلى الناس فقيرة » ، فذهبت بهجتها ولا يزال
ينهدم منها كل يوم شيء لا يجبر أبدا^(٣) ويقال إن عمر بن عبد العزيز لما
دخل الإسكندرية ، وكان إذ ذاك والى مصر ، ورأى عظمتها وسعة آثارها وعلم
أنها كانت مدينة كبيرة قال لعاملها وكان من أهلها : « أخبرني كم كان عدد سكان
الإسكندرية في أيام الروم » ؛ فقال له : « والله لا أدرك علم ذلك أحد إلا الله وحده ،
ولكني أخبرك كم كان عدد رؤسائهم ورؤسائها وملوكها فإن ملك الروم أمر
بإحصائهم ، وكتب ذلك في تواريتهم وكتبهم ، فوجدهم ٦٠٠ ألف ملك^(٤) .
والدليل على عظم شأنها وكثرة ملوكها أن المطر إذا نزل فيها نزولا شديدا وسال
ترابها مع الماء ، خرج من فيها من الرجال والنساء والصبيان والضعفاء يلتمسون
حوالها ، فيجدون قطع الذهب والفضة من الحلوى وغيره والياقوت والزمرد
 وأنواع الجواهر ، وليس يرجع أحدا منهم بغير شيء .

(١) « ولها بساتين كثيرة » ناقصة في ب . (ب) النص : وإلى .

(١) تقول الروايات إن إرم ذات العماد ، عاصمة قبيلة عاد المذكورة في القرآن (سورة
٨٩ ، آية ٦) ، هي الإسكندرية لوجود الأعمدة بها وخاصة عمود السوارى المشهور . ومن هذه
الأسطورة خرجت الخرافة التي تقول إن باني الإسكندرية هو شداد بن عاد الذي ينسب إليه زيادة
على ذلك بناء الأهرام . أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٢١٢ - ٢١٣

(٢) البكري ، المخطوط ، ص ٦٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٨٨٣ ؛
السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٦٥

(٣) البكري ، المخطوط ، ص ٦٤ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٦٢ ؛
ابن خردادبه (ص ١٥٩) يقول أنه كان بها من اليهود ٦٠٠ ألف سوى أهلها

(٤) البكري ، المخطوط ، ص ٦٥ ؛ يعقوب ، ص ٣١٩ ؛ المقدسي ، ص ١٩٤ ؛
ابن دقاق ، ص ١٢٦

ومدينة الاسكندرية أعظم مدن مصر ، وبلاد مصر كلها لها من العجائب والفرائب ما يعجز عنه الواصفون . ذكر أن أحمد بن طولون كان صاحب مصر في سنة نيف ومائتين وكان مولعا بمعرفة هذه الآثار القديمة والعجائب (١) ، فذكر له أن رجلا من الأقباط بأرض الصعيد ، وهي من أعالي بلاد مصر ، له (١) نحو ١٣٠ سنة ، وهو ممن عني من لدن حدائثه بالعلم والإشراف على الآراء وانتحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم ، وأنه علامة بالممالك والملوك ومعرفة بهيئة الأفلاك والنجوم ، وكان نصرانيا على مذهب اليعاقبة . فبعث ابن طولون إليه قائدا من قواده فحمله إليه في النيل مكرما ، وكان الشيخ قد انفرد عن الناس في بنيان قد اتخذها وسكن في أعلاه ، وكان قد رأى الرابع عشر من ولده . فلما وصل إلى أحمد بن طولون أكرمه وأبره وأسكنه بعض مقاصيره ومهد له موضع جلوسه وحمل إليه لذيذ المأكول والمشرب ، فأبى الشيخ أن يتغذى أو يلبس إلا ما حمل مع نفسه من كعك وسويق ونحوها ، وقال هذه بنية قوامها بما ترون من الغذاء والملبس فإن أنتم ستمتوون النقل على العادة كان ذلك سبب انحلال البنية ويفوتكم مني ما تطلبونه ، فتركه ابن طولون وما يريد . ثم أحضره مجلسه مع أهل الدراية من أصحابه وخواص مجلسه وصرف إليه همته وغرضه ، فلما سأله عن بحيرة تنيس ودمياط المتقدم ذكرهما ، قال كان موضع البحيرة أرضا لم يكن بديار مصر مثلها لطيب التربة وذكاء الربيع ، وكانت جنات متصلة ولم يكن بمصر كورة يقال إنها تشبه الفيوم إلا هي وحدها ، وكانت أكثر فاكهة منه ؛ وكان الماء ينحدر إلى قرى موضع البحيرة صيفا وشتاء يسقون منه متى شاءوا ، وفضلة الماء تصب في البحيرة . وكان بين العريش وقبرص طريق مسلوكة في ييس ، وبينهما اليوم مسير طويل في البحر ، فلما كان قبل استفتاح المسلمين ببلاد مصر بـ ١٠٠ سنة طام ماء البحر وزاد فأغرق القرى التي كانت في موضع البحيرة ، وما كان منها في البقاع المرتفعة فهي باقية إلى الآن قد أخاط بها الماء . وقال وعند هذه الزيادة التي زادها ماء البحر ، طغى الماء على القنطرة التي كانت بين بلاد الأندلس وبين

(١) « له » ناقصة في ب .

(١) الصفحات التالية مأخوذة عن المسعودي (مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٧٢ وتابع) بمعرفة البكري كما لاحظ ذلك العبدري (المخطوط ، ص ٦٩ - ١) . قارن النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٤٣

ساحل طنجة من أرض المغرب . وكانت قنطرة عظيمة لا يعلم في معمر
الأرض مثلها ، مبنية بالحجارة ، تمر عليها الإبل والدواب من ساحل المغرب
إلى الأندلس ، وكان طولها ١٢ ميلا في عرض واسع وسمو كبير ، وربما بدت
هذه القنطرة لأهل السفن تحت الماء فعرفوها .

وسئل عن ممالك الحبشة والأحابيش التي على النيل ، فقال ألفت منهم
٦٠ ملكا كل ملك منهم ينازع من يليه . قال وبسبب استحكام النارية في بلادهم ،
لكون عندهم معادن الذهب كثيرة ، فإن حرارة الشمس وييسها يغير الفضة
ذهبها ، فإذا طبخ ذلك الذهب بالملح والزاج والطوب ، خرج مافيه من الفضة .

وسئل عن منتهى النيل في أعلاه ، فقال أصله من البحيرة التي لا يدرك
طولها ولا عرضها ، وهي تحت خط الاستواء تحت قنطرة الفلك المستقيم ،
وهو الموضع الذي فيه الليل والنهار متساويان الدهر كله .

وسئل عن الأهرام ، فقال إنها قبور الملوك ، وكان الملك إذا مات وضع
في حوض من رخام ثم أطبق عليه وبنى له هرم على قدرهمة وليه (أ) ، ثم يوضع
الحوض في وسط الهرم ويصنع باب الهرم تحت الحوض ، ثم يحفر له طريق
في الأرض ويعقدونه آزاجا . فقيل له فكيف هذه الأهرام المملسة وكيف كانوا
يصعدون (ب) لبنائها ، فقال كانوا يبنون الهرم مدرجا ويصعدون لبنائه فإذا
فرغوا من عمله نحتوه . قيل له وكيف كانوا يصنعون (ب) بهذه الحجارة
العظيمة التي لا يقدر ١٠٠ رجل منا أن يزحزحوا منها حجرا واحدا ،
قال كانت لهم فراقل قد دبروها بأخلاط من المعادن وأنواع من الحكم ، فكانوا
يضربون بها الحجر الكبير فينقسم لهم على القدر الذي يريدون ويتأتى لهم النحت ،
ومع هذا فإنه كان لهم صبر وجلد على أعمالهم ليس لمن بعدهم . قال الوصيفي (١) ،
قال رجل قبلى ، وقد أجرينا من هذا الذي ذكرنا (ج) ، إنهم أصابوا في بعض
الكنائس في طاق سقفا في (د) سلة ففتحوها فوجدوا فيها فرقلة فعجبوا منها
ولم يدركوا لها معنى ، فطرحوها في النار فكانت تثب من النار حتى تبلغ
سقف الكنيسة فكسروها (ر) ، ثم ندموا على فسادها .

(أ) « وليه » ناقصة في ب .

(ب) الجمل الواقعة بين (ب) ، (ب) ناقصة في ج .

(ج) القراءة في ج : من هذا الذكر . (د) « في » ناقصة في ب .

(ر) « فكسروها » ناقصة في ب .

(١) انظر فيما سبق هامش ٢ ص ٦٠

قال : الناظر هذه مدينة الإسكندرية يطعم فيها عدد صقلية أبدا ، ويجشم مراكبه بأهوال تصيبه عليها ؛ فنها ما أدركته عشية العاشر (١) من محرم سنة ٥٧٠ [١١ أغسطس ١١٧٤] . وذلك أنه احتفل في مراكب كثيرة ونزل في ساحلها وحصن ما قدر وعزم على محاصرة البلد ، فما كان إلا أن عزم على المقارعة حتى صاح في الأعداء صائح وصرخ بينهم صارخ فولوا مدبرين (١) ، وقتل بعضهم والحمد لله رب العالمين .

وفتح الله تعالى بركة هذا الأمر (ب) العزيز على المسلمين بديار مصر ، عند ما سمح بخاطر أمير البلاد بها ، وهو يوسف بن أيوب الكردي ، المخطط بصلاح الدين ، أن يخاطب الخليفة الإمام أبا (ج) يوسف يعقوب (د) بن الإمامين الخليفين رضه أجمعين ؛ فهزم روم الشام واستأصل شأفتهم ، وفتح بيت المقدس شرفها الله ، وجميع تلك البلاد التي كانت بأيدي أعداء الله . ونص الرسالة الواردة بصورة فتح ، كلام مختصر من كتاب وصل من الإسكندرية (ر) ، تاريخه في العشر الوسط من شعبان المكرم سنة ٨٣ [٥] [= أكتوبر ١١٨٧] ، يصف ما سناه الله تعالى ويسره بقدرته من الفتوحات في الروم دمرهم الله تعالى (٢) . وذلك أن رسل ملكهم وصلوا إلى دمشق في الصلح ، فأراد يوسف بن أيوب أن يصالحهم ويعقد لهم الصلح على أن يدفع لهم ١٠٠ ألف أردب من القمح مع المضاف إليه ، وكان بن أخيه ، المخطط عندهم بتقى الدين ، قد تصاهر مع أمير التركمان وجاء بخلق كثير من الأتراك ، فلما عين عمه يريد الصلح عز عليه ذلك وغضب . فسأله عمه عن شأنه فقال له : يأتي الناس متطوعين مسارعين للجهاد وتصالح أنت الأعداء الروم ، ماذا يقوله أهل العراق وأهل الأمصار عنا . فقال يوسف لابن أخيه : تعرف ما صنع أصحابنا

(١) « العاشر » ناقصة في ب .

(ب) ج : الأمير . (ج) « أبا » ناقصة في ب . (د) ب : بن يعقوب .

(ر) ب : بكلام مختصر بكتاب وصل من الاسكندرية .

(١) فيما يختص بمحاولة الصقليين الفاشلة من أجل الاستيلاء على الاسكندرية سنة ٥٧٠ = ١١٧٤ ، يعطى ابن الأثير تفصيلات مهمة عن أسطول العدو ومعدات القتال وعن استراتيجية وتكتيك المعركة التي انتهت بانسحاب المهاجمين ، بعد قتال دار طوال أربعة أيام (الكامل ، ج ١١ ص ٥٧٠ ؛ أبو شامة ، ج ١ ص ٢٣٤) .

(٢) بعد انتصار صلاح الدين المدوى على الصليبيين وفتح بيت المقدس ، بعث الرسل إلى ملوك

الاسلام في مختلف الجهات يعلنهم بالنبا السعيد . أنظر عماد الدين ، ص ٥٨ - ٥٩ ؛

G. - Demombynes, Mélanges René Basset, 1915, Une Lettre de Saladin au Calife almohade, p. 279.

يوم الرملة ، وقد كان خرج معهم إلى لقاء الأعداء الروم فهربوا وتركوه ، وكاد أن يقتل أو يؤسر ، وأخذ له جميع ما كان معه من عدد وأمتعة ، وذلك سنة ٥٧٢ . فلما سمع الأجناد (١) قالوا : صدق ونحن تائبون ونحلف له (١) . فدخل تقي الدين مع الأمراء وأشياخ الأجناد على يوسف ، وحلفوا له كلهم في المصاحف أنه لا يشرب أحد منهم كأس خمر أبدا ولا يرتكب معصية . فلما حلفوا كلهم . فرح يوسف بذلك وأرسل إلى الرسل ، فاجتمع الرسل مع تقي الدين ومع علي بن يوسف بن أيوب وجماعة أشياخ الأجناد فاشتروا شروطا كثيرة في مصالحهم : منها ألا يؤخذ من أحد مكس ، وأن ترد بعض البلاد . فغضب الرسل ووقع بينهم كلام كثير وقالوا بيننا وبينكم السيف ، فاستخف الرسل بكلامهم وفارقوهم ، فقامت قلوب المسلمين وليقضى الله أمرا كان مفعولا . وخرجوا بنيات صادقة وعزائم ناجحة ، فأخذوا طبرية من فورهم ، وبقيت قصبتها لأنها مانعة جدا (٢) . ووصل الروم دمرهم الله في جمع حفيل طامعين في المسلمين ، فنعهم المسلمون الماء ، فعزموا على المقاتلة ؛ وصفت الصفوف غرة جمادى الأولى ، وقيل إن المقاتلة كانت في يوم الجمعة ٢٠ من ربيع الآخر [٢٩ يونيه] ، فكان يوما عظيما ، دفع عليهم الروم دمرهم الله ١١ دفعة والمسلمون بحمد الله ثابتون ، فدفع عليهم المسلمون دفعة واحدة فلم يقف منهم أحد ، فهم بين أسر وقتيل ؛ وأحصى عدد من قتل وأسر ٢٢ ألفا . وأخذ ملوك الروم أسارى وأعيانهم وصاحب الكرك والشوبك ، وقد كان هذا اللعين صالح يوسف ابن أيوب وغدره ، فلما مثل بين يديه في جملة الأسارى ، لم يتألك أن قام يوسف بن أيوب فقتله بنحجر كان بيده (٣) . ثم قاتل يوسف قصبة طبرية فرغبوا في المصالحة ، فحصن البلد وقصبته وبعث الأسارى إلى دمشق (٤) ؛ وأسرع السير إلى عكة فدخلها صلحا وأخرجهم منها دون سلاح ولا عدة (٥) . وقد كان سيف الدين ، أخو يوسف المذكور ، حصر يافا ودخلها صلحا ،

(١) « الأخبار » ناقصة في ب .

(١) حسب أبي شامة (ج ١ ص ٢٧٣) دارت هذه المعركة التي انهزم فيها صلاح الدين سنة ٥٧٣ = ١١٧٧ م .

(٢) أنظر عماد الدين ، ص ٢٢ ؛ ابن الأثير ، ج ١١ ص ٣٥١ - ٣٥٢

(٣) أنظر عماد الدين ، ص ٢٥ وتابع ؛ ابن الأثير ، ج ١١ ص ٣٥٢

(٤) أنظر عماد الدين ، ص ٢٨ ؛ ابن الأثير ، ج ١١ ص ٣٥٥

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٩ ج ١١ ص ٣٥٥

فوجد أهلها قد قتلوا أسارى المسلمين ، فقتلهم أجمعين^(١) ، ونزل على عسقلان ، واتصل به أخوه يوسف بعد أن ترك على صور عسكرياً يحصرها ، ودخل عسقلان آخر جمادى الثاني [= ٥ سبتمبر] ^(٢).

وعدد البلاد التي فتح الله تعالى وأسمائها هي هذه :

الدارُوم وغزة وعسقلان وأرسوف ويافا وحيفا وقبصارية وعكة وإسكندرية وصيداء وببروت وجبله - أسلم صاحبها وجماعة معه . وفتحت تبنين وجبل الطور والقولة وناصره - مدينة المسيح عم - وطبرية وفلسطين ونابلس وبنينا وصفورية والرملة . ونهض يوسف بن أيوب خارج عسقلان إلى بيت المقدس ، وقال للأجناد: بيت المقدس لكم طعمة^(١) ، فدخله منتصف رجب سنة ٥٨٣ [٥] [= ٢٠ سبتمبر ١١٨٧] ^(٢) بعد ٩٥ سنة بأيدي الروم أو نحوها ، وقد كانوا تملكوه في شعبان سنة ٤٨٨ هكذا [= أغسطس ١٠٩٥]. ونص النسخات التي وصل بها الطائر إلى الإسكندرية من مصر بصورة فتحه هو هذا المسطر .

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

سرح هذا الطير الطائر ورفيقه في أول ساعة من نهار الأربعاء ، عند ورود البشري بالمكاتبة المعظمة السلطانية ، بتاريخ يوم الجمعة ٢٨ من رجب سنة ٥٨٣ [٣ أكتوبر ١١٨٧] بما من الله تعالى به من فتح بيت المقدس ، ورفع الأعلام الناصرية في أشرف موضع فيه . وتقرر على كل من فيه لشراء أنفسهم الرجل ب ١٠ دنانير والمرأة ب ٥ دنانير والطفل بدنانيرين ، وتلك نعمة لا تحصر ولا تحصى . وعدد من خلص فيه من أسارى المسلمين ٤٠٠٠ أسير^(٤) ، وكان له في النفوس من الفرح والجدل ما لا يخفاء فيه .

(١) الحملة الأخيرة فاتحة في ب .

(١) انظر عماد الدين ، ص ٣٢ ؛ ابن الأثير ، ج ١١ ص ٣٥٧

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٤ ؛ ج ١١ ص ٣٦٠

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٧ وتابع ؛ ج ١١ ص ٣٦٧ ؛ أبو شامة ، ج ٢ ص ٩٣

(٤) حسب شروط المعاهدة اتفق على أن من لم يستطع فدية نفسه خلال أربعين يوماً يصبح عبداً . وعند انتهاء هذا الأجل فقد ١٤ ألف رجل و ٧ آلاف امرأة حريتهم . انظر عماد الدين ،

وكل ذلك ببركة استجابة هذا الرجل لطاعة الإمام - مهدي الله عمره - وقد بعث إرساله بما وجد فيه وفي تلك البلاد من الذخائر . وهم الآن في مدينة فاس - حرسها الله - مستمعين للأوامر المطاعة ؛ ونحن الآن في شهر رمضان الفرد من سنة ٥٨٧ [= سبتمبر - أكتوبر ١١٩١] ؛ وكان اجتماع هذا الرسول وهو عبد الرحمن بن محمد بن منقذ الأزدي (١) سادس محرم سنة ٨٨ [٥] . [= ٢٣ يناير ١١٩٢] بالخليفة الإمام أبي يوسف رضى ؛ وخرج من الحضرة بعد ذلك بخمسة أيام ولم يعلم به (١) .

(١) ج : الأزرق .

(١) لم يكن انتصار صلاح الدين نهائيا إذ تشبث الصليبيون ببعض النقاط على الساحل وخاصة في صور . وبعد قليل تمكنوا من محاصرة عكا وضغطوا ضغطا شديدا على صلاح الدين الذي كانت تنقصه القوة البحرية المناسبة . وهكذا اضطر إلى طلب المعونة من أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي . ولكن لما كان هذا الأخير في صراع مستمر ضد النصارى في الأندلس والثوار في إفريقيا، فإنه لم يستطع إجابة هذا الطلب العزيز على كل المسلمين (أنظر سعد زغول عبد الحميد، العلاقة بين صلاح الدين وأبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، سنة ١٩٥٣ م) .

ونلاحظ هنا ، ربما بشيء من التعجب ، أن المؤلف بعد أن أثبت تاريخ تدوين كتابه (سنة ٥٨٧ = ١١٩١) عاد ليقول إن رسول صلاح الدين غادر العاصمة الخلافة في السنة التالية (٥٨٨ = ١١٩٢) . ولا ينبغي أن يخدعنا هذا التضارب إذ الحقيقة أن المؤلف أضاف ، كما كانت هي العادة ، هذه الأسطر إلى كتابه الذي كان قد تم عند رحيل السفير .

ذكر المشهور من المدن والعمائر

من بلاد مصر إلى آخر بلاد المغرب حسب المعرفة إن شاء الله تعالى

نجعل ذلك على قسمين : فالبلاد الساحلية أو ما يقرب من الساحل بمرحلة ونحوها بجهة ؛ والبلاد التي تبعد (أ) من الساحل بمرحلة أو نحوها بجهة ، ونضيف إليها ما كان (ب) في الصحراء منها .

فمن مدينة الإسكندرية على الساحل عمائر كثيرة للعرب ولقبائل من البربر سكنوا في تلك الأحياء إلى مدينة سرت . ومدينة سرت (ج) مدينة كبيرة قديمة على ساحل البحر ، وأهلها أخس الناس (د) خلقا وأسوأهم معاملة ، لا يبيعون ولا يبتاعون إلا بسعر قد اتفقوا عليه . وربما نزل المركب بساحلهم موسوقا بالزيت ، وهم أحوج الناس إليه ، فيعمدون إلى الزقاق الفارغة فينفخونها ويصففونها في حوانيتهم ، ليرى أهل المركب أن الزيت عندهم كثير بائر . فلو أقام أهل المركب ما شاء الله أن يقيموا ، ما باعوا منهم إلا على حكمهم . وهم يعرفون بعبيد قرلة (ر) ويغضبون لذلك (١) .

(١) القراءة في ب : البلد الذي تبعه . (ب) ب : الآن .
(ج) النص : سرات . (د) ب ، ج : أحسن . أنظر ترجمة Fagnan ، ص ١ والهامش . (ر) القراءة في النص « بعيد منزلة » ولكن قراءة البكري (ص ٦ : عبيد قرلة) هي الصحيحة ؛ أنظر ترجمة Fagnan ، ص ١٧ ، هامش ١ ، والقرلة طائر صغير يضرب بشرافته وحرصه المثل (أنظر أحمد النائب ، المهمل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص ١٠٨)

(١) هذه الرواية مأخوذة عن البكري (النص ، ص ٦ والترجمة ، ص ١٥ وهامش ٤ ، ص ١٧ وهامش ١ ؛ Quatremère, Note d'un manuscrit., p. 16) . ولقد نقلها ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ص ٦٨ - ٦٩) بحذافيرها أيضا . قارن الإدريسي (صرت) ، ص ١٢٢ ؛ اللمشق ، ص ٢٣٤ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٢٠٣ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٤٤ . أما العبدري (المخطوط ، ص ٤٦ - ب) فيلاحظ أن اسم سرت يطلق ، على عكس ما يقول البكري ، على عدد من القلاع (القصور) .

ذكر بلاد إفريقية وما فيها من العجايب
وذكر البلاد الساحلية منها والصحراوية وذكر ما فيها من الآثار

مدينة أطرابلس^(١)

فأول مدن إفريقية على الساحل مدينة أطرابلس . وهي مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر ، والبحر يضرب في سورها (ا) ، وسورها من حجر جليل من صنعة الأولين . وقيل إن تفسير أطرابلس ٣ مدن ، وقيل مدينة أبياس (ب) . وسها سوق حافلة وحمامات (ج) كثيرة وبساتين في شرقها ، وهي كثيرة الفواكه حمة الخيرات ، وأكثر أهلها تجار يسافرون برا وبحرا ، ولهم سمح في تجارتهم ، وهم أحسن الناس معاملة ضد أهل سرت . وداخل سورها بئر يعرف ببئر أبي الكنود ، يقال إنه من شرب منه يحرق فهم يعبرون به ؛ يقال للرجل منهم إذا أتى بما يلام عليه (د) : لا عتب عليك لأنك شربت من بئر (د) أبي الكنود .

ومن أطرابلس إلى نفوسة ٣ أيام ، وطرف هذا الجبل الخارج في البحر هو طرف أو ثان ، ما بين أطرابلس والإسكندرية ، وهو الطرف الذي إذا عدته المراكب استبشرت بالسلامة . وهذه المدينة تعد من بلاد إفريقية ، وسنذكر ما ورد فيها من الآثار والله المستعان (س) .

قال الناظر كان في مدينة أطرابلس المذكورة رجل غزى اسمه قراقوش (ص)^(٢) استند إلى ذروة (ط) هذا الأمر العزيز — أيد الله دوامه —

(١) ب ، ج ، م : صورها . (ب) ب : الناس ، ك : الإياس . والكلمة ناقصة

في ج . أنظر البكري ، ص ٨ (ج) « حمامات » ناقصة في ك .

(د) ب : مائلا بدلا من يلام على . (ر) « بئر » ناقصة في ك .

(س) « من الآثار والله المستعان » ناقصة في طبعة كرمز التي تورد بقية هذا الفصل

فيما بعد ص ٨١ (ص) ك : قزوش ، ج : قراقوش . (ط) ك : داره .

(١) عن أطرابلس أنظر البكري ، ص ٧ - ٨ والترجمة ، ص ١٨ وتابع (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٥٢١) ؛ أنظر الإدريسي ، ص ١٢١ ؛ وعن رأس أوثنان قارن أبو الفدا ، الترجمة ، ص ١٧٨ ؛ ابن حوقل ، ص ٤٥ ؛ وترجمة Fagnan ، ص ٤ هامش ؛

(٢) حوال سنة ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م خرج أحد ممالك تن الدين (ابن أخى صلاح الدين) واسمه قراقوش على رأس عدد من المماليك المصريين واتجه نحو برقة وطرابلس . وهناك أثار الاضطراب واستولى على عدد من مدن الولاية الموحدية واتخذ طرابلس مركزا لقيادته ، وأخيرا تعاون مع بني غالية حينما أتوا من ميورقة واستقروا في إفريقية ثم خرج عليهم ، وذلك على عهد يعقوب المنصور . أنظر التيجاني ، الرحلة ص ١٧٥ ، - الترجمة - ص ١٠٢ وتابع ؛ ابن خلدون ، المعبر ، ص ٣٠

بعد شرود وفرار كان منه ، وأسلم لأوليائه وآلائه (أ) ، وساعد غاويا شقيا لفظه البحر من جزيرة ميورقة - فتحتها الله - ولم تزل سعادته مخلصه من تلك الورطات ، إلى أن هلك (ب) الشق الميورقي ، وأتاب قراقوش إلى حزب التوحيد ، فغلب على طرابلس وأخرج منها المستولى عليها أبا زبا الفارسي (ج) ، وهو ثائر الزاب المذكور في الأراجيز (د) . قال الضبي :

وثائر الزاب إن (ر) حلت عساكره بأرض سوسة ضاقت بالورى الحيل

فأدرك أهل علم الحدثان اسما مركبا من الزاي والباء ، فقالوا ثائر الزاب ، لعلمهم بموضع ثورته وجهلهم باسمه ، حتى أبرز الأمر (س) العزيز أبا زبا في الزاب . فلما توجه الخليفة أبو يوسف رضى لفتح بلاد إفريقية سنة ٨٣ [٥] [١١٨٨-١١٨٧] ، مخاطبه أبو زبا (ص) ضارعا راغبا في الصلح والقبول ، ثم نكث واستبد بطرابلس حتى أتاب قراقوش (ط) وصح توحيده ، فأخرجه منها وبعثه مقيدا ، فحل (ع) محضرة مراکش سنة ٥٨٦ [١١٩٠] (ف) ؛ ونحن الآن في شهر رجب الفرد سنة ٥٨٧ [= يولييه - أغسطس ١١٩١] ، وكلمة (ك) التوحيد والهداية في بلاد الصحراء متصلة من طرابلس إلى مدينة غانة وكوكو .

قبل وإنما سميت إفريقية لأن قوما من الأفارق (ل) سكنوها ، وهم أولاد فاروق بن مضر من العرب العاربة ؛ وزعموا أن إفريقية اسم ملكة ملكت إفريقية ؛ وقبل إنها إريقية . وحد إفريقية طولا من برقة شرقا إلى مدينة (م) طنجة غربا ، وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي حاجز بين بلاد

- | | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| (أ) ب ، ك : أبنائه . | (ب) ك : ملك . |
| (ج) ك : الفلوس . | (د) ب : الأجر ، ك : الأراجيز . |
| (ر) « ان » ناقصة في ك . | (س) ج : الأمير . |
| (ص) النص : خاطب أبا زبا | |
| (ط) ك : حتى أندب قروش . | (ع) ب : بحبل ، ج : لحبل . |
| (ف) « خمائة » ناقصة في ب ، ك . | (ك) ب : وحلت . |
| (ل) ك : الأبارق . | (م) « مدينة » ناقصة في ك . |

ج ٥ ص ٢٨٦ ، الترجمة ، ج ٢ ص ٩١-٩٢ ؛ A. Bel, Les ~~Bani~~ Ganiya, p. 61sq. ; G. Demombynes, Mém. R. Basset, Paris, 1915, Lettre de Saladin au Calife ; almohade . . . , p. 289 sq. ، العلاقة بين صلاح الدين وأبو يوسف المقرب المنصور الموحدى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٥٣

إفريقية^(١) وبلاد السودان ، وهى جبال من الرمال من المشرق (١) إلى المغرب ،
وفىها يصاد الفئك الذى لا يوجد لجلده مثال . وجاء فى حديث رسول
الله صلعم : « ينقطع الجهاد من جميع الجهات ولا يبقى إلا ببلاد إفريقية ، فبينما القوم
بإزاء عدوهم نظروا إلى الجبال قد سبرت فيخرون (ب) لله سجدا فلا ينزع
أطمارهم عنهم إلا أزواجهم من الحور العين » . وروى عنه صلعم أنه بعث سرية
فى سبيل الله : فلما قفلوا (ج) منها ، شكوا شدة برد أصابهم ، فقال رسول الله صلعم :
« لكن (د) إفريقية أكثر بردا وأعظم أجرا »^(٢) . وبإفريقية فى هذا الوقت
من أبناء الإمام الخليفة وحفدته السادات النجباء — أدام الله نصرهم — ما تمهدت
به (ر) أكنافها وعمرت لهم أوساطها وأطرافها ؛ ولكن الشقى يحيى بن اسحق - صنو
الشقى على متوغل فى صحاريها ، وقراقوش متصيد له متوثب عليه^(٣) ؛ والله
سبحانه ولى التوفيق بحنه وكرمه .

مدينة قابس^(٤) : وتعد أيضا من بلاد الجريد ، بينها وبين طرابلس ٨ أيام ،
وهى مدينة كبيرة قديمة أزلية وعليها سور صخر جليل من بناء الأول ، ولها حصن
حصين وأرباض واسعة ؛ وفيها فنادق وحمامات ؛ وقد أحاط بجميعها خندق
كبير يجرون إليه الماء إذا خافوا من نزول عدو إليهم (س) فيكون أمنع شيء .
ولها واد يسقى بسائتيها وأرباضها ومزارعها ؛ وأصل هذا الوادى من عين خراة

(١) « المشرق » ناقصة فى ب . (ب) ك : يفخرون .
(ج) ج ، ك : قبلوا . (د) ب : لاشيء . (ر) ك : شهدت بهم .
(س) القراءة فى ك : يجرون إليه الماء وقت نزول العدو عليهم .

(١) عن إفريقية (تسميتها ومساحتها) أنظر البكرى ، ص ٢١ والترجمة ، ص ٥٢ ؛
الدمشق ، ص ٢٣٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٣٢٤ . يسمى أبو الفدا (الترجمة ،
ص ١٦٨) البلاد الممتدة من تخوم مصر غربا وتشمل كل إفريقية الشمالية إلى طنجة وكذلك الأندلس
« بلاد المغرب » .

(٢) هذه الأحاديث المتحلة والمنسوبة إلى النبي موجودة فى كتاب البكرى (ص ٢٢) .

(٣) أنظر هامش ٢ ص ١١٠

(٤) البكرى ، ص ١٧ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣ - ٤ ؛ Quatremère ,
Note d'un Manuscrit, p. 28 . قارن الإدريسي ، ص ١٠٦ ، دمشق ، ص ٢٣٤ ؛ أبو الفدا ،
الترجمة ، ص ١٩٨ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٤١ - ١ .

في جبل بين القبة والمغرب ، وهو يصب في البحر . وبين مدينة قابس وبين البحر نحو ٣ أميال وجناتها أكثر إلى البحر (ا) ، وهي كثيرة الثمار والموز بها كثير وليس بإفريقية موز إلا فيها ، ولها شجر التوت كثير ويربى بها الحرير ، وحريرها أطيب الحرير وأرقه وليس يعمل بإفريقية حرير إلا بها . وهي مدينة فخيرة (ب) بحرية صحراوية ، والصحراء منها قريبة ، فيقال إنه ما اجتمع في مائدة رجل ٣ أشياء متضادة المواضع إلا في مائدة من يسكن قابس : يجتمع فيها الحوت الطرى ولحم الغزال الطرى والرطب الجنى . فهي حاضرة هذا الإقليم وقطبه وروحه وقلبه ، ومركز دائرته التي عليها يدور محيطه (ج) وبلاستناد إليه يشهد رجه ، والله يعصمنا بعزته .

ذكر مدينة القيروان وكيفية وضعها سنة ٤٧ من الهجرة (د) (١)

ولى (ر) معاوية بن أبي سفيان عقبة بن نافع القرشي على إفريقية فافتتحها في ١٠ آلاف من المسلمين ، ووضع السيف وأقنى من بها من النصارى . ثم قال ، إلى أرى إفريقية إذا دخلها إمام تحرموا (س) بالإسلام ، فإذا خرج عنها رجع كل من أجاب منهم عن دين الله ، فهل لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا مدينة تكون لكم عز الأبد . فأجابه الناس واتفقوا على أن يكون أهلها مرابطين فيها ، وقالوا نقرّبها من البحر ليتم الجهاد والرباط . فقال لهم عقبة : نخاف من ملك القسطنطينية ، فاتفق رأيهم على موضعها ، فقال : قربوها من السبخة

(١) القراءة في ب ، ج : وجناتها أكثرها إنما هي منها إلى البحر .

(ب) « فخيرة » ناقصة في ج .

(ج) القراءة في ب : ومركز دائرته الذي عليه يدور محيطه .

(د) القراءة في ب : سنة سبعة وثمانين وأربعين من الهجرة .

(ر) ب : ولا . (س) ك : يحوموا .

(١) قارن البكرى ، ص ٢٢ وتابع والترجمة ، ص ٥٧ وهامش ١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢١٢ - ٢١٣ ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج ١ ص ١٢ - ١٣ ؛ الإدريسي ، ص ١١٠ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ص ١٩٨ - ١٩٩ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٣٥ - ١ ، ص ٣٥ - ب ؛ وحسب الدمشقي (ص ٢٣٧) كانت القيروان تتكون من أربع مدن هي : رقادة وصبرة والمنصورية والقصر القديم . أنظر ابن خلدون ، الترجمة (Berbères) ، (ملحق ابن عبد الحكم ج ١ ص ٣١١ ، النوير ص ٣٢٧) ؛ اليعقوبي ، ص ٣٤٧ ؛ المقدسي ، ص ٢٢٤ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٩ ؛ J. Despoirs, La Tunisie Orientale, p. 188

فإن أكثر دوابكم الإبل ، تكون إيلكم على بابها في مراعيها أمنة من البربر .
فدعا ما كان في الغيضة من الوحوش والموام ، وقال اخرجوا بإذن الله فخرج
كل ما كان فيها حتى لم يبق من الحيوانات شيء ؛ وهم ينظرون إليها .
وقال ابن الرقيق (١) في تاريخه : فبقيت القيروان ٤٠ سنة لم يرفها خشاش
ولا هوام .

وتنازعوا في قبلة الجامع فبات عقبة مهموما ، فرأى في المنام قائلا يقول
له : خذ اللواء بيدك فحيث ما سمعت التكبير فامش ، فإذا انقطع التكبير فأركز
اللواء فإنه موضع قبلتكم ؛ ففعل عقبة ذلك فهو موضع القبلة ، وهو محراب
جامع القيروان إلى اليوم ؛ وقد هدم حسان بن النعمان جامع القيروان وبناه
حاشي المحراب فإنه تركه . ويقال إنه هدم وبني ٣ مرات ، كل وال يلي
القيروان يريد أن يكون الجامع من بنيانه ؛ وكانوا يتركون منه المحراب تبركا
ببناء عقبة رحمه الله . ويقال إنه لما أراد معد بن إسماعيل بن عبيد الله الشيعي (٢)
تحريف قبلة مسجد القيروان وذلك سنة ٣٤٥ [٩٥٦] بلغه أهل القيروان يقولون
إن الله عز وجل يمنعه منه بدعاء عقبة بن نافع الفاضل في وقت تأسيسه الجامع .
فلما وصل ذلك إلى معد غضب ، وأمر بنبش قبر عقبة بن نافع وإحراق رتمه
بالنار ، وكان قبره بظاهر مدينة تهودا ، حيث استشهد رحمه الله . وبعث معد لذلك
٥٠٠ فارس وراجل ؛ قيل فلما دنوا من قبره وحاولوا ما أمرهم به ،
هبّت عليهم ريح عاصفة ولاحت بروق خاطفة وقعقت رعود قاصفة كادت
تهلكهم ، فأضربوا ولم يعرضوا له ؛ فخافوا عقوبة معد فثأروا في صحارى إفريقية
حتى سمعوا أنه هلك ، فحينئذ أتوا إلى أوطانهم معتبرين مستبشرين (ب) . وبإزاء
جامع القيروان الساريتان الحمراء والموشاة بالصفرة ، اللتان لم ير الراؤون
أحسن منها ولا مثلها ؛ كانت في كنيسة من كنائس الروم ، فنقلها إلى جامع
القيروان حسان بن النعمان ؛ وهما مقابلتان المحراب ، عليهما القبة المتصلة بالمحراب .

(١) ب : أبو الرقيق ، ج : الرقيق .

(ب) ج : مستبشرين . (ج) القراءة في ب : وبإزاء جامع القيروان الساريتين
الحمراء الموشاة بالصفرة اللتان لم ير الروائد أحسن منهما .

(١) هو أبو اسحاق إبراهيم ابن القاسم الذي يكتب سنة ٣٧٧ (٩٨٧) على عهد بني زيري
بإفريقية . قارن ابن خلدون ، الترجمة ، هامش ٣ ج ١ ص ٢٩٢
(٢) معد بن إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي رابع الخلفاء الفاطميين ، المعروف
بالمز لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥ = ٩٥٢ - ٩٧٦) .

وبخارج مدينة القيروان ١٥٠ ماجلا للماء ، هي سقايات لأهل القيروان ، منها ما بنى في أيام هشام بن عبد الملك بن مروان وفي أيام غيره من الخلفاء ، وأعظمها شأنا وأفخمها منسبا ، الماجل الذى بناه أحمد بن الأغلب بباب تونس من القيروان ، وهو متناهى الكبير (١) وفي وسطه صومعة مثمثة ، وفي أعلاها قبة مفتحة على أبواب ، فإذا وقف الرامى على ضفته ، ورمى بأشد ما يكون من القسي لا يدرك الصومعة (ب) التى فى وسطه . وكان على ذلك الماجل قصر عظيم فيه من البناء العجيب والغرف المشرفة على ذلك الماجل كل شئ غريب ، ويمر فى هذا الماجل (ج) ماجل لطيف متصل به ، يقع فيه ماء الوادى إذا جرى ، فتتكسر فيه حدة جريانه (د) ، ثم يدخل الماجل الكبير . وهذا الوادى الذى يدخل الماجل إنما واد شتوى (ر) يجرى فى أيام الشتاء ، فإذا امتلأ هذا الماجل وغيره من المواجه ، شرب منه أهل القيروان ومواشيهم . ويرفع ماء هذا الماجل إلى أيام الصيف ، فيكون ماؤه باردا عذبا صافيا لكثرة الماء فيه . وكان عبيد الله (س) الشيعى يقول ، رأيت بإفريقية شيئين ما رأيت مثلهما بالمشرق : الحفير الذى بباب تونس من القيروان ، يعنى هذا الماجل الكبير ، والقصر الذى برقادة المعروف بقصر البحر (١) ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، وهو الموفق للصواب بمنه (ص) .

مدينة صبرة (ط) (٢) : وهى متصلة بمدينة القيروان ، وهى مدينة كبيرة بناها إسماعيل وسمّاها المنصورة ، وكانت لها جبايا كثيرة (ع) ، يقال إنه كان يدخل أحد أبوابها كل يوم ٢٦ ألف درهم ، والله أعلم بالصواب .

-
- (١) ك : وهو مستدير منتهى الكبير . (ب) ك : لا يدرك الى الصومعة .
(ج) ج : وفي جوف هذا الماجل . (د) القراءة فى ب : فيتكسر فيه حد جريانه ، وفي ك : « مرة » بدلا من « حدة » . (ر) ج : شفاء .
(س) ك : عبد الله . (ص) هذا الدعاء ناقص فى ب ، ج ، م .
(ط) ج : صغيرة ، صبرا . (ع) ب ، ج : كان لها فائد كبير .

(١) قارن البكرى ، ص ٢٦ والترجمة ، ص ٦٦

(٢) البكرى ، ص ٢٥ والترجمة ، ص ٦٤ . بنيت المدينة سنة ٣٣٧ (= ٩٤٨-٩٤٩) بمعرفة إسماعيل المنصور الفاطمى إثر انتصاره على أب يزيد الخارجى . قارن المقدسى ، ص ٢٢٦ =

مدينة رَقَادَة (١) : وهي من القيروان على ٤ أميال ، وهي مدينة كبيرة دورها ٢٤٠٤٠ ذراع . وكانت أكثر بلاد إفريقية بساتين وفواكه ، وليس بإفريقية أعدل هواء من رقادة ولا أرق نسima ، ولا أطيب تربة . يقال إن من دخلها لم يزل يضحك مستبشرا مسرورا من غير سبب . وذكر أن واحدا من ملوك بني الأغلب كان قد أصابه أرق شديد ، وشرده عنه النوم أياما ، فعالجه اسحق المتطبب ، وهو الذي ينسب إليه الأطر فيل ، فأمر الملك بالخروج والتنزه والمشي . قيل فلما وصل إلى موضع رقادة نام ، فسميت رقادة من يومئذ ، واتخذت موضع فرجة ومنتزها للملوك . ويقال إن الملك الذي بنى مدينة رقادة هو إبراهيم بن أحمد بن [محمد بن] الأغلب [٢٦١ - ٢٨٩ = ٨٧٤ - ٩٠٢] ، فجعلها دار مملكته ومسكنه . قيل ومنع بيع النبيذ بمدينة القيروان وأباحه بمدينة رقادة بسبب جنده وعبيده ، فقال في ذلك بعض الشعراء :

يا سيّد الناس وابن سيّدهم ومن إليه القلوب منقادة
ما حرّم الشرب في مدينتنا وهو حلال بأرض رقادة

وفيها بويع عبيد الله الشيعي ، ذكره ابن الجزار في تاريخه (١) ، والله أعلم .

مدينة سَفَّاقس (٢) : هي مدينة أزلية عليها غابة كبيرة من الزيتون . وزيتها أطيب من كل زيت إلا الشرقي ، ومن الناس من يفضلها عليه ، ومنها

(١) ج : تأليفه .

= يقول ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣٦٦) الذي ينقل رواية البكري أن الباني الحقيقي لهذه المدينة هو المنصور بن يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي والد باديس وجد المعز بن باديس (توفي سنة ٣٨٦ = ٩٩٦) . وهنا يخلط ياقوت بين صبرة وبين بجاية التي انتقل إليها ملك الحماديين على عهد المنصور بن الناصر بن علناس (توفي ٤٩٦ = ١١٠٤ - ١١٠٥) . أنظر فيما بعد ص ١٢٨ - ١٢٩ والهامش .

(١) البكري ، ص ٢٧ - ٢٨ والترجمة ، ص ٦٨ و هامش ١ (اصحاح بن سليمان ، المذكور في النص ، توفي سنة ٣٢٠ = ٩٣٢ ؛ وعن ابن الجزار أنظر هامش ٢ ص ١٢٤) ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٧٩٧ ؛ الإدريسي (ص ١١١) الذي يسمى هذه المدينة قصور رقادة ، يقول إنها كانت غربة على أيامه وذلك بعد دخول الهلاليين إفريقية . قارن أبو الفدا ، الترجمة ص ١٩٦ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ١ ص ٢١٥

(٢) البكري ، ص ٢٠ ؛ بعد أن يصف الإدريسي المدينة (ص ١٠٧) يفخر بافتتاح الملك رجار الصقل لها سنة ٥٤٣ = ١١٤٨ - ١١٤٩ ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج ١ ص ٣٢٢ =

بمنار (١) أهل إفريقية الزيت ، ولحملة المراكب إلى بلاد الروم ، وعليه معول أهل صقلية ، وإيطالية ، وألكبوردية ، وقلورية ، وجميع سواحل الأرض الكبيرة ، لكثرتهم وطيبه . وقد كانوا ملكوا هذه الجهات الساحلية إلى أن أخرجهم منها أمير المؤمنين سنة ٥٥٥ [= ١١٦٠] .

مدينة المهديّة^(١) : وهي مدينة عظيمة بناها عبيد الله الشيعي إذ قام عليه (ب) [أبو] عبد الله الداعي وهو الذي أقامه ونصره ، ودخل عليه سجالمة وأخرجه من سجن ابن مدرار ثم استحال عليه ، وأراد خلعه . وأعانه على ذلك أشياخ كتامة ، وكان يقول للناس إنه هو يهودي وضغته مكان العلوي الفاطمي حتى يأتي ، وأبحث عنه حتى أجده فإنه صاحب هذا الأمر ، وقد آن وقته (ج) وخبرهما مشهور . وبين مدينة المهديّة والقروان ٦٠ ميلا ، والبحر قد أحاط بمدينة المهديّة من جميع جهاتها إلا من الجانب الغربي ، وفيه بابها . ولها ربض كبير يسمى زويلة ، وفيه الأسواق ؛ وللمهديّة أسواق مبنية بالصخر الجليل . ولها بابان من حديد لا خشب فيهما (د) زنة كل واحد منهما ١٠٠٠ قنطار وطوله ٣٠ شبرا ، وفيها صور الحيوان وهي من أعجب ما عمل في الإسلام . وفي المهديّة ٣٦٠ ماجلا لماء المطر (ر) سوى ما جرى إليها من القناة التي جلبها إليها عبيد الله من قرية مشانيس^(٢) ، وهي على مقربة

-
- (١) ب : يتار ، ك : تمتاز . (ب) ب ، ج : اذقام اليه ، ك : انه قام عليه .
(ج) ج : وان ، ك : دان . (د) القراءة في ب : ولها باب لا خشب فيها ، وفي ج : ولها بابان من مدينة ، وفي ك : لاختبة بدلا من لا خشب .
(ر) ب : ما ماجلا من المطر .

== قارن ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٩٦ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٤ ؛ ابن حوقل ، ص ٤٧ ؛ مراصد الإطلاع ، ص ٢٤ . أما عن فتح عبد المؤمن لإفريقية على الصقليين من الترمنديين فانظر ابن الأثير ، ج ١١ ص ١٥٨ وتابع ؛ عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ١٦٢ ؛ التيجاني ، الرحلة (الترجمة) ، ص ٢٦٤ ؛ ابن أبي دینار ، المؤنس ، ص ٩٢

(١) البكري ، ص ٢٩ . قبل أن يورد ياقوت رواية البكري (معجم البلدان ، ج ٤ ص ٦٩٣ ، ج ٣ ص ١٠٩ ؛ كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٨٧ - ١ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ص ١٨٣) نراه يفرق بين مدينتين تحمل كل منهما اسم المهديّة : أشهرهما مدينة إفريقية التي بناها عبيد الله ، والثانية بناها عبد المؤمن بن علي قرب مدينة سلا ، وسماها بإسم المهدي ابن تومرت . قارن الإدريسي ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ؛ ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٠ (عن أبي عبيد الله الشيعي أنظر ص ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٩ وتابع) ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ؛ ابن حوقل ، ص ٤٧ ؛ J. despoirs, La Tunisie Orientale p. 170

(٢) البكري ، ص ٢٩

من المهديّة . وللمهديّة مرسى (١) للمراكب من عجائب العالم ، فإنه منقور في حجر صلد ، يسع ٣٠ مركبا ، وكان على المرسى برجين بينهما سلسلة حديد من أغرب ما عمل . وإذا أرادوا أن تدخل سفينة أو مركب ، أرسل حراس البحر السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدوها كما كانت ، وذلك (ب) تحصينا لئلا تتطرقها مراكب الروم من صقلية وغيرها ، كما كان في أيام الحسن الذي (ب) دخلها الروم عليه (١) ، وذلك مشهور في جميع الأقطار .

ومن المهديّة إلى قصر لخم (٢) ، وهو المعروف بقصر الكاهنة ، ١٨ ميلا . وذكر أن الكاهنة حصرها عدوها في هذا القصر ، فحفرت سربا في صخرة صماء (ج) من هذا القصر إلى مدينة (د) ملقطة (٣) عمت في العدد الكثير ، وبينهما ١٨ ميلا . ويقال إن أخت الكاهنة كانت في ملقطة ، فكان الطعام يجلب إليها في ذلك السرب على ظهور الدواب . وقصر لخم عجيب البناء ، قد بنى وأحكم (ر) بحجارة طول الحجر منها ٢٥ شبرا ، وارتفاع القصر في الهواء ٢٤ قامة . وهو من داخله كله مدرج إلى أعلاه ، وأبوابه طاقات بعضها فوق بعض .

مدينة تَمَاجِير (س) (١) : هي بغرب المهديّة ، كبيرة أزلية فيها آثار للأول ، وبينها وبين المهديّة الوادي .

(١) ب : مرضى .

(ب) الجمل الواقعة بين (ب) ، (ب) ناقصة في ب .

(ج) ك : صمد . (د) ج : منقطة . (ر) ب : احتكم .

(س) القراءة في النص ، تماجرن ولكننا أخذنا بقراءة البكرى . وهذه المدينة لا توجد في ج .

(١) قارن الإدريسي ، ص ١٠٩ . هنا يفخر الإدريسي كمادته بفتح المدينة بمعرفة ملك صقلية رجار على أميرها الحسن بن علي بن تميم بن المعز بن باديس سنة ٥٤٣ = ١١٤٨ . أنظر ابن خلدون ، الترجمة (Berberes) ، ج ٢ ص ٢٦ وتابع .

(٢) يقول الإدريسي (ص ١٣٨) إن اسم هذه المنطقة مأخوذ من اسم أهلها وهم مختصرون بتجارة الشهد . قارن العبدري ، المخطوط ، ص ٨٥ - ١ . وهنا يقرر العبدري (سنة ٦٨٨ = ١٢٨٩) خطأ رواية البكرى وينسب عامل الزمن وتغير الظروف .

(٣) البكرى (سلفطة) ، ص ٣١ والترجمة ، ص ٧١

(٤) البكرى ، ص ٢٩ والترجمة ، ص ٧٣

مدينة جَنَلُولَا (١) : مدينة قديمة أزلية لها حصن ، وعين سُرة في وسطها (أ) ، وهي كثيرة البساتين والأشجار ، غزيرة الفواكه والثمار والأزهار ، والرياحين بها كثيرة جدا وأكثر رياحينها الياسمين ؛ وبطيب عسلها يضرب المثل لكثرة ياسمينها وحرش (ب) نخلها له ، وأكثر فواكه القيروان تجلب إليها من جلولا .

مدينة سُوسَة (٢) : مدينة أزلية قديمة فيها آثار للأول ، وهي على ساحل البحر ، وفيها بنيان عظيم يسمى الملعب ، وهو من أغرب البنيان فيه أقباء معقودة بحجر النَّشَف الذي يطفو فوق الماء ، المجلوب من بركان صقلية . وداخل سور المدينة هيكल عظيم يسميه البحريون الفنتاس ، وهو أول ما يرون من البحر إذا قصدوا من صقلية وغيرها ؛ وسوسة في سند عال ترى دورها من بحر صقلية . وهي مخصوصة بكثير الأمتعة وجودة الثياب الرقاق ، وقصارتها . وجميع أشغال الثياب الرفيعة من طرزها (ج) ، وكدها لا يصنع ببلد مثل صنعته بهذه المدينة . والثياب السوسية معلومة لا يوجد لها نظير ، لها بياض رائق (د) وبصيص (ر) لا يوجد في غيرها . ومنها تجلب الثياب الرفيعة مثل عمائم المتعمور (س) وغيرها ، تساوى منها العمامة ١٠٠ دينار وأزيد (ص) ؛ يحمله التجار إلى جميع البلاد شرقا وغربا ؛ ويباع الغزل بها زنة (ط) المثقال بمثقالين .

-
- (١) للقراءة في ج : وعين ستوفر سره . . في وسطها .
 (ب) ج : ومرعى . (ج) « طرزها » نانصة في ج . (د) ك : زائد .
 (ر) ب ، ج : مصيص . (س) ج : المصور ، ك : المقصور .
 (ص) للقراءة في ب : تساوى منها العمامة دينارا وأزيد . (ط) ج : سنة .

- (١) البكرى ، ص ٣١ ؛ الإدريسي ، ص ١٢٠ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٠ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢٦٢
 (٢) البكرى ، ص ٣٤ وتابع ؛ الإدريسي ، ص ١٢٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٩٠ وتابع . فيما يختص بالآثر الذي يسمى الفنتاس فإن De Slane (ترجمة البكرى ، ص ٨٧ وهامش ١) يفترض أنه هيكل سفينة . ولكن ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٩١) يقرر أن المدينة كان لها سور حصين وبرج يعرف باسم خلف الفتى . ومن المحتمل أن هذا هو الذي أطلق عليه الملاحون اسم الفنتاس . قارن أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٩٩ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٥ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٦٨

ولحم سوسة من أطيب لحوم بلاد إفريقية لطيب مراعيها . وبالقرب منها محرس (١) المُتَسْتَبِر الذي جاء في الأثر (ب) ، وهو حصن على البناء متقن العمل ، وفيه جماعة من الصالحين الذين حبسوا أنفسهم فيه منفردين عن الأهل والعشائر ؛ وأهل تلك البلاد يخرجون إليهم الصدقات (١) . وبقربه نحو ٥ محارس متقنة البناء معمورة بالصالحين .

مدينة تُونُس (ج) (٢) : مدينة عظيمة بينها وبين القيروان مسيرة ٣ أيام ؛ وبينها وبين البحر نحو ٤ أيام ؛ وبينها وبين قرطاجنة نحو ١٠ أميال ومرسأهما واحد يسمى رادس . ويقال إن ببحر رادس خرق (د) الخضر عم السفينة (ر) ؛ وكان الملك المذكور في القرآن (س) (٣) ، الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا ، ملك قرطاجنة وكان يسمى أبلندا . وبين المرسى وتونس بحيرة يقول أهل تونس إنها كانت [من] نحو ١٠٠ سنة (ص) أرضا لهم ، كثيرة الجنات والمياه والزرع طيبة الفواكه ، فغلب عليها ماء البحر ؛ وهم يعرفون موضع ضياعهم فيها إلى الآن . ومدينة تونس مدينة قديمة البناء لها سور عظيم ويدور بها حفير ، يقال إن دورها ٢٤ ألف ذراع (ط) وبها جامع متقن البناء مليح الصنعة مظل على البحر ، بناه عبيد الله بن الحبّاب (٤) هو ودار الصناعة ، وأنفذ إليه البحر ، وهو من عجائب الدنيا . ومدينة تونس في سفح جبل ، وبها مبان عجيبة ، وأكثر عضادات أبواب دورهم (ع) رخام أبيض : لوحان قائمان وثالث معترض مكان العتبة . ومن الأمثال بإفريقية : دور تونس أبوابها رخام وداخلها سخام . وهي دار علم

-
- (١) ج : محرض (ب) ب و ك : الآثار . (ج) القراءة في ب : مدينة تونس عمرها الله وكلأها . (د) "خرق" ناقصة في ك ، وهي في ب «غرق» . (ر) «السفينة» ناقصة في ب . (س) ب ، ج : القيروان . (ص) القراءة في ب ، ج : أنها مائة سنة . (ط) ب ، أربعة وعشرة ألف دور . (ع) ج : دور أبوابهم .

(١) البكري ، ص ٣٦ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٦٦١) ؛ الإدريسي ، ص ١٠٨ (اتخذ أهل سوسة هذا المكان مقبرة لهم ، وإنهم ينقلون إليه موتاهم في القوارب) . أنظر G. Margais, Mél. R. Basset, Paris, 1925, Note sur les Ribâts en Berbérie, p. 405.

(٢) البكري ، ص ٧٨ وتابع ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٩٧ - ٨٩٨ ؛ الإدريسي ، ص ١١١ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٦ وتابع ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ص ١٩٧ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٢٢ - ١ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢١٩

(٣) القرآن : سورة ١٣ ، آية ٧٠ ، ٧٨

(٤) ابن الحبّاب كان عامل إفريقية سنة ١١٦ (٧٣٤) .

وفقه ، وأهلها موصولون (أ) بالفهام على الولاية ، يعد لأهلها القيام على أمرائهم نحو ٢٠ مرة ، لأنها أكثر البلاد باعة (ب) وغوغاء ، وإن سلامتها من شتى ميورقة لمن يراهم هذا الأمر العالي (ج) ، وما ذلك إلا لسعادة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أبيده الله .

وبالقرب من تونس بنحو ١٠ أميال نهر كبير يسمى بجردة ، وهو هل الطريق إلى المغرب ؛ ويقال إن من شرب من مائه قسى (د) قلبه فأكثر الناس يجتنبون شربه . ومدينة تونس أشرف مدن إفريقية وأطيبها ثمرة وأنفسها لأكهة ، فمن ذلك اللوز الفريك ، يفرك بعضه بعضا دون أن تمسه يد لركة بشرته ، وكذلك الرمان والأترج والسفرجل والتين وجميع الفواكه ؛ لا يوجد لها نظير . وفيها من أجناس الحوت البحري ما لا يحصى كثرة . وكان اسمها في القديم ترشيش ، وإنما سميت تونس في أيام الإسلام . وذلك أن المسلمين إذ فتحوا إفريقية على الروم كانوا يضربون على بلادها ، وكان بقرب ترشيش هذه صومعة راهب ، فكانت سرايا المسلمين تنزل (ر) بإزاء تلك الصومعة ، وتانس (س) بصوت الراهب ؛ فيقولون (ص) هذه الصومعة تونس فلزمها هذا الاسم ، فسميت تونس .

مدينة قرطاجنة (١) : بينها توبين ونس ١٠ أميال ومرسأهما واحد . وهي من المدن المشهورة ، فيها من الآثار وعجائب البنيان ما ليس في بلد شرقا ولا غربا . وقيل لو دخلها إنسان ومشى فيها عمره يتأمل آثارها لرأى فيها كل يوم أعجوبة لم يرها قبل ذلك . ويقال إن ملكها (ط) كان ملكا عظيما جبارا ، وكان ملك أكثر الأرض وكان يسمى أنبيل (ع) ، فدخل بلاد الروم ، وقتل ملوكها ، وأخذ بلادهم ، وبعث لقرطاجنة من خواتم الملوك الذين قتل ٣ أمداد . ويقال إنه نازل مدينة رومة الكبرى التي هي دار مملكة الروم ،

(أ) ج : موضوعون . (ب) ج : باغة ، ك : بقاء .

(ج) القراءة في ب : لمن يرا هذا العدل الأمر العالي .

(د) ب : قسى . (ر) ب : ينزلون . (س) ب : ويأنسون .

(ص) ك : يقولون . (ط) ك : ساكنها . (ع) ج : النيل .

(١) أنظر البكري ، ص ٧٨ وتابع ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٩٧ - ٨٩٨ . الإدريسي ، ص ١١١ ؛ ابن أبي دينار ، الملوس ، ص ٦ وتابع ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ص ١٩٧ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٢٢ - ١١ مرصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢١٩ .

فلما حاصرها وضيق على ملكها ، وأفسد أقطارها ، أرسل ملك رومة قائدا من قواده ، فحشر من كان ببلاده من الروم والجيوش ، وأمرهم بالوصول إلى بلاد إفريقية ؛ ونزلوا على قرطاجنة ولم يكن فيها من يعاونهم ، فأرسلوا إلى ملكهم أنبيل يعلمونه بما حل ببلادهم من البلاء من أهل رومة ، ويسألونه الإسراع لأغاثتهم . قال فعجب من ذلك ملك قرطاجنة ، وقال : أردت قطع رسم الرومانيين من الدنيا ، وأظن إله (أ) السماء أراد غير ذلك . ثم رجع إلى بلاده مسرعا ، فزحف إليه شبليون قائد صاحب رومة ، فهزمه مرارا عديدة حتى قتله واستأصل عسكره ، ودخل في قرطاجنة فهدمها وأحرقها ؛ وخرب المسلمون بقيتها وذلك مشهور . وليس يسكن منها الآن إلا قصر واحد ، يسمى بالملعقة (ب) (١) ، وبنائه من أغرب ما يكون من البناء ، مفرط العظم والعلو ، أقباء معقودة بعضها فوق بعض طبقات كثيرة (ج) ؛ وهو مطل على البحر ، وهو حصن عظيم .

وبقرطاجنة دار الملعب ويسميه أهل تلك البلاد بالطياير ، هو كله أقباء معقودة على سوارى رخام ، وعليها مثلها نحو أربع مرات ، وقد أحاطت بالدار . والدار دائرة من أغرب ما يكون من البناء ، ولها أبواب كثيرة وقد صور على كل منها صورة نوع من الحيوان ؛ وقد صور في الحيطان صور جميع الصناعات بأيديهم آلاتهم . وفي هذه الدار من الرخام ما لو أجمع أهل إفريقية على نقله ما قدروا عليه لكثرتة . وكان فيها قصران يعرفان بالأختين (٢) ، ليس فيهما حجر سوى الرخام ، وورخام (د) الواحد لا يشبه رخام الثاني ؛ ويوجد فيها لوح رخام طوله ٣٠ شبرا وعرضه ١٥ شبرا ؛ ويقال إنه وجد في غربها بيت من لوح واحد (ر) . والناس ينقلون من رخام هذين القصرين ، لحسنه على قديم الزمان ، وما فرغ إلى الآن . وبهذين القصرين ماء مجلوب من ناحية الجوف لا يعرف منبعه ؛ وكانت عليه نواعير وسواقي تسقى

(١) ب : أن ، ك : الآن . (ب) ك : بالقلمة . (ج) ك : كبيرة .

(د) (الرخام ، ورخام) ناقصة في ك . (ر) القراءة في ب ، ج : ويقال وجد

فيها غارب بيت من لوح واحد .

(١) أنظر البكري ، ص ٤٣ والترجمة ، ص ١٠٦ ؛ الإدريسي ، ص ١١١

(٢) أنظر البكري ، ص ٤٤ (ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٢١) .

يسائينهم . وكان بها قصر عظيم مائل على البحر يسمى قومس^(١) ، وهو من أحب ما فيها ، لأنه مبنى على سواري رخام مفرطة الكبر والعظم — يجلس على رأس السارية ١٢ رجلا بينهم سفرة طعام أو شراب — وهي مشطبة ، كالثلج بياضا ، يكون دور السارية منها نحو ٣٠ شبرا في علو مفرط ، وعليها سواري أخر معترضة . وقد بنى القصر على أقباء معقودة بعضها فوق بعض بأغرب صناعة وأحكم بناء ، فكان هذا القصر حصنا وإنما هدم من عهد قريب ؛ وذلك أنه تحصن فيه قوم من القطاع ، فكانوا يقطعون بتلك الجهات ، ويلجأون إليه ، فخرج إليهم أهل تونس وقتلوهم وهدموا القصر . وبقربه موضع فيه أقباء ودهاليز تحت الأرض بهاب الدخول فيها ؛ وفيها بحث الموتى على حالها ، فإذا مست تلاشت لقدمها^(٢) .

وداخل ميناء المدينة تدخله المراكب (ب) بقلوعها . وفيها مواجل كثيرة للماء ، وبعضها تسمى مواجل الشياطين ، بسبب [أن] من يقرب منها يسمع فيها دويا . والناس يتقاسبون (ج) في الدخول فيها ، فمن جسر على الدخول فيها ، علم أنه جرى (د) قوى القلب . وقد دخلتها بالنهار مع أصحاب لي (ر) ، فرأيت منظرا هائلا ، من تكلم فيها بأدنى كلمة يسمع لها دوى عظيم ؛ وأغرب ما رأيت فيها الماء باق إلى الآن . وليس يدخلها ماء المطر وذلك لاحكام سطوحها ؛ وهي ١٨ صهريجاً منفوذة بعضها إلى بعض ، في ارتفاعها نحو ٢٠٠ ذراع ، في عرض كبير . وفيها من الماء نحو ٦ قيام ، ولا يعلم من أين يدخل (س) ذلك الماء . وكذلك ذكر أبو عبيد [الله] البكري ، في كتاب المسالك والممالك ، أن أغرب ما في قرطاجنة الماء الذي في المواجل المعروف بمواجل الشيطان ، الذي لا يعلم له عهد (ص) .

ومن عجائب الدنيا ببيان القناة التي كان يأتي فيها الماء المحلوب من عين جفان إلى مدينة قرطاجنة على مسيرة ٥ أيام ؛ وهي قناة عظيمة كان يأتي عليها ماء كثير بـ ٥ أرحاء أو أكثر . وعرض القناة نحو ٨ أشبار ، وارتفاع ماؤها

(١) الحملة الأخيرة ناقصة في ك .

(ب) القراءة في ك : وداخل المدينة قناة تدخلها المراكب . (ج) ك : يتقاسبون

(د) ك : جدا . (ر) القراءة في ك : وقد دخلنا بالنهار اليها مع أصحاب لي .

(س) ب : قامة . (ص) القراءة في ك : أنه لا يعلم له عهد .

(١) أنظر البكري ، ص ٤٤ (ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٢٠) .

نحو القامة ونصف ، تغيب مرة تحت الأرض في الموانع المرتفعة ، فإذا جازت على المواقع المنخفضة ، تكون على قناطر فوقها قناطر (أ) حتى تساوى السحاب علواً ، وهي (أ) من أغرب بنيان الأرض . وفي وسط المدينة صهريج كبير حوله ، في وقتنا هذا ، نحو ١٧٠٠ حنية (ب) سوى ما تهدم منها ؛ وكان يقع فيه الماء المحلوب في هذه القناة ؛ ونخرج من هذا الصهريج إلى بعض تلك المواجل . ورأيت في بعض أرجل تلك القناطر كتابة في حجر ، قيل إنها ترجمت فوجدت : « هذا من عمل أهل سمرقند » ؛ فانظر إلى سعة مملكة هذا الملك (ج) الذي جلب هذا الماء ، وقيل إن ذلك الماء جلب في ٤٠ سنة (ج) ، ولو قيل في ٤٠٠ سنة لكان أعجب .

قال أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المتطبب (٢) ، في كتاب مغازي إفريقية ، إن موسى بن نصير لما فتح جزيرة الأندلس ، قال لهم : « دلوني على أسن شيخ عندكم » . قال ، فأتي بشيخ قد رفعت حاجباه عن عينيه بعصابة من الكبر ، قال له موسى : « من أين أنت يا شيخ » ، قال : « من إفريقية من مدينة قرطاجنة » . فقال له موسى : « فما الذي سرك هنا وكيف كان تتحرر قرطاجنة » ، قال له الشيخ : « بناها قوم من بقية العاديين ، فسكنوها ما شاء الله ، ثم خربت ألف سنة ، فبناها أرمن الملك ابن الأزدي بن عمرو الجبار ، وجلب إليها الماء بالقناطر على الأودية ، وشق (د) لها الجبال حتى أوصلها إلى مدينة قرطاجنة ، فسكنها قومي ما شاء الله أن يسكنوها ، إلى أن حفر إنسان أساس تلك القناطر ، فوجد حجر عليه كتابة هي : « ان هذه المدينة ستغرب إذا ظهر فيها الملح » . قال الشيخ فبينما نحن في ندى (ر) قومنا جلوساً ، إذا ملح على حجر قد عقد عليه ؛ قال : « فتأملنا فإذا ذلك في جميع المدينة ، فعند ذلك رحلت إلى هنا » . وروى الثقات عن عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم (٣) قال : « كنت أمشي مع عمي بقرطاجنة نتأمل آثارها ، ونعتبر

(أ) ب ، ج : قناطر . (ب) ج ، ك : ساقية ، ولكن القراءة « حنية » في ب هي الصحيحة ومنها قوس أو عقد . (ج) الحمل الواقعة بين (ج) ، (ج) ناقصة في ب . (د) ك : وشولها . (ر) « ندى » ناقصة في ك .

(١) البكري ، ص ٤٤ ؛ الإدريسي ، ص ١١٣ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٢٣ - ١

(٢) يعرف هذا الكاتب بابن الجزار (توفي حوالي سنة ٤٠٠ = ١٠٠٩) (أنظر فيما سبق

ص ١١٦) قارن البكري ، الترجمة ، ص ١٠٢ وهاش ١

(٣) كان قاضي قضاة إفريقية على عهد المنصور العباسي . البكري ، الترجمة ، هاش ٢

ص ٥٥

عالمها ، فإذا بقبر عليه . مكروب بالحيرة : ألا عبد الله رسول الله صالح ،
يعطى الله إلى أهل تلك القرية أدهوم إلى الله ، فقتلوني ظلما ، فحسبهم الله
وهو نعم الوكيل . فهذا لا شك خراب قرطاجنة .

مدينة بَنْزَرْت (١) : هي مدينة على البحر ، بينها وبين تونس نحو
يومين ، وفيها آثار للأول وسور صخر قديم ، ولها نهر كبير يصب في البحر ،
وله حوت كثير . وبالقرب منها بحيرة كبيرة تنسب إلى بنزرت ، يدخل إليها
ماء البحر ، وهي ملحة وفيها من أنواع الحوت ما لا يحصى ، يصطاد فيها في كل شهر
من الشهور الأعجمية نوع من الحوت لا يوجد ذلك النوع إلى ذلك الشهر بعينه
في العام القابل ؛ ولها غلة عظيمة فإن منها يحمل الحوت إلى جميع بلاد إفريقية .
وأكثر حوت تونس إنما هو من بنزرت ؛ وأجناس هذا الحوت وأنواعه
لتصير ، فتبقى أعواما صحيحة الجرم لذينة الطعم . وأكثر ما يتمكن من (١) صيد
الحوت ما بين البحر وهذه البحيرة ، وذلك أن الحوت يتوالد في البحر ويخرج
منه صغيرا كالذر (ب) فيترى في هذه البحيرة ، ثم يرجع في وقت سفاده وولادته
إلى البحر ، فيصطاد (ج) في البحر الذي بينهما ؛ ومنه ما يصطاد (ج) بالنقازة
كما يصطاد الحمام . وهذه النقازة ، هي أنثى الحوت المعروف بالبورى . فيأتى
التاجر إلى الصياد ، فيتفق معه على عدد معلوم ، فيخرج النقازة ويرسلها وقد
ربط خيطا في خرص (د) وثيق في شفتها ؛ فتسير في البحر ويتبعها بزورقه
وشبكته ، فتدور عليها الذكور فيطرح عليهم شبكته ويخرج ما قدر له (ر) ؛
ويبعد أبدا حتى يستوفى أربه . وعلى مقربة من هذه البحيرة إلى جهة البر بحيرتان :
إحدهما حلوة والأخرى ملحة من غير أن يدخلها ماء البحر ، تنصب كل واحدة
منها بالأخرى ستة أشهر على التوالى لا يتغير لواحدة منها طعم ، فلا الحلوة تصير
ملحة ولا الملحة تصير حلوة .

(١) ك : يتسكن من . (ب) ك : كالوز . (ج) الحمل الواقعة بين (ج) ،

(ج) ناقصة في ب ، ك .

(د) ب ، ج : جرس ، ك : خرش . (ر) ج : ما قدر عليه .

(١) البكرى ، ص ٥٨ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٤٥) ؛ الإدريسي ،

ص ١١٤ - ١١٥ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٩٦

مدينة طَبَرْقَة (١) (١): هي مدينة قديمة لها آثار كثيرة للأول ، وهي على نهر كبير . بقرب البحر ، تدخل السفن حتى إلى باب المدينة . وبالقرب منها مرسى الحَزْر (٢) ، وهي مدينة قديمة قد أحاط بها البحر من كل جهة إلا مسلك لطيف ، وربما قطعه البحر في زمن الشتاء ، وعليها سور قديم ، وبها كانت تنشأ المراكب لغزو بلاد الروم . وفيها يخرج المرجان ، ومنها يحمل إلى بلاد الدنيا . وهناك قوم لهم مراكب وزوارق ليس لهم حرفة إلا إخراج المرجان من قعر البحر ؛ وهو نبات مشجر له أغصان . وصورة إخراجها من البحر [أن] لهم خشبا قد صلب بعضها على بعض ، ويلقون عليها جرات (ب) الكتان أو القنب (ج) ، يثقلونها بمراسم ، ويلقونها في البحر ويمشون بالزوارق ، فينجر (د) ذلك الكتان على قعر البحر فينكسر المرجان ويتعلق بالكتان ، فيتفقدونه ويأخذون ما تعلق منه . ويقال إن المرجان إذا كان في قعر البحر إنما هو رطب لين فإذا مسه الهواء اشتد . ويخرج منه في ذلك البحر كل سنة من القناطير ؛ وهو أنفوس مرجان الدنيا ، وهو أنفق شيء بالهند والصين . ويكون في بحر الزقاق بساحل قرية بَلْيُونَش (ر) (٣) من قرى سبتة ؛ وهو مثل هذا في الطيب أو أجل ، ويكون في بحر الأندلس ، ويكون في بعض جزائر البحر الأخضر ، وهذا أنفذها .

وبالقرب من مدينة طبرقة ، بينها وبين مدينة باجة ، بحيرة عظيمة في دورها نحو أربعين ميلا تصب في البحر ، ويصب البحر فيها ، وماؤها لاملح ولا حلوف فيها أنواع كثيرة من الحوت . وبها بوري ليس له في الدنيا نظير ، يقال إنه يوجد في الحوت الكبير منها ١٠ أرتال وأزيد ؛ وأهل تلك النواحي يستخرجون دهنه ويستعملونه في مصابيحهم (س) (٤) .

(١) ك : طرفه . (ب) ب : حراب . (ج) النص : القم .

(د) ك : فينجو . (ر) ب ، ج : بليوانش .

(س) القراءة في ك : وأهل تلك النواحي يستخرجون منه ويستعملونه في مصابيحهم .

(١) أنظر البكري ، ص ٥٧ ؛ الإدريسي ، ص ١١٥ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٥ ؛

ابن حوقل ، ص ٥٠ ؛ المقدسي ، ص ٢٢٦ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ١٩٤

(٢) البكري ، ص ٥٥ ؛ الإدريسي ، ص ١١٦ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٠ ؛ ياقوت ،

معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٦٤ . خربت المدينة في سنة ١٢٨٦ ميلادية وتقوم محلها الآن المدينة

المعروفة باسم La Calle . أنظر G. Marçais, La Berbérie, Musulmane, p. 226

(٣) البكري ، ص ١٠٦ ؛ الإدريسي ، ص ١٦٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١

ص ٧٦٤

(٤) هذا الفصل الأخير لا يوجد في كتاب البكري .

مدينة بُونَة (١) : مدينة قديمة من بناء الأول ولها آثار كثيرة ، وهي على ربوة مشرفة على فحوصها وقراها (١) ، وهي من أزه البلاد وأكثرها لبنا ولحما وعسلا وحوتا ، والبحر يغرب في سورها ، وفيها بئر على ضفة البحر منقورة في حجر صلد ، ماؤها أعذب ماء وأنفقه ؛ ومنها يشرب أكثر أهلها لعدوبة ماؤها . وبغرب هذه المدينة ماء سائح يسقى بساتينها وأرضها ؛ وموضع جناتها منتزه حسن مشرف على البحر . ويطل (ب) على مدينة بونة جبل لظوغ وهو كثير الثلج والبرد ، ومن العجائب أن فيه مسجدا قديما لا ينزل عليه شيء من ذلك الثلج ؛ فإذا عم الثلج الجبل كله رأيت المسجد في وسطه كأنه شامة . وبغربي مدينة بونة بركة في دورها نحو ١٠ أميال ، وفيها سمك كثير جليل . وفيها طائر يعرف بالكبئكل ويسمى بالخواص (٢) ، وهو يعيش على وجه الماء ويفرخ ، فإن أحس بحيوان أو إنسان يروم أخذه ، رفع عشه بفراخه برجليه حتى يصيره في وسط البركة حيث يأمن . وهو طائر حسن وهو الذي يسمى بمصر بالخواص ، ويتخذ بمصر من جلوده ثياب للنساء وجمالها ؛ وتباع بالأثمان الغالية . ومرسى مدينة بونة يسمى مرسى الأزقاق ، وهو من المراسى المشهورة (ج) . وبونة في جون (د) من البحر يسمى جون الأزقاق ، وهو صعب ، وفيه عطب مركب القبطاني ومركب الفخري ومراكب كثيرة .

مدينة القل (٣) : مدينة قديمة فيها آثار كثيرة للأول من الروم ؛ وهي على ضفة البحر ، وهي مرسى مدينة القسطنطينية . وهي كثيرة الفواكه والخيرات والعنب فيها كثير ، وفيها تفاح جليل ؛ ولها نظر وجباية عظيمة (ر) وهي بركة بحرية .

(١) « وعلى فحوصها وقراها » ناقصة في ك .

(ب) ك : يطيل . (ج) القراءة في ب ، ج : ومرسى بونه يسمى مرسى منيع وهو من المراسى المشهورة . (د) ك : جوف . (ر) ك : فوائد عظيمة .

(١) البكري ، ص ٥٤ وتابع ؛ الإدريسي ، ص ١١٦ - ١١٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٦٤ ؛ دمشق ، ص ٢٣٥ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٢١ - ١ ؛ ابن حوقل ، ص ٥١

(٢) يتكلم البكري (ص ٥٨ والترجمة ، ص ١٤١) عن هذا الطائر عند ما يصف بنزرت . وكذلك الأمر بالنسبة للإدريسي (ص ١١٥) .

(٣) البكري (ص ٨٣) لا يقول شيئا عن هذا الميناء ؛ الإدريسي ، ص ١٠٢ - ١٠٣

مدينة جيجل (١) : مدينة قديمة على البحر وكان لها سور قديم يضرب البحر فيه ؛ وهي على نظر كبير . وهي كثيرة العنب والتفاح والفواكه ، ومنها تحمل الفواكه والعنب والترب إلى مدينة بجاية . وعلى هذه المدينة جبل كتامة ، ويسمى جبل زندوي (١) (٢) ، وهو كثير الحصب فيه قبائل كثيرة من البربر ، وفيه كانت دعوة [أبي] عبد الله الداعي . وبين جيجل وبجاية ، على ساحل البحر ، موضع يسمى بالمنصورية (٣) عليه جبل عظيم ، مما يلي البرمته حافة مثل الحائط ، فيها ثقب في غلظ حجر الربع الموزون به ، ينبعث منه ماء في كل وقت من الأوقات الممهودة بالصلوات الخمس (ب) ، يسمع قبل انبعائه دوى كدوى الرحي الفارغة ، ينبعث الماء هكذا ليلا ونهارا في أوقات الصلاة خاصة . أخبر بذلك من شاهده وسهر الليل كله .

مدينة بجاية (٤) : هي مدينة عظيمة على ضفة البحر ، والبحر يضرب في سورها . وهي محدثة من بناء ملوك صنهاجة ، أصحاب قلعة أبي طويل ، وتعرف بقلعة حماد اليوم . وكان سبب بنائها ، أن العرب لما دخلوا إفريقية وأفسدوا القيروان وأكثر مدن إفريقية ، هرب منهم صاحب القيروان الصنهاجي ، وتحصن بمدينة المهدية . وكان ابن عمه صاحب القلعة ، المنصور بن حماد ، أشد

(١) أنظر Fagnan ، ص ٣١ (ب) القراءة في النص : فيها ثقب ينبعث منه ماء في غلظ حجر الربع الموزون به في كل وقت من الأوقات الممهودة للصلوات الخمس.

(١) البكري ، ص ٦٤ ؛ الإدريسي ، ص ٩٧

(٢) قارن ابن خلدون ، الترجمة (Berbères) ، ج ١ ص ٢٩٢ ؛ الإدريسي (سوق بني زندوي) . أنظر Fagnan ، هامش ٤ ص ٣١

(٣) الإدريسي ، ص ٩٨ (حصن المنصورية) ؛ البكري (ص ٨٢) يتكلم عن ينبوع المتقطع ولكنه يذكر سبب بدلا من المنصورية . قارن Fagnan ، هامش ٢ ص ٣٢

(٤) لا يخص البكري لبجاية (ص ٨٢ والترجمة ، ص ١٩٢) إلا عدة أسطر . قارن ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٣١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٩٥ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٥ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٩١ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ١٥ - ١ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ١٢٧ . عن الواقعة بين العرب والحماديين في سبب على عهد الناصر والد المنصور ، وعن بناء مدينة بجاية (الناصرية ثم المنصورية) أنظر G.Marçais, Les Arabes en Berbérie du XI au XIV siècles, p. 137 sq., La Berbérie Musulmane, pp. 199, 200 et notes.

شركة من صاحب القيروان وأكثر جهادها ، فخرج لنصرة ابن عمه وجيش جيشا كبيرا . فلقيته العرب يومئذ بالبحر (ا) سبيبة ، على مقربة من القيروان ، فكان بينهم يوم عظيم حتى هزم المنصور وقتل أخوه وأكثر صنهاجة . وذلك أن أخاه كان أسن منه فهاه عن مقابلة العرب ، وقال له : « أقم أنت ببلادك وابعث إليهم وصانعهم يأتوك خاضعين وفي جباثك طامعين ، فهذا من خلق العرب قدما فلا تلقاهم » (ب) . فلما كان ذلك اليوم ، وهزم ، قال له أخوه : « ألم أنهك أن تلقاهم بنفسك ، ولكن اعطني تاجك والراية أقم على الجيش ، وانج بنفسك ، فإن كانت السلامة فمن الله ، وإلا بقيت أنت للناس ، فليس منك الخلف » . وهذا من أغرب ما يصنع الأخ مع أخيه والولى مع وليه . فأعطاه عمامته ورايته وكانت مشهورة ، فسار بالجيش حتى لحق وقتل . وكانت لملوك صنهاجة عمام شرب (ج) مذهبة يغفلون في أثمانها ، تساوى العمامة الـ ٥٠٠ دينار والـ ٦٠٠ دينار وأزيد . وكانوا يعممون بها بأقن صنة فتأتى تيجانا (د) وكان (ر) ببلادهم صناع لذلك ، يأخذ (س) الصانع على تعميم عمامة منها دينارين وأزيد . وكانت لهم قوالب من عود في حوانيتهم ، يسمونها الرؤوس ، يعممون عليها تلك العمام . فلما نجا المنصور إلى القلعة ، نزلت عليه جيوش العرب وضيقوا [عليه] ببلاده ، فكان يصانعهم حتى ضاق ذرعاً بهم ، وكان لا يقدر على التصرف في بلاده ؛ فطلب موضعاً يبني فيه مدينة ولا يلحقه فيها العرب (ص) فدل على موضع بجاية وكان مرسى . ويقال إنه كانت فيه آثار قديمة وإنها كانت مدينة فيما سلف ، فبناها المنصور ، وسمّاها المنصورية ، وانتقل ملكهم من القلعة إلى بجاية ، واتخذها دار مملكتهم ؛ وبينها وبين قلعة حماد مسيرة أربعة أيام .

وهي مدينة عظيمة ، ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها ، والبحر منها في ٣ جهات : في الشرق والغرب والجنوب . ولها طريق إلى جهة المغرب يسمى بالمضيق على ضفة النهر المسمى بالوادي الكبير ، وطريق القبلية إلى قلعة حماد على عقاب وأوعار ، وكذلك طريقها إلى الشرق . وليس لها طريق

(ا) ب ، ك : بأمل .

(ب) القراءة في ك : وفي جباثك طامعين .. الا تلقاهم . وفي ب :

طامعين .. فاني لا ألقاهم . (ج) «شرب» ناقصة في ك .

(د) ب ، ك : تاجان ، ج : تاج . (ر) «وكان» ناقصة في ب ، ك .

(س) ك : فأخذ . (ص) القراءة في ك : ولا يلحقها العرب .

سهلة إلا من جهة الغرب ، فلم يكن للعرب إليها سبيل ، ولا كان يدخل من العرب إلا من يبعث إليه (أ) الملك لمصانعه على بلاد القلعة وغيرها ، فيدخلها أفراد وفرسان (ب) دون عسكر . فبقى صاحب بجاية في ملك شامخ وعز باذخ (ج) يضاهي في ملكه صاحب مصر ، فإن بجاية على نظر كبير وفائد عظيم . وبجاية معلقة من جبل وقد دخل في البحر يسمى مسيون (د) ، وعليها سور عظيم ، والبحر يضرب فيه . ولها داران لصناعة المراكب ، وإنشاء السفن ، ومنها تغزا بلاد الروم فلما ليس بينها وبين صقلية غير ٣ بحار (ر) . وهي مرسى عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم ، وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر ، وبلاد اليمن ، والهند ، والصين ، وغيرها . ومدينة بجاية كثيرة القواكه والأثمار ، وجميع الحيرات . وهي مشرفة ، نزيهة ، ومطلّة على البحر وعلى فحص قد أحاطت به جبال دوره نحو ١٠ أميال ، تسقيه أنهار وعيون ، وفيه (س) أكثر بساتينهم . ولها نهر كبير يقرب منها بنحو الميّلين أو دونهما ، وعليه كثير من جناتهم ، وقد صنعت عليه نواعير تسقى من أنهر ، وله منتزه عظيم . وفي بجاية موضع يعرف بالؤلؤة ، وهو أنف من الجبل قد خرج في البحر ، متصل بالمدينة ، فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة لم ير الراؤون أحسن منها بناء ، ولا أنزه موضعا ؛ فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والأبواب المحرمة المحنية ، والمجالس المقرّصة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها ؛ قد نقش أحسن نقش وأنزلت بالذهب واللازورد ، وقد كتبت فيها الكتابات المحسنة ، وصورت فيها الصور الحسنة ، فجاءت من أحسن القصور وأتمها (ص) منتزها وجمالا . وهذا الجبل مسيون (ط) ، الذي فيه بجاية ، جبل عظيم عال قد ذهب في الجو ، وقد خرج في البحر ، وفيه مياه سائحة ، وعيون كثيرة وبساتين ، وهو كثير القردة ؛ ويكون فيه الحيوان المشوك المسمى بالذرب (ع) .

(أ) ب ، ج : يبعث عند . (ب) ك : فارس أو فارسان . (ج) « في ملك شامخ وعز باذخ » ناقصة في ك . (د) النص أمسيول . أنظر Fagnan ، ص ٣٥ (ر) ب ، م ، ك : بحار . (س) ك : وفيها . (ص) « أتمها » ناقصة في ك . (ط) ب : أمسيول ، ك : أمسيون . (ع) ب : الذي يسمى الذوب .

قال الناظر : لما كانت هذه المأثرة على ما وصلت ، وكان فيها بقية منهاجة
المؤثرين (أ) ، جعلوا يدافعون أمثالهم من وترت دنياه وأخراه ، كأهل ميورقة
المنقطنين فيها من أبناء جنسهم ، فقدم بجاية منهم على بن اسحق بن حمو بن غانية
المسوفى (ب) سنة ٥٨٠ [١١٨٤] أول ولاية الخليفة أمير المؤمنين أبي يوسف ،
أهد الله أمره وأعز نصره . وعاث فيها وفي ذواتها (ج) ودرج منها إلى قسطنطينية
فاطردته منها عساكر الموحدين ، فتوغل في بلاد الجريد ، وعاث فيها ،
وسفك الدماء ، وأخذ الأموال ، وأباح الجريم ، وفعل ما هو لائق بجذته (د)
ووخامة مولده (ر) . فسارع لغزوه أمير المؤمنين ، واستأصل شأفته (س) ،
ومات — لعنة الله عليه — برشقة سهم على توزر ، عقب سنة ٥٨٤ [١١٨٩] (١) .

مدينة مرسى الدجاج (٢) : مدينة أزلية على شاطئ البحر ، والبحر يضرب
في سورها . وهي قديمة البناء وفيها آثار عجيبة للأول ، ولها بساتين وجنات ،
وبها الطير المسمى بالسماي كثير من البحر ، ويقابلها (ص) جزيرة ميورقة .

(أ) ب : المؤثرين ، ج : المؤثرين ، ك : المؤثرين .

(ب) القراءة في ب : كأهل ميورقة جنسهم فمنهم على بجاية على بن اسحاق
ابن غانية ، وفي ج : بن غانية المسوفى ، وفي ك : . . جنسهم على بجاية منهم
محمد بن اسحاق بن غانية المتوفى .

(ج) ب : دارتها ، ك : دورانها . (د) ب : متحدة . والظاهر أن المؤلف
يريد بهذا التعريض بجدة العائلة الميورقية وهي غانية . (ر) « وفعل ما هو
لائق بجذته ووخامة مولده » فاقصة في ك . (س) ك : شأنه .

(ص) ك : وفقار بابها .

(١) عن فتح بجاية سنة ٥٨٠ (١١٨٤) وغزو إفريقية على أيدي بني غانية أنظر E. Lévi.
Provençal, Lettres officielles almohades (مجموعة رسائل موحدية ، الرسائل رقم ٢٩ ،
٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥) ، Etudes, p. 58 sq. ؛ عبد الواحد المراكشي ، المعجب ،
ص ١٩٥ ؛ ابن عذارى (Anonimo) ص ٤٣ ؛ ابن الأثير ، ج ١١ ص ٢٣٤ ؛
ابن خلدون ، المعبر ، ج ٦ ص ١٩٠ ؛ A. Bel, le Banu Ganiya .

(٢) قارن البكري ، ص ٦٥ ، ٨٢ ؛ الإدريسي ، ص ٨٩ ؛ ابن حوقل ، ص ٥١ ؛
أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧٥ - ١٧٦

مدينة جزائر بني مزغناي (١) (١) : مدينة أزلية ، مل ضفة البحر ، والبحر يضرب في سورها . وهي قديمة البناء أزلية فيها آثار بحية تدل على أنها كانت دار مملكة لسابق الأمم ؛ وفيها دار ملعب قد فرش صحنه بحجارة ملونة (ب) مثل الفسيفساء ، فيها صور الخيل والحيوان بأحكام صناعة ، وأبدع عمل . ويتصل بجزائر بني مزغناي فحوص كبير يسمى فحوص ممتيعة ، وهو فحوص عظيم كثير الحصب والقرى والعمائر تشقه الأنهار ؛ وهو مرحلتين في مثلها قد أهدقت به جبال مثل الإكليل . وفي آخر هذا الفحوص جبل عليه الطريق ، وهو وعر الحجاز ، يسمى حلق واجر (ج) ، ويسميه أهل البلاد باب الغرب ؛ وليس يدخل إلى بلاد الغرب إلا منه . وكانت بمدينة بني مزغناي كنيسة عظيمة فيها عجائب من البنيان ، بقي اليوم منه جدار هو قبلة الشريعة للعبيد (د) ، وهو كثير النقوش والصور . ومرساها مأمون ، وفيه عين عذبة يقصد إليها أصحاب السفن ؛ ويقابل هذا المرسى من الأندلس مرسى شكله . وتليها بجهة الغرب مدينة لغانية .

مدينة لغانية (٢) : هي مدينة كبيرة قديمة فيها آثار كثيرة للأول ؛ وهي غير مسكونة ، ولها نهر يصب في البحر . ويقابل هذا المرسى - في بر الأندلس - مرسى مدينة دانية أو هو أوسع بوسطه في هذا البحر .

مدينة شرشال (٣) : مدينة كبيرة فيها آثار للأول ، وهي غير مسكونة . وفيها بنيان عجيب (ر) يسمى محراب سليمان قد علا في الهواء ؛ ويقابله من الأندلس مرسى الألفنت (س) .

(١) ب : مزعنة . (ب) ك : ملفقة .

(ج) ك : حلق واحد . أنظر البكري ، ص ٦٥

(د) هنا يوجد خرم في ك مقداره عدة صفحات . (ر) ج : عظيم .

(س) ب : لطنت .

(١) قارن البكري ، ص ٦٤ - ٦٥ ؛ الإدريسي ، ص ٨٩ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٦٤ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٥ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢٥٢ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ١٥ - ١ .

(٢) البكري (جناية) ، ص ٨٢

(٣) البكري ، ص ٨١ - ٨٢ (هذه المدينة تقع بالنسبة للأندلس أمام المرية ، أما لفتت فهي واقعة أمام مدينة أكور على بعد ٢٠ ميلا شرق تونس) ؛ الإدريسي ، ص ٨٩ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٢ . قارن Fagnan ، هامش ١ ص ١٠

مدينة تنس (١) : بينها وبين البحر بلدان ، وهي مدينة مسورة حصينة ،
 ودخلها قسبة مربعة المرتقى بنفرد يسكنها عامل تنس لمنعتها . وبها مسجد
 جامع وأسواق حافلة كثيرة ، ولها نهر يسمى تامن يأتيها من جبال القبلة
 من يسارها من جهة الشرق والجوف ، ويصب في البحر . وهي كثيرة الزرع ،
 وسعة الأسعار . منها يحمل الطعام إلى الأندلس وإلى بلاد إفريقية وإلى بلاد
 العرب لكثرة الزرع عندهم . ولكنها وبيّة ، من يدخلها لا يسلم من المرض ،
 وكثيرا ما يموت بها الغرباء . ولذلك قال بعض الشعراء فيها :

أياها السائل عن أرض تنس (١)	بلد اللؤم لعمرى والدنس
بلد لا ينزل القطر بها	للندى في أهلها حرف دَرَس
فصحاء النطق في لا أبدا	وهم في نعم بكم خُرُس
ماؤها من قبح ما خصت به	نجس يجرى على أرض نجس
فتى تلعن بلادا مرة	فاجعل اللعنة اذا بالتنس

وأما من الثقة أن بها فيران ضخمة .

مدينة قصر الفلوس (٢) : هي مدينة كبيرة ، مرسى للمراكب ، فيها آثار
 كثيرة للأول تنبىء أنها كانت دار مملكة ، وهي اليوم خراب . وفيها ماء مجلوب
 من قناطر (ب) بأغرب ما يكون من البناء القديم .

مدينة وهران (٣) : هي مدينة على ضفة البحر بناها جماعة من الأندلسيين
 المحرّين بسبب المرسى ، بالاتفاق (ج) مع قبائل البربر المجاورين لها ،
 سكنوها مع قبائل من البربر يقال لهم بنو تمسكين نحو ٧ أعوام . ثم إنه

(١) ب : تونس . (ب) النص : قناطر . (ج) النص : بالتفاق .

(١) البكري ، ص ٦١ وتابع (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٧٧) . قارن
 الإدريسي ، ص ٨٣ ؛ دمشق ، ص ٢٣٥ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٢ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ١
 ص ٢١٥

(٢) البكري ، ص ٧٩ ، ٨١ ، قارن ابن حوقل ، ص ٥٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ،
 ص ١١٨ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٤٢٢

(٣) البكري ، ص ٧٠ - ٧١ . قارن الإدريسي ، ص ٨٤ ؛ دمشق ، ص ٢٣٥ ؛
 ابن حوقل ، ص ٥٢ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧٢ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ٣
 ص ٢٩٩

زحف إليهم قبائل كثيرة من البربر يطلبون ثأرا يذوم وبين ابن مسكين فابى من كان فيها من الأندلسيين ، وكان عندهم جماعة منهم ، فنصبوا عليهم الحرب . فلما ضيقوا عليهم هربوا بنى مسكين في الليل ؛ وتغلب البربر المحاصرون لها عليها وأخرجوا من كان فيها ، وأضرموا نارا فخربت وهران عند ذلك ، وبقيت سنين خربة ؛ ثم تراجع الناس إليها وبنوا فعادت أحسن مما كانت . وهي مدينة كثيرة البساتين والثمار ، ولها ماء سائح وأنهار كثيرة وأرجاء وعيون ، وهي من أعز البلاد . ولها نظر كبير فيه قرية كبيرة فيها آثار قديمة ؛ وأهلها موصوفون بعظم الخلق وكمال القامة والإباء (١) والشدة .

قال أبو عبيد البكري : أخبرني غير واحد من دخل هذه القرية ورأى أهلها أن الرجل الكامل من غيرهم يكون إلى منكب الرجل منهم . وأنه كان رجل منهم أراد أن يقيم بيتا ، فاقتطع ألف كلخة وحملها على ظهره وسوى منها بيتا كبيرا وسكنه . ولو هران مرسى كبير ، مشى للسفن ، يُمكن من الريح لأنه في حوز (ب) جبل مطل على وهران مرتفع .

مدينة أرشجول (ج) (١) : مدينة قديمة أزلية فيها آثار كثيرة ؛ وهي على نهر تافنى (د) وهو نهر كبير تدخل فيه السفن . والمدينة قريبة من البحر تصل إليها المراكب اللطاف . وهي ساحل تلمسان ، بينها وبين تلمسان فحوص زبدور لحرث القمح (ر) وهو مبارك مشهور البركة .

مدينة أسيلي (٢) : وهي بشرقي أرشجول بمقربة منها ؛ وكانت مدينة قديمة عليها سور من صخر ؛ وكانت حصينة ، ولها نهر يسقى بساتينها وثمارها .

(١) ب : الأبد . (ب) ج : جوف . (ج) ج : أرشكول .
(د) ج : بأرفى ، ب : بأدفى . قراءة البكري هي الصحيحة أنظر ص ٧٧ .
(ر) ب ، ج : فحوص تربة لحرث القمح .

(١) البكري ، ص ٧٧ - ٧٨ . قارن الإدريسي (أرشقول) ، ص ١٧٢ ؛ الدمشق ، ص ٢٣٥ ؛ ابن حوقل (أرشكول) ، ص ٥٣ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧١ .
(٢) البكري (أسلن) ، ص ٧٩ .

مدينة فَيَكْنَان (١) (١) : هي مدينة أزيلية كبيرة فيها آثار كثيرة للأول ،
ثم لأنها خربت ، فبحث إليها المنصور بن أبي عامر من بنائها وعمرها .
وهي قريبة من البحر .

حصن زَيَّان (٢) : له نهر كثير الثمار والأشجار ؛ وبالقرب منه حصن
الفُرُوس وهو على قمة جبل على ضفة البحر ؛ وبالقرب من هذا الحصن ؛
الوردانية ، وحصن وهنين (ب) ، ومرساه مقصود وله بساطين كثيرة .

مدينة فَنَدْرُومَة (ج) (٣) : من طرف (د) جبل تاجراً ؛ وهي مدينة حسنة
كثيرة الزرع والفواكه رخيصة الأسعار . ولها بساط خصيبة (ر) ومزارع
كثيرة ؛ وبينها وبين البحر نحو ١٠ أميال . وبساحلها نهر ماء يسيل ؛ وهو نهر
كثير الثمار ، وله مرسى مأمون مقصود ، وعليه رباط حسن فيترك به . وقيل
إنه من أتى [فيه] منكر الم تناخر عقوبته ؛ وقد عرف ذلك من بركتته ، وحسن
صنع الله فيه .

مدينة تَرْنَانَا (٤) : كانت مدينة كبيرة مشهورة على ساحل البحر ، وكانت
محطاً للسفن ومقصداً لقوافل سجلماسة وغيرها . وكان سكانها من قبائل البربر
ومطهرة (س) ؛ وهم أعدل من هناك من البربر . وعلى هذا الساحل مدن كثيرة
قد خربت ، وكانت في سالف الأزمان آهلة كثيرة الحصب ، مثل مدينة
تَاجْجِيرِت (ص) وهي ساحل ، وبه مدينة مَلِيلَة (٥) ، وهي مدينة قديمة

(١) ج : فاكان . (ب) ب : حصن حصين . (ج) ب : ندروم .
(د) ب : من قرب . (ر) ج : مفيدة . (س) ج : من قبائل البربر مطهرة .
(ص) قراءة البكري (ص ٢٠٤) تافر جنوت ، الإدريسي (ص ٢٠٥) تافر جنيت ،
أنظر Fagnan هامش ٣ ص ٤٤

(١) البكري ، ص ٧٩ (يعزى بناء أسن من جديد الى بن أبي عامر بينما ينسب تأسيس
لكان الى يعل بن محمد بن صالح . أنظر Fagnan ، هامش ٢ ص ٤٣ . قارن الإدريسي
(الكان) ، ص ٨٢ - ٨٣

(٢) البكري (حصن ابن زينا) ، ص ٧٩

(٣) البكري ، ص ٨٠ . قارن الإدريسي ، ص ٨٠

(٤) البكري ، ص ٨٠ ؛ الإدريسي ، ص ٨٠

(٥) البكري ، ص ٨٨ - ٨٩ ؛ الإدريسي ، ص ١٧١ - ١٧٢ ؛ ياقوت ، معجم

البلدان ، ج ٤ ص ٦٤١ ؛ دمشق ، ص ٢٣٧ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٣ ؛ البكري (ملاله) ،
المخطوط ، ص ١٤٧ - ١

مشهورة ولها سور محضر وداخلها قصبة مائنة . ودخلها الناصر سنة ٣١٤
[٩٢٦] ، وبني سورها .

مدينة عَجْرود^(١) : مدينة قديمة على البحر فيها آثار كثيرة ومرسى
مقصود .

مدينة نُكَّر^(٢) : وهي مدينة كبيرة ، بينها وبين البحر نحو ١٠ أميال ؛
وهي بين رواب (١) وجبال ، ولها نهران أحدهما يسمى (ب) نُكَّر وبه سميت ،
ومخرجه من بلاد كزناية (ج) من جبل كوين (د) ؛ ومن هذا الجبل ينبعث
النهر المعروف بورَغَّة ، وهو نهر كبير مشهور من أنهار المغرب . ومدينة نكر
كثيرة البساتين طيبة الفواكه لاسيما الكمثرى والرمان ، فليس يوجد مثلها
في بلدة . وهي قديمة أزلية افتتحها سعيد (ر) بن إدريس بن صالح الحميري ،
وهو المعروف بالعبد الصالح ، في أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان . وكان
دخل أرض المغرب في الافتتاح الأول قبل موسى بن نصير ، وعلى يديه أسلم
البربر المجاورين (س) لهذه المدينة ، وهم صنهاجة وغمارة . ثم ارتد منهم بشر
كثير لما ثقلت عليهم شرائع الإسلام ، ثم تلافاهم الله بهدايته (س) ؛ ومات سعيد
المذكور ودفن بقرية أقطى (ط) على شط البحر ، وولى ذلك البلد بنوه .
وكانت لهم حروب كثيرة مع قبائل البربر ، وكانوا قد تصاهروا مع الحسينين
من بني إدريس ملوك المغرب . ويجاور مدينة نكر جبل غمارة ، وتحتة مراسى
كثيرة ، منها مرمى باديس (ع) ، عليه عمارة كثيرة من البربر ، وفيه السعير رخيص
ومنه تحمل المراكب الطعام .

(١) ب : دوايب . (ب) «يسمى» ناقصة في ب .

(ج) ب : كرائبة . (د) أنظر Fagnan ، ص ٤٥

(ر) النص : سعد . أنظر Fagnan ، ص ٤٥ (س) ب : المجاورة .

(س) القراءة في ب : ثم تلاهم الله بعد لايته . (ط) ب : الطى ، ج : أكضر
أما اقطى فهي قراءة البكرى : أنظر Fagnan ، ص ٤٥

(ع) ب : مراسى بادس ، ج : مرسى بايدس ، البكرى (ص ٩٠) : باديس
وانظر Fagnan ، ص ٤٦ .

(١) البكرى ، ص ٨٩ ؛ الادريسي (ص ١٦٢ - ١٦٤) لا يتكلم إلا عن موقف على
الطريق من مصر الى المدينة يسمى عجرود .

(٢) البكرى ، ص ٩٠ وتابع . قارن الادريسي (يزكور أو لكور) ، ص ١٧١ ؛
الدمشق ، ص ٢٣٥ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٢

مدينة تَيطَتَوَان^(١) : وهي مدينة قديمة كثيرة العيون والفواكه والزرع ،
طيبة الهواء والماء .

مدينة سَبْتَة^(٢) : وهي على ضفة البحر ، وهو بحر الزقاق ؛ والبحر
لقد أحاط بها شرقا وجوفا وقبلة ؛ وليس لها إلى البر غير طريق واحد من ناحية
الغرب ، لو شاء أهلها أن يقطعوه لقطعوه (ا) . ولها بابان أحدهما محدث (ب) ،
ولها من جهة البحر أبواب كثيرة . وفي آخر المدينة بشرقها جبل كبير في شعراء
كثيفة يسمى جبل المينا (ج) ، وقد كان محمد بن أبي عامر (د) أمر أن يبنى بهذا
الجبل مدينة وينقل إليها أهل سبتة ، فبنى سورها ومات ولم يتم ما أراد ؛ والسور
باق إلى وقتنا هذا كأنه مبنى بالأمس ؛ وهو يظهر من بر الأندلس لياضه .
ومن غريب ما في ذلك السور أن فيه شقة مستطيلة بأبراجها مبنية بالزيت عوضا
من الماء ، وكان غرضه إتمام عمله (ر) على هذا لولا الإنفاق الكثير ، فإن البناء بالزيت
أصلب وأبقى على مرور الدهور (س) والأزمان ، فلم يساعده الأجل رحمه الله .

ومدينة سبتة مدينة قديمة سكنها الأول ، فيها آثار كثيرة وكان لها ماء مجلوب
من نهر قرية أويات (ص) على ٣ أميال منها ، يجري الماء في قناة مع ضفة البحر
القبل الذي يعرف ببحر بسول (ط) ، وكان يدخل كنيسها التي هي اليوم جامع سبتة .
وأمر الخليفة أمير المؤمنين أبو يعقوب رضى عنه سنة ٥٨٠ [= ١١٨٤] بجلب الماء إليها
من قرية بَلْيُونَش المذكورة (ع) ، على ٦ أميال من سبتة ، في قناة تحت الأرض

(١) «لقطعوه» ناقصة في ج . (ب) ب : تحدث . (ج) أنظر Fagnan ،
ص ٤٦ (د) ب : عبد الملك بن مروان ، ج : عبد الملك بن أبي عامر .
أنظر الإدريسي ، ص ١٦٧ ؛ البكري ، ص ١٠٣ (ر) ينتهي هنا
الحرم الموجود في ك . (س) ك : مر . (ص) ماويات .
(ط) ب ، ك : بسوال ، ج : ببوال ولكن قراءة البكري هي الأصح (ص ١٠٢) ،
أنظر Fagnan ، ص ٤٧ (ع) ب ، ج : بليوانش .

(١) قارن الإدريسي (تطاوان تسكنها قبيلة تسمى مجسكة) ، ص ١٦٧

(٢) البكري ، ص ١٠٢ وتابع ؛ الإدريسي ، ص ١٦٧ - ١٦٨ (حسب الإدريسي
ابن ابن عامر سورها وأمر بنقل المدينة إلى سفح الجبل) ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣
ص ٣ ؛ دمشق ، ص ٢٣٥ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٣ ؛ المقدسي ، ص ٢٢٩ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ،
ج ٢ ص ١٦٩ ، ١٨٦ وهامش ٤ ص ١٨٥ (من قصر المجاز) . يتكلم البكري عن جبل القردة
هنا ما يتكلم عن مدينة طنجة (ص ١٨٣) .

حسب ما جليه (١) الأوائل في قرية قرطاجنة وغيرها . وشرع العمل فعرضت أمور أوجبت التربص إلى حين يأذن الله تعالى بذلك ، والرجاء الآن مؤمل ونحن في سنة ٨٧ [هـ] [١١٩١] . وعلى قرية بلكيونسش المذكورة جبل عظيم فيه القردة ، عبر من تحته موسى بن نصير إلى ساحل طريفة فسمى به وهو الصحيح . وكان عليه حصن هدمه مصمودة المجاورون له ، ثم بناه الناصر عبد الرحمن المرواني ، فهدموه ثانية . وتحت أرض خصيبة فيها مياه عذبة ، ومنه إلى مرسى باب اليم (ب) ، وعليه قرية تعرف بقصر مصمودة ، ولها نهر يصب في البحر عذب ؛ ومنه يقرب الجواز إلى جزيرة طريفة ١٨ ميلا .

مدينة طنجة (١) : هي مدينة كبيرة أزلية ، فيها آثار كثيرة للأول وقصور وأقباء وغيرها . وكان فيها ماء مجلوب في قناة كبيرة ، وبخارجها ماء طيب (ج) يسمونه بترقال حمل (د) شناعة الحمق فهم يعيرون بشربه ؛ فيقال لمن تهافت منهم : « شربت ماء بترقال لا جناح عليك » ؛ وفيه يقول الشاعر :

بطنجة عين ماء وسط رمل لذيد ماؤه كالسلسيل
خفيف وزنه عذب ولكن يطير بشاربه (ر) ألف ميل

وكان فيها رخام وصخر متجور جليل ؛ منها كانت القنطرة على بحر الزقاق إلى ساحل أندلس التي لم يكن في العالم مثلها . وكانت تمر عليها القوافل والعساكر من ساحل طنجة إلى ساحل الأندلس ؛ فلما كان قبل فتح المسلمين جزيرة الأندلس بنحو ٢٠٠ سنة ، طغى ماء البحر وخرج من البحر المحيط إلى بحر الزقاق ، ففرق هذه القنطرة وغيرها من المواضع المجاورة لها . ويذكر أن طولها كان ١٢ ميلا ، وسعة المجاز اليوم في موضعها ٣٠ ميلا ونحوها . وتبدو هذه

(١) ك : جافة . (ب) ب : باب البحر ، ج : باب البئر ، ك : باب اليم ،

البكري : باب اليم . أنظر Fagnan ، ص ٤٨

(ج) ج : ودجاجها عيني ، ك : وصهاريج ولها عين ماء . (د) ب : حصل .

(ر) ب : يطير شاربها ، ج : شرا به .

(١) البكري ، ص ١٠٤ ، ٤٠٩ ؛ الإدريسي ، ص ١٦٨ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٨

(ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٥٥٩) ؛ دمشق ، ص ٢٣٥ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ٢

ص ٢١٢ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٩٨

القنطرة للمراكب فيتحفون منها ، ويقال إنها تنكشف في آخر الزمان ويجوز عليها الناس ، والله أعلم بغيبه .

وقيل (١) إن طنجة آخر حدود إفريقية في المغرب ، ومسافة ما بين طنجة والقيروان ١٠٠٠ ميل . وهي طنجة البيضاء المذكورة في التواريخ . وقيل إن عمل طنجة كان مسيرة شهر (ب) في مثله ، وإن ملوك المغرب من الروم وغيرهم من الأمم كانت دار مملكتهم مدينة طنجة ، وذلك من أجل القنطرة لئلا يفجأ العدو إحدى الجهتين ، والله بغيبه أعلم . وإذا حفرت خرائب طنجة وجدت فيها أصناف الجواهر ، فيدل ذلك على أنها كانت دار مملكة لأم سالفه . وقيل إنه يسامت طنجة في البحر المحيط الأعظم الجزائر المسماة قرطناً قش (ج) ومعناه السعيدة ، سميت بذلك لأن أرضها تحمل الزرع دون حرث ، وشعراؤها وغياضها كلها أصناف الفواكه الطيبة العجيبة دون غراسة (د) ، وفيها أصناف الرياحين العطرة بدل الشوك . وهي متفرقة في البحر متقاربة بغربي بلاد البربر ، يذكر ذلك أهل سواحل المغرب ، وقد رأيت من امتحن في طلبها . ويقال ، لطنجة نهر كبير تدخل فيه السفن يصب في البحر ، وهو يأتي من جبال طنجة وتأتي فيه سيول عظام تذهب ببعض دورها .

مدينة أصيلا (ر) (١) : كانت مدينة كبيرة أزلية عامرة أهلة كثيرة الحبر والحصب . وكان لها مرسى مقصود ، وكان سبب خرابها أن المحوس إذا خرجوا من البحر الكبير فأول ما يلقون مدينة أصيلا ، فينزلون بمرساها ويخربونها ما قدروا منها ، فيجتمع البربر فيحاربونهم ، فكانوا معهم على ذلك مع ما كان بين أهل تلك البلاد من الفتن . ويقال إن المحوس قصدوا إليهم مرة فاجتمع البربر لقتالهم ، فقالوا لهم : « ما جئنا لقتال وإنما لنا ببلادكم أموال وكنوز ، فتنحوا عنا حتى نستخرجها ونشاطركم فيها » . فرضى البربر بذلك واعتزلوا عن الموضع

(١) ك : وقال . (ب) ب : كان مسير شهرا . (ج) ب : قرطنا قش

و قرطاقس ، ك : قرطناش . أنظر البكري ، ص ١٠٩

(د) «دون غراسة» ناقصة في ب ، ج . (ر) البكري (ص ١١١) : أصيلة

وأصيل ؛ الإدريسي (ص ١٦٩) أزيلا ؛ ياقوت (معجم البلدان ، ج ١

ص ٢٣٥) : أزيل .

(١) أنظر البكري (أصيلة وأصيل) ، ص ٨٦ ، ١١١ ، ١١٢ . فاردن الإدريسي (أزيلا ،

وأزيلا) ، ص ١٦٩ ؛ ياقوت ، معجم البلدان (أزيلا) ، ج ١ ص ٢٣٥ ؛ دمشق ،

ص ٢٣٥ ؛ مرصع الاطلاع ، ج ١ ص ٥٥

الذى ذكروا لهم ، فحفر المجوس موضعا من تلك المواضع التى زعموا فوجدوا على الحب مطامير من الدخن فاستخرجوه ، فلما نظر البربر من بعيد إلى صفرة الدخن ظنوه تبرا ، فبدروا إليهم ونقضوا عهدهم وهرب المجوس إلى مراكبهم . فلما أصاب البربر الدخن ندموا فرغبوا إلى المجوس أن يرجعوا إلى استخراج المال فأبوا ، وقالوا : « قد رأينا منكم نقض العهد فلا نأمنكم أبدا » .

مدينة تَشْمُسُ (١) (١) : وهى مدينة قديمة أزلية فيها آثار للأول ، وهى على نظر واسع كثيرة الحصب والزرع والضرع . وهى تشبه بلاد الأندلس ، وبقرها بحيرة كبيرة تسمى أمسا ، يصب فيها البحر ٧ أعوام وتنصب هى فى البحر ٧ أعوام ، وينقطع البحر عنها فتظهر فيها جزائر بينها غدران يتصيد فيها أنواع السمك . وبين البحر والبحيرة مسجد مقصود يسكن حوله النساك وأهل الحيرة ، وأمرهم مشهور بتلك الجهات معروف .

مدينة سَلَا (٢) : اسمها بالعجمى شلة (ب) ، وهى مدينة أزلية فيها آثار للأول . وهى معروفة بضفة الوادى ، متصلة بالعمارة التى أحدثها الخليفة الإمام أمير المؤمنين وآباؤه المكرمون . وقد كان اتخذ أرياب البلد العشريون وأولياؤهم مدينة بالعدوة الشرقية ، وهى المعروفة الآن بسلا ، فيها ديارهم بحومة الجامع ، ولم يبق منه سوى المنار ، وأما السقف كله فهدم واحتسب الغرباء فى بنائه فى سنة ٥٧٤ [١١٧٨] . وأمر الخليفة أبو يعقوب رضى ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التى أحدثها الإمام أمير المؤمنين ، وفى هذه القصبة جامع وقصور ، وصهاريج الماء أمام الجامع وهو مجلوب من نحو ٢٠ ميلا . وفى هذه المدينة المحدثه قيصارية عظيمة وحمامات وفنادق (ج) وديار كثيرة ومياه مطردة وسقايات ومنافع

(١) ك : نشوس . (ب) ب : شلا . (ج) ك : وحام وفندق .

(١) البكرى ، ص ١١٣ ؛ قارن الإدريسي (شمس) ، ص ١٦٩ ؛ ابن حوقل (وادى شمس) ، ص ٥٤

(٢) البكرى ، ص ٨٧ ؛ الإدريسي ، ص ٧٢ - ٧٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٠٩ ؛ دمشق ، ص ٢٣٥ ، أبو الفدا ، الترجمة ، ص ١٨٣ . هنا تعتبر المعلومات التى يمدنا بها المؤلف أصيلة كبيرة الأهمية .

أعدت لورود المحلات عليها - إذ [أن] وضعها على المجاز والمعبر (أ) - إلى حضرة مراکش كلاًها الله . وعلى هذا المعبر قنطرة مركبة على ٢٣ معدية ، مدت عليها أوصال الخشب وصلبت عليها الألواح والفرش الوثيق الذي لا يؤثر فيه الحافر ، تجوز عليها العساكر والمسافرون ؛ وحولها يتصيد أنواع السمك والشابل (ب) . ويمد البحر فترفع القنطرة ويتغطى الجسر ، فتعوم عليه المراكب وترسو دونه الأجفان الكبار ؛ وقل ما تسلم عند دخولها وخروجها لصعوبة (ج) المدخل ، وهو مشهور عند أهل صنعة البحر . ويقابله من مراسى بر الأندلس وادي شلب (د) ، وبينهما في البحر يوم وليلة . وهذه المدينة قد شرفها هذا الأمر العزيز وكرمها بما أحدثه فيها من المباني الرفيعة والمنارة البديعة ، وما هي وقت مرور المحلات عليها إلا من عجائب منزهات الدنيا ، لاسيما في الأعوام الخصبية والفصول المعتدلة . وناهيك من ساحل طوله نحو الميلى وعرضه نحو الميل مملوء بالبشر ، والزوارق في الوادي بركابها ، والمنارة المظلة ، وعلاقات الثمار ، وعقد الزيتون ، وجدر الكرمات ، وقب (ر) الجلوس للسادات أيدهم الله ظاهرة ، وقبة الجامع وأكثر منارة ذلك الحصن المشرف ظاهرة من المدينة . وما هي في أوقاتها إلا أملح (س) من ديار مصر ، وما يحكى عن دجلة والفرات ؛ فإننا لله على الفناء والممات ؛ والله در من قال :

الناس مثل حباب والدهر بركة ماء
فعالم في طفو وعالم في انطفاء

وقد ذكرت البلاد الساحلية والتي تقرب من الساحل أو دونهما ، مثل القيروان ، للضرورة الباعثة على ذلك . ومن الناس من يرى أن طنجة آخر بلاد الساحل ، ويعتقد أن بحر أقناش إنما مدخله من هناك حيث أشبر تبال (ص) (١) ؛

(أ) ب : إذا وضعت على المجاز والمعبر .

(ب) ب ، ج : الشوابل . (ج) ك : بصبة .

(د) ك : ثعلب . (ر) ج : قباب . (س) ك : أحسن .

(ص) ك : اشرف تبال . أنظر Faguan ، ص ٥٤

(١) اشبر تبال عبارة عن تحريف كلمتي «الطرف الأغر» . قارن أبو الفدا ، الترجمة ،

٢ هامش ٢ ص ٢٦٩ + Faguan هامش ١ ، ٢ ص ٥٥

وأنا أقول إن مدخل هذا البحر إنما هو من طرف ايثير (أ) الذي خلفه بلد
نول ؛ ويقابله طرف الريحانة (ب) حتى لو قطعه مركب بريح مصطحبة لأخذ
أحدهما من مقابله (ج) .

ذكر البلاد الصحراوية

والتي تقرب من الصحراء بمرحلة أو أكثر من الإسكندرية
إلى آخر بلاد المغرب

مدينة المُسَنَّى^(١) : هي أول مدينة تلي الاسكندرية على طريق الصحراء ،
وهي ٣ مدن قائمة البناء خالية ، فيها قصور شريفة في صحراء رمل ، يقطع فيها
العرب على القوافل . ويسكن في بعض تلك القصور الرهبان ؛ وبعدها كنيسة
غربية البناء فيها عجائب من الصور والنقوش ، توعد قناديلها ليلا ونهارا
لا تطفأ ؛ وفيها صور الأنبياء عليهم السلام وصورة مريم عم في عمود من رخام .
وخارج الكنيسة صور جميع الحيوان والصناع والتجار ، ومن جملتها صورة تاجر
الرقيق ، وبين يديه خريطة مفتوحة في الأسفل ، تنبئ أن التاجر في الرقيق لاربح
له . وفي وسط الكنيسة قبة فيها ٨ صور يزعمون أنها صور الملائكة (د) ،
وفي جهة من الكنيسة مسجد محرابه إلى القبلة يصلي فيه المسلمون . وبقرها مدينة
خربها الروم فيها قصور تعرف بقصور أبي معد (ر) ، يسكنها من قريش
نحو ٢٠ بيتا ، وحواليها (س) قبائل كثيرة من العرب من بني مُذَنَجَج وغيرهم ؛
وقبائل كثيرة من البربر . ويذكر أن كثيرا ما تتبدل صورة المولود عندهم

(أ) «ايثير» ناقصة في ب . (ب) ك : أبي بجانة .

(ج) القراءة في ك : حتى قطع مركبان بريح مصطحبة لآخرها من مقابلة الآخر .

(د) ك : الملكية . (ر) ج : ايعد . (س) ك : ومواليها .

(١) البكري (منا وأبو مينا) ، ص ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ أنظر Duatremère, Notices d'un

Manuscrit..., p. 9 — 10

ليصير في خلق الغول والسحابة ، وإن عاش (أ) يعدو على الناس حتى يغل
ويقيد . ولأجل ذلك يشتم أهل تلك البلاد وأهل إفريقية بعضهم بعضا
يقولون : يامبدول (ب) . وقد أخبر الثقة أنهم عاينوا ذلك وتحققوه .

مدينة بركة (١) : وهي مدينة كبيرة أزلية قديمة ، فيها آثار كثيرة للأول ؛
وهي في صحراء حمراء التربة والمباني فتحمر لذلك ثياب ساكنيها والمتصرفين
فيها ؛ وعلى ٦ أميال منها جبل كثير الحصب والفواكه والمياه السائحة . وأرض
بركة كثيرة الحصب تصلح السائمة في مراعيها ؛ وأكثر ذبائح أهل مصر
والإسكندرية من غنم بركة لعظم خلقها وكثرة شحمها ولذة لحمها (ج) . واسمها
باللغة الإغريقية بنطابلس (د) ، تفسيره ه مدن (ر) . ويذكر أن في تلك
الحرائب التي ببركة والآثار القديمة دار منقورة في حجر صلد ، عليها باب من حجر
صلد كذلك ، من أغرب ما يكون في الدنيا ، لا تدخل الذرة بين العضادة
والباب ، ولا بين العتبة والباب ؛ ولا يفتح الباب إلا للداخل ، ولا يقدر أحد
على الخروج منه إلا أن يدخل عليه آخر ، ويقال إنه كان مفتوحا لا قفل له .
وأخبرني بعض من دخل ذلك الطريق أن رجلا دخل فيه ليرى الدار ، فرأى
دارا منقورة في حجر صلد ، وفيها من عظام الناس كثير ، فهاله ذلك فأراد الخروج
لم يجد الباب قد انغلق ولم يقدر على فتحه ، وأيقن بالهلكة حتى طلبه بعض أصحابه
لجاء إلى ذلك الباب فسمع صوته يستغيث بفتح الباب ، ففتحته فخرج الرجل .
وفي تلك الآثار عجائب لمن يتأملها .

(١) ك : مباشر .

(ب) هنا يوجد اضطراب في ب (ص ٦٦ - ب) إذ تأتي صفحة خاصة بمدينة قاس
(أنظر طبعة Kremer ص ٧١) . أما عن بقية الحديث عن بركة فهو يوجد
في ص ٨٩ - ب (السطر قبل الأخير وتابع) . (ج) «لذة لحمها» ناقصة
في ك . (د) ك : بنطابلس . (ر) ك : تفسيره حسن .

(١) البكري ، ص ٤ (ياتوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٥٧٣ ؛ المبدي ، المخطوط ،
ص ٤٧ - ب) . قارن الإدريسي ، ص ١٣١ ؛ مراسد الاطلاع ، ج ١ ص ٩٧ ؛ أبو الفدا ،
الترجمة ، ج ٢ ص ١٧٨ ؛ ابن حوقل ، ص ١٣ ؛ المعقولي ، ص ٢٢٣

مدينة أجداية^(١) : هي مدينة كبيرة في صحراء صفا ، وآبارها منقورة في ذلك الصفا (ا) ؛ طيبة الهواء والماء وبها عين ثائرة عذبة (ب) ، ولها بساتين ونخل يسير (ج) ؛ وبها جامع حسن البناء بناه الشيعة ، وله صومعة مشمعة بديعة العمل . وبها حمامات وفنادق كثيرة ، وأسواق حافلة مقصودة ، وأهلها ذوي سار وأكثرهم أقباط (د) ، وبها نبد من صرحاء لواته . وليس لمبانيها سقوف من خشب ، وإنما هي أقباء من الطوب لكثرة الرياح بها . ثم كذلك قبائل البربر والعرب إلى جبل نفوسة^(٢) وطوله من المشرق إلى المغرب ٦ أيام ؛ وبينه وبين القيروان ٦ أيام ، وفيه مدن كثيرة . وفي هذا الجبل مواضع كثيرة فيها آثار قديمة للأول ، عجيبة فيها غرائب لمن تأملها . ووصل عمرو بن العاص - رحمه الله - إلى جبل نفوسة وافتتحه وكان أهله نصارى ، وفي جبل نفوسة رجع بكتاب عمر بن الخطاب رضى . وفي وسط هذا الجبل مدينة جادوا (ر) [وهي] مدينة كبيرة لها أسواق حافلة وأكثر أهلها يهود ، وهي أم قرى جبل نفوسة .

مدينة شروس^(٣) : وهي مدينة كبيرة جليلة قديمة ، فيها آثار للأول ، وأهلها إياضية (س) ، وليس بها جامع ولا فيما حولها من القرى ؛ وفي نظرها أزيد من ٣٠٠ قرية . ولا يرون في مذهبهم الجمعة ، وفي هذا الجبل أم كثيرة على مذاهب شتى ، وأكثرهم إياضية (س) . وليس لهم أمير يرجعون إلى أمره وإنما

(١) « وآبارها منقورة في ذلك الصفا » نائصة في ك . (ب) هنا لا توجد الجملة

السابقة في ك (أنظر هامش (١) السابق) . (ج) ج : كثير . (د) النص :

انباط . انظر Fagnan ، ص ٥٥ وهامش ٤ ؛ هامش ٢ ص ١٤٩

(ر) « جادوا » لا توجد إلا في ب فقط . (س) ك : وعليها خوارج .

(ص) ك : خوارج .

(١) البكري ، ص ٥ (Quatremère, Notice d'un Manuscrit, P. 14). الشيعة هو أبو القاسم

القائم الخليفة الفاطمي الثاني . قارن الإدريسي ، ص ١٢٢ - ١٢٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٣٢ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢٥ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧٨ - ١٨٠ .

(٢) قارن البكري ، ص ٩ (Quatremère, Notice d'un Manuscrit, P. 19) ؛ الإدريسي ،

ص ١٠٥ (طول هذا الجبل مسير ثلاثة أيام) ، ١٢٢ - ١٢٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان . ج ٤ ص ٨٠٠ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٩ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ٣ ص ٢٢٢

(٣) البكري ، ص ٩ (Quatremère, Notice d'un Manuscrit, P. 20) ؛ قارن الإدريسي ،

ص ١٠٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان (شروس) ، ج ٤ ص ٨٥ ؛ الدمشقي ، ص ٢٢٨

لم شيوخ وفقهاء في مذاهبهم يرجعون إلى أمرهم ، ولهم رخص كثير في مذاهبهم .
أخبرني الثقة قال : رأيت رجلاً دخل بلادهم فرأى إنساناً قد أراد التطهر ، فنزل
على ماء ونزع ثيابه وجعل يشرب كأنه يغتسل ، وكأنه يتوضأ ، وكأنه يريق
على رأسه وعلى جسده الماء . فقال له الرجل ما هذا ، فسكت عنه حتى فرغ ، فأخذه
الرجل الغريب وحمله إلى حاكم البلد ، وقال له رأيت هذا يفعل كيت وكيت .
فقال له الحاكم : من أين أنت ، فقال من المغرب ؛ فقال والله لولا أنك غريب
يبلدنا لأدبتك ، وما يدريك لعل له عذرا ؛ قال الله تعالى : « يريد بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر »^(١) . وهذا أفضل مذاهبهم (أ) فإن فيهم من لا يرى
الاغتسال بالماء جملة ؛ وإذا كان على أحدهم غسل يتمرغ في التراب ويتيمم مكان
الوضوء ؛ وبلاد إفريقية من هذا المذهب كثير . والزنا الحرام (ب) بجبل
نفوسة في مذهبهم : ما منهم رجل غني إلا وله وصائف (ج) كثيرة يلبسهن
فاخر (د) الثياب ويحلقن بالخلي ، ويبرزهن على الطريق للفواحش (ر) ؛ ولهم ديار
معدة لذلك ، وهذا عندهم معروف لا ينكر . ومن جبل نفوسة إلى بلد غدامس
٧ أيام في الصحراء ؛ والماء منها على مسيرة ٣ أيام وأكثر . وبلد غدامس بلد
كبير ونظر واسع كثير النخل والمياه ؛ وأهلها بربر مسلمون لا يلتزمون
على عادة بربر الصحراء من لتونة ومسوفة وغيرها .

مدينة غدامس^(٢) : مدينة لطيفة قديمة أزلية ، وإليها ينسب الجلد
الغدامسي . وبها دوامس وكهوف كانت سجونا للملكة الكاهنة التي كانت
بإفريقية ؛ وهذه الكهوف من بناء الأولين ، فيها غرائب من البناء والآزاج
المعقودة تحت الأرض ما يحار الناظر إليها إذا تأملها ، تنبئ أنها آثار ملوك سالفه

(١) ب : وهذا أفضل من مذاهبكم . (ب) ب ، ج : الخدم .
(ج) ك : بنات . (د) ك : بأفخر . (ر) ك : الفواحش .

(١) القرآن : سورة ٢ ، آية ١٨١

(٢) أنظر البكري ، ص ١٨٢ ؛ هافوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٧٧٦ ؛ مرصد

الاطلاع ، ج ٢ ص ٣٠٣

وأم دارسة ؛ وأن تلك الأرض لم تكن صحراء وإنما كانت خصيبة عامرة . وأكثر طعامهم التمر ، والكمأة تعظم بتلك البلاد حتى تتخذ فيها اليرابيع والأرانب أحجارا . ومن غدامس يدخل إلى تادمكة (١) (١) وغيرها من بلاد السودان .

مدينة زويلة (٢) : مدينة كبيرة قديمة أزلية في الصحراء ، تقرب من بلاد كاتم (ب) وهي من السودان ؛ وقد أسلموا بعد الـ ٥٠٠ من الهجرة [١١٠٦] وهي مجتمع الرفاق وإليها يجلب الرقيق ، ومنها يخرج إلى بلاد إفريقية وغيرها من البلاد . ولما فتح عمرو بن العاص برقة وجبل نفوسة بعث عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وافتتحها ؛ وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين . وبلد زويلة كثير النخل والثمار ، وبقرها قصر واجان (٣) ، وهو قصر عظيم على رأس جبل في طرف المغازة ، وهو مثل المدينة ؛ فسار إليه ١٥ يوما فنزل عليه وحاصره نحو شهر ، فلم يقدر . فضى أمامه على قصور كوار ففتحها ، وأخذ ملكها فقطع أصبعه ؛ فقال : لم فعلت في هذا ؛ قال عقبة : إذا نظرت إلى أصبعك لم تقا تل العرب (ج) . وفرض عليهم ٣٦٠ رأسا ثم سألم : هل وراءكم أحد فلم يعلموا ما وراءهم ، فكر راجعا على قصور واجان ولم يتعرض له ولا نزل عليه (د) ، وسار ٣ أيام . فلما رأوا أنه لم يتعرض لهم أمنوا وانبطوا ، فأقام عقبة بموضع يسمى اليوم ماء الفرس (٤) ، فنفذ ماؤهم وأصابهم العطش حتى كاد يهلكهم .

(١) ج : تامدة ، البكرى (ص ١٦٢) : تادمكت . (ب) ك : كاغ .
(ج) ك : السرب . (د) ك : ولم يعرض له وما يدل عليه ، ب : .. ولا تزال .

(١) أنظر البكرى ، ص ١٨١ - ١٨٢ ؛ دمشق ، ص ٢٢٩ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٢١٩

(٢) البكرى ، ص ١٠ وتابغ (Quatremère, Notice d'un Manuscrit, p. 20) .
قارن الإدريسي ، ص ١٠٩ ؛ يسرد ياقوت (معجم البلدان ، ص ٩٦٠ - ٩٦١) رواية البكرى ويتكلم في نفس الوقت عن زويلة ضاحية المهديّة التي بناها عبيد الله المهدي ؛ مرصد الاطلاع (ج ١ ص ٥٢٣) يقول إن زويلة اسم يطلق على عدد من القرى بين بلاد السودان وإفريقية وهي واقعة إزاء جدابية ، ثم يفترض أن هذا اسم مدينة صحراوية أخرى قليلة الأهمية . وبعد القرى يذكر زويلة التابعة للمهديّة ، وينهى حديثه بذكر زويلة من أحياء القاهرة . اليعقوبي ، ص ٣٤٥ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧٨

(٣) قارن البكرى (قصر جوان) ، ص ١٣ . وانظر Fagnan ، هامش ١ ص ٦٢

(٤) قارن البكرى ، ص ١٤ (Quatremère, Notice, d'un Manuscrit, p. 27) .

قال فصل عتبة بأصحابه (١) ركنين ودعوا الله تعالى ، فجعل فرس عتبة يبح
بيده (ب) في الأرض حتى انكشفت صفاة تنبعث ماء (ج) ، فنادى عتبة في الناس
أن يحتفروا ، فاحتفروا فوجدوا ماء معيناً زلالاً يسمى ماء الفرس .

وكان يقال له عتبة المستجاب لأنه قل ما دعا في نيل شيء إلا استجيب له
ثم كر راجعاً إلى قصر واجان من غير طريقه الذي أقبل منه ، فلم يشعروا حتى
طرقهم ليلاً فوجدهم مطمئين ، فاستباح ما في مدينتهم من ذراري وأموال
ونساء ، وقتل مقاتليهم ثم انصرف راجعاً إلى زويلة . ومن زويلة كثر إلى غدامس
بعد خمسة أشهر ، وسار متوجهاً إلى المغرب . وجانب طريق الجادة ، وأخذ أرض
مزاته (١) وهم قبيل كبير (د) من البربر ، فافتتح قصورهم إلى قفصة (ر)
فافتتحها وافتتح بلاد قسطنطينية ، ثم انصرف إلى القيروان . ثم مضى في بلاد
المغرب حتى انتهى إلى أقصى (ر) بلاد السوس ، ثم انصرف راجعاً فتوفي
شهيداً بتهودة من بلاد الزاب .

بلاد الواحات (س) (٢) : وهي بلاد كثيرة في الصحراء ما بين بلاد
إفريقية وبلاد مصر ، ولولا قلة الماء في هذه الصحراء لكان الطريق من إفريقية
إلى مصر على الواحات أقرب . والدخول إلى بلاد الواحات من أوجلة ، وزلى (س) ،
وغيرها ، التي في صحراء مدينة طرابلس . وبلاد الواحات (ط) كثيرة التمر والنخل ،
وفيه مدن كثيرة مسورة وغير مسورة ؛ وكل مدينة منها لها اسم يعود إلى الواح :

(١) ك : بالصحابة . (ب) ج ، ك : بئرا . (ج) القراءة في ك : حتى
انكشف صفاة مشبعة ماء .

(د) ك : قبائل شتى . (ر) الجمل الواقعة بين (ر) ، (ر) ناقصة في ب .

(س) ب : بلد الواحات ، ك : بلد الوقات . (ض) أنظر أبو الفدا ، الترجمة ،

ج ٢ ص ١٨٠ ؛ Fagnan ، هامش ١ ص ٦٣

(ط) ك : وبلاد الروم الواح .

(١) عن مزاته وهم قبائل من البربر استعربوا ، أنظر الادريسي ، ص ٥٧ ، ٨٦ ، ١٢٠ ،

١٣٣

(٢) البكري ، ص ١٤ وتابع ؛ الادريسي ، ص ٤١ ؛ ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤

ص ٨٧٣) يظن أن كلمة واح كلمة قبطية ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٢ ؛ ابن دقاق ، ص ١٢ ؛

أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٤٢ - ١٤٣ والهامش . ثارن J. Maupéro et G. Wiet, Mémoires de l'Institut français d'archéologie orientale du Caire, t. 36 p. 219 sq.

أريس الواح (١) ، وتنيس الواح ، والواح الخارج ، والواح صبروا ، كلها لها اسم مثل هذا وأهلها مسلمون . وهي آخر بلاد الإسلام ، بينهم وبين بلاد النوبة مراحل . وفي بعض مدن الواحات قبائل من لواتة ، وإنما أهلها أقباط (ب) . وزعموا أن في أقصى بلاد الواحات بلد يقال له واح صبروا ، لا يقع عليه إلا من ضل في الصحراء ، وفي النادر من الزمان . وأنه بلد عظيم كثير الخيرات من النخل والزرع وجميع الفواكه ومعادن الذهب ، وأنه أخصب بلاد الدنيا وأن الواقع عندهم يكون (ج) في أخصب عيش ؛ فإذا أرادوا خروجه (د) من بلادهم ، أروه (ر) طرف بلاده (س) فتاقت (ص) نفسه إليها ، فلم يلبث عندهم ورحل كيفما (ط) استطاع . وقد وقع في هذا البلد رجل من عرب بني قرة ، وبقي فيه مدة ورجع إلى بلاده ، وأخبر بما رأى فيه من الخيرات وبما في أيدي أربابه من الأموال ، وليس لها مدافعة ولا بصر بالحرب ولا سلاح لأنهم لم يعهدوا الحرب . فأهاج (ع) ذلك أمير بني قرة وكان اسمه مقرب بن ماض^(١) ، وعزم على النهوض إليهم . فأعد أزودة كثيرة وماء كثيرا ، وذهب في الصحراء يطلب واح صبروا ، وضل (ف) به الرجل الذي دخل ذلك البلد فوصل مدينة الواح الخارج فسأل عن واح صبروا . فقالوا كلهم : ما نعرف له طريقا ولا يجده إلا من ضل في الصحراء في النادر من الزمان ، وهو كما ذكر لك وأكثر . فخرج من الواح الخارج يطلب واح صبروا ؛ فبقي يجول في الصحراء مدة فلم يجده ولا قدر على الوصول إليه ، فخاف نفاد الزاد فكر راجعا . فنزل في رجوعه ذات ليلة ربوة من الأرض في بهاء (ك) تلك الصحراء ، فوجد بعض أصحابه في نواحي تلك الربوة بيتا للأول ، فبحثوا عليه فإذا هو لبن من نحاس أحمر ، فزادوا في البحث فوجدوا أساس سور من نحاس أحمر للأول . فأوقروا جميع ما عندهم من الظهر من تلك اللبن ، وساروا حتى أتوا مدينة الواح الخارج فباعوا

(١) ك : أريس . (ب) النص : انباط أنظر هامش (د) ص ١٤٤

(ج) «يكون» ناقصة في ك . (د) ك : اخراجه .

(ر) «أروه» ناقصة في ك . (س) ب : ضرب .

(ص) ب : فتقات ، ك : فاشتاقه . (ط) ك : كيف . (ع) ك : فأباح .

(ف) النص : ودل . (ك) «بهاء» ناقصة في ج .

(١) رقت هذه الحادثة ، حسب البكري ، حرال سنة ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩ م ، انظر

الترجمة ، ص ٤١ والمواش . وابن دقان (ص ١٣) يروي قصة مشابهة .

ذلك النحاس، بأموال كثيرة ، ثم أرادوا أن يرجعوا إلى الربوة التي وجدوا فيها
النحاس ، فلم يتقدروا عليها وفعلوا طريقها ، ولو وجدوها لكان فيها غنائم
إلى آخر الدهر .

قيل أن رجل من أهل الواح الخارج إلى مقرب بن ماض فأخبره أنه دخل
حائط (أ) نخل كان له فوجد أكثر تمره قد أكل ، ووجد فيه أثر قدم إنسان
لا يشبه هذا الخلق في العظم . قال فاحترسه هو وأهله (ب) ليال حتى طرقتهم ذلك
الشخص فرأوا خلقا عظيما لم يعمد مثله ، فجعل يأكل التمر ، فلما هموا به فاتهم فلم
يعلموا به أمرا . قال فنهض معهم حتى وقف على أثر ذلك الشخص فاستعظمه ،
وأمرهم أن يحفروا زبية في الموضع الذي كان يدخل فيه ، وغطوا أعلاها
بالخشيش ويرقبوه . ففعلوا ذلك ورقبوه ليال (ج) متتابعة ، فلما كان ذات ليلة
أقبل ذلك الشخص على عادته ، فردى في الزبية فبادروا إليه بجميعهم وغلبوه
بكثرتهم حتى أخذوه ، فإذا بامرأة سوداء عظيمة الحلقة مفرطة الطول والعرض
لا يفقه منها كلمة . فرآها مقرب بن ماض فهاله أمرها ، فكلموها بكل لغة
علموها من لغات (د) السودان فلم تجاوب بواحدة منها ، وتكلمت بكلام
لا يفهم . وبقيت عندهم أياما يأتُمرون في أمرها ، فقال لهم مقرب : نرى أن ترسل ،
وتركب الخيل العتاق السوابق والنجب العشار (ر) في إثرها إلى أن يوقف على
موضعها ويعلم حقيقة أمرها (س) . فلما أرسلت ، فانت الخيل والنجب
وبارت الرياح فلم يقفوا على حقيقة خبرها (س) (١) . ويذكر أن بين بلاد
الواح وبلاد الجريد من إفريقية رمال عريضة فيها بقاع تعرف بالجزائر وهي
بكثيرة النخل والعيون ، لا عمران فيها ، ولا أنيس بها . ويقال إنه يسمع فيها
أبدا عزف الجن ، ولا شك أنها كانت بلادا عامرة . ويتكدر (ص) هناك
من التمر تحت النخل أكوام لا يقع عليها أحد إلا الطير والوحش ، وربما انتجعه
الناس في السنين (ط) الجذبة وعند الضرورة .

(أ) ك : غائط . (ب) ك : وأهاليه . (ج) ك : ليلا .
(د) ك : لغة . (ر) ك : والبحث العار . (س) الجمل الواقعة بين
(س) ، (س) ناقصة في ك . (ص) ك : يتكدر . (ط) ك : السير .

قال الناظر : وصح عندنا أن قبيلة سليم المنقطعين في صحراء طرابلس ينتجعون
تمر هذه المواضع ، ومنها يتعيشون ، وإليها يلجأون عند المظلة لهم وفيها
يعتصمون ؛ وسمعت هذا قبل الوقوف عليه بمنه (١).

ذكر بلاد الجريد من إفريقية

ولما سميت بلاد الجريد لكثرة النخيل بها ؛ وهي مدن كثيرة
وأقطار (ب) (١) واسعة وعمائر متصلة ؛ كثيرة الحصب والتمر والزيتون
والفواكه وجميع الخيرات . وهي آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء .
وفيها المياه السائجة والأنهار والعيون الكثيرة . فأولها من جهة الساحل مدينة
قابس وقد ذكرناها في البلاد الساحلية .

مدينة حامة مَظْمَاة (٢) : وهي مدينة قديمة مسورة ، وعليها هزم الخليفة
أبويوسف — أدام الله تأييده — شتى ميورقة وأستأصل شأفته (ج) ؛ وسكانها قوم
من البربر يعرفون (د) بمظماطة . وهي كثيرة التمر والزيتون والفواكه ؛ وفي المدينة
عين كبيرة شديدة الحرارة فإذا استقى منها الماء برد لحينه ، ومنها يشربون
ويسقون غابتهم وغلاتهم .

مدينة قَقْصَة (٣) : مدينة كبيرة قديمة أزلية ، كان لها سور حصين
من صخر جليل بأحكام صناعة يخال لرائيه أنه كما فرغ من عمله . ويقال إن الذي
بناه شيبان (ر) غلام الثرود بن كنعان الجبار ، وكان اسمه منقوشا على باب

(١) ب : بمنّا ، ج : بمنى . (ب) ب : وانظار . (ج) ك : شوكته .
(د) ك : يوفون . (ر) ك : شبان ، البكرى (ص ٤٧) : شنتيان .

(١) الإدريسي (ص ١٠٣) يسميها بلاد التمر .

(٢) لا يتكلم البكرى (ص ٤٨) إلا عن الحمة . قارن الإدريسي ، ص ١٠٤ ؛ اليعقوبي
(حمة تقيوس) ، ص ٣٥٠ ؛ وعن هزيمة بني غانية في حمة مظماطة أنظر E. Lévi-Provençal,
Lett. off. alm. No. 30 p. 187, étude, p. 60 ؛ التيجاني (حمة تقيوس وحمة بهلول) ،
J. A. 1852 II, 185 trad., p. 124 . وهنا يخطئ عبد الواحد المراكشي (المعجب ، ص ١٩٦)
عند ما يقول إن هذه الواقعة حدثت في حمة تقيوس .

(٣) قارن البكرى ، ص ٤٧ ؛ الإدريسي ، ص ١٠٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ،
ج ١ ص ١٥١ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٨ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٤٧ ؛ أهرالدا ، الترجمة ، ج ٢ =

من أبوابها ، وكانت له أربعة أبواب ، فلم تزل أهواء أهلها تضطرب وقلوبهم تنقلب من حين توحيدهم بزعمهم سنة ٥٥٥ [= ١١٦٠] (أ) ، فثاروا على الموحدين وسفكوا دماءهم وقدموا على أنفسهم رجلا منهم يعرف بعلي بن الرند (ب) ، فللهم إلى سنة ٧٦ [٥] [= ١١٨٠] وأخرجه منها الخليفة أبو يعقوب بن الإمام الخليفة أمير المؤمنين وولاه عمل مدينة سلا ، فمات بها . وبقى أهل قفصة إلى سنة ٨١ [٥] [= ١١٨٥] فرعليهم الغاوي الشقي الميورقي ، فأدخلوه البلد وملكوه . وترك بها جماعة من الأغزاز المواليين له ، فحصرهم بها الخليفة أبو يوسف - رضى الله عنه - فرغبوا في عتق رقابهم (ج) على أن يكونوا عبيدا للأمر العزيز مماليكاً للخليفة ، وأسلموا من سواهم ، فعفا الخليفة عن جرمهم (ج) وأعتقهم ، وترك أهل قفصة في بلدهم ، وقتل المارقين الميورقين لنفاقهم وشقاقهم كما قيل :

يا ذلة التلثيم عند الكر (د) إذ يبتغون عودة للأمر

ولما تقرر نفاق أهل قفصة وترددهم وشكهم وعتوهم وإفكهم ، رأى الإمام أمير المؤمنين رضه أن كف شرهم وخسف مكرهم لا يكون إلا بهدم سورهم ، وكشف ستورهم . فأمر للحين بهدمه فلم يكن فيه للمحلة إلا من ظهر يوم العصر الثالث منه ، ولم يبق إلا أساسه وبرج بقرب برج بن زواج شاهدا

(أ) القراءة في ك : من حين توحيدهم إلى سنة خمس وخمسين .

(ب) ك : ابن الزبير . (ج) الحمل الواقعة بين (ج) ، (ج) ناقصة في ك .

(د) ك : الكد .

= ص ١٩٧ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٤٣٧ . رواية صاحب الاستبصار مفصلة هنا أكثر من غيرها .

عن ابن الرند وثورة قفصة الأولى على عهد الموحدين أنظر عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ١٨٧ ؛ ابن الاثير ، ج ١٠ ص ٣٠٩ ؛ ابن خلدون ، الترجمة (Berbères) ، ج ٢ ص ٣٤ ، ٢٠٣ ؛ الزركشي ، ص ٩

وعن ابن غانية وافتتاح المدينة على عهد المنصور وهدم أسوارها ، أنظر E. Lévi-Provençal (مجموعة رسائل موحدية) النص رقم ٣١ ، ٣٢ والدراسة ص ٦١ وتابع ؛ ابن الاثير ، ج ١١ ص ٣٤٢ - ٣٤٣ ؛ عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ١٩٧ - ١٩٨ ؛ ابن عذاري (Anonimo) ، ص ٥٣ ؛ التهجاني ، الرحلة (الترجمة) ، ص ١٣٢ ؛ ابن خلدون ، الترجمة (Berbères) ، ج ٢ ص ٢١١

على عتاقه بنيانها وعظم شأنها (أ) ، وإنه لمن آيات هذا الأمر العزيز التي تدبين بها عظمته لدى الفحص والزليم (ب) .

وكان اسم مدينة قفصة مدينة الحنيّة لأن فيها بنيانا قديما مثل الحنية فكانت تسمى بها ؛ وهي متوسطة بين القيروان وبين مدينة قابس . وفي داخلها عيون كثيرة منها عينان كبيرتان معيتتان ليس لهما نظير في عذوبة مائهما وصفاته وكثرته ؛ إحداهما عند باب الجامع تسمى بالوادي الكبير ، وهي عين عظيمة مبنية بالصخر الجليل من بنيان الأول سعتها نحو ٤٠ ذراعا في مثلها ، وفوقها عين أصغر منها تسمى رأس العين ، وبينهما قنطرة من بنيان الأول ، ولا شك أن ماءهما واحد . وماء هذه العين الأولى أزرق شديد الصفاء يرثى قعر العين من أعلاها وفيها الماء نحو ٧ قيام ؛ والعين الأخرى تحت قصر قفصة وتسمى بالطرميد ، عليها بنيان عجيب قديم ؛ وبازائها مسجد يعرف بمسجد الحواريين . ومنبع هذه العين من حجر صلد من ثقب وسع فم الإنسان (ج) ، وينبعث منه بقوة عظيمة . وقد بنى له صهريج عليه دكاكين مبنية بالحجارة وعليه أقباء ، وقد بنى فوقه مسجد عظيم . فإذا اجتمع ماء هذه العين مع ماء العين الكبيرة ، التي عند الجامع ، جاء منها نهر كبير تطحن عليه أرحاء كثيرة ، ويسقى نصف غابة قفصة ونصف أرضها ومزدرعاتها . والنصف الثاني من غابة قفصة يسقى من عين عظيمة خارج (د) المدينة يسمى عين المنستير ، وهي عين كبيرة معينة عذبة يخرج منها نهر كبير . وهذه العين من أحسن ما يرى من العيون ، وهي في جانب النهر الكبير المسمى بوادي بايش (ر) ، وهو يشق غابة قفصة (س) ويسقى بعض بساينها ، وهو نهر مشهور يأتي من جبال شرق قفصة (س) لكنه في أيام الصيف يقل جريانه ولا ينشع (ص) ، وأرض هذا الوادي كله تنشع (س) . وفيه تورد العرب إبلها ، تحفر فيها احساء فتخرج ماء عذبا معينا . ولأهل قفصة في سقى جناتهم هندسة عظيمة وبرشام شديد (ط) وتدفيق (ع) حساب . يقول أهل قفصة : إذا رأيت قوما يتخاصمون وقد علا بينهم الكلام

(أ) القراءة في ك : فأمر للعين بهدمه فلم يكن إلا كلمح البصر حتى لم يبق غير خبره وانها . (ب) ك : التكزيم ، ب : التكريم .

(ج) القراءة في النص : تسع فم الانسان . (د) ك : خارجة .

(ر) ب ، ك : يائش ، ج : بانيش ؛ أنظر Fagnan ، ص ٧٢ وهامش ٢

(س) الجمل الواقعة بين (س) ، (س) لاقصة في ك . (ص) ك : تشيع .

(ط) ب ، ج : «برشام شديد» دون الوار . (ع) ك : توفيق .

فتعلم أنهم في أمر الماء . وكان كل أحد أهرابها كتابة منقوشة في حجر من عمل الأول ترجم فإذا هو : هذا بلد محقق ونذيق .

وكذلك ليس بإفريقية حريم أجمل من حريم قفصة مع ملاحاة أخلاقهن ورخامة منطقتهم (أ) ؛ ويسمون الماء الذي يخرج من المدينة فيسقى نصف جناتهم «الماء الداخل» ، ويسمون الماء الذي خارج المدينة ، وهو عين المنستير وماء وادي بايش «بالماء الخارج» . ولهم مياه غير هذه تسمى بالماء الصغير (ب) ، وهي عيون كثيرة بقرب المدينة تسقى بعض جناتهم . وسقيهم بها بالساعات ؛ وترى خدام تلك الجنات والبساتين أعرف الناس بأوقات النهار . إذا سألت رجلا منهم لا يفقه شيئا عما مضى من ساعات النهار ، وقف ونظر إلى الشمس واكتال بقدميه في موضع ظله ، ويقول لك مضى كذا وكذا ساعة وكذا وكذا سدس من الساعة . وأهل قفصة يتنافسون في هذه المياه ، ويتابعون سقيها بأعلى ثمن . ولمدينة قفصة غابة كبيرة قد أحاطت بها من كل ناحية مثل الإكليل ، في تكسير دائرتها نحو ١٠ أميال (ج) ، فيها من المنازل التي تعرف بالقرى ١٨ منزلا . وعلى الغابة والمنازل والكل حائط يسمونه «سور الغابة» . وفي ذلك السور أبواب عظام عليها أبراج مسكونة ، يسمون تلك الأبواب : الدروب . وغابة قفصة كثيرة النخل والزيتون وجميع الفواكه التي ليس في بلد مثلها : فيها تفاح عجيب جليل زكي الرائحة يسمونه السدسي ، لا يوجد في بلد مثله ؛ وكذلك الرمان والأترج والموز لا يوجد مثلها (د) في بلد . وفيها نوع من التمر يسمى بالكسبا ، ليس مثله في بلد وهو أكثر تمرهم ؛ يكون في التمرة فتر في جرم بيض الدجاج ، تكاد تنفذها ببصرك لصفاء لونها ورقة بشرتها . وهم يجعلونه في أزيار ، فإذا أخرجوه منها بقي في قعر الزير عسل الد من عسل النحل وأعطر ؛ وهم يصرفونه في طعامهم كما يصرف العسل عندنا وتعمل منه الحلوات (ر) . وقفصة أكثر البلاد فستقا حتى إنني أظن (س) أنه ليس بإفريقية فستق إلا فيها ؛ ومنها يجلب إلى إفريقية وبلاد المغرب ، وبلاد الأندلس وبلاد مصر . فإن الذي يجلب من بلاد الشام صغير الجرم ليس مثل

(أ) ج : أخلاقهم ومنطقتهم ، ك : أخافها ورخامه منطقتها . هذه الجملة الخاصة

بنساء قفصة ناقصة في ب . (ب) ج : العقيد . (ج) ب : خمسة ميلا .

(د) ك : مثلهم .

(ر) ك : الحلوات . (س) «إنني أظن» ناقصة في ج ، والكلمتان محرفتان في ب

إلى «إنما ظن» .

القفصى ، فإن القفصى يكاد أن يكون في جرم اللوز . وهو إذا كان في شجرة أجمل ثمرة خلقها الله تعالى ، فإنه يكون عناقيدا مثل عناقيد العنب ، وهو زكى الرائحة حتى إنه لا يقدر أحد أن يسرق منه شيئا ، فإنه تشتم عليه رائحته . وفي بساتين قفصة من الرياحين كثير : مثل الآس والياسمين والнарنج والرجس والسوسان والبنفسج وغير ذلك . ووردها أكثره أبيض ، وماؤه أزكى ماء يكون للورد ، يشبه الجورى (١) الذى يجلب من بلاد مصر .

ويصنع بقفصة أردية وطيانس (ب) وعمائم من صوف في نهاية الرقة تضاهى ثياب الشرب (ج) ؛ وتصنع بها أوان للساء من خزف تعرف بالبرجية ، شديدة البياض في نهاية من الرقة (د) ليس يعلم لها نظير في جميع البلاد . ويصنع بها زجاج حسن ، وأوان عجبية (ر) وأوان مذهبة غريبة . وهى حاضرة في جميع أمورها ، وأهلها ذوو يسار وفيهم خير كثير ولهم صدقات ، وهم يعظمون يوم عاشوراء تعظما كثيرا وهو عندهم مثل الأعياد ؛ ولهم فيه صدقات كثيرة وكساء للمساكين . وكانت مدينة قفصة أعظم بلاد إفريقية نظرا : كان حولها نحو ٢٠٠ قصر أهلة عامرة ، فيها الأشجار والنخل والزيتون والفستق وجميع الثمار ؛ وفيها العيون والأنهار والآبار (س) ، وتسمى قصور قفصة . ومن قصورها مدينة طوارق (ص) ، وهى في منتصف الطريق من قفصة إلى فج الحمار وأنت تريد القيروان ؛ وكانت مدينة أهلة كبيرة فيها جامع . وكانت القوافل إذا خطرت بين هذه القصور تكمل إبلها ودوابها لثلا ترعى ورق الشجر لكثرتة على ذلك الطريق . وهى اليوم خربة لا أنس (ط) بها من وقت دخلت العرب بلاد إفريقية ، وأفسدت بلاد القيروان وغيرها من البلاد والقرى والعمائر وكثيرا من المدن بإفريقية (١) .

-
- (١) ك : الجارى . (ب) ك : طيالىس .
 (ج) ك : الشرف . (د) الجمل الخاصة بصناعة الخزف ناقصة في ج .
 (ر) ب : وأوان حنم عجبية . (س) النص : آثار . أنظر Fagnan
 ص ٧٦ وهامش ٢ (ص) ب : طوارق ، البكرى (ص ٤٧) : طراق .

(١) أنظر البكرى ، ص ٤٨ - ٤٩ ، ص ١١٦ ؛ ويقول الإدريسي (ص ١٠٤) إن قسطنطينية تسمى توزر . قارن ياقوت ، معجم البلدان (توزر) ، ج ١ ص ٨٩٢ ، (قسطنطينية) ج ٤ ص ٩٧ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٨ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٧ ؛ اليعقوبى ، ص ٣٥٠ ؛ التيجانى ، الرحلة (الترجمة) ، ص ١٤٣ وتابع . وعن موت على بن غانم أنظر التيجانى ، الترجمة ، ص ١٤٨ ؛ عبد الواحد المراكشى المعجب ، ص ١٩٧

ذكر كورة قسطليلة من بلاد الجريد

وهو قطر كبير فيه مدن كثيرة قاعدتها توزر كلاها الله . وهي المدينة السعيدة التي هلك عليها عدو الله شقي ميورقة . رشقه سهم في ترقوته فقضى نحبه . ولها هذه الفضيلة التي اختصت بها . وكان قد انتقم من أهلها سنة ٨٢ [٥] [١١٨٦] ، وحصرها مدة وضيق عليها حتى دخلها ثم أخرجه عنها الأمر العزيز ، وفر إلى الصحراء على وجهه وأنصل ببني قررة (١) فعند قفول (ب) المحلة المنصورة عن بلاد إفريقية أقبل إليها وظن أن كل بيضاء شحمة ، فأناه الموت من حيث لم يحتسب . وقيل إنه كان سهم قوس اللولب (ج) .

وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور مبني بالحجارة والطوب ، وحولها أرباض واسعة ، ولها ٤ أبواب وعليها غابة كبيرة . وهي أكثر بلاد الجريد تمرا ومنها تمتاز (د) جميع بلاد إفريقية وبلاد الصحراء التمر لكثرة بها ورخصه . ولأنها على طرف الصحراء لا يعلم ما وراءها ولا قدر أحد على الدخول في الصحراء التي في قبلتها ؛ ويقال إن في تلك الصحراء وادي رمل يجري كما يجري الماء ؛ وهذا مستفاض . وأهلها من بقايا الروم الذين كانوا قبل استفتاح المسلمين لها ؛ وكذلك أكثر أهل قسطليلة وبلاد الجريد ، لأنهم في حين دخول المسلمين إفريقية أسلموا على أموالهم . وفيهم من العرب الذين سكنوا فيها من المسلمين عند استفتاحها . وفيهم من البربر الذين دخلوها في قديم الزمان عند خروجهم من بلادهم وانجلاهم عنها . وذلك أن بلاد البربر إنما كانت أرض فلسطين من ديار الشام ، وما جاور تلك الأصقاع ، وكان ملكهم جالوت الجبار العنيد (ر) (١) ، وجالوت سمة لسائر ملوك البربر ، إلى أن قتل داود عم جالوت كما ذكر الله تعالى في محكم كتابه ، ودخلت بلادهم تفرقوا في البلاد . فشي أكثرهم نحو المغرب ونزل بعضهم بالقرب من بلاد مصر ، وتفرقت البرابر في بلاد إفريقية وبلاد المغرب حتى وصلوا إلى أقاصي بلاد المغرب ، على أزيد من ١٠٠٠ ميل من بلاد القيروان ، واستوطنوها إلى وقتنا هذا . وكانت بلاد إفريقية للافرنج فأجلتها البربر عنها إلى جزائر

(١) ب ، ج : بني دمر . (ب) ك : قبول . (ج) ك : اللولب .
(د) ك : تمتاز . (ر) ج : العبيد .

(١) يظهر هنا أن المؤلف متأثر بالإدريسي . قارن الإدريسي ، ص ٥٧ (التهجاني :
(J. A., 1852, II , 200) يعطى نفس المعلومات) .

من البحر مثل صقلية وغيرها ثم تراجعت الإفرنجية إلى مدنها وعمائرها على موادة (١) وصلح مع البربر ، واختارت البربر سكنى الجبال والرمال والبرارى وأطراف البلاد ، فصارت الروم بالمدن والعماير حتى افتتح المسلمون لإفريقية فأنجلت الروم أمام المسلمين مرة ثانية إلى جزائر البحر وغيرها إلا من أسلم وبنى في بلاده على ماله مثل أهل قسطنطينية وغيرهم من البلاد . وأهل توزر يبيعون زبل مراحضهم وهم يعبرون (ب) بذلك لأنهم لا يدخلون المراحض بالماء لئلا يفسد الزبل ؛ فإذا دخل أحدهم المراحض مشى إلى بعض السواقي التي تشق مدينتهم أو الوادى فاغتسل . ويمشى عندهم دلال المراحض بالزبل في الإناء ، فإذا كان جافا حرص عليه ، وإذا كان رطبا زهد فيه . ويضعون في جناتهم مراحض على الطرق العامرة لمن كان مضطرا أو غريبا ليس من أهلها . وأما البلدى فلو أمسك ذلك يوما أو يومين ما رماه إلا في مراحضه . وإنما ذلك لتدمن أرضهم لأنها في غاية الجفاف لقربها من الصحراء ؛ وتتفاضل بلاد الحرير في رطوبة الأرض ودهنيها وتوزر أيبسها .

ومن بلاد قسطنطينية مدينة نفطة (ج) (١) : بينها وبين توزر ٢٠ ميلا . وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور من بناء الأول ، ولها غابة كثيرة (د) النخل والبساتين وجميع الفواكه . وهي كثيرة الخصب ولها نهر يسقى بساتينها ؛ وهي قديمة خصيبة وأهلها ذوو يسار . وهم من بقايا الروم كما ذكرنا .

ومن بلاد قسطنطينية بلد تقيوس (٢) : وهي ٤ مدن متقاربة عليها أسوار ، يكاد يكلم بعض أهلها بعضا لتقاربها . ولهم غابات كثيرة النخل والزيتون وجميع الفواكه ؛ وهي أكثر بلاد قسطنطينية زيتونا وأكثر جباية وأحسن هواء ؛ فيها العيون الكثيرة العذبة ، والمياه السائحة .

(١) ك : موادة (ب) ك : يعبدون
(ج) ب نبط . (د) « كثيرة » ناقصة في ك

(١) قارن البكرى ، ص ١٠٥ ؛ الإدريسي ، ص ١٠٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٠٠ ؛ دمشق ، ص ٢٣٨ ؛ اليعقوبى ، ص ٣٥٠ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ٣ ص ٢٢٢ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ١٢٦ - ب .

(٢) لا يتكلم البكرى عن هذه المدينة . قارن الإدريسي ، ص ١٠٤ ؛ عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٩٦ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٦٠ ؛ اليعقوبى ، ص ٣٥٠

ومن بلاد قسطليلة مدينة الحمامة (١) : وتعرف اليوم بحامة بنى بهلول ،
وبنى بهلول من سادات بلاد قسطليلة بل هم أغنى من فيها ، وهم من بقايا الروم
الذين أسلموا على أموالهم . وعندهم كرم كثير وبر بالأضياف وحرص
على التضييف ، وهو الذى رفع ذكرهم فى تلك البلاد . وهذه المدينة لها حصن
يسمونه القصر ؛ وهو مختص ببني بهلول (١) وحاشيتهم . ولها أرباض واسعة
يسكنها الناس ؛ وهى كثيرة التمر والزيتون وجميع الفواكه ؛ ومن مدن نفزاوة
ما يضاهاها . ومياه هذه المدينة كلها حارة . وليس ببلاد الجريد أكثر عبا
منها ولا أطيب ، وشرابه أطيب من كل شراب وأعطر . ويَزعم أهلها أنه يسرج
به السراج كما يسرج بالزيت . وفيها نوع من التمر يسمونه الخنفس ، وهو أسود
اللون شديد الحلاوة كبير الجرم . وفى قسطليلة قصور كثيرة وعمائر متصلة
أعرضنا عنها وعن ذكرها .

ومن بلاد الجريد بلاد نفزاوة (٢) : وهو قطر مثل قسطليلة فيه مدن
وقصور وعمائر كثيرة متصلة أهلة .

فمن مدن نفزاوة مدينة طرة (٣) : وهى مدينة مسورة حصينة ،
لها غابة كثيرة النخل والزيتون وجميع الفواكه .

ومن مدن نفزاوة أيضا مدينة بشرى (٤) : وهى مدينة مسورة قديمة ،
لها غابة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وجميع الفواكه .

(١) هنا يوجد خرم كبير فى ب يقدر بحوالى ٣٠ صفحة من طبعة كرم (٤٤ - ٧٧)
أنظر (Fagnan) ، ص ٨١ هامش ١

(١) الدمشق (حامة بنى بهلول) ، ص ٢٣٨ ؛ التيجانى (ص ١٢٩) يحذر من الخلط بين
حامة البهليل التابعة لتوزر وحامة مطماطة .

(٢) قارن البكرى ، ص ٤٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٧٩٩ ؛ الإدريسى ،
ص ١٠٦ ، ١١٠ ؛ الدمشق ، ص ٢٣٨ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٨ ؛ اليعقوبى ، ص ٣٥٠
(٣) أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٢٠١ (مدينة تابعة لتوزر .) أنظر التيجانى ،
الترجمة ، ص ١٩٣

(٤) اليعقوبى ، ص ٣٥٠ (بشارة من أكبر مدن نفزاوة) . قارن (Fagnan)
هامش ٤ ص ٢

ومن مدن نفزاوة أيضا مدينة أيتملين (١) (١) : وهي مدينة لطيفة حصينة لها أرباض ولها غابة نخيل وزيتون وجميع الفواكه . قال بعض الأدباء : أيتملين سبعة أحرف على لطفها وخمول ذكرها ، ومصر ثلاثة أحرف على عظمها وسمو ذكرها .

وبنفزاوة مدن وقصور وعمائر مثل قسطلية ، وهي كثيرة النخل والبساتين كثيرة الحصب . وفي بلد نفزاوة عين كبيرة تسمى بالبربرية تاوَزَغِي (٢) ، وهي من بناء الأول ، وليس ببلاد الجريد عين أعظم منها ، لا يدرك لها قعر . وبقرب نفزاوة مدينة أزلية غير مسكونة فيها آثار كثيرة للأول تعرف بالمدينة (٣) . وبين نفزاوة وقسطلية مرحلة ، والطريق بينهما في أرض سواخة وسباخ وملاحات لا يهتدى للطريق (ب) بها إلا بنحش قد نصبت في دهن تشبه الصابون في الرطوبة . فإن أخطأ أحد طريق تلك الحشب المنصوبة على الطريق سلك في تلك السباخ . وقد هلك فيه العساكر والجماعات على قديم الزمان ، ممن دخلها ولا يعرف أمرها أو خائنته تلك الحشب (٤) وتلك السباخ لا يعلم لها آخر ، إنما هي قد اتسعت في تلك الصحاري ، ولا يسلك منها إلا الطريق إلى توزر ، وإلى بلاد قسطلية ما يقرب من البربتلك العلامات . ويقال إنها متصلة ببلاد غدامس . وهذه السباخ كلها ملاليج (ج) وفيها موضع بين نقطة والحامة يعرف «بالسبع سباخ» . وفي وسط الطريق المار من مدينة توزر إلى نفزاوة جزيرة صغيرة فيها عين عذبة يشرب منها من يسير على ذلك الطريق . وإذا دخل المسافرون هذا الطريق في أيام الصيف يكادون يهلكون من حرارة الملح (د) ويرجع ماؤهم وهو في الزقاق ملحا، ولا تقدر على شربه إلا أن يمزج بسكر أو بعسل ، رأيت ذلك وشاهدته .

(١) ك : اينليمن ، ج : ايتمين . أنظر Fagnon ، ص ٤٢ وهامش ٤ حيث يقرأها ايتملين

(ب) لا يهتدى الطريق . (ج) ملاح . (د) هنا يوجد خرم في ج يقدر بحوالي صفتين من طبعة كرم (٤٥ - ٤٧) . أنظر هامش ب ص ١٦٢

(١) أنظر Fagnon ، هامش ٤ ص ٨٢

(٢) قارن البكري ، ص ٤٧ ؛ الإدريسي ، ص ١٢٢

(٣) البكري ، ص ٤٧

(٤) قارن البكري ، ص ٤٨

قال الناظر : وعندما هزم الخليفة أبو يوسف رضى الله عنه الشقى الميوقى بظهر مدينة حامة مطاطة المذكورة ، فر الشقى منهزما بخديعة الدهن آخذاً على هذه السباخ ، فتبعه الموحدون أعزهم الله ، سالكين أثره قاصين خبره حتى أشرفوا على مدينة توزر ، فلقوه قد توغل في صحرائها . وخاطب الخليفة رضى الله عنه بلاد المغرب معلماً بذلك . فمن فصل من الرسالة (١) : « ... نهض الموحدون - أعزهم الله - من قابس - كلاًها الله - آخذين على صحرائها وقاصدين إلى البلاد الجريدية من ورائها على طرق لا عهد لها بالعساكر ، ولا علم فيها لعابر ، ولا منفذ أمامها لوارد ولا صادر ، بحيث منقطع التراب ، ومتصل القفر الياب ، ولا ماء ينبع في الأرض ولا يستقر من صوب السحاب (١) ، وإن سلوكها لمن العجائب العجائب (ب) ، وآيات هذا الأمر (ج) الميسر للطلاب ... » .

وآخر بلاد الجريد مدينة درجين (د) (٢) : وهي مدينة قديمة بقرب نقطة ، وهي مدينة كبيرة وفيها تصنع الكسبى الدرجينى ، وهو يشبه السجلماسى في ثوبه ولونه ، ولكنه دونه في الجودة . وبالقرب منه بلد سوف ، ولا يعرف خلفه عمران ولا حيوان إلا جبال من رمل يصاد فيها الفئسك الذى لا يوجد لجلده نظير في الدنيا . وأهل تلك البلاد يخبرون أن قوماً أرادوا معرفة ما وراء قسطلية مثل توزر وغيرها ، فأستعدوا بالأزودة والمياه ، وذهبوا في تلك الصحارى والرمال أياماً ، فلم يروا أثراً لعمران وهلك أكثرهم في تلك الرمال . قال الناظر : ركب هذه الرمال ، وشق صحرائها هذا الشقى في حين طلب الموحدين له ، أيام إقامة أمير المؤمنين على قفصة ، وإنما نبه على ركوبها ما تعودده أيام كونه مع أبيه بميورة ، فإن من أفعال عدو الله ركوب ظهر اللجج طول النهار ، فإذا أقبل العشى طلب أهل البر للفرضه . وكذلك فعل الشقى ،

(١) ك : لا يستقر من السحاب ؛ أنظر مجموعة رسائل الموحدية نشرة

ليث - بروقتسال ، ص ١٩٥ (ب) «العجائب» ناقصة في ك .

(ج) القراءة في ك : وآياتها الأمر . (د) أنظر Fagnan ، ص ٨٠

وهامش ١

(١) أنظر مجموع رسائل موحدية (نشر بروقتسال) ، الرسالة رقم ٣١ ، ص ١٩٥

(٢) قارن البكرى ، ص ٤٩ ، الترجمة ، ص ١١٩

ركب هذه الصحراء طول إقامة الخليفة ببلاد إفريقية ، فلما أقبل عنها ، رجع إلى أقرب البلاد لها وهي توزر فقضى نحبها عليها ، وإنها من براهين هذا الأمر العلى ، وأخذ الله تعالى بذنوبه المتقدمة من سفك الدماء وإباحة الأموال والحريم في بلاد إفريقية . قال المؤلف : وأهل الجريد يأكلون الكلاب ويستطيبونها ، وهم يسمونها ، ويعلفونها بالتمر ، فيزعمون أن لحمها يأتي ألد اللحوم (١) . ولا يجزم أحد ببلاد الجريد ، وإن دخلها مجذوم توقفت عنه علة . ويقول أهل بلاد الجريد إن التمر إذا أكل أخضرا ، وهو الذي يسمى البهر يفعل ذلك ، وإنه من بدت به علة الجذام ، فأكثر من أكل البهر وطبخه وشرب مائه برأ باذن الله .

ومن مدن إفريقية المشهورة مدينة باجة (٢) : وهي مدينة كبيرة أزلية قدمة فيها آثار للأول . ولها حصن حصين أزلي مبني بالصخر الجليل ، أتقن البناء ، يقال إنه من عهد عيسى عم . ومدينة باجة على جبل شديد البياض ، يسمى الشمس لبياضه ، وهي كثيرة الأنهار والعيون ، ومن تلك العيون عين كبيرة تسمى عين الشمس ، وهي تحت سور المدينة ، وباب المدينة بإزاء العين ويسمى الباب باب عين الشمس . ومدينة باجة رخيصة الأسعار جدا ، فإذا أخصبت البلاد لم تكن للحنطة بها قيمة . وتسمى باجة هري إفريقية ، فإن بها تمتاز (١) جميع البلاد ، عربها وبربرها ، لكثرة طعامها ورخصه . وباسمها سميت باجة الغرب بجزيرة الأندلس . وباجة إفريقية على مقربة من فحص قل (٣) المشهور بكثرة الزرع ، وأرض هذا الفحص أرض مشققة سوداء ، يجود فيها جميع البذر ، ويكون فيه حمص وفول قل ما يوجد مثله في موضع . ومدينة باجة نظر كبير ، ولها قرى كبيرة عامرة ومن بعض قرى باجة ، قرية تعرف بالمغيرية (ب) وهي كبيرة وبها آثار كثيرة للأول ، من كنائس قائمة

(١) ك : تمتاز . (ب) ك : المغيرة .

(١) قارن البكري ، ص ٤٩ ؛ أنظر Fagnan هامش ١ ص ٨٦
(٢) البكري ، ص ٥٦ ؛ الإدريسي ، ص ١١٥ - ١١٦ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ٤٥٥ - ٤٥٦ ؛ دمشق ، ص ٢٣٧ ؛ أبر الفدا ، الترجمة ، ١٩٤ - ١٩٥ (لا يجب الخلط بينها وبين باجة الموجودة في البرتغال) ؛ مرصد الاطلاع ، ص ١١٥
(٣) قارن الإدريسي ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ؛ والطار البكري ، ص ٥٦

البنيان ، محكمة العمل ، كأنها رفعت عنها الأيدي بالأمس ، وكلها مفروشة بالرخام النفيس . وفي هذه الكنائس أعجوبة ، يجتمع على حيطانها من الغربان عدد لا يحصى ، يظن الرائي لها أن غربان الأرض قد جمعت هناك . ويقال إن لها بها طلسم . وكان الولاة يتنافسون في ولاية بجاية ، ويقولون من يترك قبح عنده وسفرجل دانة وعنب باطة (١) وحتوت ذرنة . وذرنة بحيرة كبيرة ما بين مدينة باجة ، ومدينة طبرقة . وعلى الطريق من القيروان إلى قلعة (ب) أبي طويل وهي قلعة حماد ، مما يلي بلاد الصحراء ، مدن كثيرة خربتها العرب عند دخولهم بلاد إفريقية ، منها

مدينة سبئية (١) : وهي مدينة قديمة أزلية ، ذات أنهار ، ومياه سائحة تطلعن عليها أرحية . وكانت على نظر كبير ومزدرعات كثيرة وقرى عامرة . وفيها اليوم بعض سكنى لقبائل من البربر والعرب ، ويسمى اليوم ذلك النظر القرى (ج) . ولم يكن بإفريقية أخصب أرضا منها ، ولا أكثر بساينا وثمارا وحيونا جارية . ولمدينة سبئية عين عظيمة كبيرة ، وهي من بنيان قديم ، من عمل الأوائل ، ويقال إن فيها أقباء كثيرة (د) . ومن أغرب ما يهتف به أهلها ، أنهم يقولون إنه يوجد فيها في رأس كل شهر دينار كبير ، زنته عشرة مثاقيل (ر) ، ولا يجده إلا من يعرف رقية العين ، ويقولون إن رجلا كان يعرف رقية العين المذكورة ، فكان يبخر ببخور ، ويرقى بكلام غير مفهوم ، فكان يجد فيها كل يوم دينارا من تلك الدنانير ، حتى كسب من ذلك مالا كثيرا .

مدينة سمجانة (٢) : وتعرف بمجانة المطاحن (س) ، لأن (ص) بها معدنا لقطع حجارة الأرحاء (ط) ليس على الأرض مثله ، وهي مدينة قديمة أزلية ذات مياه وحيون .

(١) البكري ص ٥٧ : (بلطة) . (ب) هنا ينتهي الحرم الموجود في ج (أنظر هامش د ص ١٥٨) . (ج) م : القوي . (د) ك : خبا كثيرة . (ر) ك : مثاقيل . (س) ك : بالمطاحن . (ص) «لأن» ناقصة في ك . (ط) ج : الأرض .

(١) قارن البكري ص ٤٩ ، ١٤٦ ، الإدريسي ، ص ١١٩ ، ياقوت ، معجم البلدان ج ٣ ص ٣٦ ، ابن حوقل ، ص ٥٨ ، مراصد الإطلاع ، ج ٢ ، ص ١١

(٢) البكري (مجانة المطاحن) ص ٤٩ (مجانة المعدن) ، ص ١٤٥ ، الإدريسي ، ص ١٨٨ بالروت ، (معجم ، ج ٤ ص ٤١٧) يقول إنها سميت قلعة بسر لأن بسر بن أرطاة هو الذي بنىها ، دمشق ، ص ٢٣٧ ، مراصد الإطلاع ، ج ٣ ص ٤٢

مدينة مَرمَاجنة (١) : كانت مدينة كبيرة قديمة أزلية . فيها آثار كثيرة للأول ولها عيون سائحة ، وهي على نظر واسع كثير الزرع والحجرات .

مدينة تبسا (٢) : وهي مدينة قديمة أزلية ، فيها آثار كثيرة للأول ومبان عجيبة ، ما بإفريقية بعد قرطاجنة أعظم منها . فيها دار ملعب قد تهدم أكثره ، أغرب ما يكون من البناء . وفيها هيكل يظن الرائي أنه كما رفع اليد عنه ، مايكاد يعرف الفرق (١) بين أحجاره (ب) ، ولو غرست الإبرة بين حجرين من أحجاره ما وجدت منفذا . وفي داخله أقباء معقودة بعضها فوق بعض ، وبيوت تحت الأرض وآزاج كثيرة لها منظر هائل . ويقال إن ذلك الهيكل كان لاستئزال الروحانيات ، لأن فيه أثر الدخان ، وفيه صور جميع الحيوانات وصور شاذة لا يعلم ما هي . وفي وسط المدينة هيكل عظيم ، مبني على سواري رخام عظام ، وقد صور خارج حيطان هذا الهيكل من صور جميع الحيوانات بأغرب ما يكون من التصوير ، ويقال إنها كلها طلسم . وتوجد في خرائبها طلسم ، ولقد دخلتها فأعطاني إنسان من أهلها طلسم ، وهو على صورة أسدين من نحاس أحمر ، عجز الواحد منهما إلى عجز الآخر ، قد صورنا بأعجب ما يكون من التصوير . وأخبرني أن بلدهم تبسا كان لا يدخلها عقرب ، ولو أدخل فيها مات ، حتى حفر إنسان أساس داره ، فوجد قدر نحاس فيها عقارب من نحاس ، فسبكها ، وصرفها فيما يحتاج ، فدخلت حينئذ العقارب المدينة ، وأضررت بالناس فيها . والمسكون اليوم من تبسا إنما هو قصرها ، وعليه سور من حجر جليل ، متقن العمل كأنما فرغ منه بالأمس ، وهو حصن عظيم . وفي مدينة تبسا أقباء تدخلها الرفاق بدوابهم في أيام الشتاء ، يسع القبر منها ألني دابة وأكثر . وبقرب مدينة تبسا ، واد يعرف بوادي

(١) «الفرق» ناقصة في ك . (ب) ك : الحجارة .

(١) قارن البكري ، ص ١٤٥ ، الإدريسي ، ص ١١٩ ، ابن حوقل ، ص ٥٨ ، ياقوت معجم البلدان ، ج ٤ ص ٥٠٢ (مراصد الاطلاع ، ج ٣ ص ٨٣) .

(٢) البكري ، ص ١٤٥ - ١٤٦ ، الإدريسي ، ص ٩١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٢٣ (مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ١٩٧) .

متلآن. وهو يقل في أيام الصيف ، وهو صعب المهاز كثير الدهس (أ) ، وعليه جبل يسمى ملان (ب) يرى على مسيرة أيام لعلوه ، وذهابه في الجو . وعلى مقربة من تبسا جبل يعرف بالكثف (ج) ، وفي أعلاه مغارة لا يقدر على الوصول إليها لا من فوق الجبل ، ولا من أسفله . ويقال إن فيها مالا (د) عظيما ، فإن الطير إذا نزلت في تلك المغارة وطارت عنها سقطت منها دنائير كبار من ذهب نفيس ، وهذا متعارف في تلك البلاد . ولمدينة تبسا بساتين كثيرة ، وفواكه عجيبة ، ويجود (ر) فيها الجوز حتى يضرب به المثل بإفريقية

مدينة باغاية (س) (١) : وهي مدينة عظيمة جليلة ، فيها آثار للأول ، ولها أنهار عامرة ، وعيون ، ومزارع ، ومسارح . وهي تحت جبل أوراس ، وهذا الجبل يشق بلاد المغرب وإفريقية : فطرفه من البحر الغربي إفريطوق (ص) على البحر المحيط ، حيث انتهى عقبة المستجاب ، رحمه الله ؛ وطره الثاني في البحر الشرقي بقرب الإسكندرية ، وهو المسمى بطرف أوثان الذي إذا عبرته (ط) المراكب استبشرت بالسلامة . ومبدؤه بالمغرب ، وهو جبل المصامدة المسمى بجبل درن ، وهو جبل جزولة المسمى بانكسيت وهو جبل أوراس هذا ، ويسكنه لواته ، وهو جبل نفوسة . ويدخل طرفه في البحر نحو ١٠٠ ميل وأزيد . وله جون (ع) عظيم فإذا أدخلت الرياح سفينة من السفن في هذا الجون ، وعدمت الرياح التي تخرجها منه فلا تجد هناك مرسى لأنه جبل صلد أملس (ف) مثل الحائط ، وهذا الجون من أحد عجائب الدنيا .

-
- (أ) القراءة في ج : كثير الدهس وعرض الخايض . (ب) ج : قلب ملان .
 (ج) ج : بالكثف . (د) ج : مجال . (ر) ويجود : ناقصة في ج .
 (س) ج : باغاة ، ك : باغاة . (ص) ج : النيس طوف . (ط) ج : عدته
 (ع) ك : جوف . (ف) ج : على .

- (١) البكري ، ص ٥٠ : قارن الإدريسي ، ص ١٠٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٤٧٣ ، مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ١٢٠ ، اليعقوبي ، ص ٢٥٠ .
 عن جبل أوراس أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٠١ ، وعن جبل درن ، أنظر أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٨٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥٦٧ ؛ الإدريسي ص ٦٣ - ٦٤ ، دمشق ؛ ص ٢٣٩ ، عن جزولة ، أنظر أبو الفدا ، ج ٢ ص ٨٣ ، عن جبل نفوسة ، أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٠٠ ، دمشق ، ص ٢٣٩ ابن حوقل ، ص ٦٧

وبقرب باغاية قبر مادغوس (١) وهو قبر مثل الجبل العظيم مبنى بأجر رقيق معقود بالرصاص ، وبنيت بجانبه (ب) طبقات صفار وصورت فيه جميع الصور من الإنس والطير والوحش (ج) . وهو مدرج النواحي ؛ وقد رام كثير من الأمم هدم هذا القبر فلم يقدرُوا على ذلك لقوة بنيانه ، ولما منع يمنع عنه . ولا يعلم على الحقيقة ما هو : هل هو قبر أو هيكل . إنما هو بناء قديم لا يعلم له أول ، وهو مجمع لكل طائر ؛ ويقال إن لهم هناك طلاس .

ومن الجبال المشهورة بإفريقية جبل أوراس (د) (١) : وهو جبل خصيب فيه مدن كثيرة وفيه آثار كثيرة للأول ومدن خربة (ر) مثل مدينة طنفة (س) . وكانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة . لقد رأيت فيها بيتا له عضادتان من حجرين مثل جبلين (ص) وعليهما عتبة من حجر واحد مثل الجبل الضخم قد قرضت (ط) ونقشت على النوع الذي يعمل عندنا في العمود بأتقن صناعة وأغربها ، وإنما العجب كيف رفعت تلك العتبة أو زحزحت من الأرض .

مدينة الموس (٢) : فيها كذلك آثار عجيبة ومباني غريبة تنبئ أنها كانت مدينة عظيمة كبيرة .

مدينة شَقْبَنَارِيَّة (٣) : وهي مدينة كبيرة فيها آثار عظيمة وهي على طرف هذا الجبل أوراس . وكانت فيما يقال من أعظم مدن إفريقية ، وكان لها ماء مجلوب وبقي فيها اليوم مواجل عظام ما تغير منها شيء ، وفيها عين عظيمة عذبة

(١) ماد عرس أنظر Fagnan ، ص ٩٣ (ب) «بجانبه» ناقصة في ج .
 (ج) ج : والطير والوحش . (د) ج : أسروا ، ك : أسرو ؛ أنظر Fagnan ، ص ٣٣ وهاش ٥ (ر) ج : ومدن خربت .
 (س) ج : صنفه . (ص) القراءة في ج : لقد رأيت فيها مباني كنيسة له عظام ريقان من حجرين . (ط) ج : فربصت .

(١) من جبل أوراس أنظر ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ٤٠٠ ، مرصد الاطلاع ج ١

ص ١٠١

(٢) يظن Fagnan (هاش ٣ ص ٩٤) أنها مدينة الأربس (Laribus) .

(٣) البكري ، ص ٣٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣٠٦ ، مرصد الاطلاع ،

ج ٢ ، ص ١١٨

ولها سرب (أ) كبير تحت الجبل يمشى فيه الفارس بأطول ما يكون من الرماح فلا يلحق سمالك ذلك السرب . ويقال إن فيه كنوزا وأموالا كثيرة ، ويقال إنه كان بمدينة شقبنارية كنيسة وفيها مرآة صنعت من أخلاط عجبية ؛ إذا انهم الرجل أهله بأحد ، نظر في تلك المرآة فبرى وجه الرجل المهمل . فيقال إنه كان في تلك الناحية رجل بربرى يدعى أنه من أهل الخير والصلاح ، فاتهم ملك (ب) شقبنارية أهله بذلك البربرى فنظر في المرآة فرأى صورة البربرى مع امرأته ، فأوقف على ذلك الشهود وأخذ البربرى فقتله ، فغضب لذلك أهل البربرى ودخلوا تلك الكنيسة فكسروا تلك المرآة ونزعوها . وفي هذا الجبل مدن قدمة كثيرة خربة فيها آثار عظيمة وهو كثير العمار والقري وهو بلد الزرع والضرع .

ومما يقرب من هذا الجبل من المدن المشهورة بإفريقية مدينة قسنطينة (أ) : وهي مدينة كبيرة عامرة قدمة أزلية ، فيها آثار كثيرة للأول . وكان لها ماء مجلوب يأتيها على بعد على قناطر تقرب من قناطر قرطاجنة ؛ وفيها مواجل عظام مثل الذى بقرطاجنة . ومدينة قسنطينة حصينة في نهاية من المنعة والحصانة لا يعرف بإفريقية أمنع منها ، ليس لها في المنعة نظير غير مدينة رندة بالأندلس ، فلما تشبهها في وضعها والخذق المحيط بها والحافة المحدة بها شبا كثيرا . ولكن قسنطينة أعظم وأكبر وأعلى ، على جبل عظيم من حجر صلد ، وقد شق الله تعالى ذلك الجبل فكان فيه خندق عظيم يدور بالمدينة من ٣ جوانب . ونهرها الكبير يدخل على ذلك الخندق ويدور بالمدينة فيسمع (ج) لجرىانه في ذلك الخندق دوى عظيم هائل وصوت مفرع لمن يقرب منه . وقد عقد الأولون على هذا الخندق قنطرة عظيمة بل هي ٣ بعضها على بعض . و [هي] بالجو قربت من أعلى الخندق ، وعليها الدخول إلى باب المدينة وهي متصلة بالباب . وقد بنى على طرف القنطرة مما يلي باب المدينة بيت على أقباء يسميه أهل المدينة «العبور» يعنون الشُعْرَى لأنه معلق في جوال السماء ، فإذا كنت في وسط هذه القنطرة تعبر إلى

(أ) ج : سرب . (ب) ج : فاتام مالك . (ج) ك : ويسمى .

(١) قارن البكرى ، ص ٦٣ ؛ الإدريسي ، ص ٩٤ وقابع ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٩٨ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٤١٣ ، دمشق ، ص ٢٣٧ ، العبدري ، المخطوط ، ص ١٨ - ب .

الضفة الثانية تظن أنك تطير في الهواء، وترى ماء النهر الكبير في قعر الخندق البعيد المهوى مثل الجدول الصغير . وهذه المدينة من عجائب العالم قد دخلتها مرارا وتأملت آثارها ودخلت مواضع كثيرة فيها آثار للأول فتأملتها ، وكان لي في ذلك غرض . وهي على نظر واسع وقرى كثيرة عامرة أهلة ، وهي كبيرة الخصب والزرع ولها بساتين كثيرة الفواكه، لكنها شديدة البرد والثلج كثيرة الرياح لعلوها وارتفاعها. وأقرب بمدينة القسنطينة من رأس البحر مدينة القل بينهما نحو المرحلتين أو أقل .

مدينة ميلة (١) : مدينة أزلية فيها بعض آثار للأول تدل على أنها كانت مدينة كبيرة . وهي الآن عامرة أهلة كثيرة الخصب رخيصة السعر ، على نظر واسع وقرى عامرة . وميلة كثيرة الأسواق والمتاجر ، عليها سور صخر جليل من بناء الأولين . وفي وسط المدينة عين خراطة عذبة من بناء الأوائل لها سرب كبير يدخل فيه فلا يوجد له آخر ، ولا يعلم من أين يأتي ذلك الماء . ويقال إنه مجلوب من جبل بالقرب منها يسمى تامروت ، وتعرف هذه العين بعين أبي السباع . وبالقرب من ميلة جبل العنصل يسمى اليوم جبل بني زلدوي (١) وهم قبائل كثيرة (ب) من البربر سكنوا بذلك الجبل ، ولهم خلاف كثير على الولاة بسبب منعة جبلهم ، وفيه مدن وعمائر وقرى كثيرة وهو أخصب جبال (ج) إفريقية ، فيه جميع الفواكه من التفاح الجليل والسفرجل الذي لا يوجد مثله في بلد والأعشاب الكثيرة . وعلى الطريق من مدينة ميلة إلى قلعة أبي طويل وهي قلعة حماد ، مدينة سطيف (٢) ، بينها وبين ميلة مرحلة . وهي مدينة قديمة أزلية كان عليها سور صخر قديم خربه كتامة مع أبي عبد الله الشيعي . ومدينة سطيف رخيصة الأسعار كثيرة الفواكه والثمار ، غزيرة المياه والأنهار والبساتين والأشجار .

(١) ج : بني زلد . (ب) ج : قيل كثير . (ج) ك : جبل .

(١) قارن البكري ، ص ٦٢ - ٦٤ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٧٧) ، الإدريسي ص ٩٤ ، المبدري ، المخطوط ، ص ١٨ - ب .

(٢) البكري ، ص ٧٦ ، الإدريسي ، ص ٩٨ ، ابن حوقل ، ص ٦٨ ، الهمشي ، ص ٢٢٧ ، مرصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٢١

مدينة الغدير (١) : وهي مدينة كبيرة أزلية بين جبال قد أحدثت بها ، ولها نهر يجتمع من العيون في موضع دهن يخرج منه هذا النهر ، ويسمى نهر سهر ويمشي من هناك إلى مدينة المسيلة (١) وهو نهرها . والمسيلة من بلاد الزاب ، وسيأتي ذكرها عند ذكرنا بلاد الزاب إن شاء الله . وبقرب مدينة الغدير فحوص عجيسة ، وهو فحوص مديد (ب) ، كثير الزرع والضرع إلا أنه شديد البرد والثلج . ولقد دخلت هذا الفحوص في زمان الصيف فرأيت الجليد ينزل فيه بالغدو . ومن أمثال تلك البلاد ، برد بلد عجيسة في الصيف وأما الشتاء فسكرات الموت (ج) وعندهم النيلة المشهورة (د) .

مدينة قلعة أبي طويل (٢) : وهي قلعة حماد (ر) وهي مدينة عظيمة قديمة أزلية على نظر عظيم كثير الزرع وجميع الخيرات . وهي في جبل عظيم ، وهي حصينة منيعة لا تمكن بقتال . وكانت دار مملكة بني حماد من صنهاجة ، وهم كانوا ملوك إفريقية [أيام بني عبيد] فلما رحلوا إلى بلاد مصر ، ولوا على إفريقية [بلجين بن (س) زيري بن مناد الصنهاجي ، فكان كذلك على طاعتهم إلى أن مات ثم ولي بعده ابنه حبوس فكان كذلك على طاعتهم إلى أن مات فولى بعده ابنه باديس ؛ ثم ولي بعده ابنه المعز وهو الذي خلع طاعة الشيعة (ص) وقتلهم بإفريقية قتلا ذريعا . وكان سبب ذلك أن هذا المعز بن باديس كان يضمرب حب الصحابة رضه ، وكان يظهر التشيع والقليل من أهل إفريقية سنية لكون

(١) ج : مسيلة . (ب) ك : مدير . (ج) القراءة في ج : وأما في الشتاء المشهور كل ليلة عندهم سكرات الموت . (د) الجملة الأخيرة ناقصة في ج (ر) ك : أبي حماد . (س) أنظر Fagnan ، ص ٩٩ (ص) ك : الشيعة .

(١) البكري ، ص ٥٤ ، ٦٠ (عن جبل عجيسة ونهر سهر ، ص ٥٩) ، الإدريسي ، ص ٩٢ ، دمشق ، ص ٢٣٧ ، مراصد الاطلاع (الغدير) ، ج ٢ ص ٣٠٤ . وعن عجيسة (مدينة المغرب) أنظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٦١٨ . قارن Fagnan هامش ٢ ، ص ٩٨ - ٩٩

(٢) قارن البكري ، ص ٤٩ ؛ الإدريسي ، ص ٨٦ ، ٩١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٦٣ - ١٦٤ ؛ دمشق ، ص ٢٣٧ ؛ مراصد الاطلاع (قلعة أبي طويل) ، ج ٢ ص ٤٤١ (قلعة بني حماد) ، ص ٤٤٢ . وعن بني زيري وبني حماد أنظر ابن خلدون (الترجمة) ج ٢ ص ٩ وتابع ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج ١ ص ٣٠٤ وتابع ؛ G. Marcais, Les Arabes en Berbérie ... p. 114 sq. ومن حاجة أنظر هامش ٢ ص ١٦٠

الدولة للشيعة (١) ، فقبل إن المعز كان ماشيا يوما بالقيروان ، وكانت دار مملكة إفريقية ، إذ كبت به (ب) دابته فقال «أبوبكر وعمر» ، فلما سمع منه أهل القيروان ذلك قاموا على الشيعة فقتلوهم حيث ما وجدوهم وقتلوا في جميع إفريقية ؛ ويقال إنه قتل منهم بالقيروان وأحوازها نيف على ٢٠ ألفا . وملك (ج) بنو زيري ابن مناد الصنهاجي بلاد إفريقية. إلى أن دخلها عليهم العرب ، فرجع صاحب القيروان يسكن مدينة المهدية . وقد كان حماد بن حبوس قام على ابن عمه باديس بهذه المدينة ، فسميت قلعة حماد ؛ وتزل عليه ابن عمه في جيوش لا تحصى فما قدر عليه ، ورجع عنه خاسرا (د) ؛ ويقال إنه مات عليها وحمل منها إلى القيروان . وولى بعده ابنه المعز وهو لم يبلغ الحلم فعند ذلك عظم ملك حماد بقلعة أبي طويل ، وأخذ كثيرا من مدن إفريقية . فلما دخل العرب إفريقية هرب منهم صاحب القيروان إلى المهدية ، وخرج المنصور من بني حماد لنصرة ابن عمه وهزم الهزيمة المشهورة على مدينة سبئية ، وقد ذكرنا ذلك في أخبار بجاية ، وعظم ملك بني حماد بجهة القلعة ، وبجاية ، وتلك البلاد .

ولبنى حماد بالقلعة مبان عظيمة وقصور منيعة متقنة البناء عالية السناء منها قصر يسمى بدار البحر ، وقد وضع (ر) في وسطه صهريج عظيم تلعب فيه الزوارق ، يدخله ماء كثير من ماء مجلوب على بعد . وهذا القصر مشرف على نهر كبير وفيه من الرخام والسواري ما يقصر عنه الوصف ، وفيه قصور غير هذا ومبان عجبية ؛ وفيها آثار للأول عجيبة . ويقال إن حماد بن مناد صاحب القلعة التي تنتسب إليه كان له دهاء وفطنة وتجربة (س) في الحروب ، وكانت له فراسة حسنة وذكاء وله أخبار مشهورة محفوظة . فمن المحفوظ عنه من الذكاء والفطنة (١) أن رجلا شيخا خرج مع امرأته من بعض البلاد يريد القلعة فصحبه في الطريق فتى شاب وكان له جمال ، فكلفت به المرأة وكلف بها فتواطأ (ص) على أن يدعى في زوجيتها وتفعل هي (ط) كذلك ، ويسقط الشيخ ، فلما وصلوا القلعة فعلا ذلك . قال فتعرض الشيخ إلى حماد وشكا إليه

(١) ك : الشيعة . (ب) ج : كبأت ، ك : كفات . (ج) ك : وملكوا
(د) هنا ينتهي مخطوط الجزائر ج . (ر) ك : فوضع . (س) ك : وممارسة
(ص) ك : فتواطأ . (ط) «هي» لا توجد في ك .

ما دهاه . وكان الشيخ مولعا بالمرأة فأمر حماد بإحضار الفتى والحارية ، فسألها عما ذكره الشيخ فأنكر ما قال الشيخ وتعارفا أمامه بالزوجة . فجعل حماد يسأل الشيخ من صحبه في الطريق ، أو هل له بينة أو شبهة ؛ فقال له الشيخ ما ضغبتني وامرأتى غير هذا الكلب ، خرج معنا من البلد الفلانى ، وهو تربيتنا ؛ فأمر حماد بربط الكلب إلى شجرة ، ثم أمر المرأة أن تحله ، فقربت منه فهش الكلب إليها ، فحلتته ، ثم أمرها فربطته ثم حلتته ، والكلب فى ذلك كله يهش إليها ولا ينكر شيئا مما تفعل به . ثم قال للفتى قم إلى الكلب وحله واربطه فلما دنا منه خجته الكلب وأنكره ولم يقدر على الدنومه . فقال حماد للشيخ قم إلى الكلب ، فقام إليه فهش الكلب كما هش للمرأة ، فأمر بضرب عنق الفتى ، وقال للشيخ شأنك والحارية . وكان له من هذا الباب كثير . ويذكر أنه قال (١) : ما تدهى على أحد قط ولا خدعنى غير امرأة وكعاء من البربر . قيل له وكيف كان ذلك ؛ قال كان لى صاحب من البربر نشأت معه بالقيروان ولم يفرق بيننا ريب الزمان ، وكنت خالطته بنية نفسى وجعلته محل أنسى ، فلما صرت إلى ما أنا فيه من الرياسة ، فقدته ، فجعلت أطلبه فلا أقدر عليه ، فلما نزلت على مدينة باغاية (١) ، ودخلتها عنوة واستبحت جميع ما فيها فلذا أنا فى صبيحة ذلك اليوم بصائح يصبح : « أنا بالله وبالأمر » ؛ فقلت : « مالك ومن أنت » . فقال أنا فلان ، فإذا بصاحبى الذى كنت أطلب مع أهل (ب) باغاية ، قد حبسه (ج) عنى نسكه ، وغلب على هواه وورعه ؛ فأظهرت البشر بمكانه والجزل بشأنه ، ولو شفع إلى فى أهل باغاية لشفعته . فجعلت أوانسه وهو كالوالد فسألته عن أمره ، فقال إنه فقد بنتا كانت له فيمن فقد من النساء ؛ فقلت له والله لو خرجت إلى بالأمس لحقنت دم أهل بلدك لحرمتك عندى ؛ فقال القدر غالب والمهروم خالب . قال حماد ثم أمرت القواد فأحضروا جميع ما كان فى أخبثهم من النساء ، فعرف الرجل أن ابنته فيهن . قال حماد فأمرت بسترها وترفيها وحملها مع أبيها فى أحسن حال ، قال فرفعت صوتها قائلة ، والله يا حماد لا

(١) ك : باغاية . أنظر Pagnan ، ص ١٠٣ (ب) ك : « وأهل » بدلا من « مع أهل » . (ج) ك : حبس .

رجعت مع أبي ولا مع الذي غصبني ، قال فقلت لها لما الذي تريدن ؟ قالت
إني لا أصلح إلا للملوك فلا حاجة لي بسواهم ، فلما سمع ذلك أبوها سكن ما
كان في نفسه لها من الإشفاق ، وظن أنها قد فتنت وفسدت . قال حماد ومن
أين تقولين أنك تصلحين للملوك ؟ قالت ، لأن عندي علما لا أشارك فيه
ولا يدعيه غيري ، فقلت لها ألا أريتينا شيئا من علمك ، قالت نعم تأمر بقتل
إنسان ونحضر أمضى سيف عندك ، أتكلم عليه بكلمات تمنع من تأثيره في أحد
ويعود في كف حامله أكل من قبله . قال حماد فقلت إن الذي يجرب هذا فيه
لمفرور ، فقالت لي ، أوتيتهم (أ) أحد في قتل نفسه ؟ قلت لها لا ، فقالت إني
أريد أن تجرب ذلك في حتى تروا عجا . قال فأتى بسيف ماض فتكلمت عليه
وأشارت إلى السماء مرارا ومدت عنقها ، فضربها السيف ضربة أبان رأسها
من جسدها ، فاستيقظت من غفلتي ، وعلمت أنها تداخت علي ، وكرهت العيش
بعد الذي جرى عليها واستبان لأبيها ذلك فجعل يلقي نفسه عليها ، ويتمرغ
في دمها اغتباطا بما رأى من عظيم أنفاسها ، إذ (ب) اختارت الموت على ما نزل
بها ، وقال لاشك أن إشارتها إلى السماء إنما كان ذكرا للشهادة والدعاء لله
تعالى أن يغفر لها . وتصنع بمدينة قلعة حماد أكسية ليس لها مثل في الجودة
والرقة إلا (ج) الوجدية التي تصنع بوجندة ؛ يساوي كساء عيد من عمل القلعة
٣٠ ديناراً .

مدينة أشير (١) : بناها زيري بن مناد الصنهاجي وتعرف بأشير زيري ،
وكانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة ، وإنما بنى زيري سورها وحصنها وعمرها
فليس في تلك الأقطار أحسن منها . وهي بين جبال شامخة محيطة بها . وداخل
المدينة عينان لا يبلغ لهما غور ولا يدرك لهما قعر من بناء الأول ، وبالقرب
من المدينة بنيان عظيم يعرف بمحراب سليمان لم ير بنيان أعظم منه ولا أحكم ،
فيه من الرخام والأعمدة والنقوش ما يقصر عنه (د) الوصف .

(أ) ك : أوتيتهم . (ب) النص : الذي . (ج) ك : لا .

(د) «عنه» ناقصة في ك .

(١) البكري ، ص ٦٠ ، الإدريسي ، ص ٨٥ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١
ص ٢٨٦ ، الدمشقي ، ص ٢٣٧ ، ابن خلدون ، الترجمة (Borborea) ، ج ٢ ص ٦ .
وقارن Fagnon ، ص ١٠٥ والهامش .

مدينة مليانة (١) : قريبة من مدينة أشير ، وهي مدينة كبيرة من بنيان الروم جدد لها زيري بن مناد أيضا وفيها آثار قديمة . وهي مدينة حصينة في سفح جبل يسمى نكار ، وشعراء هذا (١) الجبل كلها ربحان ، وينبعث من هذا الجبل عين خرازة عظيمة تطحن عليها الأرحية لقوتها . وللمدينة مليانة مياه سائجة وأنهار وبساتين فيها جميع الفواكه ، وهي من أخصب بلاد إفريقية وأرخصها أسعارا . ومدينة مليانة مشرفة على فحوص واسعة وقرى كثيرة عامرة ومزارع واسعة ، وحولها قبائل كثيرة من البربر . ويشق تلك الفحوص نهر شلف وهو نهر كبير مشهور . وعلى نهر شلف مدينة قديمة أزلية فيها آثار أولية تسمى شلف ، وإليها ينسب النهر الكبير ، وهي اليوم خراب .

مدينة الخضراء (٢) : وإنما سميت الخضراء لكثرة بساتينها ، وكانت مدينة كبيرة قديمة فيها آثار أولية وهي على نهر إذا حمل دخل (ب) بعضها ، وأظنه نهر شلف .

ذكر بلاد الزاب (٣) : وهي على طرف الصحراء ، في سمت بلاد الحرير ، وهي مثلها في حر هوائها وكثرة نخلها . وهي مدن كثيرة ، وأنظار واسعة وعمائر متصلة ، فيها المياه السائجة والأنهار والعيون الكثيرة .

مدينة المسيلة (٤) : أقرب بقلعة حماد من بلاد الزاب مدينة المسيلة ، وهي في بسيط (ج) من الأرض على نهر كبير يسمى بسهر ، ومنبعه من مدينة

(١) م : أشعار ، ك : شمار . (ب) «إذا خل دخل» ناقصة في ك . أنظر البكري ، ص ٦١ . (ج) م : بساط .

(١) البكري ، ص ٦١ ، ٦٩ ؛ الإدريسي ، ص ٨٤ ، ٨٥ ؛ دمشق ، ص ٢٣٧
ابن حوقل ، ص ٦٤ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ٣ ص ١٤٧ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ١٤
١ - ١٤٧

(٢) قارن البكري ، ص ٦١ ؛ الإدريسي ، ص ٨٤ ؛ دمشق ، ص ٢٣٧

(٣) قارن ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٩٠٤ ؛ دمشق ، ص ٢٣٧ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٥٠ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٩٢

(٤) البكري ، ص ٥٩ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٥٣٤ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ٣ ص ١٠١ . وهي تسمى حتى الآن الحمديّة) ؛ الإدريسي ، ص ٨٥ - ٨٦ ؛ دمشق ، ص ٢٣٧ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٩١ والهامش ، ابن حوقل ، ص ٦٠

الفدير وقد ذكرناه . مدينة المسيلة أحدثها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله الشيعي منذ سنة ٣١٣ [= ٩٢٥] وكان المتولي لبنائها علي بن حمدون بن سمالك المعروف بابن الأندلسي ، فلم يزل بها أميرا حتى مات في فتنة أبي يزيد (١) ، وبني ابنه جعفر أميرا فيها ، وولي على بلاد الزاب كلها . وهذا جعفر ممدوح (ب) محمد بن هاني الأندلسي الشاعر المشهور ، له فيه مدائح كثيرة حسان ، وكان من أكثر أهل زمانه إحسانا . ومدينة المسيلة كثيرة النخل والبساتين تشقها جداول المياه العذبة ، وكانت مدينة عظيمة على نظر كبير ، وحواليها قبائل كثيرة من البربر من عجيصة وهوارة ، وبني برزال .

مدينة نِقَتَاوُس (١) : مدينة كثيرة الأنهار والثمار والمزارع ، كثيرة شجر الحوز ، منها يحمل الحوز إلى قلعة حماد وإلى بجاية وإلى أكثر تلك البلاد .

مدينة طُبْنَة (٢) : وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور من طوب ولها حصن قديم عليه سور من صخر جليل ضخيم متقن البناء من عمل الأوائل ، ولها أرباض واسعة وهي مما افتتح موسى بن نصير حين دخل بلاد إفريقية والمغرب وبلاد الأندلس فبلغ سبيلها ٢٠ ألف رأس . ويشق مدينة طبنة جداول الماء العذب ولها بساتين كثيرة النخل والثمار ولها نهر يشق غابتها ، وقد بني له صهريج كبير يقع فيه وتسقى منه جميع بساتينها وأرضها ، ولم يكن من القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها

(١) النص : أبي زيد . أنظر Fagnan ، ص ١٠٧

(ب) النص : وهذا جعفر هو ممدوح .

(د) «وهي» ناقصة في ك .

(١) الإدريسي ، ص ٩٤ ؛ البكري ، ص ٥٠ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٦ ؛ المقدسي ،

ص ٢٣٠

(٢) البكري ، ص ٥٠ ، الترجمة ، ص ١٢٣ وهامش ٢ ؛ الإدريسي ، ص ٩٣ ؛

الدمشقي ، ص ٢٣٧ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٩ ؛ المعقولي ، ص ٣٥٠ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ،

ج ٢ ص ١٩١ - ١٩٢

مدينة بَسْكَيرَة (١) : وهي مدينة كبيرة ، وحواليها حصون كثيرة وقرى
 هامة وهي قاعدتها (١) ، ولها غابة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وجميع الثمار ،
 ببسكرة النخل لكثرتة بها (ب) ، وفي جميع البلاد إنما يصيحبون عليه «بسكرة» .
 وأكثر ثمرها الجنس المعروف بالكُسْبَا وهو المعروف ببلاد المشرق وبمدينة
 الرسول عم وغيرها بالسياني (ج) ، وببسكرة أيضا جنس من التمر يعرف
 باللياري وهو أبيض أملس وكان صاحب القيروان يأمر عماله بالمنع من بيعه ،
 وبعث ما هناك منه إليه لطيبه وحسنه . ويشق غابة بسكرة نهر كبير ينحدر من
 جبل أوراس يسقى بساتينها ونخلها ، وهو نحو ٦ أميال في غابة متصلة بالمدينة يشق
 لهايتها وقراها . وبسكرة دار فقه وعلم ، فيها العلماء . ومن قرى بسكرة قرية
 تسمى مَلْسُون (د) ، ومنها كان أبو عبيد الله الملسوني ، وكان عالما فقيها يحمل
 منه العلم ، وهو الذي أخبرني أن في طريق بسكرة جبلا وفيه كهف فيه رجل
 قتيل لم يعرف أحد من أي عهد هو (ر) ، ولم تغيّر الدهور ولا تقادم الأزمان
 كأنما جراحه تقطر دما كأنه قد قتل من يومين ، وتخبر الكافة عن الكافة والخلف
 عن السلف ، أنهم كذا عرفوه منذ كانوا ؛ وقد نقله (س) أهل تلك النواحي ودفنوه
 بأقبيتهم تبركا به ثم لم يلبثوا أن (ص) وجدوه في الكهف على حاله ، يحدث
 بذلك ثقات أهل النواحي ، ويقال إنه من الحواريين . ذكر محمد بن يوسف
 في كتابه أن هذا القتيل في شق جبل بشرقي عين أوتبان ، وهذه العين عظيمة بين
 مدينتي مرماجنة وبين مدينة سبيبة ، وذكر أنه تخيل لرائيه أنه كما ذبح من يومه وأنه
 هناك من قبل فتح إفريقية ولم (ط) يذكر أمر نقله ودفنه . وقد ذكر المسعودي (٢)
 رحمه الله ، هذا القتيل والله أعلم بحقيقة أمره .

(١) النص : قاعدتهم . (ب) النص : به . (ج) م : السيحاني .
 (د) ك : مسلون ؛ البكري : ملشون . (ر) الجمل الأخيرة مختلطة تماما
 في «ك» حيث القراءة : والذي أخبر في طريق بسكرة جبلا ، وفيه كهف فيه
 رجل قتيل لم يعرف أحد من أين عهد هو . (س) ك : وقد نقلوه .
 (ص) ك : ثم يلبثوا إلى أن . (ط) «لم» ناقصة في النص ؛ أنظر - Fagnan ،
 ص ١١١ وهامش ١٠

(١) البكري ، ص ٥٢ - ٥٣ ؛ الإدريسي ، ص ٩٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ،
 ج ١ ص ٦٢٥ ؛ الدمشقي ، ص ٢٢٧ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٨ ؛ المقدسي ، ص ٢٣٠ ؛
 أبو اللدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٩٢
 (٢) البكري ، ص ٥٣ . هذه الأسطورة لا توجد في كتب المسعودي التي تحت أيدينا ؛
 وربما نقلت من أحد كتبه المفقودة .

مدينة تهوذة^(١) : بالقرب من بَسِكرَة مدينة تهوذة وهي مدينة كبيرة
 قديمة أزلية عليها سور عظيم مبني بالحجر الجليل ، ولها رياض كبيرة ولها أرباض
 كثيرة يدور بجميعها خندق ، ولها نهر كبير ينصب إليها من جبل أوراس ، فإذا
 كانت بينهم وبين أحد حرب ، وخافوا النزول إليهم أجروا ماء ذلك النهر
 في الخندق المحيط ببلدهم فامتنعوا منه . وهي كثيرة البساتين والزرع والنخل وجميع
 الثمار . وفي هذه المدينة خبر مشهور عن رسول الله صلعم ، يروى عن شهر
 بن حوشب أن النبي صلعم نهى عن سكني هذه البقعة الملعونة التي يقال لها تهوذة ،
 وقال له سوف يقتل بها رجال من أمتي على الجهاد في سبيل الله ثوابهم كثواب
 أهل بدر وأهل أحد ، والله ما تبدلوا حتى ماتوا . وكان شهر بن حوشب يقول :
 واشوقاه إليهم ، وقال شهر سألت جماعة من التابعين عن (١) هذه الصحابة
 التي ذكرها رسول الله صلعم ، فقالوا ذلك عقبة بن نافع وأصحابه قتلهم البربر
 والنصارى بمدينة يقال لها تهوذة ، فنها يحشرون يوم القيامة وسيوفهم على عواتقهم
 حتى يقفوا بين يدي الله تعالى . وروى أبو المهاجر قال : قدم عقبة بن نافع
 مصر وعليها عمرو بن العاص في خلافة معاوية بن أبي سفيان فنزل منزلا
 من بعض قرى مصر ومعه جماعة من أصحاب رسول الله صلعم فيهم عبد الله بن
 عمرو بن العاص فوضعت بين أيديهم سفرة فيها طعام فلما تناولوا من الطعام ،
 ضربت حداة على ما بين أيديهم من الطعام فأخذت منه عرقا ، فقال عقبة اللهم
 دق عنقها ، قال وأقبلت منقضة حتى ضربت بنفسها الأرض فأندقت عنقها ،
 فاسترجع ابن عمرو فسمعه عقبة يترجع فقال : ما لك يا أبا عبد الله ، فقال بلغني
 أن قوما يغزون إلى هذه الناحية فيستشهدون بها جميعا ، فقال عقبة اللهم أنا ومنهم ،
 وكان مستجاب الدعوة . قال ثم إن عقبة بن نافع خرج في أيام يزيد بن معاوية
 على جيش كبير غازيا إلى بلاد المغرب ، فر على عبد الله بن عمرو وعصر فقال له :
 «يا عقبة لعلكم من الجيش الذي يدخل الجنة» (ب) ، قال أبو المهاجر فافتتح عقبة
 بلاد المغرب حتى وصل إلى أقصاها وعلى ضفة البحر المحيط ، وقد ذكرناها .
 ويقال إنه أدخل (ج) فرسه في البحر حتى بلغ تلييب سرجه ، وقال اللهم إني

(١) ك : عل .

(ب) القراءة في ك : فقال له عقبة لعلكم الجيش الذي يدخل الجنة . (ج) ك : دخل

أطلب السبب الذى طلب عبدك ذو القرنين ، فقبل له ياولى الله وما السبب الذى طلب ، قال ألا يعبد فى الأرض إلا الله وحده ، وانصرف إلى إفريقية . فلما دنا منها تفرق (أ) أصحابه عنه فوجا فوجا ، فلما وصل إلى مدينة طُنبَة من نظر الزاب ، أذن لسائر جيشه وبقي فى عدة يسيرة من أصحابه ، وقد كان لى دخوله بلاد المغرب خطر على مدينة تهودة وعلى مدينة بادس ، فرأى فيها قوة (ب) كثيرة من النصارى والبربر ، وكانت فى ذلك الوقت أعظم مدن المغرب . فلما رجع قال أمر على مدينة تهودة (ج) وبادس ، أعرف ما فيهما من القوة والجيش ، فلما انتهى إلى مدينة تهودة (ج) اعتمده كسيلة بن أقدم وكان أميرها فى جيوش من الروم ، وقد كان سمع تفرق جيش (د) عقبة عنه ، وأقبلت عليه عساكر من البربر ، فلما رآهم عقبة وأصحابه كسروا أجفان سيوفهم ورجعوا إليهم فقاتلوا حتى قتلوا (د) جميعا رحمهم الله ، وقبر عقبة اليوم بمدينة تهودة على مقربة منها بمرحلة .

مدينة بادس (س) (١) : وهى مدينة كبيرة ، لها حصنان وأرباض واسعة وبساتين كثيرة ومزارع جليلة يزدرعون فيها الشعير مرتين فى السنة على مياه سائحة ونخل كثير وجميع الفواكه والثمار . وهى مدينة قديمة فيها آثار للأولين ولها مياه وعيون كثيرة ، وبالقرب منها قيطون بياضة (٢) وهو أول بلاد سماطة ، ومنه تفرق الطرق إلى بلاد السودان وإلى القيروان وإلى بلاد الجريد وطرابلس وغيرها . وقيطون بياضة قرية كبيرة كثيرة النخل فيها تجتمع الرفاق ، ومنها تخرج إلى جميع البلاد ، وهى آخر بلاد الزاب .

(١) ك : سار . (ب) ك : نوبة . (ج) الجمل الواقعة بين (ج) ، (ج) ناقصة فى ك . (د) «جيش» ناقصة فى ك . (ر) ك : قوتلوا . (س) ك : قادس ؛ أنظر Fagnan ، ص ١١٤

(١) البكرى ، ص ٧٤ قارن الإدريسي ، ص ٩٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٥٥٩ (يميز بين بادس الموجودة فى الزاب وأخرى فى منطقة فاس) ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٧ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٨
(٢) البكرى ، ص ٧٤

ذكر المغرب الأوسط (١)

وفيه مدن كثيرة ، وقاعدتها مدينة تِلِمَسَان ، وحد المغرب الأوسط من وادى مجمع (أ) وهو فى نصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان بلاد تازا من بلاد المغرب فى الطول ، وفى العرض من البحر الذى على ساحل البلاد التى ذكرنا فى البلاد الساحلية ، مثل مدينة وهران ومليانة وغيرها من البلاد الساحلية إلى مدينة تنزل (ب) ، وهى مدينة فى أول الصحراء (ج) وهى على الطريق إلى سِجِلْمَاسَة .

مدينة تِلِمَسَان (٢) : مدينة عظيمة قديمة فيها آثار كثيرة أزلية نبي أنها كانت دار مملكة لأمم سالفه ، وهى فى سفح جبل أكثر شجره الجوز ، وكان لها ماء مجلوب من عمل الأوائل من عيون يسمى بُورِيط ، بينها وبين المدينة ٦ أميال ؛ ولها نهر كبير يسمى سَطْفَسِيْف . وكانت تلمسان دار مملكة زناتة وحواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر . وهى كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات والنعم ، ولها قرى كثيرة وعمائر متصلة ومدن كثيرة ترجع إلى نظرها . وفى الجنب من مدينة تلمسان قلعة منيعة كثيرة الثمار غزيرة المياه والأنهار ويتصل بها جبل تاوَرْنَاية ، وهو جبل كبير معمور فيه القرى الكثيرة والعمائر المتصلة . وفى الجنوب (د) من مدينة تلمسان قرية كبيرة تسمى باب القصر ، فوقها جبل يسمى البغل ، كثير الخصب والعمارة ينبعث تحته نهر سَطْفَسِيْف ويصب فى بركة

(١) م : واد يسمى مجمع ؛ أنظر Fagnan ، ص ١١٥

(ب) البكرى : (ص ٧٧) تيزيل . (ج) «الصحراء» فاقصة فى ك .

(د) النص : ومن الشمال . أنظر Fagnan ، ص ١١٦ وهامش ١

(١) من الصعب تحديد بلاد المغرب حسب تعريف الجغرافيين العرب : إفريقية تختلط بالمغرب والمغرب يتداخل فى الأندلس . أنظر ياقوت ، معجم البلدان (إفريقية) ، ج ١ ص ٣٢٤ ، (المغرب) ج ٤ ص ٥٨٣ ؛ الدمشقي (إفريقية) ، ص ٢٣٤ ؛ مرصد الاطلاع (إفريقية) ، ج ١ ص ٨٠ ، (المغرب) ج ٣ ص ١٢٦ ؛ المقدسي (المغرب) ، ص ٢١٥ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٦٨

(٢) قارن البكرى ، ص ٧٦ ؛ الإدريسي ، ص ٨٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٧٠ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ١ ص ١٩ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٧ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٨٩ - ١٩٠ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٧ - ١

عظيمة منقورة في حجر صلد من عمل الأولين ليسمع لوقوعه في تلك البركة
نحرير شديد هائل على مسافة أميال ، ثم يخرج من تلك البركة بحكمة مدبرة
إلى موضع يسمى الميهماز (١) ، فيسقى هناك مزارع وأولاجا كثيرة تسمى
أولاج الجنان (ب) ؛ وتلك المواضع من أجل بقاع تلك البلاد ؛ ثم يصب في نهر
أسر (ج) ثم يصب في نهر ثاني وهو النهر الذي يتصل بمدينة أرسشقول في البلاد
الساحلية . ومدينة تلمسان مدينة علم وخير ولم تزل دار العلماء والمحدثين .
وكان هذا المغرب الأوسط قد تملكه العلويون من بني إدريس وأمرهم مشهور ،
وتملكوا بلاد الأندلس وتسموا بالخلافة .

مدينة وجدة (١) : وهي مدينة كبيرة مسورة قديمة أزلية ، كثيرة البساتين
والجنات والمزروعات ، كثيرة المياه والعيون طيبة الهواء جيدة التربة ، يمتاز أهلها
من غيرهم بنضارة ألوانهم وتنعم أجسامهم . ومراعيها أنجع المراعى وأصلحها
للماشية ، يذكر أنه يوجد في الشاة من شياهم مائتي أوقية شحما ، ويصنعون
من صوفها أكسية ليس لها نظير في الجودة مثل العبيدي ، يساوى الكساء الجيد
منها ٥٠ ديناراً وأزيد . وعلى مدينة وجدة طريق المار والصادر من بلاد المشرق
إلى بلاد المغرب وسجلماصة وغيرها .

مدينة أجرسيف (٢) : مدينة كبيرة لها بساتين كثيرة وهي على نهر ملوية
وهو نهر كبير من الأنهار المشهورة ، وكانت أجرسيف قرية كبيرة على نهر
ملوية حتى خرج المثلثون من الصحراء فنزلوها ومدنوها ، وبنوا عليها سورا
من طوب .

(١) النص : بلسان . أنظر البكري ، ص ٧٧

(ب) البكري : وليج الحنا . أنظر Fagnan ، ص ١١٦ وهاش ٤

(ج) النص : اسين . أنظر البكري ، ص ٧٧

(١) قارن البكري ، ص ٨٧ ؛ الإدريسي ، ص ٥٦ (لا يقول شيئا عن هذه المدينة) .

(٢) قارن البكري ، ص ٨٨ ؛ الإدريسي (أفرسيف) ، ص ١٧٢ ؛ الدمشق ،

ومن مدن المغرب الأوسط المشهورة (أ) ، مدينة تاهرت (١) : وهي مدينة مشهورة قديمة كبيرة ، عليها سور صخر ، ولها قصبة منيعة على سوقها تسمى المعصومة . ومدينة تاهرت (ب) في سفح جبل يسمى قرقل ، وهي (ج) على نهر كبير يأتيها من تاحية المغرب ، يسمى منية (د) ، ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تانس ، [ومنه] تشرب أرضها وبساتينها ، وكان لها بساتين كثيرة فيها جميع الثمار ، وفيها سفرجل يفوق سفرجل جميع البلاد حسنا وطعما ورائحة . وبلد تاهرت شديدة البرد ، كثيرة الغيوم والثلج ، قال أبو بكر ابن حماد (ر) يصفها (س) :

ما أصعب البرد وريعته وأظرف (ص) الشمس بتاهرت
تبدو من الغمام إذا ما بدت كأنها تنشر من تحت
نفرج بالشمس إذا أشرقت كفرجة الذمي (ط) بالسبت

ويقال إن رجلا من أهل تاهرت حج فرأى توقد الشمس بمكة فقال لها وقد أحرقتك : أحرقت ما شئت فوالله إنك بتاهرت لذيلة .

وقرب هذه المدينة (ع) قلعة هواره (٢) : وهي قلعة منيعة في جبل خصيب فيه بساتين وثمار وأشجار ومزارع ، وأعناب ، وتحتها فحص طوله نحو ٤٠ ميلا يشقه نهر سيرات ويسقى أكثر أرضه ، يسمى ذلك الفحص سيرات بأسم النهر . ونهر سيرات نهر كبير مشهور يقع في البحر عند مدينة أزواوا ، وهي مدينة قديمة رومية . وفحص سيرات يسكنه قبائل كثيرة من البربر ،

(١) الحملة الأخيرة ناقصة في ك . (ب) ك : «وهي» بدلا من «مدينة تاهرت» .
(ج) ك : وهو . (د) م : منيت . (ر) أنظر البكري ، ص ٦٧
(يسميه أبو عبد الرحمن بكر) ؛ Fagnan ، ص ١١٨ وهامش ه
(س) ك : يصفه . ك (ص) : وأطراف . (ط) ك : الرى .
(ع) «وقرب هذه المدينة» ناقصة في ك .

(١) البكري ، ص ٦٦ - ٦٧ ؛ قارن الإدريسي ، ص ٨٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨١٣ ؛ دمشق ، ص ٢٣٧ ؛ مرصد الاطلاع (تاهرت) ، ج ١ ص ٩٦ ؛ (تاهرت) ، ج ١ ص ٢٢٣ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧٣ ، ١٩٢ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٥٣ ؛ المقدسي ، ص ٢٢٨

(٢) البكري ، ص ٦٩ . قارن الإدريسي ، ص ٨٨

وَمُتَطَفَرَةٌ وَغَيْرُهُمْ مِنْ قَبَائِلِ زَنَاتِهِ ، وَزَنَاتُهُ تَتَشَعَّبُ عَلَى قَبَائِلَ كَثِيرَةٍ ، وَبِلَادُهُمْ وَاسِعَةٌ بِخَالِطِهِمْ مِنْ جِهَةِ إِفْرِيقِيَّةِ بَنُو زُغْبَةٍ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ بَنِي هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ ، وَمِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ بِلَادُ مَسُوفَةٍ ، وَهُمْ الْقَبَائِلُ كَثِيرَةٌ مِنْ صَنْهَاجَةٍ ، يَسْكُنُونَ بِتِلْكَ الصَّحَرَاءِ لَا يَسْتَوِطِنُونَ بِلَادًا ، وَإِنَّمَا عَيْشُهُمْ عَلَى اللَّبَنِ وَاللَّحْمِ ، وَهُمْ خَلَقَ كَثِيرٌ . وَفِي صَحَارَى بِلَادِهِمْ جَبَلٌ عَظِيمٌ يَعْرِفُ بِقَلْتَقَلٍ وَهُوَ كَثِيرُ الْحَصْبِ وَالْعَيُونِ وَالْأَنْهَارِ ، وَفِيهِ آثَارُ عِمَائِرَ كَثِيرَةٍ ، وَبُيُوتُ مُحَصَّنَةٍ وَقُرَى وَاسِعَةٍ لَا أُنَيْسَ بِهَا وَلَا يَسْكُنُهَا خَلْقٌ ، وَيَقَالُ إِنَّ الْجَنَّ أَخْلَتِ تِلْكَ الْعِمَائِرَ وَالْبِلَادَ . وَيَرَى فِي تِلْكَ الصَّحَارَى بِاللَّيْلِ نِيرَانٌ (١) الْجَنِّ ، وَيَسْمَعُ عَزْفَهُمْ وَغَنَائِهِمْ وَهُمْ كَثِيرًا مَا يَخْتَطِفُونَ الْإِنْسَانَ وَيَحْمِلُونَهُمْ مَعَهُمْ وَرَبَّمَا يَفْلِتُ الْإِنْسَانُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُحَدِّثُ بِمَا رَأَى عِنْدَهُمْ ، وَهَذَا مُتَعَارَفٌ . وَيَقَالُ إِنَّهُمْ يَبْدُلُونَ أَوْلَادَ الْإِنْسَانِ ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةٍ : يَامْبَدُولُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا السَّرَّ فِي ذَلِكَ . وَبِقَرَبِ تِلْكَ الْبِلَادِ أَرْضٌ فَجِيجٌ ، وَهِيَ بِلَادُ خَصْبَةٍ ، وَفِيهَا نَخْلٌ كَثِيرٌ وَتَسْكُنُهَا أُمَمٌ شَتَّى . وَلِلْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ مَدَنٌ كَثِيرَةٌ قَدْ ذَكَرْنَا أَكْثَرَهَا فِي الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ ، وَهِيَ كَثِيرَةُ الْحَصْبِ وَالزَّرْعِ كَثِيرَةُ الْغَنَمِ وَالْمَاشِيَةِ ، طَيِّبَةُ الْمَرَاعَى وَمِنْهَا تَجْلِبُ الْأَغْنَامُ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ لِرَخْصَتِهَا وَطَيِّبِ لَحُومِهَا .

ذِكْرُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ (١)

فِيهِ مَدَنٌ كَثِيرَةٌ ، وَأَقْطَارٌ وَاسِعَةٌ ، وَعِمَائِرُ مُتَّصِلَةٌ ، يَحْدُ بِلَادَ الْمَغْرِبِ مِنْ آخِرِ الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ إِلَى بِلَادِ تَارَا ، إِلَى آخِرِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ الدَّاخِلِ مِنَ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ عِنْدَ مَرْسَى أَزْمُورَ طُولًا . وَأَمَّا عَرْضًا مِنْ بِلَادِ طَنْجَةَ وَسَبْتَةَ إِلَى بِلَادِ مَلُويَّةٍ وَأَحْوَاذِهَا ، وَهُوَ أَوَّلُ بِلَادِ سَجْلَمَاسَةَ إِلَى الصَّحَرَاءِ ، وَآخِرُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ .

(١) ك : نير .

(١) أَنْظَرْ هَامِشَ ١ ص ١٧٦ . عَنْ بِلَادِ تَارَا قَارَنَ الْعَبْدَرِيُّ ، الْمَخْطُوطُ ، ص ١٤٧ - ١ ؛ الدَّمَشَقِيُّ ، ص ٢٣٧ . وَعَنْ أَزْمُورَ قَارَنَ يَافُوتُ ، مَعْجَمُ الْبِلَادَانِ ، ج ١ ص ٢٣٣ ؛ الدَّمَشَقِيُّ ، ص ٢٣٦ ؛ الْعَبْدَرِيُّ ، الْمَخْطُوطُ ، ص ١٤٨ - ب . وَأَنْظَرْ Fagnan هَامِشَ ٢ ص ١٢٠

وقاعدة بلاد المغرب مدينة فاس — كلاًها الله (١) : هي أعظم مدينة من مصر إلى آخر بلاد المغرب ، ومدينة فاس مدينتان كبيرتان مفترقتان ، يشق بينهما نهر كبير يسمى بوادي فاس ، يدور عليها سور عظيم . وبين المدينتين قناطر كثيرة ، وتطرذ فيها جداول ماء لا تحصى ، تحترق كلتي المدينتين تسمى بالسواني (١) لا بد لكل دار من ديار المدينتين منها . وفيها عيون كثيرة لا تحصى عدداً ، وفيها من أرحية (ب) الماء نحو ٣٦٠ رحي ، وهي في المزيد ، وربما وصلت ٤٠٠ ، والنهر الذي يحترق مدينة فاس ينبعث من عين عظيمة لها منظر عجيب ، فيها نحو ٦٠ فوارة ، في دائرة ، يجتمع منها هذا النهر الكبير ، بينها وبين المدينة نحو ١٠ أميال في بسيط من الأرض ، يكاد لا يتبين جرى الماء فيه لاستواء أرضه .

ومدينة فاس محدثة ، أسست عدوة الأندلس في سنة ١٩٢ [٨٠٨] ، وعدوة القرويين في سنة ١٩٣ [٨٠٩] في ولاية إدريس بن إدريس الفاطمي ، ومن ذريته بفاس إلى اليوم ونحن في سنة ٥٨٧ [١١٩١] . ومدينة فاس اليوم في نهاية العمارة والصلاح ، قد بنيت أكثر جنتها الملاصقة لها دوراً ، وأضيفت إليها . وفيها اليوم ٣ جوامع للخطبة : جامع عدوة الأندلس ، وهو جامع كبير متقن البناء ، يقال إن ابن عامر زاد فيه ، وجامع عدوة القرويين ، جامع كبير أكبر من جامع الأندلس ، وزيد في (ج) هذه المدة في هذا الجامع باب كبير مشرف جميل المنظر ، [و] من جهة الجوف سقاية متقنة البناء ملاصقة له ، مأوها من الوادي ، وجلب لها ماء عين هو في أيام الحر في نهاية البرودة ، وفي أيام البرد فيها بعض الحرارة . وكذلك صنعت في جوف جامع القرويين سقاية متقنة البناء ، ومياه جارية مع عتبة الباب الجوفي (د) ، وفوارة في بيلة (ر) مرتفعة نصف قامة داخل

(١) م : بالسواقي . (ب) م : أرحى . (ج) النص : وزيد فيه في . (د) ك : في عتبة الجوف . (ر) ك : سيله .

(١) إلى جانب المعلومات المعروفة يمدنا المؤلف بتفصيلات دقيقة عن مدينة فاس على عهد . قارن البكري ، ص ١١٥ وتابع ؛ الإدريسي ، ص ٧٥ - ٧٦ ؛ ابن حوقل ، ص ١٦٥ المقدسي ، ص ١٢٩ ؛ الهمشي ، ص ٢٣٧ ، أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٦٦ - ١٦٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٨٤٢ ؛ مرصدا الاطلاع ، ج ٢ ص ٣٣١ . هذا ويلاحظ أن صاحب كتاب روض القرطاس (القرن ١٤ م) عرف كتاب الاستبصار وأخذ منه بعض المعلومات عن فاس (ص ١٥ وتابع) .

الصحن (أ) ، وزيد فيه من جهة الغرب باب كبير ، مرتفع البناء على السناء يسمى باب النجارين (ب) ، كل ذلك في حدود سنة ٥٧٨ [= ١١٩١] ، فكملت منافع هذا الجامع المكرم وشرفت حومته بإشرافه الله تعالى به . وكذلك بقصبة السلطان جامع شريف معظم فيه الخطبة ، وأحدثها فيه هذا الأمر العزيز - أدام الله اعتلاءه - لأن القصبة منحازة عن البلد (ج) بسور ، فوجب أن يكون فيها جامع وفي كل عدوة شريعة لخطبة العيدين . ومدينة فاس كثيرة الحصب والرخاء ، كثيرة البساتين والمزدرعات والفواكه ، وجميع الثمار ، ولها أقطار واسعة متصلة العمار . وعدوة القرويين من هذه المدينة أكثرها بساتين وأشجار ومياه وعيون من عدوة الأندلس ، وكلاهما خصبة (د) عظيمة القدر ، جليلة الخطر ويقال إن رجال عدوة الأندلس أشجع (ر) وأنجد من رجال عدوة القرويين ، ونساؤهم أجمل من نساء القرويين ، ورجال عدوة القرويين أجمل من رجال عدوة الأندلس . ويقال إن بعدوة الأندلس تفاح حلو يعرف بالأطرابلسي ، جليل حسن الطعم والرائحة ، يصلح بها ولا يصلح بعدوة القرويين . وكذلك بعدوة القرويين أترج جليل ، يجود بها ولا يجود بعدوة الأندلس ، وكذلك سميد عدوة الأندلس أطيب من سميد عدوة القرويين . وهذه المدينة قصبة بلاد المغرب ، بل وبلاد المشرق والأندلس ، لاسيما في هذا الأمر العزيز - أيد الله دولته - . منها يتجهز إلى بلاد السودان وإلى بلاد المشرق ، ومنها يحمل النحاس الأحمر . جميع الآفاق . قال الناظر هذه المدينة العظيمة ، لما كانت على هذا الوضع متقدم ، وفاضت عليها بركة الواضع لها ، وهو إدريس بن إدريس لعلوى التميمي رضه ، ترتب على هذا اتساع مكاسب (س) أهلها ، ورغد عيشهم ، وكثرة تنعمهم ، لجمال المدينة ، وعظم حماماتها (ص) وكثرتها ، وهي أصل التنعيم . قال الشاعر :

إذا زفر الحمام ، واشتد غيظه وهاجت لواعيج به وحميم (ط)
رأيت نعما في الحميم (ع) وراحة وذاك غريب في الجحيم نعيم

(أ) القراءة في ك مختلطة : مرتفعة نصفها متداخل الصحن .

(ب) م : الفجارين . (ج) م : البلاد .

(د) ك : خطبة . (ر) ك : أشجاع . (س) ك : مكايسة .

(ص) ك : حماماتهم . (ط) ك : حميم بدلا من وحميم . (ع) م : الجنان .

فعطفت نفوس أربابها ، وشمخت أنوفهم ، وكبرت مهمهم . وكان فيها من الولاة الملتزمين رجال عظماء ، عقلاء فضلاء ، بادروا إلى مخاطبة الخليفة أمير المؤمنين رضه (أ) ، وتساعدوا مع الوالى المتصرف بها (ب) ، فأدخلوا الموحدين أعزهم الله ، يوم الاثنين فى العشر الأول من ذى حجة سنة ٥٤٠ [٢٣ مايو ١١٤٥] ، (١) وسلمت لهم أملاكهم وأموالهم ، ولم تزل أحوالهم تنعم ، (ج) وأموالهم تتزايد مع الأمن والدعة والسكون فى ظل أمن هذا الأمر العالى بهدى الله . ومن شأن النفوس استدعاء الخيرات لذواتها ، وجلب المكاسب والمنافع والمحاماة عليها ، والرغبة فى تحصيلها ، وهذا كله من دواعى الشح (د) ، والبخل ، والمنع ، وقلة الجود ، وترك البذل ، ولو كان الجود موجودا مع استجلاب المنافع الجسمانية ، لما تمكن تحصيلها لطالبها ، للمتابعة اللازمة بين الضدين . فلما أحس بهذا من له نباهة ، وخاصة الأدباء أظهروا أساليب القوم وأفشوها (ر) وخلدوا فيهم (س) عجائب القبايح ، مثلما (ص) فعل أبو بكر البكى (ط) (٢) عفا الله عنه ، فن أعجب ما حكى الشيخ العالم الصوفى الزاهد أبو الحسن بن حرزهم رحمة الله عليه ، عتبه على ما خلده فيهم من القبايح ، فأطرق البكى ساعة وأنشده .

رأيت جنان (ع) عدن فى منامى	وحوار العين فى أسنى لباس
فقلت بما أحصل (ف) بعض هذا	فقال (ك) إذا هجوت لأهل فاس
فدع عنك الصلاح وكل بر	فهجوهم يؤمن كل بأس

(١) هنا تبدأ «ب» من جديد بعد نقص ملحوظ . (ب) ب : مع المتصرف الموالى بها . (ج) ب : نتمنى . (د) ب : دواعى الشيخ . (ر) ب : تطمى أساليب القوم ، ك : تظهر أمثالها القوم وأنشوها . (س) ك : خلدوا منهم . (ص) ك : مثال ما . (ط) أنظر Fagnan ، ص ١٢٥ وهامش ٣ . (ع) ك : طنان . (ف) ب : أحل . (ك) ب : وقيل .

(١) عن سقوط فاس بين أيدي الموحدين أنظر روض القرطاس ، ص ٣٥ ؛ ابن خلدون ، المعبر (الترجمة Berb.) ج ٢ ص ١٧٩ - ١٨٠ ؛ الزركشى ، ص ٥ وقارن مجموعة الرسائل الموحدية ، دراسة بروفنسال ، ص ٤٥ ؛ البيدق ، الترجمة ، ص ٢٢٧

(٢) أصل هذا الشاعر الهجاء من بكة من قلاع شرق الاندلس - توفى بعد ٥٦٠ = ٤ - ١١٦٥ . أنظر Fagnan ، ص ١٢٥ وهامش ٣

فانظر يا أخى تحدييه وتهدييه إلى استئزال الشيخ الزاهد (أ) بذكره لجنان عدن ،
 وحوار العين ، إلى أن أمضى له حتى دس في سمعه هذه الإبرة ، وسرت
 إلى فهمه هذه السمعة الفاسدة ، ولو كان عمل الشر (ب) مهلكا لفاعله لجرّد لهلك
 البكى لحينه بأقل منظوماته فيهم (ج) ، لأن نفوس أهل المغرب مجبولة
 على الاستنصار ، وقيل الحقّد مغربي (د) . وعلى الحقيقة فلا يجب أن يعاب أحد
 بشيء وضع في جبلته (ر) وإنما يعاب المرء بما يحمله عليه نظره السيء (س) الفكرة
 وتحلقه العقري (ص) الكسبي . فهو لاء قوم وضعوا في مدينة عظيمة النعيم ،
 رغدة المعاش ، ومن شأن النفوس جلب المنافع لذاتها ، وتحصيل شهواتها
 ولذاتها ، فهم يتأبدون على التحصيل لجميع منافعهم الشهوانية الجسمانية ، فمن
 كان مثلهم طلبهم بأن يُسبّحوه منها وقدمنا [أن] المنع الجبلى في طباع البشر ،
 كما في دفع المطالب له ، فلزم طرده وزجره ، فتتج من هذا تخليد هذه
 الشفاعات (ط) ، وقبلتها النفوس المناسبة لها فخلدت ، ولو كان الذى يطلبهم (ع)
 غير (ف) مثلهم ، لما عرج ولا ألقت إليهم ، وهو كما قيل :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا (ك) سعيه فالتاس أعداء له (ل) وخصوم
 كضرائر (م) الحسنة قلن لوجهها حسدا وبغيا إنه لدميم

وذكرنا أنه كان في الدولة اللمتونية رجال فضلاء ، عقلاء علماء حلماء ،
 وشهرتهم فيها أغنت عن ذكرهم (ن) . لكنى أردت أن أذكر شيئا من المدح ،
 وأوصاف المدح والخير ، وشيئا من الذم وأوصاف المذمومين ، فمن محبيهم
 أبو بكر البكى ، فهو ممن مدحهم ، والجوزى ، وغيرهم من الأحياء ؛

(أ) ك : للزاهد . (ب) ب : العمل السيء . (ج) ك : منطق ما يفهم .

(د) الكلمات من «مجبولة» إلى «مغربي» ناقصة في ك . (ر) ك : مثله .

(س) ك : السبيل . (ص) ك : العقرب . (ط) هنا نلاحظ أن النص مختلط

بشكل مغل . فالقراءة في ب ، م : وقدمنا المنع الجبلى في طباع البشر في طبع

كما في دفع المطالب لهم فلزم طرده وزجره فتتج من هذا تخليد هذا الشفاعات .

أما في ك فهي : منها المنع الجبلى في طبائعهم ... البشر من هذا تخليد هذه الشفاعات .

(ع) ب : يتلهم . (ف) النص : غيرهم . (ك) ك : يبذلوا .

(ل) ب : لهم . (م) ك : كضرائر ويمكن التفكير في كلمة «قراثن» .

(ن) نلاحظ أن الفصل المذكور ، في م ، لا من جهة عنه في ب من جهة أخرى .

وممن هجأهم كثيرا وأكثر الرواة لذلك . وقد قدمت السبب في ذلك أن من شأن النفوس استدعاء الخيرات لذواتها ، وجلب المكاسب والمنافع ، والحمامة عليها ، والرغبة في تجصيلها ، وهذا كله من دواعي البخل والمنع وقلة الجود ، وترك البذل . قال الشاعر :

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم واستوثقوا برتاج الباب في الدار
قوم إذا استنبح (أ) الأضياف كلهم قالوا لأهمهم بولي على النار (١)

قال المؤلف ، وموضع (ب) وادي فاس بوادي تُسبو على ٣ أميال من المدينة (ج) . وهذا الوادي نهر عظيم من أعظم أنهار بلاد المغرب ، ومنبعه من جبل في بلاد بني وارتين (د) ، ورأس العين في بئر (ر) غامضة يهاب الدخول فيها ، وهي دهسة عظيمة لا يدرك لها قعر (س) . وللبئر المجاورين لذلك الموضع (ص) تجارب منها أن المريض إذا أرادوا أن يعلموا هل هو يستريح أو يموت ، حملوه لرأس العين بذلك الموضع المهول ، فيغطسونه (ص) فيه حتى يقرب أن يطغى ، ثم يخرجونه ، فإن خرج على فمه دم فيستبشرون بحياته ، وإن لم يخرج من فمه دم ، أيقنوا بهلاكه ؛ وهذا عندهم متعارف (ط) لا ينكر .

قال الناظر ، ويُتصيّد في هذا الوادي الشابل الكثير (ع) ، ويطلع إلى رأس العين أو قرب منه ، ويدخل في هذا الوادي الحوت الكثير ، ويتصيد في بعض الأحيان البورى الكبير (ف) ؛ وذكر الثقات أنه بيع واحد بـ ١٣ درهما (ك) ، ورطل كبير منه بدرهم ونصف . ويصل إلى المدينة الحوت الكبير المسمى عندهم بالقُرب (ل) بحمله الحمار ؛ وأخبرني الثقة أنه عاين ليسا

(١) ك : نبح . (ب) ب : وموقع . (ج) القراءة في ب : عل لحو
من مرحلتين ثلاثة أميال من المدينة . (د) ب : وايتن ؛ ابن خلدون ،
العبر (الترجمة Berb) ، ص ١١١ ، ١٨٧ (ذرايتن) .
(ر) ب : شعراء . (س) . «الدخول فيها» و «لا يدرك لها قعر» ناقصة في ب ،
(ص) الجمل الواقعة بين «ص» ، «ص» ناقصة في ك . (ط) ب : ممتاد ،
(ع) ك : الكبير . (ف) ب : الكثير . (ك) ك : بثلاثمائة موز ،
(ل) ب : بالغرب .

(١) هذه الأبيات للأخطل . أنظر Pagnan ، ص ١٢٨ وهامش ١

اصيد فيه ، زنته ٦٥ رطلا (ا) ، ولارعى الى القرب والشولى فغلبته (ب) .
 وأخبرني الثقات أنه كان (ج) بمدينة فاس ومكناسة الحوت الذى يسمى بالشولى ،
 وهو الد ما يوجد من أنواع السمك ، تصنع منه الألوان بأصناف البقل ،
 فلا تشم له رائحة سمك . ولو كان هذا النهر يخرج فى البطاح ، لكانت البلاد
 التى يسقيها أشرف البلاد وأخصبها ، وما أسهل خروجه فى بعض المواضع لو تنبه
 له الأمر العالى ، وهذا لا بد منه ؛ وهو (د) عنوان فتح ديار مصر ، فنيل
 المغرب مفتاح نيل المشرق ، فيظهر العجائب ، ونيلها بعدله قيوم (ر) .

قال المؤلف ، وبوادي سبو فوق فاس نحو مسيرة يوم ، مضيق ما بين جبلين ،
 يسمى ذلك الموضع بتاغيت ، معناه بلسانهم الحق (س) ، وذلك المضيق نحو مسيرة
 يومين ، وكان من يسكن بقرب تلك الحوافى ، إنما يعبر (ص) الوادى فى زنبيل
 ماني بين الجانبين فى جبل قد شد (ط) طرفاه فى الحافتين ، يسع ذلك الزنبيل
 ألفين وثلاثة ، وعلى ذلك المعبر جبل من الضفتين جميعا ، فإذا دخل الزنبيل
 عليه أهل الضفة الأخرى إليهم ، وبين الزنبيل وبين الماء مهوى بعيد . قال
 الناظر ، ورأيت مضيقا فى وادى وانسيفن (ع) بين معدن عرام وبين قلعة مهدى
 بلاد فزاز (ف) ، ينحدر الوادى كله فى سعة بلاط قدره ٢٠ شبرا (ك) أو نحوها ،
 وعليه قنطرة محدثة وعليها لوح كبير ؛ وهذا الوادى هو المعروف بأمر ربيع ،
 وهو مثل وادى سبو ، ولو عاينه أهل الأمر ، أدام الله نصرهم ، لأحدثوا عليه
 قنطرة على قوس واحد مثل قنطرة السيف المشهورة (ل) . وبمثل هذه الآثار
 يظهر الملوك ، فهى من أعظم منافع البشر . قال الناظر ، وبالقرب من مدينة
 فاس غربى عدوة القرويين ، موضع يعرف بالشيخ يقال إنه ساخ (م) بأهله .

- (ا) القراءة فى ك : وأخبرني الثقات عين سبوا يتصيد فيه سمك زنته ٦٥ رطلا .
 (ب) ك : بغليته . (ج) ك : أكل .
 (د) « وهو » ناقصة فى ك . (ر) النص : فيظهر بعدله قيوم ؛ ك : وقبلها بدلا
 من نيلها ؛ ب ، ك : القيوم . (س) ك : اليوم ؛ م : الحلوا .
 (ص) « إنما يعبر » ناقصة فى ك . (ط) « قد شد » ناقصة فى ك .
 (ع) وانسيفن هو اسم وادى أم ربيع الأعلى . أنظر Fagnan ، ص ١٣٢ وهامش ٢
 (ف) ب : فاذر . أنظر Fagnan ، ص ١٣٣ هامش ٣ (ك) ك : منظرا .
 (ل) القراءة فى ك مختلطة كالآتى : وعليه قنطرة على قوس واحد مثل قنطرة السيف
 المشهورة وكذا هذا المضيق الذى بوادى سبوا . (م) « ساخ » ناقصة فى ك .

وبالقرب منها أيضا قلعة يقال لها قلعة زيد ، فيها مسجد (أ) يقال إن عقبة بن نافع بناها ، وفيها شجر زيتون ، يذكر من يسكن (ب) بقرب ذلك المسجد أن كل دابة من حمار أو ثور أو جمل أو غير ذلك من الدواب ، إذا دخله وأكل من ورق الزيتون مات ؛ لا يشكون في ذلك ، وهو عندهم متعارف .

وبين مدينة فاس ومدينة تلمسان ، مسيرة عشرة أيام في عمائر متصلة . وقد ذكرنا أن آخر بلاد المغرب الأوسط وأول بلاد المغرب بلاد تازا ، وهي جبال عظيمة حصينة كثيرة التين والأعناب وجميع الفواكه ، وأكثر شجرها الجوز ، وهو بجود (ح) بها كثيرا . ويسكنها قبائل من البربر يعرفون ببغياتة (١) وقد بنى ببلاد تازا في هذه المدة مدينة الرباط (٢) ، وهي مدينة كبيرة في سفح جبل مشرفة على بسائطه ، يشقها جداول المياه العذبة ، وعليها سور عظيم ، وقد بنى بالجبر والحصي ، يبق مع الدهر . وهي في فسحة على ٦ أميال ما بين جبال ينصب إليها من تلك الجبال مياه كثيرة ، وأنهار تسقى جميع بساطينها في أعلاها وأسفلها ، ولها نظركبير ، كثير الزرع وجميع الفواكه والخيرات ، ولا أعلم ببلاد المشرق والمغرب بلدا أخصب منها ولا أكثر فوائدا . وأسست هذه المدينة من نحو ٢٠ سنة (د) ، في حين توجه الخليفة رضىه إلى فتح بلاد بنى الناصر (ر) وشيدت (س) سنة ٥٦٨ [= ١١٧٢-١١٧٣] مدينة الرباط على الطريق المار من بلاد المغرب إلى بلاد المشرق ، وتسمى مكناسة تازا . ومكناسة قبيلة كثيرة من البربر سكنوا هناك ، يسمى الموضع بهم . وتحت مدينة الرباط بنحو الميل بركة كبيرة يذكر أنها تتصل بالبحر من تحت الأرض ، وقيل إنه رأى فيها في بعض الأزمان (ص) دابة من دواب البحر ؛ ويقال إن ماء هذه البركة يحمر في بعض الأوقات حتى يعود كالدم ، أخبرني بذلك رجل من الثقات

(أ) «فيها مسجد» ناقصة في ك . (ب) ب : بداية من السكن .

(ج) ك : يوجد . (د) ب : والمدينة نحو العشرين سنة ؛ ك : والمدينة

اليوم نحو عشرين سنة . (ر) ك : الناظر .

(س) ب : ونسوت . (ص) : «فيها في بعض الأزمان» ناقصة في ك .

(١) قارن الإدريسي ، ص ٧٩

(٢) دمشق ، ص ٢٣٧ ؛ المبدري ، المخطوط ، ص ١٤٧ - ١ وأنظر G. Morçale,

Mélanges R. Basset, 1925, Note sur les Ribata en Berbérie, p. 411

الساكنين عليها . قال المؤلف ، ومن الجبال المشهورة ببلاد المغرب فازار ، وهو جبل كبير تسكنه أمم كثيرة من البربر ، ويطردهم الثلج عنه فينزلون إلى ريف البحر الغربي . وهم أهل كسب من الغنم والبقر والحيل ، وخيل هذا الجبل من أعتق الخيول لصبرها وخدمتها ، وهي مدورة القدود (أ) حسنة الخلق والأخلاق ؛ ولحوم غنمها أطيب اللحوم وكذلك أسمانها . وفي هذا الجبل أنواع النبات من العقاقير التي تنصرف في العلاجات الرفيعة ، وفيه خشب الأرز العتيق العالي ، وهي مأوى القردة (ب) ، عاينتها ثب من الأرزة لأخرى وهي (ج) في الجو الأعلى . وفي هذا الجبل قلعة كبيرة تنسب للمهدى بن توالي الجيفشي (د) (١) ، وهي في نهاية المنعة ، أقام عليها عسكر اللمتونيين (ر) ٧ أعوام ، وبنواؤها بالألواح . وإليها كان تغريب المعتمد بن عباد (س) ، فقال متمثلا حزينا بنقض العهد لبلد أهله يهود ، وبنواؤه عود ، وجيرانه قرود ، وكان اليهود في ذلك التاريخ أكثر سكانه (ص) ، لأنهم سوقة فيلجئون للحصن حيلة على سلعمهم .

ومن نظر مدينة فاس إلى جهة (ط) الغرب مدينة مكناسة الزيتون (٢) : وهي أربعة مدن وقرى كثيرة (ع) متصلة بالمدن والحصون . المدن منها تافارات (ف) وتفسره المحلة ، وهو محدث البناء وهو مشرف على بطاح وبقاع مملوءة بفيضات (ك) الثمار ، وأكثرها الزيتون فسميت به . وهذه المدينة عليها سور كبير وأبراج عظيمة ، وهي مدينة جليلة فيها أسواق حافلة ، وأحدث فيها الأمر العالي — أيد الله دوامه — بخائر عظيمة في نهاية من الاتساع ، وجلب لها ماء نهرها ، وأمر بغرسها زيتونا وكروما ،

-
- (١) ب : القد . (ب) « القردة » ناقصة في ب . (ج) ك : وهو .
(د) أنظر Fagnan ص ١٣٦ هامش ١ . (ر) ب : الملتمين . (س) القراءة في ك : وإليها كان نفر ابن عباد . (ص) القراءة في ك : وجيرانه قدر ما كان اليهود وتلك التاريخ بنقض اليهود . أكثر سكانه . (ط) ك : إلى بلاد
(ع) « كثيرة » ناقصة في ك . (ف) ب : تاجردت . (ك) ك : بيفضات .

(١) قارن روض القرطاس ، ص ٩٠ ؛ ابن خلدون ، المعبر (الرحمة Berb.) ج ٢ ص ٧٣ ؛ وقارن Fagnan ، هامش ٢ ، ص ٣ ، ١٣٦
(٢) لا يقول البكري شيئا عن مكناسة . قارن الإدريسي ، ص ٧٦ وتابع ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٦١٥ ؛ مرصع الاطلاع ، ج ١ ص ١٣٨ ؛ دمشق ، ص ٢٣٦

فزيئها أكثر زيت في جميع المغرب . وبعده (ا) زيت النظر الكبير المسمى
ببني بسيل ومغيلة وجهاتها ، وفيها اليوم تسع خطب : في الحصن (ب) خطبة ،
وفي المدينة المسماة السوق القديم (ج) خطبة ، وفي تاورا (د) خطبة ، وفي أولاد عطوش
خطبة ، وفي أولاد بزنوس (ر) خطبة ، وفي بني موسى خطبة ، وفي بني زياد ،
وفي بني ورزيعه (س) وفي بني مروان ، ونحن في سنة ٥٨٧ [= ١١٩١] .
وهي من البلاد العتيقة المحيطة لو كان بها (ص) خدمة لغلاتها ، فإن أرضها كريمة ،
طيبة المزارع كثيرة المياه ، وبركات هذا الأمر العالي تعيش (ط) الموقى فكيف
من فطر على الحياة (ع) الطبيعية . وهي من عز بلاد المغرب لها أنظار واسعة ،
وقرى عامرة ، وعمائر متصلة ، تشقها الأنهار والمياه السائجة والعيون الكثيرة ،
وتطحن عليها الأرحية ، وتحم (ف) بها الحمامات ، إلا أن في صبيانها
دعارة (ك) وسفاهة لأنهم أكثرهم حاكّة يصنعون أشغالهم في بيوتهم ، فإذا
خرجوا إلى الفضاء الواسع حركتهم طباعهم الذميمة ، فلا يعرفون إلا تجرد
الشررة ، سيما من كان منهم يجد زعامة في نفسه أو نجدة في بدنه . وميتها طعمة
للجرذان (ل) .

قال المؤلف ، ومن المدن المعمورة والعماير من فاس إلى طنجة
بلد جنياره (١) : وفيه قرى كثيرة عامرة زرعا وضرعا في جبل سهل
أبيض مثل الطيلسان ، ويسمى الجبل الأشهب ، وقل ما تخلف أرض جنياره
لا في خصب ولا في جذب (م) . سألت رجلا أراد أن يقتني (ن) ضيعة ببلاد
المغرب شيخا من العارفين ، فقال له : عليك ببلد جنياره فإنها مثل الدجاجة
إن أصابها ديك أتت بالديك (هـ) ، وإن لم يصبها ديك أتت بالبيض ، تحتك بالغبار
وتلد . ومنه إلى نهر ردرات مرحلة ، وهو نهر كبير في أصل جبل وفي أعلاه .

(١) ك : بعدها . (ب) ك : «مصر» بدلا من «في الحصن» . (ج) ك : بسوق
القديم . (د) ك : ثور . (ر) ك : بردون . أنظر الادريسي ،
ص ٧٨ ؛ Fagnan ، ص ١٣٧ هامش ٤ . (س) ك : وفي موسى
خطبة وفي بني زيد وفي وزينة . (ص) «بها» ناقصة في ك .
(ط) ب ، ك : تنش . (ع) ك : الحيدة . (ف) ب : تحكم .
(ك) القراءة في ك : إلا أن في سكانها ذراعة . (ل) ك : وميله طيبة للجرلان .
(م) ك : جذب . (ن) ك : يبنى . (هـ) ك : أتت بالبيض .

(١) البكري (جنياره أو حناوه) ، ص ١١١

مدينة - كرت (د) (١) : وكانت مدينة كبيرة حصينة كثيرة الخير على نظر كبير ، يعمرها قبائل من البربر يقال لهم بيّانة ، وهي اليوم قرية عامرة . ثم منها إلى مدينة البصرة (٢) ، مدينة كبيرة على ربوة مشرفة على بسائط ونظر واسع ، كثيرة الزرع والضرع ليس بتلك النواحي أوسع مرعى منها ، وبكثرة ألبانها كانت تعرف ببصرة الألبان (ب) . وتعرف أيضا ببصرة الكتان ، لأن أهلها كانوا يتبايعون بالكتان ؛ وكانت تعرف بالحمراء لحمرة تربيتها . وكان عليها سور مبني بالحجارة والطوب يحمر من بعيد ، وكانت لها ١٠ أبواب . ونساؤها مخصوصات بالجمال الفائق ، والحسن الرائق ، لم يكن ببلاد المغرب أحمل منهن .

مدينة قصر صنهاجة (٣) : وهي على تل وتحتة نهر لكس (ج) تدخله المراكب ، وتعرف بقصر عبد الكريم ، وكان من أشياخ كتامة القاطنين هناك لرأس فيهم وأستوطن ذلك الموضع . وكانت فيه آثار قدمية ، فبني فيه دارا مهمت قصرأ لعدم القصور بتلك الجهات ، وأحدث الأمر العالي في موضعه في هذه المدة فندقين عجيبين ، وتمدن هذا الموضع ، وشرف وقصده التجار وأستوطنوه . ومصب (د) واديه في البحر على ١٥ ميلا أو نحوها ؛ على المدخل حصن كبير قديم يسمى تشمس قدمنا ذكره (ر) . وكان إدريس بن القاسم بن ابراهيم العلوي (س) قد أحيا رسمه (ص) وأظهره فهو إلى الآن معمور ويسكنه المتعيشون من البحر ، وهو كثير الأمراض وبى الهواء (ط) وخم الماء ، ومنه تشحن المراكب بالزرع .

(١) ك : كرت ؛ الإدريسي ، ص ١٧٠ (قرت) ؛ أنظر Fagnan ، ص ١٣٩ هامش ١ . (ب) ب ، م : الدبان ؛ أنظر Fagnan ، ص ١٣٩ هامش ٣ (ج) « لكس » ناقصة في ب ، م . (د) ب : يصب . (ر) أنظر ما قبل ، ص ١٤٠ (س) أنظر Fagnan ، ص ١٤٠ ص ٥ (ص) ب : استحي ؛ م : استحيا . (ط) « الهواء » ناقصة في ك .

(١) البكري ، ص ١١١ ؛ الإدريسي (قرت) ، ص ١٧٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٤٧ ؛ أنظر Fagnan ، هامش ١ ص ١٣٩ . (٢) قارن البكري (بصرة الدبان) ، ص ١١١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٦٥٣ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٨٥ ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج ١ ص ٤٥ . (٣) قارن البكري ، ص ١١٠ ؛ الإدريسي ، ص ٧٨ ؛ ياقوت ، معجم البلدان (قصر عبد الكريم) ، ج ٤ ص ١١٦ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٥ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٨٤ - ١٨٥

قلعة ابن جندوب (١) (١) : وكانت مدينة كبيرة فيها أسواق ، ولها جنات وأشجار ، وهي كثيرة الزرع والضرع ومنها إلى المنجة وقد ذكرناها . قال المؤلف ، وهذه البلاد كلها في هذا الأمر العزيز بحمد الله مشحونة بالماء ، متصلة المحارث والمزارع في السهول والجبال ، منها جبل زالغ وهو مشرف على مدينة فاس ، كان فيه حصن بناه المظفر بن (ب) المنصور بن أبي عامر . ثم إلى عقبة الأفارق ، ثم إلى نهر سبو حيث محجة القوافل ، وهو نحو ٣٠ ميلا في عمائر متصلة ، وقرى حصينة مانعة كثيرة الزرع والضرع ، ثم من نهر سبو إلى نهر ورغة إلى قصر كتامة المذكور في عمائر متصلة . وطريق أخرى على جبل غمارة ، وذلك أنك إذا أقمت من وادي سبو ، أخذت على يمينك في عمائر متصلة إلى مدينة تاودآ (٢) ، وكانت مدينة كبيرة أسسها الملثون ، يملكونها منها جبل غمارة لتتابع نفاقه عليهم ، وكان يسكنها ولاية المغرب منهم بالعسكر . وكانت في أيامهم معمورة بالمباني الحسان والقصور المنيعة . وهي على وادي ورغة وحواليها قبائل ، وهي على قطر واسع كثير الزرع والضرع ، وعليها جبل منيف فيه حصن كبير من بناء الملثمين (ج) يسمى أمرجوا ، وهو مبنى بالحجارة والجير لا يقدر أحد على هدم شيء منه إلا بالمشقة ؛ وفي أعلى الجبل الماء الكثير . وجبل غمارة (٣) من أنخصب جبال المغرب ، وهو من الجبال المشهورة ، يسكنه قبائل كثيرة من غمارة وهم أم لا تحصى ؛ وفي هذا الجبل بسائط كثيرة لا تحصى للحرث ، ومدن قديمة ، وآثار كثيرة للأوائل ، تنبئ أن عمارته قديمة أزلية . وطول هذا الجبل مسيرة ٦ أيام وعرضه نحو ٣ أيام ، وهو الآن كثير العمارة تشقه الأنهار والمياه السائجة ، ففيه غياض وأودية ومنزهات لا توجد في غيره من الأماكن ، وهو كثير الأعتاب والفواكه

(١) البكري (ص ١٠٩) : ابن خروب ؛ أنظر Fagnan ، ص ١٤١ هامش ١
(ب) «ابن» ناقصة في ك . (ج) ك : المسلمين .

(١) قارن البكري (قلعة ابن خروب) ، ص ١٠٩ - ١١٠ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٤٤٠ - ٤٤١ ؛ أنظر Fagnan ، هامش ١ ص ١٤١

(٢) الإدريسي ، ص ٨١

(٣) البكري ص ١٠٠ وتابع ؛ قارن الإدريسي ، ص ١٧٠ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٨٤ ، ابن خلدون ، العبر ج ٦ ، ص ١٠١ وتابع ، الترجمة (Berb.) ، ج ٢ ص ١٢٤

والعسل والضرع ، وفيه جبال قد لحقت بأعنان السماء علوا ، وحصون كثيرة تمتنع فيها عُمارَة ، وتنفق على الولاة ، بذلك عرفوا حتى كسر الأمر العزيز شوكتهم ، وأباد شرارهم واستأصل شأفتهم . ولأهل هذا الجبل مذاهب شتى ، وسير مختلفة ، وقد تنبأ عندهم إنسان يعرف بحاميم بن آمن الله ولقب بالمفتري (١) (١) . والجبل الذي تنبأ فيه ينسب إليه وهو جبل حاميم على مقربة من تيطاوان ، وأجابه بشر كثير من عمارَة ، وأقروا بنبوته . ووضع لهم قرآنا بل شريعة أستهوهم برخصها ، فرد لهم الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس وعند غروبها ، يسجدون على ظهور أكفهم (ب) . ووضع لهم قرآنا بلسانهم لتفسيره : خلني من الذنوب يا من يخلني النظر ينظر في الدنيا ، خلني من الذنوب يا من أخرج من موسى من البحر . وفيه (ج) : آمنت بحاميم وآمنت بأبي يخلّف وهو والد حاميم واسمه آمن الله ، وفيه (ج) : آمنت بتاليت (د) ، وكانت عمّة حاميم كاهنة ساحرة . وكان لحاميم أخت تسمى أدبؤ (ر) ، وكانت ساحرة كاهنة وكانوا يستغيثون بها في كل حرب وضيق . وكان حاميم فرض عليهم صوم يوم الخميس كله ، وصوم يوم الأربعاء إلى الظهر ، فمن أكل فيهما غرم ٥ أثوار لحاميم . ووضع لجميعهم صوم ٢٧ يوما (س) من رمضان ، وجعل عيدهم في ثاني يوم فطرهم ، وفرض عليهم الزكاة العشر من كل شيء ، وأسقط عنهم الحج والظهر والوضوء ؛ وأحل لهم أكل أنثى الخنازير وقال لهم إنما حرم قرآن محمد (ص) الذكر ، وحرم عليهم الحوت حتى يذكي ، وحرم بيض كل طائر (ط) . ونظم عبد الله الكفيف (ع) الطنجي بهجوه :

-
- (١) النص : بالمفتدي ؛ أنظر Fagnan ، ص ١٤٣ هامش ١
 (ب) أنظر Fagnan ص ١٤٣ هامش ٢ . (ج) - الجمل الواقعة بين
 (ج) ، (ج) ناقصة في ك . (د) البكري (ص ١٠٠) بتائثيت ؛
 أنظر Fagnan ، ص ١٤٤ هامش ١ . (ر) البكري ، ص ١٠٠
 (س) ب : سبعة عشر يوما . (ص) م : حرم في قرآن محمد .
 (ط) هنا تنهى طبة كرم ؛ ب ، م : وحرم عليهم البيض من كل طائر .
 (ع) أنظر Fagnan ، ص ١٤٥ هامش ١

(١) البكري ، ص ١٠٠ ؛ ابن عذاري البيان ، ج ١ ص ١٩٨ ؛ ابن خلدون ، العبر (الترجمة Berb.) ، ج ٢ ص ١٤٣

وقالوا افتراء إن حاميم مرسل
فقلت كذبتم بدد الله شملكم
فإن كان حاميم رسولا فلأنى
روى عن عجوز ذات إلفك (أ) ذميمة
أحاديث إلفك حاك إبليس نسجها
إلهم بدين واضع الحق باهر
فما هو إلا عاهر وابن عاهر
بإرسال حاميم لأول كافر
تقارن في استخارها كل ساحر
يسرونها كتما وبئس السرائر

وجهاز إليه الناصر المرواني من قرطبة عسكريا ، فالتقت معه بأحواز
طنجة سنة ٣١٥ [= ٩٢٧] فهزم وقتل لعنه الله ، وحمل رأسه لقرطبة .

ويقال إنه كان في بعض نبال مجسكة من بلاد غمارة (ب) رجل كان
من السحرة المهرة يعرف بأبي كُسيّة ، وكان أهل موضعه يسمعون (ج) منه
ولا يعصونه طرفة عين ؛ فإن عصاه أحد منهم أو خالفه ، حول كساه الذي
يلتحف به فيصيب ذلك الإنسان في ماله أو بدنه أو كليهما صائبة وعاهة ،
وإن كانوا جماعة أصابهم مثل ذلك ، وكان يخيل إليهم كأن برقة تلوح
من تحت كسائه . ولبنية اليوم وعقبه في تلك الناحية مزية وحظوة على من سواهم .
ومن عجائب غمارة أن عندهم قوما يعرفون بالرقادة ، يغشى على الرجل منهم
يومين وثلاثة فلا يتحرك ولا يستيقظ ، ولو بلغ به أقصى مبلغ من العذاب
حتى يقطع قطعا ، فإذا أستيقظ من غشيته كان كالسكران طول يومه لا يتجه
لشيء ولا يخبر بشيء ، فإذا كان بعد يوم ، وصح (د) ، أتى بعجائب وغرائب
مما يكون في ذلك العام من خصب أو جذب أو فتنة أو هدنة ، وغير ذلك
من الكوائن والأحداث ، وهذا عندهم مستفيض مشهور .

وكان يبلد غمارة المواربة مشهورة متعارفة يفتخر بها نساؤهم (ر) ،
وذلك أن الرجل إذا دخل بأمراته البكر واربها شبان أهل ناحيتها ، فإن رأوها
جميلة حسنة احتملوها وأمسكوها عن زوجها شهرا أو أكثر ثم ردوها ، وربما
فعل ذلك مرارا على قدر جمالها ومقدار الرغبة فيها . ولا يتم لإكرام الضيف
عندهم إلا بأن يؤنسه بنسائهم الأياى منهن : يبيت الرجل مع ضيفه أخته إذا كانت
ثيبا أو ابنته أو من لم تكن ذات زوج من نسائه . وهم يرغبون في الرجل
الحميل أو الشجاع أن يأخذوا منه نسلا ، ولا يتركون ذا عاهة يستقر ببلدهم ،

(أ) « ذات إلفك » ناقصة في ب . (ب) القراءة في ب كالآق : كان في بغض

الأجبال حلة من بلد غمارة . (ج) ب : يسعون . (د) وأصح .

(ر) ب : « في الروم » بدلا من « نساؤهم » .

ويقولون إنه يفسد النسل . وها ، كجارة يحمل كبير ، وكانت لهم فيها سلف شعور ملوأل يسد لونها (١) كشعور النساء ، ويتخذوها ضفائر ويطيبونها ويهتمون بها كثيرا حتى دخل الإسلام بلادهم وتخللها فآلجأتهم الضرورة إلى التشمر والتوعر في الجبال الشائخة فحلقوا رؤوسهم ، وورث ذلك الأبناء عن الآباء (ب) .

قال المؤلف ، ومن المدن والعمائر من مدينة فاس إلى سجلماسة حرسها الله ، مدينة صفروى (١) : وهي مدينة لطيفة قديمة عليها سور ، ذات أنهار ومياه جارية ولها جنات كثيرة الفواكه والأعشاب ، وأكثر شجرها اللوز . ومنها يحمل إلى فاس وغيرها . ومنها إلى فاس (ج) مرحلة ، ومنها إلى تاسغمرت (د) وهو بلد خصب فيه قرى كثيرة وعمائر متصلة ، ومنه يدخل إلى بلاد سجلماسة بعد أيام . ولها طريق آخر من قابس إلى كواتة مدين ، وهو بلد خصيب على نهر سبو ، وله قصبة منيعة ، منها إلى فاس مرحلة ، ثم إلى مغيلة القاط (٢) ، وهو حصن كبير له سوق حافلة وجامع ، وهو كثير الأنهار ومنه يحمل التين المزيب إلى مدينة فاس وغيرها ، ومنه إلى مطاطة أمكسور (٣) ، وهو بلد كبير على نهر ملوية ، كثير الزرع والضرع . ونهر ملوية كبير مشهور في أنهار بلاد المغرب ، وعليه نظر واسع ، وفيه قرى كثيرة ، وعمائر متصلة تسقى كلها من نهر ملوية ، وبعده نظر سجلماسة . وكانت مدينة فاس دار مملكة بنى إدريس العلويين ، وملكوا منها بلاد المغرب إلى أقصى بلاد السوس طاعة في معصية ، وكانت في أيامهم دولة برغواطة الذين تدينوا بديانة الغوى صالح بن طريف الرباطي ، وسيأتي ذكره بعد هذا . وملك العلويون بعض بلاد الأندلس ، وتسموا فيها بأمر المؤمنين ، وخطب لهم فيها بالإمامة (ر) .

(١) ب ، م : يسود لونها . (ب) القراءة في ب : عن الأنبياء عن الأنبياء .
(ج) « وغيرها ومنها إلى فاس » ناقصة في ب . (د) م : ايسغمرت ؛ أنظر البكرى (ص ١٤٧) : تاسغمرت . (ر) ب : بالسلامة .

(١) قارن البكرى ، ص ١٤٦ - ١٤٧ ؛ الإدريسي ، ص ٧٦

(٢) البكرى ، ص ١٤٧ - وقارن الإدريسي (منيلة) ، ص ٧٦

(٣) البكرى ، ١٤٧

دخول العلويين بلاد الغرب

ذكر أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي (١) أن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضه انهزم في وقعة فح سنة ١٦٩ [= ٧٨٦] ، فاستتر مدة ، وألح السلطان في طلبه وضافت عليه المذاهب ، ورغب في الهروب من بلاد المشرق فخرج معه راشد ، وكان من موالى العلويين ، وأصله من البربر ليثويه (١) في قومه ، ويأمن من عدوه . وكان (ب) راشد عاقلا شجاعا أبدا ، ذا فهم ولطف وحزم ، فخرج به في غمار الحاج وغيره زيه وألبسه مِدْرَعة من وحش الثياب وصيره كالغلام يخدمه ، وإن أمره أو نهاه أسرع . فسار به مستخفيا من موضع إلى موضع حتى قربا من بلاد إفريقية ، فترك الدخول به في بلاد إفريقية (ج) ، وسار به إلى بلاد البربر حتى انتهى إلى بلاد فاس وطنجة ، فنزل به في مدينة وليلي (٢) ، وكانت مدينة رومية قدمة بطرف جبل زرهون في الغرب منه ، وتسمى الآن تينسيرة . فنزل بها علي اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوراني ، وكانت أوربة آن ذاك من أعظم قبائل بلاد المغرب ، وكانت لها (د) مدن كثيرة منها مدينة سكوما (٣) ، وكانت على مقربة من فاس ، وكانت مدينة عظيمة لم يكن بالغرب أعظم منها . يقال إن موسى بن نصير لما دخل بلاد المغرب ، نازل مدينة سكوما وحصرها حتى افتتحها عنوة ، وأخذ فيها سبيا كثيرا ، وكتب إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان يقول له : قد بعثت إليك بسبي مدينة سكوما ، وهو مائة ألف رأس (ر) ؛ قيل فكتب إليه الوليد بن عبد الملك : ويحك أظنها من بعض كذباتك ، فإن كنت صادقا ، فهذا حشر الأمم ؛ وكذلك يقال إنه قتل فيها ما لا يحصى له عدد (س). وكان اسحاق

(١) ب : ليثور به . (ب) ب : والآن .

(ج) الجملة الأخيرة ناقصة في ب . (د) القراءة في النص : وكانت فيها .

(ر) ب : فارس . (س) القراءة في ب مضطربة كالأقي : وكذلك يقال له

أنه لما قتل فيها ما لا يحصى له عدد .

(١) أنظر البكري ، ص ١١٨ وتابع (وعن وقعة فح ، ص ١٢١) .

(٢) البكري ، ص ١١٨ ؛ ابن عذاري البيان ، ج ١ ص ١٢٧ . وعن وليلي أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٩٤١

(٣) البكري (سكودا) ، ص ١١٧ - ١١٨ ؛ وينقل ياقوت نفس القصة عن البكري (معجم البلدان ج ٣ ص ١٠١) .

ابن محمد الأوربي معتزلي المذهب لوالده إدريس على مذهبه ، وأقام عنده ، وأمر اسحاق قبيلته بطاعته وتعظيمه . وكان ذلك في خلافة هارون الرشيد أمير المؤمنين ، فوصله خبره ، فغمه ذلك ، فشكا ذلك إلى يحيى بن خالد ، فقال له أنا أكفيك خبره يا أمير المؤمنين . ثم أرسل إلى سليمان بن جرير الجزيري (أ) وكان رجلا من ربيعة متكلماً ممن يرى رأى الزيدية متعصباً لآل أبي طالب ، وكان جلدا شجاعاً ، أحد شياطين الإنس وكانت له إمامة في الزيدية ، وهو الذي جمع الرشيد بينه وبين هشام بن عبد الحكم حين ناظره في أمر الإمامة ، ولذلك قصة طويلة . قال فأرغبه يحيى بن خالد في المال ووعدته عن نفسه وعن أمير المؤمنين بمواعيد عظيمة ، ودعاه إلى قتل إدريس ، والتلطف في أمره . فأجابه إلى ذلك وأعطاه مالا جزيلا ودفع إليه قارورة فيها غالية مسمومة ، ووجه معه رجلا من ثقاته . فانطلق سليمان مع صاحبه ، فلم يزالا يتغلغلان في البلاد حتى وصل إلى إدريس ، وكان إدريس عالما برياسة سليمان بالزيدية (ب) ، فلما وصل إليه قال : إنما جئتكم بنفسي وحملتها على ما حملتها عليه لمذهبي فيكم أهل البيت ، فجئتكم لا في حاجة إليكم إلا لأنصركم بنفسي ؛ فُسرَّ (ج) إدريس بقوله ، وقبله أحسن قبول ، فأحسن نزله وأكرم مثواه وأنس به . فكان سليمان يجلس في مجالس البربر ويظهر الدعاء إلى ولد رسول الله صلعم ، ويحتج لأهل البيت كاحتجاجه بالعراق . فأعجب ذلك إدريس منه ، ومكث عنده مدة ، وهو يطلب الغرة فيه ويرتصد الفرصة في أمره ، فدخل عليه سليمان ومعه القارورة ، فلما انبسط إليه إدريس وأخلى له وجهه ، قال له سليمان : جعلني الله فداك ، هذه القارورة فيها غالية رفيعة أوصلتها معي وأعلم أنه ليس ببلدك طيب فجئتكم بها ، ووضعها بين يديه ؛ ففتحتها إدريس وشمها وتخلق بها . وقيل أخرج سكيناً ، وقطع به تفاحة ، وأعطاه النصف الذي يلي الجهة المسمومة من السكين ، ثم انصرف سليمان إلى صاحبه وقال له قم ، قد تم مرادنا لنا ، وقد كان أعد فرسين فركباهما ، وخرجا يطلبان (د) النجاة . فلما وصل السم إلى خياشيم إدريس ، وتغلغل في دماغه سقط مغشياً عليه لا يعقل ، ولا يدري من يحتضر به من أهله وحاشيته ما شأنه . قال فبعثوا إلى راشد فجاء مسرعاً

(أ) النص : الجوري . الظرف Fagnan ، ص ١٥٠ هامش ١ .

(ب) ب : بالبربرية . (ج) ب : لبربر . (د) ب : بركضان .

وتشاغل في معالجته ، وتحبروا في أمره . وقطع سليمان مع صاحبه بلادا كثيرة في تلك المدة ، قيل فبقى إدريس في غشيته عامة نهاره وليله ، تضرب عروقه حتى مات رضى الله عنه . فتبين لهم أمر سليمان بن جرير ، قال فركب راشد في طلبه مع جماعة من أصحابه فجد السير حتى لحقهما وجدة ، لأن فرسه صبر أكثر من خيل أصحابه فأدركهما ؛ فشد عليهما راشد ، ففر صاحب سليمان ولم يغن شيئا ، فضرب راشد سليمان ثلاث ضربات بالسيف على وجهه ورأسه ، كل ذلك لا يصيب مقتلا ، مع دفع سليمان عن نفسه ، وعجز فرس راشد عن إدراكه . فلما رجع عنه راشد ، نزل فعصب جراحاته ، وسار حتى لحق بالمشرق . قال أبو الحسن النوفلي : فحدثني من رآه بالعراق بعد ذلك مكثع اليد . قال النوفلي : كانت مدة إدريس الواصل من المشرق التي أجابته فيها البربر إلى أن مات بوليلي سنة ١٧٥ [= ٧٩١] ^(١) ثلاثة أعوام وستة أشهر .

قال أبو الحسن : ومات إدريس ولا ولد له وترك جارية من جواريه حُبلى ، فقام راشد بأمر البربر حتى ولدت الجارية غلاما فسماه باسم أبيه ، وقام بأمره ، وأحسن تأديبه . وتوفي راشد فقام بأمر الغلام أبو خالد يزيد بن الياس ، وأخذ له بيعة البربر سنة ١٩٢ [= ٨٠٨] ^(٢) ؛ ثم مشى إدريس بن إدريس نحو فاس فاستوطنها واتخذها دار مملكة . وتوفي إدريس بن إدريس وهو ابن ٣٣ سنة ، وكانت منيته نخبه عنب اختق بها ، فلم يزل مفتوح الفم سائل اللعاب حتى مات . وترك من الولد ١٢ ذكرا ، فكان المتولى للأمر من بعده ابنه محمد بن إدريس ، فاستوطن مدينة فاس ؛ وفرق البلاد على إخوانه ، وفعل ذلك برأى جدته كنزة أم إدريس . ويقال إنه خالف عليه بعض إخوانه ، وكانت بينهم حروب يطول وصفها . ثم توارث الملك بنو إدريس بالمغرب ، يأخذ الخلف عن السلف ؛ وجاز منهم إلى جزيرة الأندلس على بن حمود ^(١) . وكان فيما يذكر يميل إلى الفتوة ، فاغتاله فتيان من الصقالبة في حمام قرطبة فقتلوه ^(٢) ،

(١) النص : جاز منهم إلى جزيرة الأندلس بنو حمود . أنظر البكرى ، ص ١٢٢

(١) البكرى ، ص ١٢٢ . قارن ابن عذارى البيان ، ج ١ ص ٢١٧
(٢) يحدد البكرى لاعتلاء إدريس ابن إدريس العرش سنة ١٨٧ = ٨٠٣/٢ ؛ أنظر روض القرطاس ، ص ١٠ وتابع ؛ ابن خلدون ، المغرب ، ج ٤ ص ١٢ وتابع .

(٣) البكرى ، ص ١٢٢

وقتلوا به . وترك من الولد يحيى وإدريس ، فولى عهده يحيى وكان صاحب بلاد المغرب : فاس وغيرها ، وجعل إدريس بمدينة مألقة . فلما قتل على بن حمود وكان الابن الحاقين ، استدعى البربر أخاه القاسم بن حمود ، وأدخلوه القصر بقرطبة ، وبايعه الناس وخطب له بالخلافة ، فوصل الجند إلى ابن أخيه يحيى وهو بالمغرب ، فأنف من ذلك لما كان عهد إليه أبوه ، فبعث إلى أخيه إدريس بمألقة (١) وجاز إليه فتركه مستخلفا بمدينة فاس وبلاد المغرب ، وعبر يحيى إلى الأندلس لطلب حقه عند عمه القاسم . فلما قرب من قرطبة هرب عمه القاسم وبويع يحيى بقرطبة ويسمى بالمعتلى ؛ ثم إن البربر اضطربوا فهرب من قرطبة إلى مألقة ، ورجع عمه القاسم إلى قرطبة وتسمى بالمأمون . ثم أخرج ابن أخيه يحيى من قرطبة مرة ثانية ، ففشى إلى إشبيلية ، وسكن بها حتى أخرجته محمد بن عباد ؛ فسار إلى شريش ، ونزل عليه يحيى ، وحصره بها حتى أخذه بها مع بنيه وسجنه . واستوثق الأمر ليحيى بن علي حتى قتل سنة ٤٢٧ [= ١٠٣٦] ، وقام زنادة على أخيه إدريس بالمغرب ، وملكوا مدينة فاس وغيرها فسكن إدريس بسبته ، فلما وصله موت أخيه يحيى خطب له بالخلافة وتسمى بالعزير بالله ، ثم عبر البحر إلى مألقة ، وخطب له بالخلافة فيها ، ثم اتصلت الفتن حتى انقطعت دولة بني إدريس من بلاد المغرب .

ذكر ارتداد برغواطة (١) ومن دخل معهم من قبائل البربر في (ب)
الإسلام ، والسبب (ج) في ذلك

قال الناظر ، دخل بلاد تامسنا رجل اسمه صالح بن طريف ، وأصله من رباط الأندلس يهودى النسب من سبط شمعون ، وكان رحل إلى المشرق ، وقرأ على غيلان القدرى ورأى من السحر كثيرا ، فدخل إلى بلاد تامسنا ، فوجد فيها من زنادة قوما جهالا ، وكان ذلك سنة ١٢٣ [= ٧٤١] . فأظهر الإسلام والنسك حتى استفز عقولهم ، فولوه على أنفسهم ، فلما ولي شرع الديانة التي أخذوها عنه ، وأنا أذكرها .

(١) النص : فبعث إلى أخيه إدريس إلى مألقة . (ب) كلمتا « البربر في » ناقستان في ب . (ج) ب : والهـب .

(١) البكرى ، ص ١٣٤ وتابع ؛ لا يذكر الإدريسي (ص ٧٠) شيئا عن ذلك ؛ قارن ابن حوقل ، ص ٥٦ - ٥٧ ؛ وروى القرطاس ، ص ٨٢ وتابع ؛ ابن خلدون ، العبر (الترجمة Berberes) ، ج ٢ ص ١٢٥

قال المسعودي والبكري (١) وغيرهما من المؤرخين إنه كان يقول إنه صالح المؤمنين الذي ذكره الله في قرآن محمد . وعهد صالح إلى ابنه إلياس بديانته وعلم شرائعه وفقهه في دينه ، وأمره ألا يظهر الديانة حتى يظهر أمره وينتشر ذكره فيقتل حينئذ من خالفه ، وأمره بموالاة أمراء الأندلس . وخرج صالح إلى المشرق ووعد ابنه أنه يرجع في دولة السابع من ملوكهم ، وزعم أنه المهدي الأكبر الذي يكون في آخر الزمان لقتال الدجال ، وأن عيسى بن مريم يصلي خلفه ، وأنه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . وذكر في ذلك كلاماً نسبته إلى موسى ، وإلى سطيح الكاهن وإلى ابن عباس وزعم أن اسمه بالعربي صالح وكذلك في السرياني ، وأوربياً بالعبراني وورى وراباً بالبربري . وتأول قول رسول الله صلعم : « لا نبي بعدي » فأوله بضم الياء (ب) من نبي ، وقال اسمي لا وأنا نبي بعده . فولى إلياس الأمر بعد خروج أبيه إلى المشرق بدعوة الإسلام وكنم الشريعة التي عهد إليه أبوه خوفاً وتقية ، ولم يظهر شيئاً من ديانته إلى سنة ٧٣ [١] [٧٨٩-٧٩٠] ، فكان ملكه ٥٠ سنة . فولى بعده ابنه يونس ، فأظهر ديانتهم ودعا إليها ، وقتل من خالفها إلى أن مات سنة ٧٥ [١] [٧٩١-٧٩٢] ، فولى بعده أبو عفر معاد بن يونس ابن إلياس بن صالح بن طريف ، وأظهروا ديانتهم واشتدت شوكتهم ، وكانت له وقائع كثيرة في البربر ، وكانت له من الزوجات ٤٤ زوجة . ومات أبو عفر سنة ٢٣٠ [٨٤٤-٨٤٥] وولى ابنه أبو جعفر حفص ، ولم يزالوا يتداولون هذه الديانة إلى غزو عبد الله بن ياسين الجزولي إياهم ، فملك منهم سبعة وفنيت دولتهم سنة ٤٩٩ [١٠٥٧] . ولما كان أصل هذا الشيخ الملعون من برباط قيل لكل من دخل في دينه برباطي فأحالتها العرب بالسنتها فقالت بربغواطى ، فمن أجل هذا سموا بربغواطية ، وإنما أصلهم زناتة وهم أعلم عباد الله بالسحر مما أخذوا عن أسلافهم .

وأما الضلال الذي شرع لهم فلمهم يقرون بعد الإقرار بالنبين بنبوة صالح ابن طريف ومن يتولى الأمر من بعده ، وأن الكلام الذي وضع لهم وحى من الله لا يشكون فيه ؛ ويصومون رجب ، ويأكلون رمضان ، وأن الفروض عليهم

(١) كلمات «قال المسعودي والبكري» ناقصة في ب .

(ب) يوجد هنا خرم في المخطوط «ب» يقدر بعدة صلصات (أنظر فيما بعد هامش ب ص ٢٠١) .

لحس صلوات بالليل وه صاوات بالنهار ، وأن الأضحية واجبة في ١١ من المحرم ، وفي الوضوء غسل السرة والمخاضتين ، ثم الاستنجاء ثم المضمضة ثم غسل الوجه ثم غسل العنق والقفأ ثم غسل الذراعين من المنكبين وغسل الرأس ٣ مرات ، ومسح الأذنين ثم غسل الرجلين ، وبعض صلاتهم إنما يسجدون وبعضها على هيئة صلاتنا . ويسجدون ٥ سجودات ، ويرفعون جباههم وأيديهم عن الأرض ويضع يده اليمنى على اليسرى ويقولون باسم ياكش (أ) تفسيره : باسم الله ، مقر ياكش مقر يتجن ، تفسيره : العظيم الله العظيم الأعمال . ويضعون أيديهم مبسوطة على الأرض طول ما يشتهون ، ويقرأون نصف قراءتهم في وقوفهم ، ونصفا في ركوعهم ، ويقولون في تسليمهم بالبربرية : الله فوقنا لم يغب عنه شيء في السماء ولا في الأرض ، ثم يقولون بعد التسليم : الواحد الله ، وردام ياكش معناه : لا شيء مثله . ويأخذون في الزكاة العشر من جميع الثمار ولا يأخذون من المسلمين شيئا ، ويتزوج الرجل من النساء (ب) ما قدر عليه ، ولا يتزوج من بنات عمه إلا ما يحلوا من النساء ويطلقون ويراجعون . ويقتلون السارق الذي عندهم ، وعلى من قتل فدية من البقر ، ورأس كل حيوان عندهم حرام ، والحيوت لا يؤكل حتى يذكي ، ويرجم الزاني عندهم ، كان بإقرار أو بشبهة . والديكة عندهم حرام ، والدجاجة مكروهة إذا اضطرب إليها . ولا إقامة للصلاة عندهم ، ويقتدون في الأوقات بصياح الديكة ، ويبصق في أيديهم فيتلقونه تبركا به ويحملونه إلى مرضاهم فيستشفون به .

وكان الضلال الذي وضع لهم هذا ٨٠ سورة منسوبة بأسماء النبيين وغيرهم ففيها : سورة آدم وسائر النبيين المشهورين ، وفيها سورة أيوب ، وسورة يونس وسورة فرعون ، وسورة الديك وسورة الحجل ، وسورة الحراة وسورة الحمل ، وسورة هاروت وسورة ماروت ، وسورة الحشر ، وسورة غرائب الدنيا ، فيها علمهم ، وصلوات الله وسلامه على أنبيائه ورسله وملائكته تتجدد إلى يوم الدين .

(أ) البكري ، ص ١٢٩ : اسم ياكش .

(ب) النص : «المسلمات» ، ولكن قراءة البكري «النساء» أفضل . أنظر Fagnan ،

ص ١٦٠ هامش ١

ذكر كلمات هي استفتاح كتابهم ؛ فلما ترجم منه : بسم الله الذى أرسل رسله إلى الناس وهو الذى بين لهم مع أخباره علم إبليس ، أبى الله أن يعلم إبليس ما علم الله رسله من شئ ، ويقلب الألسن فى الأقولة ليس يقرب الألسن فى الأقولة إلا لا إله إلا الله ، بقضائه نطق اللسان الذى أرسل الله بالحق إلى الناس ، وبه استقام الحق وأثار . محمد كان حين عاش استقام الناس للدين فلما مات فسد الدين ، كذب من يقول إن الحق استقام وليس ثم رسول . وهى سورة طويلة ، ولولا خروج الكتاب عن قصدنا لذكرنا قراءتهم ، وشرحنا ديانتهم وبيتنا كفرهم .

ذكر القبائل الداخلين فى هذه الديانة : بَرِغُوَاطَة ، وَجَرَاوَة ، وَزَغَاوَة ، وَزَوَاغَة ، وَالْبَرَانِيس ، وَبَنُو أَبِي قَاضٍ ، وَتَجْطَة ، وَبَنُو وَآعِم ، وَمَطْفَرَة ، وَبَنُو يُوَزْغ ، وَبَنُو دَمَر ، وَمَطْطَاطَة ، وَبَنُو وَكِيسْت ، وَبَنُو تَاسْلِيَت . ومن تدن لهم من المسلمين : زَنَاتَة الْجِبَال ، وَبَنُو تَلِيَت ، وَبَنُو وَانْسِيَت ، وَبَنُو تَانِيَت . ولم يزلوا على تلك الديانة إلى عام ٤٥٢ [= ١٠٦٠] .

مدينة تَادَلَا (١) : هى مدينة قديمة فيها آثار للأول ، وبنى فيها المثلثون حصنا عظيما منيفا ، وهو الآن معمور ، فيه الأسواق والجامع . والبلد كله كثير الخيرات والأرزاق ، وأحاطت به القبائل من كل الجهات ، فهو حقيق بالملكة ؛ والأمر العزيز أدام الله دوامه ملتفت له محتاط عليه .

مدينة تَلِيَت (٢) : هى مبسوطة بين القبائل القبلية ، وعليها تمر القوافل ، وفيها حصن منيع رتبت فيه الجند ، وعمره الوالى ، وحوله الأعناب الكثيرة والثمار ، والمياه المطردة ، والعمائر .

مدينة سِجِلْمَاسَة (٣) : مدينة عظيمة من أعظم مدن المغرب ، وهى على طرف الصحراء لا يعرف فى قبلها ولا غربها عمران ؛ بينها وبين غانة صحراء

(١) قارن الإدريسي ، ص ٧٥ (تشهر المدينة بزراعة القطن) ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٨٠ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ١ ص ١٩٤ .

(٢) لم نعرف شيئا عن هذه المدينة .

(٣) البكري ، ص ١٢٨ وتابع . قارن الإدريسي ، ص ٦٠ - ٦١ ؛ ياقوت ، معجم =

مسيرة شهرين في رمال وجهال نهر هامة قليلة الماء ، يسكنها قوم من مسوكة رحالون لا يستقر بهم مكان ، ليس لهم مدن ولا عمارات يأوون إليها إلا وادي درعة وبينه وبين سجلماسة ٥ أيام . ومدينة سجلماسة محدثة بنيت سنة ١٤٠ = ٧٥٧ [٧٥٨] ، أسسها مدرار بن عبد الله وكان رجلا من أهل الحديث ، يقال إنه لقي بإفريقية عكرمة مولى بن عباس وسمع منه ؛ وكان صاحب ماشية وكان كثيرا ما ينتجع سجلماسة وكان الموضع سوقا يجتمع فيه بربر تلك النواحي . فاجتمع إلى مدار قوم من الصُفيرية فلما بلغوا ٤٠ رجلا قدموا على أنفسهم مدرارا وشرعوا في بناء سجلماسة فبنوها ثم سورها (١) أبو المنصور بن أبي القاسم ابن مدرار ، ولم يشركه في الإنفاق في بنائه أحد . أنفق فيه مدى ألف مئذ طعاما .

وذكر آخرون أن رجلا حدادا اسمه مدرار وكان من ربضية قرطبة خرج من الأندلس عند وقعة الرَبَض فَنَزَلَ منزلا بقرب سجلماسة ، وموضع سجلماسة إذا ذاك سوق البربر بتلك النواحي ، فأنشأ بها مدرار خيمة وسكنها فبنى الناس حوله ، فكان ذلك أصل عمارتها ، وكان رجلا أسود وأولاده قد هُجُوا بذلك .

ولمدينة سجلماسة ١٢ بابا ، ولها بساتين وهي كثيرة النخل والأعناب وجميع الفواكه ، وزبيب عنها المعرش الذي لا تناله الشمس لا يُزَيَّب إلا في الظل ويسمى الطلى ، وما أصابته منه زبيب في الشمس . وهي على نهرين من عنصر واحد في موضع يسمى أكلف (ب) ، وتمده عيون كثيرة ، ولهم مزارع كثيرة يسقونها من النهر في حياض كحياض البساتين ؛ وتزرع أرض سجلماسة عاما ويحصد من تلك الزريعة ٣ أعوام لأنه بلد مفرط (ج) الحر شديد القبط . فإذا يبس الزرع تنثر عند الحصاد وأرضهم مشققة فيقع ما يتناثر من الحب في تلك الشقاق ، فإذا كان العام الثاني أخرجوا النهر على عادتهم لأن ماء المطر قليل فيها وحرثوا بلا بذر ؛ وكذلك العام الثالث . وقمحهم رقيق الحب يسع مئذ النبي صلعم من قمحهم ٧٥ ألف حبة ، وهم يأكلون الزرع إذا خرج شطئه وهو عندهم مستظرف وذلك لغلبة الجذب عندهم . ومن العجيب بمدينة سجلماسة أنها ليس بها ذئاب (د) ولا كلاب لأنهم يسمنونها ويأكلونها كما يصنع أهل

(١) م : صورها . (ب) هنا ينتهي الحرم الأخير في «ب» أنظر هامش ب ص ١٩٨ (ج) ب : مطرق . (د) النص : ذباب .

= البلدان ، ج ٣ ص ١٥ ١ مرصد الاطلاع ، ج ٢ ص ١٤ ؛ الدمشق ، ص ٢٣٨ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٥ ؛ الهمداني ، ص ٣٥٩ ؛ المقدسي ، ص ٢٣١ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٨٩

الجريد : قسطنطينية وغيرها . ويسمون الكنائس عندهم المحرمين ، والبنائون عندهم يهود لا يتجاوزون بهم هذه الصناعة ؛ وكذلك كانوا يبلاذ بني الناصر .

قال الناظر كان هذا في الزمان المتقدم ، وأما الآن فهم تجار أهل هذه البلاد كلها وأغنياؤها وخاصة بمدينة فاس فإن عاينت منهم من يقال إن عنده المال الممدود رجلا كثيرا . وقد كان تنبه لهم الأمر العالى أيد الله دوائمه سنة ٨٢ [٥] [١١٨٦ =] فلبس (١) المرتشون وشوش المشوشون وخوف المفتشون ، فأرجأ القدر السابق هذا إلى نهاية أمد عزهم وابتداء نكستهم إن شاء الله وذهرهم وهى سنة ٥٧١ من (ب) الهجرة . والسبب في تسخير أهل سحلماسة لليهود في هاتين الحرفتين الرذيلتين كونهم محبين في سكنى بلدهم للاكتساب لما علموا أن التبر بها أمكن منه بغيرها من بلاد المغرب لكونها بابا لمعدنه ، فهم يعاملون التجار به ليخدعونهم بالسرقة وأنواع الخدائع . ولما علم منهم أبو عبد الله الداعى ما هم عليه من ذلك عند استخراج عبيد الله من سجن اليسع بن مدرار بها ، وكان الذى نص عليه ونم به لليسع يهودى وحكى عبيد الله لأبي عبد الله ما جرى له معه ، قتل منهم الأغنياء وأخذ أموالهم بالعذاب ، وأمر من شاء أن يقيم منهم بالبلد في أن يتصرف في هاتين الحلتين ، فن دخل في الكنائس من أصناف الناس سموهم المحرمين لاجترامهم على خرفة موقوفة على اليهود . وقصروا البناء عليهم خاصة لأنهم خائفون أبدا من أن يخون أحدهم المسلم فيهلكه ، فهم ينصحونهم في البناء ويلازمون الخدمة دون خروج لقرائض الصلوات ولا لغير ذلك من ملازم العبادات ، فتأتى خدمتهم موفرة سريعة . وهم الآن قد مازجوا المسلمين وداخلوهم وهو الغزالدى كانوا يرتقبونه في سالف الأزمان ، وبعده الزلة الدانية لهم القاصمة إن شاء الله لظهورهم ، المستأصلة لشافهم عما قريب كما قدمنا .

ذكر السبب في ثورة الداعى ودخوله سحلماسة (١) : كان الداعى محققا لوجود الإمام المهدي ، جاهلا لزمانه طامعا أن يصادفه لمحبة المرء في نفسه .

(١) ب : فلبس . (ب) م : سنة إحدى وتسعين .

(١) لا نعرف المصدر الذى نقل عنه المؤلف الفصل الخاص بالفاطميين . قارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ١٧ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٤١ ، ابن هدارى ، البيان ، ج ١ ص ١٥٠ وتابع ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ص ٣١ وتابع وملحق الترجمة (Dorb) ج ٢ ص ٥٠٦ وتابع .

قال الداعي خرجت يوما إلى شاملي دجلة لأتفرج ، فجلست على ضفة النهر
أقرأ سورة الكهف فإذا بشيخ حسن الملبس والمركب معه غلام ففرش له على
ضفة النهر ، فجلس وأنا أقرأ حتى انتهيت إلى قوله تعالى : « حتى إذا لقيا غلاما
فقتله » إلى قوله : « فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا » إلى آخر الآية . فقال لي
الشيخ : أنت تزعم ممن يقول بالعدل والتوحيد ؟ قلت له نعم . قال فكيف تقتل
نفسا خشي أن يكون وأن لا يكون ؛ فقلت له إني لعلم هذا لفقير ؛ فقال لي
سأعلمك إذا التقينا إن شاء الله . ثم ركب دابته وانصرف ، فسألت غلامه
من هو فقال لي : هو محمد بن اسماعيل بن الحسن بن علي بن جعفر بن علي
ابن موسى بن جعفر بن علي الصادق بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي
ابن أبي طالب رضيه وعن جميعهم . قال الداعي فعند ما سمعت ذلك لم أتمالك
أن قبلت رأس الغلام وتعلقت بركاب الشيخ ، وضرعت إليه أن يعلمني السبيل
إلى معرفة الإمام ؛ فأشار إلى في الوصول إلى منزله ، فسرت معه فأدخلني ووجدت
ولده عبيد الله ومعه أحد عشر رجلا ، فقال لهم هذا ثاني عشر تكم . فأنزلي أرفع
منزلة فلما استقر بي المجلس قال لي : قد حان وقت ظهور الإمام وهذه الدعاة
خارجة إلى الأقطار ، وأنا أريد توجيهها إلى المغرب لأن جعفر بن محمد الصادق
زرع بالمغرب بذرا فأنت تحصده إن شاء الله ؛ إذ هب إلى مكة فإنك ستجد بها
قوما من كتامة فاعرض نفسك لهم في تعليم أبنائهم ؛ فإذا وصلت معهم إلى بلادهم
فأعلمهم بظهور الإمام وأن زمانه قد حان وخاطبنا . فإذا استوثق الأمر
نهضنا إن شاء الله ، ودفع إلى مالا وشيعة فأنصرفت وأنا متعجب من دعواه ،
ومرتاب في أمره . فلما عاينت خروج الدعاة وحدهم احتسبت نفسي من جملتهم ،
فسرت إلى مكة - كرمها الله - فألفت كتامة ، فعرضت نفسي عليهم ، فتلقوني
بالقبول ، وسرت معهم إلى بلادهم فنزلت في بجاية بالجبل المعروف ببني
زلدوي . وجعلت أعلم أبنائهم ، فقالوا نحن أحوج إلى التعليم منك من أبنائنا
فجعل يقول لهم : هذا زمان الإمام المهدي الفاطمي قد حضر ، وذلك في خلافة
عبد الله سنة ٢٨٠ = ٨٩٣ . وكان الداعي يأخذ صدقاتهم ، وعشوراتهم
وأمرهم بالدعوة إلى ما دعاهم إليه ، وقتل من خالفهم إلى أن مات الشيخ والد
عبيد الله ، وهرب الولد فارا إلى مصر ، فلم يعلم بدخوله فيها . وقد كانت

مخاطبات المعتضد نفذت إلى ابن طولون (١) بمصر وإلى اليُسْع بن مِندَرار وإلى نِجْلَمَاسَة في طلبه . فلما خرج عبيد الله من مصر تنبه له فطلب فوجد راجعا قد طلب كلبا كان هرب لهم ، فحمل إلى الوالى فذكر أنه صائد قد هرب (ب) له كلبه فطلبه ، وشهدت له البيعة بذلك وقيل أعطى للوالى ما كان معه من المال (ج) فأطلقه . ووصل لسجلْمَاسَة فنص عليه اليهودى كما قدمنا ، وسجنه اليُسْع بن مدرار في منزل أخته في غرفة وكبله ، وتبعه ولده القاسم فسجنه في قرية بالقرب من نِجْلَمَاسَة ؛ فخاطب أبا عبد الله الداعى وأعلمه بحاله من الأسر والخوف ورغب إليه في استنقاذه ، فاستنفر الداعى قبائل كتامة ومن استجاب لدعوته ، وقصد سجلْمَاسَة فدخلها لحينه وفر اليُسْع فقتله طائفة من رعيته لحقد كانوا يجدونه له . ووصل الداعى من فوره لدار بنت مدرار واستخرج عبيد الله من سجنه وكسر كبله بيده وأركبه بغلة وكساه برنسه وقال لهم : هذا مولاي الإمام فهو مولاكم . فقال له عبيد الله : قل لهم هو المهدي بن المهدي سلالة الهداية ، وسر من فورك واستخرج مولاك أبا القاسم من سجن عدو الله وعدو أوليائه . فهض الداعى راحلا واستخرج أبا القاسم ابن عبيد الله وأركبه بغلة أخيه أبي العباس ، واستخرج أهل نِجْلَمَاسَة من مواطنهم وقال لهم : لا يحل لكم أن تستوطنوا بلدا امتحن فيه الإمام ؛ ففرعوا من سطوته لما عابنوا منه ما صنع باليهود كما قدمنا . فلما خرجوا معه أمر بسلبهم ، ففتشوا كلهم رجالا ونساء وأخذ أموالهم وصرفهم : وقيل إنه تحصل له من التبر ومن الحلى وقر ١٢٠ جملا أدخلها رقادة وباع بها لعبيد الله وأقامه وأدخله القبروان وبني المهدي . فكان عبيد الله يتساكرو ويقتل جواريه ويرمى بهن خارج القصر . وأظهر مذهبه الذى يزعم الشيعة أنه مذهب أهل البيت ، فأنكر كتامة ذلك واجتمعوا مع الداعى وأخيه أبي العباس وكان مصمما فقال لهم الداعى إن الدعاء لأهل بيت رسول الله صلعم واجب ، وإن الإمام المهدي حق وإن الزمن مجهول عندى ؛ وكنت ارتبت في والد عبيد الله فكيف لا يرتاب

(١) النص : ابن طليمين ؛ أنظر Fagnan ، هامش ١ ، ٢ ص ١٦٩
(ب) ب : فهرب . (ج) «من المال» ناقصة في ب

(١) يلاحظ أن المكتن كان في هذا الوقت خليفة وأن والى مصر كان يدعى عيسى النوشري . قارن Fagnan ، هامش ١ ص ١٦٩

فيه ، سيروا إليه ولولوا له ؛ إن أبا عبد الله وأبا العباس قد شكّا في الخاتم الذي ذكرت أنه بين كنفك فأره لنا ، فإن لم تعينوه فشأنكم به . قال فعند ما وصلوا إليه ، وقالوا له تلك المقالة ، قال لهم ألم يعلمّا كما قيل لهما أيقنا به ؟ قالوا نعم فقال لهم : الشك لا يزيل اليقين . والتفت إلى صاحب شرطته فقال له : يا عروبة آتني برأسيهما ؛ ففي الحين نهض عروبة إليهما متكررا فقال له أبو عبد الله وكان له عليه حق مرتبته : ما الذي أتى بك يا عروبة ؟ فقال الذي أمرتني بطاعته أمرني بقتلك . فقتلهما وأتى برأسيهما بحضرة أشياخ كتامة ، وأمر بالكتب إلى الأمصار أن أبا عبد الله أحدث حدثا فظهرناه بالسيف ، ولم تكن تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحد عليه . وتمهد أمر عبيد الله . وهو الحقيقة كما ذكر أبو بكر محمد بن الطيب في كتابه في وصف القرامطة : أنه عبيد الله والده عبد الله بن سالم بن عبدان الباهلي ، وأن جده سالم صلبه المهدي العباسي على الزندقة على ما قاله الذين فحصوا عن أمره . ومات عبيد الله بالمهديّة سنة ٣٢٢ [= ٩٣٤] وولي ولده أبو القاسم فأظهر مذهبه وسماه مذهب أهل البيت نسبة إلى جعفر ابن محمد الصادق وإلى علي بن أبي طالب رضيهما - وحاشاهما منه والعياذ بالله من هذا المعتقد . فنه توريث البنت إذا انفردت بجميع المال كله ، والله تعالى يقول : « وإن كانت واحدة فلها النصف » . وأسقط الرجم عن المحصنين في الزنا ، وأسقط المسح على الخفين ، وأسقط من الأذان « الصلاة خير من النوم » ونادى في الصبح « حي على خير العمل وعلى خير البشر » ، والصوم بالعلامة والفطرها لا بالروية فيأتي قبل صوم المسلمين يوم وقبل فطرهم بيوم في أكثر الأعوام . وأحل المطلقة ثلاثا ، وأسقط أيمان الحرج . ولولا خروجنا عما قصد إليه الواضع (١) لشرحنا ديانتهم وبيننا كفرهم . وسماهم الأخوة والمؤمنين وأمر ألا يقيم الحد أحد إلا أبوه أو ابنه أو أخوه أو قريبه . ثم أمرهم بالجهاد لمن خالف مذهبهم . فقام عليه أبو زيد مخلص بن كيسان بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلص بن عثمان بن ربيب بن سيران بن يفرن بن صره بن يورسيف بن جنا (ب) بن يحيى بن ضرليس بن جالوت . وكان على مذهب الصفريّة النكار وقر على عمار الأعمى في المشرق ، وكان قيامه في أول سنة ٣٣٢ [= ٩٤٣] .

(١) الحملة الأخيرة ناقصة في ب . (ب) ب : جلنا .

ذكر المؤرخون أنه كان يعمل أكواما (١) من رؤوس المسلمين رعية الشيعي ويأمر المؤذنين (بالآذان) عليها . وأخذ لشيخ من المسيلة ٥٠ ألف منقال وابنتين أبكارا فشغل الشيخ هم بنتيه عن ماله ، فجعل يطلبهما في المحلة حتى وجدهما عند باب خباء الشيخ الملعون - وكان يركب الحمار وتسمى بشيخ المؤمنين - فانكب على بنتيه وسألها فقالتا له يا أبانا إن الملعون افتضنا في فراش واحد ، فشى الرجل إليه وقال له : تسمى بشيخ المؤمنين وأخذت مالي وافتضضت بنتي ، أختين شقيقتين على فراشك دون استحياء من الله تعالى ؟ فقال له : ذلك حلال لنا بملك اليمن وأمر بالرجل فضربت عنقه رحمة الله علينا وعليه . وقد كان هزم أبا القاسم الشيعي وهرب أمامه للمهدية فوصل أبو زيد في أتباعه حتى ركز (ب) رمحه في الباب ، فأعلم أبو القاسم فقال لهم : والله لا عاد إليها أبدا وهو حنقه هكذا في كتبنا . وأمر بالركوب والخروج إليه وأعطى الجند العطاء الجزيل ؛ فلما خرجوا أراد أبو زيد أن يقتل من كان معه من حشد الرعية ليتفرغ لإفشاء كفره ، فقال : لأصحابه انكشفوا عنهم فيقتلوا عن آخرهم . وأثنى أبو زيد بالجراح وقبض عليه حيا فأدخله المهدية في قفص حديد وصلبه على الباب الذي طعن فيه برمحه ، ودانت لأبي القاسم الشيعي بلاد المغرب كلها من إفريقية إلى درعة .

مدينة درعة (١) : وإنما تعرف درعة بواديتها فإنه نهركبير يجري من المشرق إلى المغرب ومنبعه من جبل درن ، وعليه عمارة متصلة نحو ٧ أيام وفيها أسواق حفيلة كثيرة . فيها يوم الجمعة أسواق (ج) في مواضع كثيرة متقاربة وربما كان سوقان في يوم واحد في المواضع النائية وكذلك في سائر البلاد ، وعليه الجنات الكبيرة فيها جميع الفواكه من النخل والزيتون وغيرها . والحناء بدرعة كثيرة ومنها تجلب إلى جميع البلاد لطيبها ، وله مزية في البيع على سواها . وشجر الحناء

(١) النص : أكواسا . (ب) ب : ركن .

(ج) «أسواق» ناقصة في ب .

(١) البكري ص ١٥٥ (يقول إن المدينة مازالت تسمى تيومتين) . قارن الإدريسي ، ص ١٦١ ياقوت ، معجم البلدان (درعة) ، ج ٢ ص ٥٦٧ ، (سجلماصة - تيومتين تقع على فراسخ من سجلماصة) ج ٣ ص ٤٥ ، دمشق (تيومتين) ، ص ٢٣٦ ، أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٨٧

أما عن شجرة التاكوت فانظر البكري ، ص ١٥٢ ، ومن الحجر المعروف باسم التامضفيت نفس المصدر ، ص ١٧٩

بها شجر غير يصل إلى الأرض ، وبوادي درعة شجر التاكوت وهو شجر يشبه النار ماء ، ويصنع الجلود الغداسي . وتوجد بوادي درعة حجارة تسمى تامضغيت (١) ، أعان باليد فتلين إلى أن تأتي في قوام الكتان فيصنع منها القيود للدواب والامره ، وتغزل وينسج منها مناديل لا تؤثر فيها النار مثل الصندل ؛ وقد صنع منها لبعض ملوك زناته كساء عنده من أعظم الذخائر . ذكر البكري أنه أخبره ثقة إنه رأى تاجرا قد جلب منه منديلا لبعض ملوك الروم ، وأخبره أنه منديل كان لبعض الخواريين وجعله في النار أمام الملك فلم تؤثر فيه شيئا ، فوصله ذلك الملك عليه بصلة كان فيها غناه إلى آخر الزمان . ويقال إن ذلك الملك بعثه إلى ملك الروم الأعظم وأخبره بخبره ، ووضعوه في الكنيسة العظمى ، وبعث إليه بصلة سنية وأمره أن يتوج بتاج بعثه إليه ورفع على من سواه (١) .

مدينة أنعمات (٢) : وأنعمات هما مدينتان إحداهما تسمى أنعمات وريكة والأخرى أنعمات هيلانة ، وبينهما نحو ٨ أميال . وبأنعمات وريكة يسكن الأعيان وبها ينزل التجار على القديم لأنها كانت دار التجهز للصحراء ؛ وبها نهر جريه من القبلية إلى الجوف ، يشق المدينة بعضه وعليه أرحاء وحوله بساتين كبيرة . وهو بلد متسع كثير الرخاء والخصب إلا أنه وخيم الهواء ، ألوان أهله مصفرة والعقارب القتالة به كثيرة ، وبينه وبين البحر مسيرة ٤ أيام . وأقرب المراسي إليه مرسى جوز هرتنانه (٣) من بلد رجراجة ، وهو من آخر مراسي سواحل المغرب مما يقرب من البحر المحيط ، تنزل به السفن ولا يخرج منه إلا بريح عاصفة في زمن الشتاء عند تكدر الهواء واغترار الجو ؛ فحينئذ تصدق هناك الرياح فإن أصطحبهم (ب) الريح سلموا وإلا قذفهم البحر . وبين أنعمات ومدينة نفيس مرحلة .

(١) م : تامطغيت . (ب) م : استصحب لم

(١) البكري ، ص ١٨٠

(٢) قارن للبكري ، ص ١٥٣ ؛ الإدريسي ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٣٢٠ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ١ ص ٧٨ ؛ دمشق ، ص ٢٣٦ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٥ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٨٨

(٣) البكري (يتكلم عن رباط قدر) ، ص ١٥٣

مدينة نفيس^(١) : مدينة قديمة أزلية غزاها عقبة بن نافع رحمه الله ، وحاصرها وفيها الروم والنصارى البربر فافتتحها وأصاب المسلمون فيها أموالا كثيرة ومغانم واسعة ؛ وبني فيها عقبة مسجدا وهو معروف بها اليوم . وكان دخول عقبة مدينة نفيس سنة ٦٢ [٦٨٢] من الهجرة ، ويعرف بالبلد النفيس وليس في جميع البلاد أطيب هواء منها ولا أجمل منظرا ولا أكثر أنهارا وأشجارا وثمارا . ويشق بلد نفيس نهر منبعه من جبل درّن حيث الروضة المقدسة المكرمة المعظمة ؛ جدت الإمام المهدي وصاحبه وحواريه الخليفة الإمام أمير المؤمنين عبيد المؤمن بن علي رضيهما ؛ وهو في مدينة البيضاء المعروفة بتشمّل^(٢) كرمها الله . وكانت على القديم معمورة فدنّها الإمام رضه ، وبني فيها الخليفة جامع الإمام رضيهما (١) ، وعليها سور حصين وهي أمنع حصن أو قلعة في بلاد المغرب لوعورة الطريق من هذه البلاد لأن زيارة الأئمة الأطهرين لها على طرق مرصوفة من الخشب متى احتيج إلى إزالتها أزيلت فتعلقت السبل وحرار الدليل ، فتعابن مهوى بعيدا لا يدرك له قعر . وهي في وسط القبائل المعروفين بالشهامة والنجدة . وبين أنعمات ونفيس الحضرة العلية مراكش — صانها الله تعالى دار إسلام .

مدينة مراكش — كلاها الله^(٣)

هي اليوم حاضرة بلاد المغرب ودار مملكتها ، وهي مدينة عظيمة في بساط من الأرض ، أسسها يوسف (ب) بن تاشفين سنة ٤٥٩ [١٠٦٧] ؛ وأول ما بني فيها

(١) الحملة الأخيرة ناقصة في ب . (ب) ب : يوسف بن علي بن تاشفين .

(١) البكري ، ص ١٦٠ . وقارن الإدريسي ، ص ٦٣ ؛ دمشق ، ص ٢٣٦

(٢) قارن الإدريسي ، ص ٦٣ ؛ مرآة الاطلاع ، ج ١ ص ٢٢٣ . عن زيارة خلفاء الموحدين لقبر ابن تومرت بتشمّل أنظر عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ٢١١

(٣) يمدنا المؤلف هنا بمعلومات مهمة عن مراكش على عهد خلفاء الموحدين الأوائل . قارن الإدريسي ، ص ٦٧ ، ٦٨ ؛ عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ٢٦٢ ؛ روض القرطاس ، ص ٨٩ ؛ ابن خلدون ، العبر (الترجمة Berb.) ، ج ٢ ص ٧٣ ؛ الحلل الموشية (مراكش على عهد المرابطين) ، ص ٥ وتابع (مراكش عهد الموحدين) ، ص ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ؛ العمرى ، مسالك الأبصار (الترجمة) ، ص ١٧٨ وتابع ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٧٨ ؛ دمشق ، ص ٢٣٦ ؛ أبو الفدا (الترجمة) ، ج ٢ ص ١٨٧

دار الأمة وهي الآن معلومة بها، ثم الحفظ سورها ولده على سنة ٥١٤ [= ١١٢٠]، وفتحها الخليفة أمير المؤمنين رحمه يوم السبت بعد صلاة الظهر ١٨ من شوال سنة ٥٤١ [= ٢٤ مارس ١١٤٧]. وعلى ٣ أميال منها وادي تنسيفت، منبعه من بلد دمنات (١)، يصب فيه وادي وريكة ووادي نفيس وأودية كثيرة، ومصبه في ساحل رباط جوز (ب) ويدخله الشابل الكثير الطيب. وهي مدينة طيبة التربة كأنها غطاء من حجر على حجر، عذب مأوها قريب من قامة أو قامتين، وبساتينها تسقى من آبار منتفد بعضها ببعض حتى تخرج على وجه الأرض. وبينها وبين درن نحو ٢٠ ميلا، وهي كثيرة الزرع والضرع تحرقها دكالة وجنتها نفيس، وحولها من البساتين والجنت التي يسمونها البحائر لعظمها ما لا يحصى كثرة؛ وإنما بناها وأضعها لملك منها جبل درن لكثرة من يعمره، وكان خروج هذه الشرذمة الصحراوية لقتال براغواطة الكفار المرتدين عن ديانة الإسلام.

وكان إسلام قبائل الصحراء سنة ٤٣٥ [= ١٠٤٣] وخروجهم سنة ٤٥٠ [= ١٠٥٨] أو نحوها فقتل زعيمهم الذي أخرجهم بيلد برغواطة بموضع يسمى تيلمت، وبني على قبره مسجد وولى بعده أبو بكر بن عمر اللمتوني الحمدي وبقى إلى سنة ٤٥٧ [= ١٠٦٥] قبل أن ينخلع ويولى يوسف بن تاشفين، ويطلق زوجته زينب بنت ابراهيم النفزاوي^(١). ولم يكن في زمانها أحمل منها ولا أعقل ولا أظرف، فتزوجها بعده يوسف وبني لها مراکش، وسار أبو بكر بن عمر إلى الصحراء فقاتل السودان فرشقه سهم فمات. ومدينة مراکش اليوم من أعظم مدن الدنيا بهجة وجمالا بما زاد فيها الخليفة الإمام وخليفته أمير المؤمنين أبو يعقوب وخليفتهما أبو يوسف رضهم، فإن الخليفة الإمام بنى فيها جامعا عظيما^(٢) ثم زاد فيه مثله أو أكثر في قبلته، كان قصرا، ورفع بينهما المنار العظيم الذي لم يشيد في الإسلام مثله، وأكمله ابنه وخليفته أبو يعقوب رضه. وجلب الخليفة الإمام المياه من أودية درن وغرس بحيرة عظيمة بغربي المدينة قبل نفيس دورها ٦ أميال، وبني فيها

(١) ب : بيلانت ، م : ميلانة ؛ أنظر Fagnan ، ص ١٨٠ هامش ١
(ب) البكري (ص ١٥٣) : رباط قوز .

(١) حسب ابن خلدون (المبر، الترجمة ، ج ١ ص ٧١) وصاحب روض القرطاس (ص ٨٣) تسمى زينب بنت اسحق النفزاوي .

(٢) هو جامع الكتبية في مراکش . (أنظر H. Terrasse, Sanctuaires et forteresses almohades, p. 103-4)

وخارجها صهريجين عظيمين كنا في تلك المدة نعوم ليهما فلا يكاد القوي منا يقطع الصهريج إلا عن مشقة ، وكنا نتفاخر بذلك . وأحدث الخليفة بعده ابنه أبو يعقوب رضى بحائر مثلها في الغرس بل أجمل ، وجلب لها المياه وأخذها في صهاريج أعظم من المتقدمة ، وزاد في قبة المدينة حصنا أنفذه الآن ابنه الإمام الخليفة أبو يوسف رضى ، وزاد عليه مدينة أخرى تقارب الأولى في دورها ، وكانت بحائر عظيمة فبناها قصورا وجامعا وأسواقا وفنادق ، وجلب التجار إلى قيسارية عظيمة لم يبق في مدن الأرض أعظم منها ، وأمر بعمارتها أول سنة ٥٨٥ [١١٨٩] . ومدينة مراکش أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعناب وفواكه وجميع الثمرات ، وكانت قبل ذلك يطير الطائر حولها فيسقط من العطش والرمضاء ، وأكثر شجرها الزيتون ففي مراکش اليوم من الزيتون والزيت ما تستغنى به عن غيرها من البلاد وتمبر بلادا كثيرة ، وكان زيتا قبل اليوم دهن المهرجان (١) لأنه بتلك البلاد كثير جدا . وزيتون مراکش أكثر من زيتون مكناسة وزيتا أرخص وربما أطيب .

ومما شرف به سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أبو يوسف حضرته المكرمة رضى أن أرسل في وسط المدينة ساقية ظاهرة ماؤها ماء قصره المكرم ، تشق المدينة من القبة إلى الجوف ، وعليها السقايات لسقى الخيل والدواب واستقاء الناس ، فهي اليوم أشرف مدن الدنيا وأعدلها هواء . ومن بركاته (ب) وضع دار الفرج في شرقي الجامع المكرم ، وهو مارستان المرضى ، يدخله العليل فيعان ما أعد فيه من المنازه والمياه والرياحين والأطعمة الشهية والأشربة المفوّهة (ج) ، ويستطعمها ويسيفها فتنعشه من حبه بقدره الله تعالى . وكان في سنة ٥٨٥ [١١٨٩=] قد استدعى العلماء ورواة الحديث وأمر بتدريس حديث النبي صلعم .

مدينة كَفْرُوجَة (د) (١) : يسمونها أَفْرُوجِي ، بينها وبين مراکش مرحلة ، وهي في بطحاء كثيرة المياه والفواكه والخيرات . وبالقرب منها مدينة

(١) ب : المرجان ؛ أنظر Fagnan ، هامش ١ ص ١٨٢ ؛ (ب) ب : بركة .

(ج) ب : المفوضة ، م : المفوّهة . (د) م : أفروجي .

(١) لا يتكلم الكتاب عن هذه البلدة . أنظر Fagnan ، هامش ٤ ص ١٨٣

الأمرويت^(١) بأنها من بلاد مصر ، وهي مدينة لطيفة طيبة الهواء والماء ، ومنها يرق إلى جبل درن^(٢) ، ويقال إنه أكبر جبال الدنيا وإنه يتصل بجبل المقطم الذي ببلاد مصر ، وفيه قبائل كثيرة من المصامدة ، ويقال إنهم من العرب قد دخلوا تلك البلاد وسكنوا تلك الشعاب في الفتنة الواقعة عند هزيمة ميسرة التي تسمى غزوة الأشراف^(٣) ، فكان البربر يطلبون العرب فتوغلوا في تلك الجبال وتناسلوا فهم أهلها على الحقيقة لأنهم أحيوها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحيأ أرضاً ميتة فهي له ولعقبه » . وجبل درن أنصب البلاد وأكثرها أنهاراً وأشجاراً وأعشاباً ، وفيه أم لا تحصى من المصامدة وأكثر عيشهم إنما هو من العنب والزبيب والرُّب ، وهم لا يستغنون عن شربه لشدة برد الجبل وثلجه ، وخلفه بلاد السوس .

ذكر بلاد السوس الأقصى^(٤)

وهي مدن كثيرة وبلاد واسعة يسقيها نهر عظيم يصب في البحر المحيط يسمى وادي ماسة^(٥) وجريه من القبلة إلى البحر كجري نيل مصر ، وعليه القرى المتصلة والعمائر الكثيرة والبساتين والجنات بأنواع الفواكه والثمار والأعشاب وقصب السكر . ولم يتخذ الساكنون على هذا الوادي قط رحي فإذا سئلوا عن ذلك قالوا : كيف يتخذ هذا الماء المبارك في إدارة الأرحاء ، وهم يتطيرون بها^(٦) . وعلى هذا النهر قرية كبيرة جداً تعرف بتارودانت^(٧) ، وهي أكثر

(١) البكري ، ص ١٦١ ؛ الإدريسي ، ص ٧٤ (ماسة) . (ب) هنا ينبغي ترتيب صفحات المخطوط «ب» كالتالي : ٨٣ - ١ ، ٨٣ - ب ، ٨٢ - ١ ، ٨٢ - ب .

(١) قارن دمشق ، ص ٢٣٦

(٢) أنظر فيما سبق ، هامش (أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٨٣ ؛ البكري ، ص ٦٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥٦٧ ؛ دمشق ، ص ٢٣٩) .

(٣) حدثت هذه الواقعة بعد موت ميسرة بن خالد بن حميد الزناني وخالد بن حبيب الفهري .

الظر Fagnan ، ص ١٨٤ وهامش ٢

(٤) البكري ، ص ١٦١ - ١٦٢ ؛ الإدريسي ، ص ٦١ وتابع ؛ دمشق ، ص ٢٣٦ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٥ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٥٩ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٦٨

(٥) الإدريسي ، ص ٧٤

بلاد الله قصب سكر وفيها معاصر السكر كثيرة . وهذا البلد أنحصب بلاد المغرب وأكثرها فواكه وخيرات ، ومنها يجلب السكر إلى جميع بلاد المغرب والأندلس وإفريقية وهو المشهور بالطبرزد^(١) المذكور في كتب الطب . وعلى مصب هذا الوادي في البحر رباط مقصود له موسم عظيم ومجتمع جليل وهو مأوى للصالحين . ومن وادي سوس إلى مدينة نول ٣ مراحل في عمارة متصلة يسكنها جزولة ولمطة ، وهم أمم كثيرة .

وقاعدة بلاد السوس مدينة أنجلى^(٢) وهي مدينة عظيمة كبيرة قديمة أزلية في سهل من الأرض على النهر الكبير المذكور ، وهي كثيرة البساتين والتمر وجميع الفواكه ، ربما بيع حمل التمر بما دون كراء الداية من الجنان إلى السوق ، وقصب السكر بها كثير وله بها معاصر كثيرة ، وأكثر شرب أهلها إنما هو ماء قصب السكر^(٣) ؛ ويعمل بها النحاس المسبوك يتجهز به إلى بلاد السودان . ووصل عقبة بن نافع إلى هذه المدينة عند دخوله إلى بلاد المغرب ، وافتتحها فأخرج منها سبيا لم ير مثله حسنا ؛ كانت تباع الجارية الواحدة منهن (ب) بألف دينار وأكثر لحسنها وتماثل خلقها . ويعمل بهذه المدينة زيت الهرجان (ج) وشجره يشبه الكمثرى إلا أنه لا يعلو كعلو شجرة الكمثرى ولا يفوت اليد ، وأغصانه نابتة من أصله لا ساق لشجرتة ولها شوك وثمرته تشبه الأجاس المعروف عندنا بالعُبقر ، فيجمع ويترك حتى يذبل ثم يوضع في مقلاة فخار على النار فيستخرج دهنه ، وطعمه يشبه طعم القمح المقلو ، وهو جيد محمود الغذاء يسخن الكلى ويدرب البول . وبالسوس عسل يفوق عسل جميع الأمصار ، يلتق النبيذيون على الكيل منه ١٥ كيلا من الماء وحينئذ يأتي نبيذا ، وإن كان الماء أقل من ذلك بقي حلوا ولا ينحل إلا بالماء الشديد الحرارة ، ولونه أخضر في لون الزمرد^(٣) .

(١) ب : إنما هو من قصب السكر . (ب) ب : الجارية منها .

(ج) ب : المرجان .

(١) الإدريسي ، ص ٦٢

(٢) البكري ، ص ١٦١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان (أيجلان) ، ج ١ ص ١١٥ ؛

الدمشق (أيجل) ، ص ٢٣٦ ؛ مرصد الاطلاع (أيجل) ، ج ١ ص ١٠٦

(٣) البكري ، ص ١٦٢ ؛ الإدريسي (ص ٦٢-٦٣) يقول إن هذا الشراب يسمى أنيز .

وبالقرب من أنجل على نحو ٩ مراحل مدينة تسمى (١) ، وهي مدينة كبيرة أسسها عبد الله (١) بن إدريس العلوي وتوفي بالجبل وبها قبره . وتسمى مدينة سهلية كثيرة العمارة حافلة الأسواق ، على نهر عنصره من جبل على نحو ١٠ أميال منها ، وما بينهما عمائر وبساتين متصلة ، وهذا النهر هو نهر درعة ، وهذه المدينة تسمى على رأس النهر ، وبينها وبين مدينة درعة مسيرة ٦ أيام في عمارة متصلة . ومن بلاد السوس مدينة نول لمطة (ب) (٢) ، وهي مدينة كبيرة في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط ، ومن مدينة نول إلى وادي درعة نحو ٣ مراحل . وإنما سميت نول لمطة لأن قبيلة لمطة (ج) يسكنونها وما وراءها وهي آخر بلاد السوس ؛ ومن أراد الدخول من وادي درعة إلى بلاد السودان ، غانة وغيرها ، فليمشي من وادي درعة نحو ٥ مراحل إلى وادي ترجا (د) وهو في أول الصحراء ، ثم يسير في جبال وعرة في طريق قد فتحت في حجر صلد بالنار والخل من عمل الأول . ويزعم قوم أن ملوك بني أمية فتحوها ، وهذه الطريق من أحد أعاجيب العالم (٣) . ومنها إلى جبل يسمى بالبربرية جبل الحديد ، ومن هذا الجبل يدخل إلى بلاد ملتونة وهم من صنهاجة ؛ وأكثر ملتونة إنما هم رحالة لا يستقر بهم موضع ولا يعرفون الحرث ولا الزرع ولا الخبز ، وإنما لهم الأغنام الكثيرة فيعيشون من لبنها ولحمها ، فهم يحفون اللحم ويطحنونه ويصبون عليه الشحم المذاب والسمن ويأكلونه ويشربون عليه اللبن قد غنوا به عن الماء ، فيبقى الرجل منهم الشهر لا يشرب ولا يأكل خبزاً ولا يعرفونه وصفتهم من ذلك متمكنة (٤) ، ربما مرت بهم القوافل فيتحفون ملوكهم

(١) ب : عبيد الله .

(ب) «لمطة» ناقصة في ب . (ج) النص : تزكا ولكننا أخذنا بقراءة البكري

(ص ١٦٣) ؛ أنظر Fagnan ، ص ١٨٨ وهامش ٣

(١) البكري ، ص ١٦٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨١٢ ؛ مرصده

الاطلاع ، ج ١ ص ١٩٥ ؛ دمشق ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧

(٢) البكري ، ص ١٦١ ؛ الإدريسي ، ص ٦٠ ؛ مرصده الاطلاع ، ج ٣ ص ٢٣٩ ؛

الدمشق ، ص ٢٣٨

(٣) قارن البكري ، ص ١٦٣

(٤) البكري ، ص ١٧٠

ورؤسائهم بالخيز والدقيق . وببلادهم يكون اللمط ^(١) الذى يعمل من جلوده الدرق ، وهذا الحيوان المسمى باللمط دابة دون البقر لها قرون (١) رقاق حادة تكون لذكرائها وإناثها ، وكلما كبر هذا الحيوان طال قرنه حتى يكون أزيد من ٤ أشبار ، وأجود الدرق وأغلاها ثمنها ما عمل من جلود الإناث المسنات التى قد طالت قرونها لكبر سنها حتى منعت الفحل أن يعلوها . وببلادهم أيضا الفسك الكثير ، ومن عندهم تحمل جلودها إلى جميع البلاد ، وعندهم الكباش الدمانية وهى على خلقته أيضا إلا أنها أعظم وشعرها كشعر المعز لا صوف عليها ، وهى أحسن الغنم خلقا وألوانا . والريحان فى بلاد الصحراء وفى بلاد السوس عزيز لأن بلادهم لا تنبت ، وهو عندهم من أطيب الطيب .

ومن عجائب هذه الصحراء أن بها معدن الملح ^(٢) تحفر عنه الأرض كما تحفر عن سائر المعادن ، ويوجد هذا الملح تحت قامتين أودونهما من وجه الأرض فيقطع كما تقطع الحجارة ويسمى هذا المعدن قانتال ، وعليه حصن مبنى بالحجارة التى تخرج من المعدن ، وجميع ما فيه من بيوت وغرف ومساكن إنما هو مبنى بحجارة الملح . وبهذا الملح يتجهز إلى بلاد السودان ، غانة وغيرها ، وله غلة عظيمة ، وبإزاء معدن الملح الماء العذب الطيب ، أخبرنى بذلك من عاينه . ومعدن الملح أيضا فى بلاد جدالة بموضع يسمى وليلى (ب) ^(٣) على شاطئ البحر المحيط ، ومن هناك تحمله الرفاق إلى ما جاوز تلك الجهة . وبقرب وليلى فى البحر جزيرة تسمى أيونا (ج) ^(٤) ، وهى عند المد لا يوصل إليها إلا بالمراكب

(١) «قرون» ناقصة فى ب .

(ب) البكرى ، ص ١٧٠ ؛ الإدريسي ، ص ٣٢ (أريل) .

(ج) البكرى (ص ١٧١) : أيون .

(١) البكرى ، ص ١٧١

(٢) نفس المصدر .

(٣) البكرى ، ص ١٧٠ ؛ الإدريسي ، ص ٣ . عن مدينة وليلى قارن ياقوت ،

معجم البلدان ، ج ٤ ص ٩٤١ ، مرصد الاطلاع (أريل) ، ج ١ ص ١٠ ؛ دمشق ، ص ٢٤٠ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٢١٢ - ٢١٣

(٤) البكرى ، ص ١٩٥ ؛ أما الإدريسي فيتكلم (ص ٥٥) عن جزر المحيط وعن المنبر

ولكنه لا يذكر هذه الجزيرة .

وعند الجزر يوصل إليها بالقدم ، ويوجد فيها العنبر الكثير ، وأكثر معاش أهلها من لحوم السلاحف فهي أكثر شيء في ذلك الموضع وهي مفرطة العظم ، ربما دخل الرجل في محار ظهورها يتصيد في البحر كالقارب . وفي هذه الجزيرة أغنام كثيرة ومواشي ، وهي منتهى المراكب وآخر مراسي المغرب . ومن مدينة نول إلى هذه الجزيرة على البر ، لا تفارق السواحل ، مسيرة شهرين في أرض محجرة أكثرها صفاء تنبؤ عنها المعاول ، ويكل فيها الحديد (أ) ، وإنما يشرب من يمر على ذلك الطريق من حفر يحفرونها عند جزر (ب) البحر فينبع ماء عذبا وهو من العجائب . وإذا مات للمارين بهذه الطريق ميت لا يمكنهم مواراته بالتراب لصلابة الأرض وامتناعها من الحفر ، فيسترونه بالحطام والحشيش أو يقدفونه في البحر .

وبين صحراء لتونة وبلاد السودان (ج) ، مدينة أودغست (١) . وهي مدينة عظيمة أهلة فيها أم لا تحصى ولها بساتين كثيرة ونخل كثير ، ويزرعون فيها القمح بالحفر بالفؤوس ويسقونه بالدلاء (د) ، وكذلك يسقون بساتينهم ، وإنما يأكل عندهم القمح الملوك وأهل اليسار منهم ، وسائر أهلها يأكلون الدرة . والمقاتي تجود عندهم كثيرا ، والبقر والغنم عندهم أكثر شيء وأرخصه : تشتري في أودغست ١٠ أكباش بدينار وأكثر من ذلك ، وهم أرباب نعم جزيلة وأموال جليلة ولهم أسواق حافلة عامرة الدهركله ، لا يكاد يسمع الإنسان فيها صوت جليسه لكثرة غوغاء الناس ، وتجارتهم إنما هي بالتبر وليس عندهم فضة . وبمدينة أودغست مبان حسنة ومنازل رفيعة وأهلها أخلاط من جميع الأمصار ، وقد استوطنوها لكثرة خيرها ، ونفاق أسواقها وتجارتها . وحريم أودغست لا يوجد مثله في بلد ، يجلب منها جوارحسان بيض الألوان مائسات القدود ، لطاف ضخام الأرداف واسعات الأكتاف ضيقات الفروج ، المستمتع باحداهن كأنما يستمتع بيكر أبدا ، من غير أن ينكسر لإحداهن ثدى طول عمرها .

(١) ب : وتكيل الحديد . (ب) ب : جواز .
(ج) «بلاد السودان» ناقصة في «ب» . (د) النص : بالدولاب . أنظر

البكري ، ص ١٥٨

(١) البكري ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ؛ الإدريسي (ص ٣٢) يكتفي بذكر اسم المدينة ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٣٩٩ ؛ مراصد الاطلاع (أودغست) ، ج ١ ص ١٠١ ؛ دمشق ، ص ٢٣٨ ؛ ابن حوقل (أودغست) ، ص ٦٦

أخبرني ثقة من التجار (١) (١) أنه رأى بمدينة أودغست امرأة راقدة على جنبها ، وكذلك يفعلن في أكثر أحوالهن لإشفاقا من الجلوس على أردافهن ، ورأى ابنا لها طفلا يلعب حوالها وهو يدخل تحت خصرها ويخرج من الجهة الأخرى من غير أن تتجافى له ، وذلك لعظم ردفها ورقة خصرها . ويجلب منها سودانيات طبابخات محسنات ، تباع الواحدة منهن بـ ١٠٠ دينار كبار وأزيد ، يحسن عمل الأطعمة ولا سيما أصناف الحلالات مثل الجوزينقات ، والوزينجات ، والقاهريات ، والكنافات والقطائف والمشهوات ، وأصناف الحلالات ، فلا يوجد أحذق يصنعها منهن . ومنها تجلب الدرق الحصيفة الجياد فإن اللط بأرض أودغست كثير جدا . يجلب أيضا منها العنبر الطيب لقرها من البحر المحيط ، ويجلب منها الذهب الإبريز الخالص خيوطا مفتولة . وذهب أودغست أجود ذهب الأرض وأصحها ، وكان صاحب مدينة أودغست في سنة ٣٥٠-٣٦٠ (٩٦١-٩٧١) (ب) رجل من صنهاجة ، وكانت له جيوش كثيرة فدان له أزيد من ٢٠ ملكا من ملوك السودان كلهم يؤدون له الجزية . وكان عمله مسيرة شهرين في مثلها في عمارة متصلة ، وكان يعتد في أزيد من ١٠٠٠٠٠ رجب فإن الخيل في تلك البلاد قليلة ، فيقال إنه غزا ملكا من ملوك السودان يقال له أوغام ، فدخل بلده وأحرقها وقتل جنده والملك في قصره ينظر إليه ، فلما رأى ما حل في بلده هان عليه الموت وخرج ورعى بدرقته إلى الأرض وقاتل حتى قتل . فلما عاين نساؤه ذلك تردبن في الآبار وقتلن أنفسهن بضروب من القتل أسفا على ملكهن وأنفة أن يملكهن البيضان . وبين مدينة أودغست وبجماسة نحو ٥٠ مرحلة ، ومنها إلى غانة نحو ٢٠ .

(١) ب : أخبرني الثقات . (ب) النص : في عشر وخمسين وخمسة . ولكننا أخذنا بمقالة البكري ، ص ١٥٩ ، والترجمة ، ص ٣٥١

ذكر بلاد السودان ومدنها المشهورة وجماهاؤها وبلد من سير ملوكها^(١)

قال المؤلف رحمه الله : أقرب بلاد الإسلام إلى بلاد السودان بلاد جدالة^(٢) وأقرب مدينة من مدن السودان إليهم مدينة صنغانة^(٣) وهي مدينة عظيمة على النيل. وبين آخر بلاد جدالة وبين مدينة صنغانة مسيرة ٦ أيام، وهما مدينتان على ضفة نيل مصر ولهاتين المدينتين نظر واسع وعمارات متصلة يقال إنه تتصل عمارتهما وقراهما بالبحر المحيط. وتلى مدينة صنغانة على النيل مدينة تَكْرُور^(٤) وكانوا على ما كان عليه سائر السودان في المجوسية وعبادة الدكاكير، وهي بلغتهم الأصنام، حتى وليهم وزجاي بن ياسين فجبرهم على الإسلام بالسيف وحارب السودان حتى أسلموا وذلك سنة ٤٣٥ [١٠٤٣=١٠٤٤].

مدينة سيلي^(٥) : هي مدينتان على ضفة النيل وأهلها مسلمون أسلموا على يد وزجاي، رحمه الله، وملكها واسع المملكة كثير العدد يقاوم صاحب غانة. وبينها وبين غانة مسيرة ٢٠ يوما في عمارة متصلة للسودان القبيلة بعد القبيلة؛ وصاحب سيلي يحارب من جاوره من كبار السودان، وتبايع أهل سيلي إنما هو بالذرة والملح وحلق النحاس وأزر لطاف من قطن يسمونها الشيكيات^(٦) وهي أنفق ما عندهم، وليس عندهم غنم ولا معز وأكثر نبات أرضهم الأبنوس ومنه يحتطبون. وبقرب مدينة سيلي مدينة قَلَنْبُوا^(٦) وهي مدينة كبيرة

(١) ب : الشكتيان، م : الشكيات. ولكننا أخذنا بما كتبه البكري، ص ١٧٣

(١) الفصول الخاصة ببلاد السودان منقولة عن البكري، ص ١٧٢ وتابع.

(٢) البكري، ص ١٧٢. وقارن الإدريسي، ص ٥٩؛ الدمشقي، ص ٢٣٨؛ أبو الفدا الترجمة، ج ٢ ص ٢١٥ - ٢١٦؛ O. Houdas، تاريخ السودان، النص، ص ٢٥، الترجمة، ص ٤٢

(٣) البكري، ص ١٧٢؛ الدمشقي، ص ٢٤٠

(٤) قارن الإدريسي، ص ٣؛ أبو الفدا، الترجمة، ج ٢ ص ٢٢٠؛ مرصده الاطلاع، ج ١ ص ٢٠٩

(٥) البكري، ص ١٧٢؛ قارن الإدريسي، ص ٣

(٦) البكري، ص ١٧٢

على ضفة النيل ، لأن النيل يشق جميع تلك البلاد ، ويسقى أكثرها . ومن عجائب تلك البلاد أن فيها حيواناً يشبه الفيل في عظيم خلقته وخرطومته وأنيابه ، يسبحه جفوة ويرعى في البر ويأوى إلى النيل ، ويصطادونه فيأكلون لحمه ويصنعون من جلده الأسواط التي تسمى بالسريّاقات ، ويقال لها بالاندلس ذنب الفار . ومن هناك تحتل الأسواط إلى جميع الآفاق ، ولهم في صيده حيلة فإنهم يميزون في النيل المواضع التي يأوى إليها هذا الحيوان [حيث] يتحرك الماء على ظهره لقلّة استقراره ، وعندما مزارق حديد قصار في أسافلها حلق قد شدت فيها حبال مديدة ، فيزرقونه بالعدد الكثير منها ، فيهرب منهم ويغوص في أسفل النيل فيرخون له تلك الحبال فيضطرب حتى يموت . فإذا مات طفا على الماء فيجرونه إلى البر ، ويأخذونه . وتلى مدينة قلنبوا مدينة ترنكة (١) (١) : وهي مدينة كبيرة على نظر واسع وبها تصنع الأزُرّ المسماة بالشكيات التي تنفق في مدينة قلنبوا وغيرها ، وهي من القطن وليس بهذه المدينة قطن كثير وإنما هو مجلوب إليها ، وهم يتبركون بشجره فقل ما عندهم منزل ولا دار إلا وفيه شجرة قطن . وحكم أهل هذه البلاد في السارق أن يخبر صاحب السرقة في بيع السارق أو قتله ، وحكمهم في الزاني أن يسلخ من جلده .

ومن مدينة ترنكة تتصل ببلاد السودان إلى بلاد زافون (ب) (٢) وهم من البرابر لهم مدينة زافون ، سميت بهم . وهم يعبدون ثعبانا عظيما له عرف وذنب ورأسه كراس البختي ، وهو في مغارة في أصل جبل ، وعلى فم المغارة عريش وحوله مواضع يتعبدون فيها لذلك الثعبان ، ويعلقون نفيس الثياب والمتاع على تلك المغارة ، ويضعون لذلك الثعبان جفان الطعام وعساس اللبن والشراب ، فهم إذا رأوا خروجه إلى ذلك العريش تكلموا كلاما معلوما عندهم ، وصفروا تصفيرا كذلك فيبرز إليهم . فإذا هلك وال من ولاتهم جمعوا أولاده ، إن كان له ولد ومن يصلح للملك بعده ، وقربوه من ذلك الثعبان وتكلموا بكلام يعلمونه ، فيدنوا ذلك الثعبان منهم فلا يزال يشمهم رجلا رجلا

(١) البكري (ص ١٧٣) : ترنكة . (ب) البكري (ص ١٧٣) : زافون .

(١) أنظر البكري ، ص ١٧٣

(٢) البكري ، ص ١٧٣ ؛ قارن معجم البلدان ، ج ٢ ص ٩٠٨ ؛ مرصدا الاطلاع ،

ج ١ ص ٥٠٢

حتى ينطع أحدهم بالله ، ثم يولى ذلك الثعبان راجعا إلى مغارته ، ليُتبعه ذلك الرجل والثعبان مسرعا إلى المহারاة والرجل يجهد خلفه بالجري بأشد ما يقدر عليه ، فيجذب من ذيله أو هرله شعرات فتعد ويعلمون أنه يملك قومه تلك الشعرات سنين ، لا يخطئهم ذلك بزعمهم . وأقول إن هذه الفتنة فيهم إنما هي لأن الثعبان يُعَمَّر حتى يزيد على ١٠٠٠ سنة ، فنشأ على ذلك آباؤهم فلا يعرفون أوله ، والواضع لهذه الفتنة إنما أراد أن يملكهم بذلك ، وعقولهم في نهاية الركافة ، فيصبح له منهم ما أراد - عصمنا الله من الفتن . وتلى هذه البلاد بلاد الفرويين (١) ، ومن غرائب بلدهم أن عندهم بركة عظيمة يجتمع فيها الماء ، ينبت فيها نبات أصله أبلغ شيء في تقوية الجماع والمعونة عليه ، وملك ذلك البلد يشع على إخراج من بلده لثلا يصل منه إلى غيره شيء ، وله من النساء عدد كثير ، فإذا أراد أن يطوف عليهن أنذرهن من قبل ذلك بيوم ، ثم استعمل ذلك الدواء ، فلا يكاد ينكسر عن الطواف عليهن كلهن . وقد أهدى له بعض الملوك المجاورين لبلده هذه هدية نفيسة ، واستهداه شيئا من ذلك العود ، فعاوضه على هديته وكتب إليه أن المسلمين لا يحل لهم من النساء إلا القليل ، وقد خفت عليك أن أبعث بهذا الدواء فلا تقدر على إمساك نفسك فتأتى ما لا يحل لك في شريعتك ، ولكنى بعثت لك عودا يأكله العقيم فيولد له . وبلاد الفرويين يبدل الملح بالذهب لعدمه عندهم ، وفي هذه البلاد معادن الذهب ، نرابة أحمر يستخرج كما يستخرج الحديد والرصاص والنحاس والفضة ببلادنا .

ذكر بلاد غانة وما جاورها من البلاد (٢)

قيل إن غانة سمة لملوكها ، وإنما اسم البلد أوكتار (١) (٣) ، ووقع إلى كتاب ملكها إلى يوسف بن تاشفين ، نصه : إلى أمير أغمات ، قال غانة ؛

(١) ب ، م : وكان . أنظر البكري ، ص ١٧٤

(١) البكري ، ص ١٧٤

(٢) البكري ، ص ١٧٤ وتابع . قارن الإدريسي ، ص ٦ - ٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٧٧٠ ؛ مرآة الاطلاع ، ج ٢ ص ٣٠٠ ؛ دمشق ، ص ٢٤٠ ؛ أبو الفداء ، الترجمة ، ج ٢ ص ٢٢١ - ٢٢٢

(٣) البكري ، ص ١٧٤ ؛ دمشق ، ص ٢٤٠

وهذا دليل على ما قيل . ومدينة غانة مدينتان ، إحداهما يسكنها الملك والأخرى يسكنها الرعية والتجار والسوقة ، بينهما الدور والمساكن نحو ٦ أميال متصلة . وفي مدينة الرعية جامع كبير ومساجد كثيرة ، وفيها الأئمة المؤذنون والفقهاء والعلماء ، وحواليها آبار عذبة منها يشربون ، وعليها الخضر والمقاتي . ومدينة الملك تسمى الغابة ، وللملك بها قصر عظيم وقباب ، قد أحاط بذلك كله حائط مثل السور ، وعلى مقربة مجلس حكم الملك ، وحول قصره قباب وغابات وشعراء يسكنها السحرة وأهل ديانتهم ، وفيها دكاكيرهم وقبور ملوكهم ، ولها حرس فلا يمكن أحد من الغرباء دخولها ولا معرفة ما فيها ، وهناك سجون الملك فإذا سجن أحدا انقطع خبره . وفي مدينة الملك مسجد يصلّي فيه من يفد عليه من تجار المسلمين . والملك يجلس للناس للحكم في قبة عظيمة وأمام القبة عشرة أفراس من عتاق الخيل ، وعليها الخلل المذهبة من الحرير والديباج على عديمها بيلادهم . والملك يتحلى بحلى النساء (١) في عنقه وذراعيه ، ويحمل على رأسه طرطورا مذهباً ويعمم عليه عمامة قطنية ، وعن يمينه وعن يساره أبناء الملوك والوزراء وخاصته من أعيان بلده ، قد ضفروا رؤوسهم بالذهب والجوهر وعليهم الثياب الرفيعة . ولا يلبس ثوبا مخيطا من أهل دينه إلا هو وولي عهده ، ومن سواهما يلبسون ملاحف الحرير والديباج ، وسائر أهل بلده يلبسون ملاحف القطن . والملك وسائر أهل بلده الذين على ديانتهم يخلقون لحاهم ونساؤهم يخلقن رؤوسهن . ولا يولى الملك عهده إلا لابن أخته وهو يشك في ابنه ولا يقطع بصحة اتصاله به ، وإذا جلس الملك في قبة لمظالم الناس يندرون لجلوسه بطبل عظيم يسمونه دُبا (ب) ، وهو خشبة طويلة منقورة قد جلدوها لها صوت هائل يجتمع الناس إليه ، فإذا دنا منه أهل دينه جثوا على ركبهم وحثوا التراب على رؤوسهم . وأما المسلمون فتحبّتهم عليه تصفيق باليدين ، وجلوس الوزراء أمامه إنما هو على الأرض تواضعا للملك . وإذا مات الملك عملوا له قبة ووضعوا له الأطعمة والأشربة وكل من كان يخدم طعامه وشرابه ، وأغلقوا عليهم باب القبة وجعلوا فوقها الحصى والأمتعة ، واجتمع الناس فردموا فوق القبة بالتراب حتى يأتى الموضع مثل الجبل الضخم ، ثم يحتفرون حوله حفيرا

(١) القراءة في «ب» كالأقي : والملك يتجل على النساء .

(ب) ب : دوي ، م : دوي . البكري ، ص ١٧٦

مطلبها وعرا حتى لا يرسل إلى ذلك الكوم ولا إلى شيء منه إلا من موضع واحد . وللك غالة مملكة واسعة نحو الشيرين في مثلها ، وفي بلده يوجد الذهب الكثير ، وهو يعم جميع بلاد الدنيا وأفضل الذهب بمملكته ما كان يبلد غياروا .

مدينة غياروا (١) : بينها وبين غانة نحو ٢٠ يوما متصلة بقبائل من السودان لا يحصى لهم عدد ، وإذا وجد في جميع معادن بلاد هذا الملك الندرة من الذهب اصصفاها (١) الملك لنفسه ولم يتركها تخرج من بلده لغيره . والندرة تكون من أوقية إلى رطل وإنما يتركون أن يخرج من بلادهم من الذهب ما كان رقيقا ، ولو تركوا كل ما يوجد في المعادن يخرج من بلادهم لكثير الذهب بأيدي الناس ولهان . ويذكر أن عند ملك غانة ندره ذهب كالحجر الضخم ، وقد ذكر أن عند بعض ملوك السودان من هذه الندرات حجر عظيم يجعل أمامه ، فإذا ورد عليه رسل من غيره من الملوك أمر بفرسه فربطه إليه لياهي بذلك . وبين مدينة غياروا والنيل ١٢ ميلا وفيها كثير من المسلمين ، وفي القرب منها على النيل مدينة يرسني (ب) (٢) : وهي مدينة كثيرة الخيرات ولها معدن للذهب عظيم معروف في بلاد السودان . ومن أعجب شيء في هذه المدينة أن فيها معزا قصارى وعندهم شجر معلوم فتحتك هذه المعز إلى تلك الأشجار فتلقح من غير ذكر ، ويذبحون ذكرا المعز ويستحيون الإناث لاستغنائهم عن الفحل ، وهذا معلوم عندهم غير منظور ، حدث بذلك من دخل بلادهم من التجار والثقات ، وهذا مثل جزيرة النساء التي ذكر المسعودي (٣) . ومن أعمال مدينة غانة ونظرها مدينة سامة (٤) ، ويعرف أهلها بالكم ، بينها وبين غانة مدة أربعة أيام . وهم يمشون عراة إلا أن المرأة تستر فرجها بسيور مصفورة ، ونساؤهم يوفرن شعر العانة ويحلقن شعر الرأس . حدث رجل ثقة ممن دخل

(١) ب ، م : استصفاها . (ب) م : برسي . (ج) م : ساسة .

- (١) البكري ، ص ١٦٧ ، قارن الإدريسي (غيار) ، ص ٩ ، الدمشقي ، ص ٢٤٠
(٢) البكري (أرزي) ، ص ١٨٧ ، قارن الإدريسي (برية) ص ٤ ، أبو الفدا ، الترجمة ج ٢ ص ٢٢٠ ، الدمشقي (برسنا) ، ص ٢٤٠
(٣) نجد قصة جزيرة النساء في كتاب ابن وصيف شاه (Carra de Vaux, Abrégé des Merveilles) ، الترجمة ، ص ١٧٩
(٤) البكري ، ص ١٧٨ ، قارن الإدريسي (سامة) ، ص ٣٤

تلك المدينة إنه رأى منهن امرأة وقفت على رجل من العرب له لحية عظيمة طويلة ، فتكلمت كلاما لم يفهمه العربي ، فسأل الترجمان عن مقالها فأخبره إنها تمنى أن يكون شعر لحيتها في عانتها ، فغضب الأعرابي وأوسعها سبا . ويورث الرجل أكبر بنية ماله كله ويحرم الغير ولو كان أحب إليه . ولهم خدق بالرمابة ويرمون بالسهام المسمومة . وبغربي غانة مدينة أنبارة (١) : وهي مدينة كبيرة ولأهلها بأس شديد في الحروب ، وهم معاندون لملك غانة وإليها تسعة أيام .

مدينة كوغه (٢) : وأهلها مسلمون وحواليها المشركون ، وأكثر ما يتجهز إليها بالملح والودع والنحاس المسبوك والتاكوت وهو أنفق شيء عندهم للدبغ به . وحواليها معادن التبر ، وهي أكثر بلاد السودان ذهبا . وبالقرب منها مدينة التوكن (٣) : وهي مدينة عظيمة يقال إن ملكها المعاصر لنا مسلم يخفى إسلامه . وبلاد غانة قوم يسمون بالهشيين ، من ذرية الجيش (١) الذي كان بنوا أمية أنفذوه إلى غانة في صدر (ب) الإسلام إلى بلاد السودان ، وهم بيض الألوان حسان الوجوه لا يتناكحون في السودان كثيرا . وإذا سرت من غانة إلى جهة الشرق فلأنك تسير في بلاد السودان كثيرا (ب) وفي قبائل من البربر رحالة وهم مسلمون . وتسير مراحل كثيرة على النيل إلى مدينة تيرقي (ج) (٤) : وهي مدينة عظيمة لها أسواق حافلة يجتمع فيها أم كثيرة من بلاد متفرقة من بلاد غانة وتادمكة وغيرها . وتعظم السلاحف بأرض تيرقي حتى تخرج عن القياس ، وهي تحفر في الأرض أسرابا يمشى فيها إنسان ، وهم يأكلونها فلا يستطيعون إخراج واحد منها من تلك الأسراب إلا بعد شد الحبال فيها واجتماع

(١) النص : يسمون بالمس من ذرية الحسين . أنظر البكري ، ص ١٧٩

(ب) الحمل الواقعة بين «ب» ، «ب» فاقصة في ب .

(ج) النص : يتزكى . أنظر البكري ، ص ١٨٠

(١) البكري ، ص ١٧٩ ، قارن الإدريسي (نيرته) ، ص ٣٥

(٢) البكري ص ١٨٩ ، قارن الإدريسي ، ص ١٠ ، دمشق (مجلات كوغه) ، ص ٢٤١

(٣) البكري ، ص ١٧٩

(٤) البكري ، ص ١٨٠ ، قارن الإدريسي ، ص ٨

العدد الكثير . حدث رجل لله من المسافرين في ذلك الطريق أن قوما انزلوا في بعض طريق يري لهم سوا متاعهم ، وبذلك الطريق الأرضة كثيرة وهي تفسد ما وجدت من متاع أو غيره ، ولها بذلك الطريق أجحار وتخرج من التراب أكواما فوق أجحارها ، ومن العجب أن ذلك التراب يرى ندى والماء هناك غير موجود على أبعد حفرة ، فلا يضع التجار أمتعتهم إلا على الحجارة المجموعة أو الخشب . فلما نزل أولئك التجار بذلك الموضع ارتاد كل واحد منهم لمتاعه تحزننا من الأرض أو حجرا ، فبدر أحدهم بالليل إلى صخرة كبيرة فيما ظن فأنزل عليها متاعه وكان وقر بعيرين ، ثم نام بقرب رحله فلما انتبه من نومه سمع أله لم يجد الصخرة ولا ما كان عليها ، فارتاع فنادى بالويل والحرب فاجتمع إليه أهل القافلة يسألونه عن خطبه ، فأخبرهم . فقالوا لو طرقتك لص لذهب بالمتاع وبقيت الصخرة ، فنظروا أثر سلحفاة ذاهبة بالموضع فاقتفوا أثرها ومشوا أميالا حتى أدركوا السلحفاة وحمل المتاع على ظهرها وهي تنهض به في غير تكلف . فاعجب من عظم هذه السلحفاة التي تحمل وقر جملين .

ومدينة تيرقي على النيل ومن هناك يرجع نحو الجنوب . وبلى مدينة تيرقي إلى ناحية المغرب مدينة تادمكة^(١) : وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب وهي أشبه البلاد بمكة كرمها الله ، ومعنى تاد عندهم هيئة : على هيئة مكة . وأهلها بربر مسلمون وهم يتنقبون كما يتنقب بربر الصحراء ، وعيشهم من اللبن واللحم وليس عندهم قمح ولا شعير ، وعندهم حب تنبت الأرض من غير حرث يشبه الذرة . ولباسهم الثياب القطن المصبغة ، وملكهم يلبس الثياب الملونة فتكون عمامته حمراء وقميصه أصفر وسراويله زرق وما أشبه ذلك . ودنانيرهم تسمى الصلح لأنها من ذهب محض غير مختومة ؛ ونساوهم فائقات الجمال لا يعدل بين نساء بلد حسنا . والزنا عندهم مباح ومن يتلقن التجار إذا أقبلوا إلى بلدهم ويتقارعن على الرجل الجميل منهم أسن تحمله إلى منزلها . وبين مدينة تادمكة وغانة نحو ال ٥٠ مرحلة ، وبينهما مدن وعمائر للسودان والبربر . فإذا سرت من غانة تريدها فأول ما تلقى مدينة سجنجوا^(١) (٢) : وهي على

(١) البكري (ص) ١٨١ : مقنوا .

(١) أنظر فيما سبق هامش ١ ص ١٤٦

(٢) البكري ، ص ١٨١

٣ مراحل من غانة، وهى على النيل وهى آخر محل طالة إلى الجنوب. ثم يصب النيل في مدينة بُوغَرَات^(١) : يسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون بمراصة . أخبر الفقيه عبد الملك أنه رأى في بوغرات طائرا يشبه الخطاف يفهم من صوته قتل الحسين ، يكون ذلك مرارا ويقول بكربلاء مرة واحدة ؛ قال الفقيه سمعته وأنا ومن حضر من المسلمين معي. ثم من بوغرات إلى تيرقي المتقدم الذكر ثم إلى تادمكة . وإن أردت الطريق من تادمكة إلى القيروان فإنك تتوجه إلى ناحية الشمال ، وتسير في صحراء نحو ٥٠ يوما إلى بلد وارجلان^(٢) في طرف الصحراء مما يلي إفريقية : وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين ، وفيه سبع مدن مسورة حصينة تقرب بعضها من بعض ، أكبرها تسمى أغرم إن يكامن^(٣) (١) معناه بلاد الشهود ، وفيه حصن العهود . وهى بلاد كثيرة الزرع والضرع والبساتين ، كثيرة المياه ، ولها أعجوبة ليست في موضع من الأرض : يحفر الرجل بئرا يقوم حفره به ١٠ دينار وأزيد فإن أرضهم صلبة ، والماء بعيد يدرك على أزيد من ٦٠ قامة ، فيجد على الماء طبقا من حجر صلد ، فيستبشر عند وجوده ، ويطعم أوليائه فرحا . ويدخل إليه من يعرف كيف ينقره مربوطا في حبال وثيقة وينقره فيفور الماء فإن أبطأ الرجال في رفعه حتى لا يدركه الماء هلك لحينه ، ويبقى الماء يفور على مر الدهور ، وهكذا هى جميع آبارهم ؛ وهم يسقون جناتهم وزرعهم ونخلهم . وتضرب ببلد وارجلان دنائير على نوع المرابطية ، لكنها نازلة فيها تحميل كثير ، والدنائير الورجلانية مشهورة^(٣) . ومن ورجلان إلى بلد الجريد نحو ١٤ يوما ، ومن بلاد الجريد إلى القيروان ٧ أيام ؛ وأهل القيروان بربر ، وفيهم جمال كثير ، ولاسيما نساؤهم ، موصوفات بالحسن . ومن بلاد وارجلان إلى غدامس نحو ٢٠ يوما في صحراء قليلة الماء ؛ وفي هذه الصحراء معدن حجارة تشبه العقيق ، وربما كان في الحجر الواحد منها ألوانا من الحمرة والصفرة والبياض ، وهذا

(١) النص : أغرم أى نيكان . أنظر البكرى ، ص ١٨٢

(١) البكرى ، ١٨١ . أنظر الترجمة ، ص ٣٩٣ والهامش عن « أبو محمد عبد الملك » .

(٢) البكرى ، ص ١٨١ ؛ قارن الإدريسي (ورقلان) ، ص ١٢٠ - ١٢١ ؛ دمشق ،

ص ٢٣٩ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ٣ ص ٢٨٤

(٣) قارن البكرى ، ص ١٢١ ؛ أنظر Fagnan ، هامش ١ ص ٢٠٩

الحجر أنفس شي' بلاد السودان ، هامة وغيرها ، وهو عندهم مثل الياقوت وأجمل . وربما وجد من هذا الحجر في النادر حجر كبير ، وإذا وصل به إلى أهل غانة تغالوا في ثمنه ، وبذلوا فيه الرغائب ؛ وهذا الحجر مثل الياقوت لا يعمل فيه الحديد شيئا ، وإنما يصنع ويثقب بحجر آخر يسمى تنتواس كما يصنع بالياقوت ، ويثقب بحجر السنبادج . ومعدن هذا الحجر لا يظهر حتى يذبح الإبل وينضج الموضع بدمها ، فحينئذ تظهر هذه الحجارة وتلقط . وفي هذه الصحراء أيضا معدن الشب الأبيض الطيب^(١) الذي لا يوجد مثله ببلد ، ومن هناك يحمل إلى جميع البلاد . ومن تادمكة ٩ أيام إلى مدينة كوكوا^(٢) : وهي مدينة عظيمة فيها خلق كثير من السودان لا يحصى لهم عدد ، وهي على النيل ، ويقال إنما سموا كوكوا ، لأن الذي يفهم من نعمة طوبوهم كوكوا ؛ وكذلك يذكر عن بلد زويلة إن الذي يفهم من نعمة طبوهم زويلة . ومن سار من مدينة كوكوا على شاطئ البحر غربا انتهى إلى مملكة يقال لها الدمدّم^(٣) ، يأكلون من وقع إليهم من البيضان ، ولهم مملكة كبيرة وبلاد واسعة . وفي بلادهم قلعة عظيمة عليها صنم في صورة امرأة وهم يعبدونه ويحجبونه . ومن غرائب بلاد السودان ، أنه ينبت عندهم في الرمال شجرة طويلة الساق دقيقة ، يسمونها توريرى ، لها ثمر كبير متفخ ، داخله صوف أبيض يغزل ، ويصنع منه الثياب والأكسية فلا تؤثر النار فيها . أخبر بذلك من أخبره الفقيه عبد الملك ، أن أهل اللامس^(١) من بلاد السودان ليس لهم لباس غير هذه الثياب ، وأخبر أنه لو وقدت النار على هذه الثياب الدهر كله لم تؤثر فيها شيئا ، غير أن النار تغسل من أوساخها ؛ ومن هذا النوع الحجارة بوادي درعة ، وقد تقدم ذكرها .

(١) ب : الاندلس ، م : الأمس . أنظر البكرى ، ص ١٨٣

(١) قارن البكرى ، ص ١٨٣ ؛ الإدريسي ، ص ١٢

(٢) البكرى ، ص ١٨٣ ؛ الإدريسي ، ص ١١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٢٩ ؛ الدمشق ، ص ٢٤٠ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٢٢١ - ٢٢٢

(٣) البكرى ، ص ١٨٣ ، الإدريسي ، ص ٣٨ (الم) ، ص ٤ ؛ الدمشق ، ص ٢٤١ ؛

أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٢٢٥

قال الناظر : هنا انتهى ما وجدته من هذا الموضوع ، ولقد أحسن واضعه ،
ورتب ما حقق ، وهذا لعمرى أقرب وأخصر من غيره ، ففيه ما في غيره ،
وليس في غيره ما فيه . وحقت وطرزت كتاب الواضع بما قيدت في هذه
المواضع ، وأنا مؤمل أن أفرغ لوضع كتاب كامل يحتوى على ذكر بلاد
المغرب وممالكها (١) إلى هذه الأيام السعيدة الإمامية ، وأضيف إليها
ما رفعته للحضرة العلية من مفاخر هذا الأمر العالی - أيد الله دوامه
سنة ٨٠ [٥] [= ١١٨٤] وهو ما يزيد عندي من فتوحاته المستأصلة لشأفة
الأعداء ، إلى حيث يبلغ بي الزمان . فهو عملي وسعي ، ونصيبي من الجهاد
ورأى ، إذ هو من أعمال القلوب ، الماحية لما خط من الذنوب ، والله تعالى
يجعله عملاً مقبولا لديه ، فالاعتماد ، والتكلان عليه ، لا رب سواه .

صلى الله على نبيه محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم تسليماً كثيراً
إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

(١) هنا ينتهي المخطوط «ب» .

فهرس محتويات الكتاب

الصفحة	الصفحة
٣٣	أ مقدمة
٣٤	١ خطبة الكتاب
٣٥	٤ ذكر حدود حرم مكة ...
٣٥	وصف مكة وأرباضها وأسماء الجبال
٣٦	المحيطة بها
٣٦	٥ عدد أرباض مكة
٣٧	٩ ذرع الكعبة
٣٨	١٠ صفة البيت من داخله وفضله وفضل
٣٨	الصلاة فيه
٣٩	١٣ صفة سقف البيت وعمده
٤٠	١٥ صفة باب الكعبة وذرعه وعتبته ...
٤٠	١٦ صفة الحجر الأسود وارتفاعه في
٤٠	الركن وفضله
٤١	١٧ صفة الحجر وذرعه
٤١	١٨ صفة المقام
٤٢	١٩ صفة زمزم وذرعها وذرع قبها وما
٤٢	فيها من الماء
٤٣	٢١ صفة قبة الشراب
ذكر بلاد مصر وما فيها من	٢٣ صفة بيت اليهودية
العجائب	٢٣ صفة المسجد الحرام وذرعه ...
٤٥	٢٤ عدد أبواب المسجد الحرام ...
نبذ من أخبار ملوك مصر من لدن	عدد سوارى المسجد الحرام وذكر
عمارتها	معجزة النبي في ابتياعه السارية
٥٠	الحمرء
٥٣	٢٧ عدد قناديل المسجد الحرام ...
٥٦	٢٨ صفة الصفا والمروة
[بعض أخبار عن الأهرام (مغامرات)]	٢٩ ذرع المسعى
٦٤	٣٠ صفة منى والحجرة ورميها ...
٦٥	٣٣ صفة مسجد الخيف
٧٤	
٧٨	
٨٢	

الصلحة

١٢٥	بنزوت
١٢٦	طبرقة
١٢٧	بوثة - القل
١٢٨	جيجل - بجاية
١٣١	مرسى الدجاج
١٣٢	جزائر بني مزغناي
١٣٢	لغاية - شرشال
١٣٣	تنس - قصر الفلوس - وهران
١٣٤	أرشيول - أصل
	فكان - حصن زيان - ندرومة
١٣٥	ترنانا
١٣٦	عجروود - فكري
١٣٧	تيطوان - سبتة
١٣٨	طنجة
١٣٩	أصيلا
١٤٠	شمس تشومس - سلا

ذكر البلاد الصحراوية

والتي تقرب من الصحراء بمرحلة
أو أكثر من الاسكندرية إلى آخر بلاد

١٤٢	المغرب
١٤٢	الملي
١٤٣	برقة
١٤٤	أجداية - شروس
١٤٥	غدايس
١٤٦	زويلة
١٤٧	بلاد الواحات

ذكر بلاد الجريد من إفريقية

١٥٠	حامة مطماطة
١٥٠	قفصة

ذكر كورة قسيلية من بلاد الجريد

١٥٥	توزر
١٥٦	نفطة - تقيوس
١٥٧	الحامة - نفزاوة - طرة - بشرى
١٥٨	أيتملين
١٥٩	درجين

الصلحة

٨٢	مصر الفسطاط
٨٣	القاهرة
٨٣	منف
٨٤	دلاص
٨٤	إخميم
٨٤	عين الشمس
٨٥	أنصينا
٨٥	قوص
٨٧	قفط
٨٧	أسوان
٨٧	تنيس ودمياط
٨٩	الفرما
٨٩	رشيد
٩٠	الفيوم
٩٢	الإسكندرية
٩٦	صفة المنارة
١٠٤	انتصار صلاح الدين على الصليبيين

ذكر المشهور من المدن

والعمائر من بلاد مصر إلى آخر بلاد

١٠٩	المغرب
١٠٩	سرت
١١٠	أطرابلس
١١٢	قابس
١١٣	القيروان
١١٥	صبرة
١١٦	رقادة
١١٦	سفائس
١١٧	المهدية
١١٨	تماجر
١١٩	جلولاء
١١٩	سوسة
١٢٠	تونس
١٢١	قرطاجنة

دخول العلويين بلاد المغرب ١٩٤

ذكر ارتداد برغواطه

ومن دخل معهم من قبائل

البربر عن الاسلام ... ١٩٧

تادلا - ثليث - سجلماة ... ٢٠٠

ذكر السبب في ثورة الداعي

ودخوله سجلماة ... ٢٠٢

دُرعة ... ٢٠٦

أغمات ... ٢٠٧

مدينة فقيس - مراكش ... ٢٠٨

قروجة ... ٢١٠

ذكر بلاد السوس الأقصى ٢١١

ذكر بلاد السودان ومدنها

المشورة وعجائبها ونبد من سير

ملوكها ... ٢١٧

ترنكة - زافون ... ٢١٨

ذكر بلاد غانة ... ٢١٩

غياروا - يرسى - سامة ... ٢٢١

أنبارة - كوغة - الوكن ... ٢٢٢

تيرقى - تادمكة - سجنجرا ... ٢٢٣

كوكوا ... ٢٢٥

خاتمة الكتاب ... ٢٢٦

فهرس الأشخاص والأماكن وغيرها ٢٣٠

المراجع المذكورة في الهوامش ... ٢٤٧

تصويبات ... ١٥٣

هاجة ... ١٦٠

سبية - سجالة ... ١٦١

مرماجة - تبسا ... ١٦٢

بالهاية ... ١٦٣

جبل أوراس - طنفة - المونس -

شقبارية ... ١٦٤

قسنطينة ... ١٦٥

ميلة ... ١٦٦

الغدير - قلعة أبي طويل ... ١٦٧

الشير ... ١٧٠

مليانة - الخضراء - بلاد الزاب -

الميلة ... ١٧١

نقارس - طبة ... ١٧٢

بسكرة ... ١٧٣

تهودة ... ١٧٤

باديس ... ١٧٥

ذكر المغرب الأوسط - تلمسان ١٧٦

وَجدة - اجر سيف ... ١٧٧

قاهرت - قلعة هوارة ... ١٧٨

ذكر بلاد المغرب ... ١٧٩

فاس ... ١٨٠

رباط تازا ... ١٨٦

مكناسة الزيتون ... ١٨٧

جنياره ... ١٨٨

مكرت - صنهاجة ... ١٨٩

قلعة ابن جندوب - غمارة ... ١٩٠

صفروى - تاسغمرت ... ١٩٣

فهرس أسماء الاشخاص والأماكن وغيرها •

(١)

أبو الحسن بن حرزم ... ١٨٢
 أبو خالد يزيد بن الياس ... ١٩٦
 أبو زبا الفارسي ... ١١١
 أبو العباس (أخ الداعي) ... ٢٠٥-٢٠٤
 أبو عبد الله الداعي ١١٧-١٢٨-٢٠٢
 ٢٠٥-٢٠٤-٢٠٣
 أبو عبيد [عبد الله] البكري . ٨٩-١٢٣
 ١٣٤-١٩٨-٢٠٧
 أبو عبيد الله الملسوف ١٧٣
 أبو عفير معاد بن يونس ... ١٩٨
 أبو عمران بن يحيى بن وقتين ٢
 أبو القاسم (الشيبي) . ٢٠٤-٢٠٥-٢٠٦
 أبو قبيس ... ٥-٢٤-٢٥-٢٩
 أبو كسية ... ١٩٢
 أبو المهاجر ... ١٧٤-١٧٥
 أبو المنصور بن القاسم بن مدّ رار ٢٠١
 أبو يخلف : ... ١٩١
 أبو يزيد الخارجي ١٧٢-٢٠٦
 أبو يعقوب (انظر يوسف) ...
 أبو يوسف (انظر يعقوب) ...
 الأتراك ... ١٠٤
 أجدابية ... ١٤٤
 آجر سيف ... ١٧٧
 الجلندا ... ١٢٠
 أجياد الكبير ... ٨-٢٤
 أحد .. ٣-٤٣-٤٤-١٧٤
 أحد بن الأغلب ١١٥-١١٦
 الأختين (قلعة) ... ١٢٢
 الأخشيان ... ٥
 إخم ٥٧-٦٠-٦١-٦٢-٨٤

الإباضية ... ١٤٤
 أبراحش ... ٧١-٧٢
 إبراهيم الخليل ... ١٢-٣١-٧٠-٧١
 أبريت ٧١-٨٨
 الأبطح ... ٦-١٠
 ابن الأندلسي (أنظر علي بن حمدون) .
 ابن الجزار ١١٦
 ابن الحجاب (أنظر عبيد الله) ...
 ابن الرقيق ١١٤
 ابن عباس .. ٢١-٦٥-١٩٨
 ابن عبد الحكم (أنظر عبد الرحمن بن عبد الله) .
 ابن عفر ... ٩١
 ابن الغمر .. ٦٢
 ابن طولون ... ١٠٢-٢٠٤
 ابن المدبر ٦٥-٨٩
 ابن مدّ رار ... ١١٧
 ابن منقذ (أنظر عبد الرحمن بن محمد) ١٠٧
 ابن وصيف - شاه (انظر الوصيف)
 ابن ياسين (أنظر عبد الله) ...
 أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان
 النوفل ... ١٩٦-١٩٧
 أبو بكر ... ٨-١٠-٣٨
 أبو بكر البكي ... ١٨٢-١٨٣
 أبو بكر بن عمر المتوفى ... ٢٠٩
 أبو بكر محمد بن الطيب ... ٢٠٥
 أبو تميم الجهاني .. ٨١
 أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المتطبب . ١٢٤
 أبو جعفر حفص (البرغواطى) ... ١٩٨
 أبو جعفر المنصور (العباسى) ... ٨٢

• وضعت الشرطة (-) بدلا من الفاصلة (،)

١٤٣-١٣٩-١٣٣-١٢٨-١٢٤

١٥٤-١٥٣-١٥٠-١٤٩-١٤٨

١٦٢-١٦١-١٦٠-١٥٦-١٥٥

١٧٢-١٦٨-١٦٦-١٦٥-١٦٣

٢١٢-٢٠٦-١٩٤-١٧٩-١٧٥

٢٢٤

أقريطش ٩٢

أقطي ١٣٦

أقناش (بحر) ١٤٢

أكلف ٢٠١

اللامس ٢٢٦

الاقنت ١٣٢

آل عمر ٤٠

الياس بن صالح بن طريف ١٩٨

أم أيمن ٤٣

أمرجوا (حصن) ١٩٠

أمسنا ١٤٠

أنبارة ٢٢٢

أنبيل ١٢١

الأندلس ١٢٤-١٠٣-٨٦-٧٧-٦٩

١٤٠-١٣٨-١٣٧-١٣٣-١٢٦

١٧٩-١٧٧-١٧٢-١٥٤-١٤١

١٩٨-١٩٦-١٩٣-١٨١-١٨٠

٢١٨-٢١٢-٢٠١

أنصنا ٨٥

انكبوردة ١١٧

أنوش ٨٥

الأهرام ٦٣-٥٧-٥٦-٥٥-٥٢-٣

١٠٣-٩٤

أوداغست ٢١٦-٢١٥

أوربة ١٩٤

أوغام ٢١٦

أوكار ٢١٩

أولاد برنوس ١٨٨

أولاد عطوش ١٨٨

أويات ١٣٧

أياس ١١٠

إدريس الأول (الأول) ١٩٩-١٩٥-١٩٤

إدريس بن إدريس ١٩٦-١٨١-١٨٠

إدريس بن علي بن حمود ١٩٧

آدم ٥٠

الأرض الكبيرة ١١٧

أرسوف ١٠٦

أرشقول (أرشقول) ١٧٧-١٣٤

إرم ذات العماد ١٠١-٩٢

أريس الواح ١٤٨

الأزقاق (مرسى) ١٢٧

أزواوا ١٧٨

اسحق المتطبب ١١٦

اسحق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ١٩٤

أسر (نهر) ١٧٧

الإسكندر ٩٨-٩٥-٩٤-٩٣-٩٢

الإسكندرية ٧٩-٧٢-٦٣-٤٥-٣

١٠١-١٠٠-٩٩-٩٧-٩٢-٩١-٨١

١٤٢-١٣٠-١٠٩-١٠٦-١٠٤-١٠٢

١٤٣

اسكندرية (الشام) ١٠٦

أسل ١٣٤

اسماعيل (الشيبي) ١٧٢-١١٥

اسماعيل بن ابراهيم الخليل ٣١

أسوان ٨٧-٨٥-٤٧-٤٥

أشبرتيال ١٤١

أشبيلية ١٩٧

أشتوم دمياط ٦٣

الأشمون ٨٥

أشير ١٧٠

أصطخر ٧٧

أصيلا ١٣٩

أطرابلس ١٧٥-١٥٠-١٤٧-١١٠

أغرم إن يكامن ٢٢٤

أغمت ٢١٩-٢٠٨-٢٠٧

الافرنج ١٥٥-٨٦-٦٩

إفروجي (أنظر فروجة)

إفريقية ١١٢-١١١-١١٠-٩٢-٦٩-٣

١٢٢-١٢١-١١٧-١١٤-١١٣

باب الميم (الميم) ... ١٣٨
باب النون ... ٢٥
باب النجارين ... ١٨١
باب الوادي ... ٢٩
باب اليمانيين ... ٢٥-٢٤-١٠
باجة ... ١٦٠-١٢٦
باجة الأندلس ... ١٦٠
بادس ... ١٧٥
باديس ... ١٣٦
باديس بن حبوس بن بلجين ... ١٦٨
باغاية ... ١٦٩-١٦٤-١٦٣
بانكسيت ... ١٦٣
البجاة ... ٨٥
بجاية ١٦٨-١٣١-١٣٠-١٢٩-١٢٨
٢٠٣-١٧٢
بجردة (أو مجردة) ... ١٢١
بدر ... ١٧٤
بدرسانة ... ٦٣
البدكة (نوع من الثياب) ... ٨٨
البرانس ... ٢٠٠
برباط ... ١٩٨-١٩٧
البربر ١٣٤-١٣٣-١١٤-١٠٩-٦٩
١٤٤-١٤٢-١٣٩-١٣٦-١٣٥
١٦٠-١٥٦-١٥٥-١٤٧-١٤٥
١٧٤-١٧٢-١٧١-١٦٩-١٦٦
١٨٦-١٨٤-١٧٨-١٧٦-١٧٥
١٩٧-١٩٦-١٩٤-١٨٨-١٨٧
٢٢٢-٢٢٢-٢١١-١٩٨
بربي ٥٨-٥٧-٥٥-٥٤-٥٣-٥١-٣
٨٤-٦٣-٦٢-٦١-٦٠
برج بن زواج (بقفصة) ... ١٥١
بردة ... ٩١
برغواطة ٢٠٩-٢٠٠-١٩٨-١٩٧-١٩٣
برسان ... ٥٢-٥٠
برقة ... ١٤٦-١٤٣

أيام التشريق ... ٣١-٧
ايتلين ... ١٥٨
أيجل ... ٢١٣-٢١٢
إيطالية ... ١١٧
أيفريطوق ... ١٦٣
أيموش ... ٧٣
أيونا ... ٢١٤

(ب)

باب ابراهيم ... ٢٩-٢٥-٢٤
باب اشتوم ... ٩٧
باب البقالين ... ٢٥
باب بني شبة ... ٢٩-٢٦
باب بني طلحة ... ٢٥
باب بني مخزوم ... ٢٥
باب تونس ... ١١٥
باب جبريل ... ٣٠-٣٨
باب جعفر ... ٢٧-٢٥
باب جمع ... ٢٩-٢٤
باب الحياطين ... ٢٥
باب دار الندوة ... ٢٦-٢٤-٢٣
باب الرحة ... ٤٠-٣٧
باب السدة ... ٢٧-٢٤
باب السهميين ... ٢٤-٢٣-٦
باب السواري ... ٢٩-٢٦
باب الصفا ... ٢٩-٢٥
باب الطبري ... ٢٧
باب علي بن أبي طالب ... ٢٥
باب العمرة ... ٢٤
باب عين الشمس (بباجة) ... ١٦٠
باب الغرب (جبل) ... ١٣٢
باب الغزالين ... ٢٥
باب القصر ... ١٧٦
باب الكعبة ... ١٦
باب مضرب السيل ... ٣٢
باب منى ... ١٠-٦

بنو عبيد (والمجديون الشيمة) ٢٥

٩٧-١٦٧

بنو مدّاجع .. ٢
بنو مرة .. ١٤٨
بنو مروان .. ١
بنو مسكين .. ١٢٣-٢٤
بنو موسى .. ١٨
بنو الناصر .. ٥٢
بنو هلال .. ٧٩
بنو وارتين .. ٨٤
بنو واعم .. ٢٠٠
بنو واكست .. ٢٠٠
بنو وانسيت .. ٢٠٠
بنو ورزينة .. ١٨٨
بنو يوزغ .. ٢٠٠
بوريط .. ١٧٦
بوصير .. ٦٣
بوغرات .. ٢٢٤
بوقة .. ١٢٧
بيانة .. ١٨٩
البيت الحرام .. ١٢-١٣-١٩
بيت المقدس .. ٤٣-١٠٤-١٠٦
بيروت .. ١٠٦
بئر ابراهيم .. ٢٥
بئر أبي الكنود .. ١١٠
بئر غدورة .. ٢٥

(ت)

تاتنتال .. ٢١٤
تادلا .. ٢٥٠
تاد مكة .. ١٤٦-٢٢٢-٢٢٤
تارودانت .. ٢١١
تازا .. ١٧٦-١٧٩-١٨٦
تاسفمرت .. ١٩٣

رجال

١٢١

سكرة

١٧٢-١٧١

سول (بحر) .. ١٢٧

سرى .. ١٥٧

السرة (بمراكش) .. ١٨٩

سطن مركة .. ٣٥

سطن محسر .. ٣٦-٣٤-٣

سقيع المدينة .. ٤٢-٣

سقيع مكة .. ٧

سطن المسيل .. ٢٦

سبلجين بن زيري بن مناد .. ١٦٧

السهرى .. ٨٦

سبليوش .. ١٣٧-١٢٦

سزرت .. ١٢٥

سطلابلس .. ١٤٣

سبنو أبي قاض .. ٢٠٠

سبنو إدريس .. ١٩٦-١٩٣-١٧٧-١٣٦

١٩٧

سبنو إسرائيل .. ٧٧

سبنو أمية .. ٢٢٢-٢١٣

سبنو برزال .. ١٧٢

سبنو بسيل .. ١٨٨

سبنو بهلول .. ١٥٧

سبنو تاسليت .. ٢٠٠

سبنو تانيت .. ٢٠٠

سبنو تليت .. ٢٠٠

سبنو حماد .. ١٦٨-١٦٧-١٦٦

سبنو دمر .. ٢٠٠

سبنو زغبة .. ١٧٩

سبنو زكدوى .. ١٢٨

سبنو زياد .. ١٨٨

سبنو زيري بن مناد .. ١٦٨-١٦٧

سبنو شية .. ١٧

سبنو ضبة .. ٣٥

تأمل (شمال) ... ٢٠٨
 تهودا ... ١١٤-١٤٧-١٧٤-١٧٥
 توزر ... ١٣١-١٥٥-١٥٦-١٥٨
 ١٥٩-١٦٠

تونس ١١٥-١٢٠-١٢١-١٢٢-١٢٥
 تيطوان ... ١٢٧-١٩١
 تيرقي ... ٢٢٢-٢٢٣-٢٢٤
 تيلمت ... ٢٠٩
 تيسرة ... ١٩٤

(ث)

ثاني ... ١٧٧
 ثليث ... ٢٠٠

(ج)

الجابية ... ٧٨
 جبل ابن عمران ... ٩
 الجبل الأبيض ... ٦
 جبل أجياد ... ٨-٩
 الجبل الأحمر ... ٦
 الجبل الأشهب ... ١٨٨
 جبل أوراس ١٦٣-١٦٤-١٧٣-١٧٤
 جبل باب الغرب ... ١٣٢
 جبل البفل ... ١٧٦
 جبل البكا ... ٩
 جبل بني زلدوي ... ١٦٦-٢٠٣
 جبل بني قزح ... ٢٤
 جبل قاجرا ... ١٣٥
 جبل قاورناية ... ١٧٦
 جبل جزولة ... ١٦٣
 جبل حامي ... ١٩١
 جبل الحديد ... ٢١٣
 جبل حلق واجر ... ١٣٢
 جبل الخندامة ... ٦
 جبل درن ١٦٣-٢٠٦-٢٠٨-٢٠٩-٢١١

باغيت ... ١٨٥
 قاتني (نهر) ... ١٣٤
 تاقدرات ... ١٨٧
 التاكوت (نوع من الخشب) ... ٢٠٧
 تاليت ... ١٩١
 تامجريت ... ١٣٥
 تامدكت ... ٢١٣
 تامروت ... ١٦٦
 تامسنا ... ١٩٧
 تامضفيت ... ٢٠٧
 تامن (نهر) ... ١٣٣
 تانس (نهر) ... ١٧٨
 تاهرت ... ١٧٨
 تاودا ... ١٩٠
 تاورا ... ١٨٨
 تاورغي ... ١٥٨
 تبسا ... ١٦٢
 تبزين ... ١٠٦
 التركان ... ١٠٤
 ترشيش ... ١٢١
 ترنانا ... ١٣٥
 ترنكة ... ٢١٨
 تشمس (شمس) ... ١٨٩-١٤٠
 قتي الدين (الأيوبي) ... ١٠٥-١٠٤
 تقيوس ... ١٥٦
 تكررور ... ٢١٧
 تلمسان ... ١٣٤-١٧٦-١٧٧-١٨٦
 التمساح ... ٤٦-٥٠-٨٥
 قنماجر ... ١١٨
 التنعيم ... ٩-٢٤
 تنس ... ١٣٣
 تنيس ... ٨٧-١٠٢
 تنيس الواح ... ١٤٨
 تنزل ... ١٧٦

جبلن ... ٨٥
 جلفو ... ٢١٨
 الجللندا (الملك) ... ١٢٠
 جلولا ... ١١٩
 الجمرة ... ٣١-٣٠
 جنيارة ... ١٨٨
 الجورى (عطر) ... ١٥٤
 جوز هرتانة (مرسى) ... ٢٠٧
 الجوزى ... ١٨٣
 جبجل ... ١٢٨
 جيرون ... ٩٤-٧٢-٧١

(ح)

الحاكم (من بنى عبيد) ... ٨٣
 الحامة ... ١٥٨-١٥٧
 حامة بنى بهلول ... ١٥٧
 حامة مطاطة ... ١٥٩-١٥٥
 حاميم بن من الله ... ١٩٢-١٩١
 حباصة ... ٦٣
 الحبشة ... ١٠٣-٨٥
 حبوس بن بلجين بن زيرى ... ١٦٧
 الحجاج بن يوسف ... ١١
 الحجاز ... ٨٧
 الحجون ... ٧
 الحجر ... ١٨-١٢
 الحجر الأسود ... ١٩-١٧
 الحرم ... ٣٥-٨-٤
 حسان بن النعمان ... ١١٤
 الحسن (بن علي) ... ٤٠
 الحسن (الزيرى صاحب المهديّة) ... ١١٨
 الحسين (بن علي) ... ٢٢٤-٤٠
 الحسنيون (بنو ادريس) ... ١٣٦
 حصن اليهود ... ٢٢٤
 حصن الفروس ... ١٣٥
 حصن وهنين ... ١٣٥
 الحطيم ... ٢٨

جبل الرحمة ... ٢٥٠-٢٤
 جبل زالغ ... ١٢٧
 جبل زرهون ... ١٩٤
 جبل زُغوغ ... ١٢٧
 جبل الشمس ... ١٦٠
 جبل الطور ... ١٠٦
 جبل العنصل ... ١٦٦
 جبل غماره ... ١٩٠
 جبل فازار (أنظر فازار) ... ١٨٧-١٨٥
 جبل قرقل ... ١٧٨
 جبل قعيقمان ... ٨
 جبل قلقل ... ١٧٩
 جبل القمر ... ٧٣-٤٥
 جبل كتيامه ... ١٢٨
 جبل الكتف ... ١٦٣
 جبل كوين ... ١٣٦
 جبل بحكة ... ١٩٢
 جبل مسيون ... ١٣٠
 جبل المصائدة ... ١٦٣
 جبل المقطم ... ٢١١
 جبل ملان ... ١٦٣
 جبل المينا ... ١٣٧
 جبل نفوسة ١١٠-١٤٤-١٤٥-١٤٦-١٦٣
 جبلة ... ١٠٦
 جدالة ... ٢١٧-٢١٤
 جدة ... ٨٧-٤
 جراوة ... ٢٠٠
 الجريد (بلاد) ... ١٥٠-١٤٩-١٣١-١١٢
 ١٦٠-١٥٧-١٥٦-١٥٥
 ٢٢٤-٢٠٢-١٧٥-١٧١
 جزائر بنى مزغناي (الجزائر) ... ١٣٢
 جزائر قرطناش ... ١٣٩
 جزولة ... ٢١٢
 الجزيرة (موضع دار الصناعة بمصر) ... ٧٩
 جعفر بن علي بن حدون ... ١٧٢
 جعفر بن محمد الصادق ... ٢٠٥-٢٠٣

دار النورة ... ٨-٢٣-٢٤-٢٦-٢٧
دارم ... ٧٦
دارود ... ٧٧-١٥٥
الداروم ... ١٠٦
دانة ... ١٦١
دانية ... ١٣٢
دهر ... ١٩١
درجين ... ١٥٩
درعة ... ٢٠٦-٢٠٧-٢١٢

درن (أنظر جبل درن)

درنة (بافريقية) ... ١٦١
دريموس بن الريان ... ٧٦
دكالة ... ٢٠٩
دلاص ... ٨٤
دلوكة ... ٩٤
دليفة ... ٧٣
الدمدّم ... ٢٢٥
دمنات ... ٢٠٩
دمياط ... ٨٧-٨٨-١٠٢

(ذ)

ذو مشيل بن عدييل ... ٦٥
ذو طوى ... ٤-٩
ذو القرنين ... ١٧٥
ذو النون الإخيمى ... ٥٨

(ر)

راديس ... ١٢٠
رأس العين ... ١٥٢
راشد (مولى أدريس) ... ١٩٤-١٩٥-١٩٦
ربض أجياد الكبير ... ٩
ربض قيقعان ... ٩
ربيمة (قبيلة) ... ٨٥
ربيمة بن حبيب ... ٩١

حلق رشيد ... ٤٧
حماد بن حبوس ... ١٦٧-١٦٨-١٦٩-١٧٠
الحمرأ (أنظر البصرة) ... ٠٠٠
خزّه بن عبد المطلب ... ٤٤
خزّه بن محمد المصرى ... ٩٩-١٠٠
حجير ... ٩٢
الحنية ... ١٥٢
حدوية ... ٧١-٧٢-٧٣
حيفا ... ١٠٦

(خ)

الخرز (مرسى) ... ١٢٦
الخربة ... ٨٦
الخضراء ... ١٧١
خط الاستواء ... ٤٥-٧٣
الخلقطين ... ٥٠
خيس القدس ... ٩٨
الخنمة (أنظر جبل الخنمة)
الخواص (طير) ... ١٢٧
الخيف (مسجد) ... ٧

(د)

دار ابراهيم ... ٢٤-٢٥
دار أبى جهل ... ٢٥
دار الأمة (بمراكش) ... ٢٠٩
دار البحر (قصر) ... ١٦٨
دار جعفر ... ٢٧-٣٠
دار الحصى ... ٨٢
دار الحنطة ... ٢٥-٢٧
دار السيدة ... ٣٧
دار الصناعة (بتونس) ... ١٢٠
دار الصناعة (بمصر) ... ٧٩
دار العجلة ... ٢٦-٢٧
دار الفرج (بمراكش) ... ٢١٠

رومة ... ٩٢-٩٤-١٢١-١٢٢
الريان بن الوليد . . ٧٣-٧٤-٧٦-٧٧
الريحانة (طرف) ... ١٤٢

(ز)

الزاب ... ١١١-١٤٧-١٦٧
١٧١-١٧٢-١٧٥

زافون ... ٢١٨
زالغ (أنظر جبل زالغ)
زبيدة (زوجة الرشيد) ... ٢٢
الزبير بن العوام . . . ٧٩-٨٢
زحل . . . ٥١-٦٩
زغوغ (جبل) ... ١٢٧
زغاوة (قبيلة) ... ٢٠٠
الزقاق (بحر) ... ١٣٧-١٣٨
زلى (واحد) ... ١٤٧
زليخة بنت صاحب عين الشمس

٧٤-٧٥-٨٤

الزمرد ... ٨٦
زمزم ... ٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٨
زكّانة ... ١٧٦-١٧٩-١٩٧
١٩٨-٢٠٠-٢٠٧

الزنج ... ٤٦
زواغة ... ٢٠٠
زويلة ... ١١٧-١٤٦-١٤٧-٢٢٥
زيان (حصن) ... ١٣٥
زيبور (فحص) ... ١٣٤
زيرى بن مناد الصنهاجى ... ١٧٠-١٧١
زينب بنت ابراهيم النفزاوى ... ٢٠٩

(س)

ساوس ... ٦٨
سامة ... ٢٢١

٢٣٧

الرباط (رباط تارا) ... ١٨٩
رباط جوز ... ٢٠٩
رجراجة ... ٢٠٧
ردات (نهر) ... ١٨٨
رشيد ... ٤٧-٨٩
الرعاد (سمك) ... ٤٦
رفع ... ٧٨
رقادة ... ١١٥-٢٠٤
الرقادة (مرضى النوم) ... ١٩٢
(أركان الكعبة) :

ركن أبي قبيس ... ٢٤
ركن أجياد . . . ٢٤
الركن الأسود ٥-١٠-١١-١٢-١٧-٢٢
ركن بنى جمح ... ٢٣-٢٤
ركن بنى شيبه ... ٢٣-٢٤
ركن دار جعفر .. ٢٥-٣٠
الركن الشامى ١٠-١١-١٦-١٧-١٨-١٩
الركن العباسى ... ٣٠
الركن الغربى . . ١٠-١١-١٨-٢٣-٢٨
ركن القبة ... ٢٢
ركن الكعبة ... ٢٢
ركن المنار ... ٢٤-٢٩
ركن منى ... ٢٤
الركن اليمانى ... ٩-١٠-١١-١٢-١٤
١٦-١٨-٢٣

الرملة ... ١٠٥-١٠٦
رندة ... ١٦٥
الروضة (قبر النبي) ... ٣٨
روضة العباس بن عبد المطلب ... ٤٢
روضة ابراهيم (ولد النبي) ... ٤٢
روضة عثمان ... ٣-٤٢
الروم ٧٩-٨٠-٨١-٩٢-١٠١-١٠٤
١٠٥-١٠٦-١١٨-١٢٦-١٢٧
١٣٠-١٤٢-١٥٥-١٥٦-١٧١
١٧٥-٢٠٧-٢٠٨

سورة ... ٥٢
السوس ... ٢١٢-٢١١-١٩٣-١٤٧
٢١٤-٢١٣
سوسة ... ١٢٠-١١٩-١١١
السوق القديم (مدينة) ... ١٨٨
سيرات (فحص) ... ١٧٨
سيف الدين (الأيوبي) ... ١٠٥

(ش)

الشام ٧٧-٩٥-١٠٤-١٣٠-١٥٣-١٥٥
شبيون ... ١٢٢
شداد بن عاد ... ٩٥-٩٢
شرشال ... ١٣٢
الشروب (ثياب) ... ٨٧
شروس ... ١٤٤
شريعة ابراهيم (مصل) ... ٣٥
شعب أبي بكر ... ١٠
شعب أجياد ... ٥
شعب عثمان ... ١٠
شعب علي ... ٥-١٠
شعب عمر ... ٥
شعبنارية ... ١٦٥
شلب (وادي) ... ١٤١
شلف ... ١٧١
شمون ... ١٩٧
شنة ... ٩١
شهر بن حوشب ... ٠٠٠
الشوبك ... ١٠٥
شيبان غلام الثمود ... ١٥٠
شيخ المؤمنين (أبو يزيد الخارجي) ... ٢٠٦

(ص)

صالح (النبي) ... ١٢٥
صالح بن طريف البرهاني ... ١٩٨-١٩٧-١٩٣

سبعة ... ١٩٧-١٧٩-١٣٧-١٢٦
سبية ... ١٦٨-١٦١-١٢٩
التبع سباخ ... ١٥٨
سبو (نهر) ... ٩٠-١٨٤
سجلنامه ... ١٧٦-١٧٢-١٣٥-١١٧
٢٠١-٢٠٠-١٩٣-١٧٩
٢١٦-٢٠٤-٢٠٢

سجنجوا ... ٢٣
سرت ... ١٠٩
السرطان ... ١٥٣
سطفيسف ... ١٧٦
سطيع الكاهن ... ١٩٨
سطيف ... ١٦٦
سعد بن أبي وقاص ... ٤٣
سعد بن حيشة الأنصاري ... ١٤٣
سميد بن ادريس بن صالح ... ١٣٦
سفائس ... ١١٦
سقاية عباس ... ١٣٦
سقف الكعبة ... ١٥
سكوما ... ١٩٤
سليمان (النبي) ... ٩٩-٩٥-٧٧
سلا ... ١٥١-١٤٠
سليم (قبيلة) ... ١٥٠
سليمان بن جرير الجزيري ... ٢٩٦-١٩٥
سلي ... ١٧
شماطة ... ١٧٥
سمرقند ... ١٢٤
سمنود ... ٦٣-٦١-٥٨
السميدع بن جرم ... ٨
السند ... ٨٦
سهر (نهر) ... ١٧١-١٦٧
سهل بن قيس بن سعد ... ٤٤
السودان ... ١٤٩-١٤٦-١١٢-٤٦
٢١٢-٢٠٩-١٨١-١٧٥
٢١٧-٢١٦-٢١٥-٢١٣
٢٢٣-٢٢٢-٢٢١-٢١٨
٢٢٥

الطواف ... ٢٠
طواف الإفاضة ... ٣٢
الطور ... ٨١
الطوفان ... ٦٥-٥٣

(ع)

عاد (والماديون) ... ١٢٤-٩٢-٦٦
عاشوراء ... ١٥٤
عبادة بن الصامت ... ٨٠
عبد الله بن الزبير ... ١٥-١٣
عبد الله بن عمرو بن العاص ... ١٧٤-٩٥-٩٤
عبد الله الكفيف الطنجي ... ١٩١
عبد الله بن ياسين ... ٢١٧-١٩٨
عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ... ٧٨
عبد الرحمن بن محمد بن منقل الأزدي ... ١٠٧
عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ... ١٢٤
عبد الملك بن حبيب ... ٩١
عبد الملك بن مروان ... ٨٢
عبد المؤمن بن علي ... ٢٠٨
عبيد الله الشيمي ... ٢٠٣-٢٠٢-١١٧-١١٥
٢٠٥-٢٠٤

عبيد الله بن الحبحاب ... ١٢٠
المبيديون الشيعة (أنظر بني عبيد) ..
عجروود ... ١٣٦
عجينة (فحص) ... ١٧٢-١٦٧
عدن ... ٨٦
عدوة الأندلس (فاس) ... ١٨١-١٨٠
عدوة القرويين (فاس) ... ١٨٥-١٨١-١٨٠
عديم ... ٦٧
العراق ... ١٩٥-٤
عرفة ... ٣٥-٣
عرفات ... ٣٥-٣٠
عروبة (بن يوسف) ... ٢٠٥
العريش ... ١٠٢-٧٨
الميز (صاحب يوسف) ... ٨٤-٧٥-٧٤-٧٣
مقلان ... ١٠٦

صبرة ... ١١٥
الصعيد ... ١٠٢-٨١
الصفا ... ٣٠-٢٩-٢٦-٢٥-٥-٣
صفرري ... ١٩٣
صفورية ... ١٠٦
مقلية ٩٢-١٠٤-١١٧-١١٨-١١٩
١٥٦-١٣٠

صلاح الدين أنظر يوسف بن أيوب
صنائة ... ٢١٧
صناهجة ... ١٧٩-١٣٦-١٣١-١٣٠-١٢٩
٢٢٤-٢١٣
صناهجة (مدينة) ... ١٨٩
صور ... ١٠٦
صيداء ... ٦٠٦
الصين ... ١٣٠-١٢٦-٨٦

(ض)

الضبي ... ١١١

(ط)

الطائف ... ٤
طبرقة ... ١٢٦
طبرية ... ١٠٦-١٠٥
طبنة ... ١٧٥-١٧٢
طرابلس (أنظر أطرابلس)
طرف أرثان ... ١٦٣-١١٠
طرف أينير ... ١٤٢
طرف الريحانة ... ١٤٢
الطرميد ... ١٥٢
طرة ... ١٥٧
طريف ... ١٣٨
الطلق (حجر) ... ١٥
طنجة ... ١٤١-١٣٩-١٣٨-١١١-١٠٣
١٩٢-١٩٠-١٨٨-١٧٩

٢١٩-٢١٨-٢١٣-٢٠١-١١١ هالة
 ٢٢٢-٢٢١-٢٢٠-٢١٩-٢١٧
 ٢٢٥-٢٢٣
 ٢٢٤-١٥٨-١٤٧-١٤٦-١٤٥ كنداس
 ١٧٢-١٦٧ الغدير
 ١٠٩ غرة
 ٢١١ غزوة الأشراف
 ٤٩ الغطاس (ليلة)
 ١٨٦ غيابة
 ٢٢١ غياروا
 ١٩٧ غيلان القدرى

(ف)

١٨٧ فازار (جبل)
 ١٨٧-١٨٦-١٨١-١٨٠-١٠٧ فاس
 ١٩٦-١٩٤-١٩٣-١٩٠-١٨٨
 ٢٠٢-١٩٧
 ٤١ فاطمة الزهراء
 ٩٧ الفاروس
 ١٥٤ فج الحمار
 ١٢٤ فحص زيدور
 ١٦٠ فحص قفل
 ١٢٧ الفخرى
 ٧٧ الفرس
 ٦٥ فرحان
 ٧١-٦٤ الفراعنة
 ٨٥-٨٤-٨٣-٧٧ فرعون
 ١٠١-٨٩-٨٨ الفرما
 ٢١٠ قروجة (أفروجي)
 ٢١٩ القرويون (بلاد)
 ٨٥ فزار
 ٨٥-٨٣-٨٢-٨١-٧٩-٧٨ القسطاط
 ٢٢٥-٢٢٤ الفقيه عبد الملك
 ١٣٥ فكبان
 ١٥٥-١٠٦ فلسطين
 ١١٩ الفتاس

١٤٠ المعريون
 ٤٥ مطار
 ١٩٠ عقبة الأفارق
 ١٤٧-١٤٦-١١٤-١١٢ عقبة بن نافع
 ٢٠٨-١٨٦-١٧٥-١٧٤
 ٢١٢

١٠٦ عكة
 ٢٠١ عكرمة مولى بن عباس
 ٢٠٩ على (بن يوسف بن تاسفين)
 ٢٠٥-٨٣ على بن أبي طالب
 ١٥٥-١٣١-١١٢ على بن اسحاق بن غانية (شق ميورقة)

على بن حمدون بن سمالك المعروف
 ١٧٢ بابن الأندلسي
 ١٩٦ على بن حمود (الإدريسي)
 ١٥١ على بن الرند
 ١٠٥ على بن يوسف بن أبوب
 ٢٠٥ عمار الأعمى
 ٧٩-٧٨-٣٨-٣ عمر بن الخطاب
 ١٤٤-٨١

١٠١ عمر بن عبد العزيز
 ٩١-٨١-٧٩-٧٨-٤٩ عمرو بن العاص
 ١٧٤-١٤٦-١٤٤-١٠٠
 ١٦١ عندة
 ١٠١ عوف بن مالك
 ٨٧ عيذاب
 ١٩٨-١٦٠-٧٧ عيسى (النبي)
 ٧٦ عيصوم
 ١٦٦ عين أبي السباع
 ١٧٣ عين أوبان
 ١٢٣ عين جفان
 ٨٤-٧٤ عين الشمس
 ١٦٠ عين الشمس (عين ماء)
 ١٥٣-١٤٢ عين المنتير

(غ)

٣٣ غار المرسلات

لصبر الكاملة ... ١١٨
 لصبر كتابة ... ١٩٠
 لصبر نلم ... ١١٨
 لصبر مصودة ... ١٣٨
 قصور أبي معد ... ١٤٧
 قصور قفصة ... ١٥٤
 قصور كوار ... ١٤٦
 قصور واجان ... ١٤٧-١٤٦
 قطير ... ٧٤
 قليم ... ٦٩-٦٦
 قميعمان ... ٩-٨
 قفصة ... ١٥٣-١٥٢-١٥١-١٥٠-١٤٧
 قنط ... ٨٧-٦٧-٥٨
 القل (وأَنْظر فحص قل) ... ١٦٦-١٦٧
 قلب الأسد ... ٥٥-٥٣
 القلزم (بحر) ... ٨٧-٨٥
 قلعة أبي طويل ... ١٦٨-١٦٧-١٦١-١٢٨
 قلعة بن جندوب ... ١٩٠
 قلعة حاد ... ١٦٧-١٦٦-١٦١-١٢٩-١٢٨
 قلعة زيد ... ١٨٦
 قلعة مهدي ... ١٨٥
 قلقل (أَنْظر جبل) ... ١٧٩
 قلنبوا ... ٢١٨-٢١٧
 قلورية ... ١١٧
 قناوش ... ٦٤
 قنوص ... ٨٥
 قومن ... ١٢٣
 القيروان ... ١١٧-١١٦-١١٥-١١٤-١١٣
 قيس بن الحارث ... ٩١
 القيسيون (القيس) ... ٩١
 قيصارية ... ١٠٦
 القيطاني ... ١٢٧
 قيطون بياضة ... ١٧٥

القلعة ... ٧١٤-١٥٩-١١٢
 القولا ... ١٠٩
 القوم ... ١٠٢-٩١-٩٠-٧٥-٧٤-٥٧

(ق)

قاييس ... ١٥٩-١٥٢-١٥٠-١١٣-١١٢
 ١٩٣-١٥٩

القاسم بن حمود ... ١٩٧
 القاهرة ... ٨٣
 قبرص ... ١٠٢
 قبر حمزة بن عبد المطلب ... ٤٤
 قبر سهل بن قيس بن سعد ... ٤٤
 قبر مالك ... ٥٢
 قبر مالدغوس ... ١٦٤
 قبر النبي ... ٣٨-٣٧
 القبط ... ٧٤-٧٣-٧١-٧٠-٦٩-٦٥
 ٧٩-٧٧

قبة زمزم ... ٢٢
 قبور الشهداء ... ٤٣-٣
 قراقوش ... ١١١-١١٠
 قرطاجنة ... ١٢٣-١٢٢-١٢١-١٢٠-٣
 ١٦٥-١٦٢-١٣٨-١٢٤

قرطبة ... ٢٠١-١٩٧-١٩٦-١٩٢
 قرطناش (جزائر) ... ١٣٩
 قرقل (جبل) ... ١٧٨
 القرمطى (القرامطة) ... ٢٠٥-١٧-٦
 قرمونة ... ٧٧
 قريش ... ١٤٢-٢٦
 القسطنطينية ... ١٣١-١١٣
 قسطنطينية ... ١٥٧-١٥٦-١٥٥-١٤٧
 ٢٠٢-١٥٩-١٥٨

قسنطينة ... ١٦٦-١٦٥-١٢٧
 قصر البحر ... ١١٥
 قصر زيان ... ١٣٥
 قصر عبد الكريم ... ١٨٩
 قصر الفلوس ... ١٣٣

(ك)

لوائمة مدين ... ١٩٣
اللولوة ... ١٣٠
الليث بن سعد ... ٨٩

كارم ... ٩٢
كاسم ... ١٤٦
الكاهنة ... ١٤٥-١١٨
كتامة ... ١٨٩-١٦٦-١١٧
٢٠٥-٢٠٤-٢٠٣
الكتف (أنظر جبل) ... ١٦٣
كربلاء ... ٢٢٤
مكرت ... ١٨٩
الكرّك ... ١٠٥
الكركهين ... ٩٨
كزناية ... ١٣٦
كسر الخليج ... ٤٩
الكسوة (كسوة الكعبة) ... ١٢-١١
كسيلة (ابن أقدم) ... ١٧٥
الكعبة ... ٢٢-٢٠-١٣-١١-١٠-٩-٨
كلكن ... ٧١-٧٠
كنزة أم إدريس ... ١٩٦
الكنعانيون ... ٧١
مُكروغة ... ٢٢٢
مُكروكرا ... ٢٢٥-١١١
كوين (أنظر جبل) ... ١٣٦
الكيكل (أنظر الخواص) ... ١٢٧

(م)

ماء الفرس ... ١٤٦
مارية القبطية ... ٨٥-٧٩
المأزمان ... ٣٦
ماقة ... ٦٥
مالك (بن انس) أنظر قبر ... ٠٠
ماليا ... ٧١
ماليق ... ٦٩
المأمون بن هارون الرشيد ... ٥٧-٥٦
المأمون (القاسم بن حمود) ... ١٩٧
مالقة ... ١٩٧
المتكأ ... ٩
المتوكل ... ٥٩
مَتيجة ... ٣٢
مَجانة ... ١٦١
مَجمكة (جبال) ... ١٩٢
المجوس ... ١٣٩
المحجة ... ٣٢
محراب سليمان ... ١٧٠-١٣٢
المحصب ... ٣٢-٧
محمد ... ١٩٨-١٩١
محمد بن أبي عامر ... ١٣٧
محمد بن إدريس (بن إدريس) ... ١٩٦
محمد بن اسماعيل بن الحسن بن علي
بن جعفر (والد عبيد الله المهدي) ... ٢٠٣
محمد بن عباد ... ١٩٧
محمد بن هاني الأندلسي ... ١٧٢
محمد بن يوسف (ابن الوراق) ... ١٧٣
مدّ رار بن عبد الله ... ٢٠١
المدينة (مدينة الرسول) ... ٨٣
المدينة (من أرض نفزاوة) ... ١٥٨

(ل)

اللاهون ... ٩٠
لحم (وأنظر قصر لحم) ... ٧٧
لغافية ... ١٣٢
لُكس (نهر) ... ١٨٩
لمتونة ... ١٥-٢١
لمطة ... ٢١٣-٢١٢
اللبط ... ٢١٦-٢١٤
لوائة ... ١٦٣-١٤٨-١٤٤

التمر الحرام ... ٣١-٤٤

مصر ٣-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٤٩-٥٥

٥١-٥٣-٥٦-٥٧-٥٨-٥٩-٦٥

٦٦-٦٨-٦٩-٧١-٧٢-٧٣-٧٤

٧٥-٧٦-٧٧-٧٨-٧٩-٨١-٨٢

٨٣-٨٤-٨٥-٨٧-٨٩-٩٠-٩١

٩٧-٩٩-١٠٠-١٠٢-١٠٤

١٠٦-١٠٩-١٢٧-١٣٠-١٤١

١٤٧-١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٥٨

١٦٧-١٧٤-١٨٠-١٨٥-٢٠٣

٢٠٤-٢١١

مصر بن بنصر ٦٥-٦٦-٦٧-٦٩-٧٧

مصرام ... ٥٠-٥١-٥٢

مصبودة (والمصامدة) ... ١٣٨-٢١١

مضااض بن جرهم ... ٨

مضرب السيل ... ٣٢

مضرب المعتز ... ٣٢

مطفرة ... ١٣٥-١٧٩-٢٠٠

مطاطة (قبيلة) ... ٢٠٠

مطاطة أمكسور ... ١٩٣

المطيع لله (أمير المؤمنين) ... ١٤

المظفر بن أبي عامر ... ١٩٠

معاوية بن أبي سفيان ... ١١٣-١٧٤

معاذ بن عمرو ... ٤٤

معاذ بن عمرو بن الجموح ... ٤٤

المعتضد (الخليفة العباسي) ... ٢٠٤

المعتمد بن عباد ... ١٨٧

معد بن اسماعيل بن عبيد الله الشيعي ١١٤

معدن أعراام ... ٢٨٥

المعز بن باديس ... ١٦٧-١٦٨

المعصومة (قصة) ... ١٧٨

المعلقة ... ١٢٢

المعلل ... ٦

المغرب ... ٣-٥٧-٨٦-١٠٣-١٠٩

١٢٣-١٣٦-١٤٢-١٤٤-١٤٧

١٥٣-١٥٥-١٥٩-١٦٣-١٧٢

١٧٤-١٧٥-١٧٦-١٧٩-١٨٠

مرآسة ... ٢٢٤

مراكش ١١١-١١٢-٢٠٨-٢٠٩-٢١٠

مرسى الأزرق ... ١٢٧

مرسى أزموّر ... ١٧٩

مرسى باب الميم ... ١٣٨

مرسى باديس ... ١٣٦

مرسى جوز هرتنائة ... ٢٠٧

مرسى الحرز ... ١٢٦

مرسى الدجاج ... ١٣١

مرقة ... ٥٤

المروة ... ٣-٩-٢٦-٢٩-٣٠

مرماجنة ... ١٦٢

مريم (عم) ... ١٤٢

مربوط ... ١٠١

مزاته ... ١٤٧

المزدلفة ... ٣-٣٣-٣٤-٣٦

مسجد أم سلمة ... ٣٥

مسجد بيعة الأنصار ... ٣٢

المسجد الحرام ٣-٥-٦-٨-٢٣-٢٤

٢٧-٢٨-٢٩-٣٣

مسجد الخواريين ... ١٥٢

مسجد الخيف ... ٧-٣٣

مسجد سليمان ... ٩٦

مسجد قبا ... ٣-٤٢-٤٣

مسجد المزدلفة ... ٣٣

مسجد النبي (مسجد الرسول) ٣-٣٦-٣٧

٤٠-٨٣

المسعودي ... ١٩٨-٢٢١

المسعى ... ٢٦-٢٩

المسئلة ... ١٠

المسند (القلم) ... ٩٢

مسوفة ... ١٤٥-١٧٩-٢٠١

المسيح ... ٨٠

المسيلة ... ١٦٧-١٧١-١٧٢-٢٠٦

مسيون (أنظر جبل) ... ١٣٠

مشانس ... ١١٧

المنصور (صبرة) ... ١١٥
المنصور (بجاية) ... ١٢٨-١٢٩
منف ... ٧٥-٧٢-٧٧-٨٢
منية (نهر) ... ١٧٨
المنى ... ١١٢
منى ٣-٧-١٠-٣٠-٣١-٣٢-٣٣ ٢١
المهدي (ابن تومرت) ... ١-٢٠٨
المهدي (المباسي) ... ٢٥-٢٠٥
المهدي الأكبر ... ١٩٨-٢٠٣-٢٠٤
المهدي بن توال الحيفشي ... ١٨٧
المهدية ... ١١٧-١١٨-١٦٨-٢٠١
٢٠٥-٢٠٦

المهماز ... ١٧٧
الموحدون .. ١٣١-١٥١-١٥٩-١٨٢
الموآربة ... ١٩٢
الموس (مدينة) ... ١٩٤
الموس (الكاهن) ... ٤٢
موسى (النبي) ... ٧٧-١٩١-١٩٨
الموقف (مكة) ... ٢٥
الموقف (مصر) ... ٧٤
المؤلف ٣٦-٤٤-٥٢-١٦٠-١٨٤
١٨٨-١٩٠-١٩٢-٢١٧
المومياء ... ٨٥
الميزاب ... ١١-١٩-٢١-٢٢
ميسرة ... ٢١١
ميلة ... ١٩٦
ميورقة (والميورقي) ١١١-١٢١-١٣١
١٥١-١٥٩

(ن)

نابلس ... ١٠٦
الناصر (الرواني) ... ١٢٦-١٢٨-١٩٢
ناصر ... ١٠٦
الناظر ... ١٠٤-١٣١-١٥٠-١٥٩
١٨١-١٨٤-١٨٥-١٩٧
٢٠٢-٢٢٦

١٨١-١٨٢-١٨٤-١٨٥-١٨٦
١٨٧-١٨٨-١٨٩-١٩٠-١٩٣
١٩٤-١٩٦-١٩٧-٢٠٠-٢٠٢
٢٠٣-٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢١٠
٢١٢-٢١٥-٢٢٦
المغرب الأوسط ... ١٧٦-١٧٧-١٧٨
١٧٩-١٨٦
المنظفيس ... ٤٧
المنيرة ... ١٦٠
مقيلة ... ١٨٨
مقيلة ألقاط ... ١٩٣
المقام ... ١٩-٢٠
المقتدر بالله (أمير المؤمنين) ... ١٤-٩٧
مقرب بن ماض ... ١٤٨-١٤٩
المقطم ... ٦٦-٢١١
المقوقس ... ٧٨-٧٩-٨٠-٨١-٨٥
مكة ... ٣-٤-٥-٦-٧-٩-١٠-٢١
٢٢-٢٥-٢٦-٣١-٣٢-٣٦
٢٠٣-٢٢٣
مكناسة (قبيلة) ... ١٨٦
مكناسة تازا (أنظر رباط تازا) ... ١٨٦
مكناسة الزيتون ... ١٨٧-٢١٠
ملان (وادي وجبل) ... ١٦٣
الملثم ... ٢٢
الملثمون ... ١٧٧-١٨٢-١٩٠
ملسون ... ١٧٣
ملقطة ... ١١٨
ملوية ... ١٧٧-١٧٩-١٩٣
مليانة ... ١٧١-١٧٦
مليلة ... ١٣٥-١٧٦
منار الاسكندرية ... ٧٢-٩٤-٩٥-٩٦
٩٧-٩٨

منبت الأراك ... ٣٥
المنستير ... ١٢٠
المنستير (عين) ... ١٥٢
المنصور المباسي (أنظر أبو جعفر)
المنصور بن أبي عامر ... ١٣٥
المنصور بن حماد ... ١٢٨-١٢٩-١٦٨

هشام بن عبد الملك بن مروان ... ١١٥
الهند ... ٨٦-٨٧-٩٨-١٢٦-١٣٠
الهنين ... ٢٢٢٠
هورشيش ... ٤٨

(و)

واجان (قصور) ... ١٤٦
الواحات ... ١٤٧-١٤٨-١٤٩
الواح الخارج ... ١٤٨-١٤٩
الواح زلي ... ١٤٧
الواح صبروا ... ١٤٨
وارجلان ... ٢٢٤
وادي بايش ... ١٥٣
وادي ترجا ... ٢١٣
وادي تنيفت ... ٢٠٩
وادي درعة ... ٢٠٦-٢٠٧-٢١٣-٢٢٥
وادي سبو ... ١٨٤-١٨٥-١٩٠-١٩٣
وادي شلب ... ١٤١
وادي فاس ... ١٨٠
وادي قروغانة ... ١٠١
الوادي الكبير (عين) ... ١٥٢
وادي ماسة ... ٢١١
وادي مجمع ... ١٧٦
وادي ملاك ... ١٦٢-١٦٣
وادي نفيس ... ٢٠٩
وادي وانسين ... ١٨٥
وادي وريكة ... ٢٠٩
الواضع ... ٢٠٥-٢٢٦
الوردانية ... ١٣٥
ورغة (نهر) ... ١٣٦-١٩٠
الورل ... ٤٦
وزجاي بن ياسين ... ٢١٧
الوصيني (ابن وصيف شاه) ... ٦٠-٦٢-١٠٣
وقمة الربض ... ٢٠١
وقيمة فح ... ١٩٤

الذي ... ٢٧-٤٣
كلمة (قبيلة) ... ٢٠١
كدرومة ... ١٣٥
كفزاوة ... ١٥٧-١٥٨
كلمة ... ١٥٦-١٥٨
النفر ... ٣١
كفوسة (انظر جبل) ...
كفيس ... ٢٠٧-٢٠٨-٢٠٩
كقاوس ... ١٧٢
لقراوش ... ٥٠-٥٢-٧٣
كقطة ... ٩١
نكار (جبل) ... ١٧١
نكر (نكور) ... ١٣٦
نمرود ابراهيم الخليل ... ٧٠-٧٥
النوبة ... ٥٠-٨٧-١٤٨
نوح ... ٦٤
نول ... ١٤٢-٢١٢-٢١٥
نول لمطة ... ٢١٣
النيل (ونيل مصر) ... ٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٤٩
٥٠-٥٢-٥٤-٥٧-٧٣
٧٤-٧٥-٧٦-٧٨-٨٠
٨٤-٨٥-٨٦-٨٧-٨٩
٩٠-١٠٢ (نيل المشرق)
١٨٥-٢١١ (٢١٧)
٢١٨-٢٢١-٢٢٢
٢٢٤ في السودان .

(هـ)

هارون الرشيد ... ٤٨-١٩٥
هبل ... ٢٦
هجر ... ٤
الهرجان ... ٢١٠-٢١٢
الهرولة ... ٢٤
هشام بن عبد الحكم ... ١٩٥
هشام بن عروة بن الزبير ... ٨٢

يزيد بن معاوية ... ١٧١
 اليسع بن مدثر ... ٢٠٤
 يعقوب (النبي) ... ٧٦-٧٥
 يعقوب (أبو يوسف المنصور الموحدى) ١
 ١٥٠-١٣١-١١١-١٠٧-١٠٤
 ٢١٠-٢٠٩-١٥٩-١٥١
 اليمن ... ١٣٠-٨٧-٤
 يوسف (النبي) ٩٠-٧٦-٧٥-٧٤-٧٣
 يوسف بن أيوب (صلاح الدين) ١٠٤
 ١٠٦-١٠٥
 يوسف بن قاشفين ٢١٩-٢٠٩-٢٠٨
 يوسف بن عبد المؤمن (أبو يعقوب) ١١٠
 ٢١٠-٢٠٩-١٥٩
 يوم عاشوراء ... ١٥٤
 يونس بن الياس ... ١٩٨

الوكن ... ٢٢٢
 الوليد بن دوع ... ٧٣
 الوليد بن عبد الملك ١٩٤-١٣٦-٩٥-١٣
 الوليد بن مصعب ... ٧٧
 وليلى ... ٢١٤-١٩٦-١٩٤
 وهران ... ١٧٩-١٣٤-١٣٣
 وهنين (حصن) ... ٣٥

(ي)

يانا ... ١٠٦
 يابنا ... ١٠٦
 يحيى بن اسحق (بن غانية) ... ١١٢
 يحيى بن خالد (البرمكى) ... ١٩٥
 يحيى بن علي بن حمود ... ١٩٧
 يرسى ... ٢٢١

المراجع المذكورة في الهوامش

- ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرُّمَيْني القيرواني) ، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تونس ، ١٢٨٠ هـ .
- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، النص العربي وترجمته اللاتينية بمعرفة Tornberg طبع Upsala ، ١٨٤٣ هـ .
- ترجمة فرنسية بمعرفة Beaumier ، باريس ، ١٨٦٠
- ابن الأثير ، الكامل ، نشر Tornberg ، ليدن ١٨٦٢ - ١٨٧٦ (١٤ ج) ؛ وطبعة القاهرة (١٢ ج) .
- ابن بطوطة ، الرحلة (تحفة النظار) ، نشر وترجمة C. Defrémery et B. Sanguinetti ، باريس ، ١٩٢٦
- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، نشر T.C.J. Juynbol ، ليدن ، ١٨٥١ ؛ وطبعة القاهرة .
- ابن جبير ، الرحلة ، نشر De Goeje (مجموعة Gibb) ، ليدن ، ١٩٠٧
- ابن حوقل ، المسالك والممالك ، نشر De Goeje ، ليدن ، ١٨٧٣
- ابن خرداداذبة ، كتاب المسالك والممالك ، نشر De Goeje ، ليدن ، ١٨٨٩
- ابن خلدون ، العبر ، طبعة بولاق ، ١٢٨٤ هـ (٧ ج)
- ترجمة الجزئين الأخيرين الخاصين بالمغرب الى الفرنسية بمعرفة De Slane تحت عنوان :
Histoire des Berbères ، باريس ، ١٩٢٥
- ابن دقاق ، كتاب الانتصار ، القاهرة ، ١٨٩٣ (ج ٤ ، ج ٥)
- ابن رسته ، كتاب العلق النفيس ، نشر De Goeje ، ليدن ، ١٨٩١
- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب والأندلس ، نشر H. Massé ، القاهرة ، ١٩١٤
- ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، بولاق ، ١٣٢١ / ١٩٠٣ (٣ ج) .
- ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب ، نشر Dozy ، ليدن ، ١٨٤٨ - ١٨٥١ (٢ ج) .
والترجمة الفرنسية للجزئين بمعرفة E. Fagnan ، الجزائر ، ١٩٠١ - ١٩٠٤ (٢ ج)
- الجزء الخاص بتاريخ الموحدين نشر وترجم إلى الأسبانية بمعرفة H. Huici تحت عنوان El-Anonimo de Madrid y Copenhague ، بلنسية ، ١٩١٧ وهو يحمل العنوان العربي الخاطيء " تاريخ ابن بسم " .
- ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، نشر De Goeje ، ليدن ، ١٨٨٥

ابن النجار ، كتاب الدرة الثمينة ، مخطوط المكتبة الوطنية بباريز ، القسم العربي ،
رقم ١٨٣٠ (وصف مدينة الرسول)

ابن وصيف - شاه ، كتاب المجانب ، ترجمة فرنسية مختصرة بمعرفة Carra de Vaux
تحت عنوان : L'Abbrégé des Merveilles ، باريز ، ١٨٩٨

- وانظر مقال Seybold عن ابن وصيف - شاه في مجلة Orientalische Literatur
Zeitung عدد مايو سنة ١٩٠٨

أبو شامة ، كتاب الروضتين ، القاهرة ، ١٢٨٧ هـ .

أبو عبيد البكري ، أنظر البكري .

أبو الفدا ، تقويم البلدان ، نشر Re naud et De Slane ، باريز ، ١٨٤٠

- و ترجمة فرنسية بمعرفة Re naud ، باريز ، ١٨٤٨

الإدريسي ، كتاب نزهة المشتاق (الجزء الخاص بوصف المغرب والأندلس) ، النص العربي
و ترجمة فرنسية بمعرفة Dozy et De Gæje ، ليدن ، ١٨٦٤

الأزرقي ، أخبار مكة ، نشر Wüstenfeld ، ليبزج ، ١٨٥٨

الإصطخري ، كتاب المسالك والممالك ، نشر De Gæje ، ليدن ، ١٨٧٠

البخاري ، الصحيح ، نشر Krehl ، ليبزج ، ١٨٨٢ (٢ ج) .

البكري ، المسالك والممالك ، مخطوط المكتبة الوطنية بباريز (قطعة غير كاملة عن مصر والمغرب)
القسم العربي ، رقم ٢٢١٨

- وفيما يتعلق بالجزء الخاص بالمغرب من هذا المخطوط أنظر دراسة Quatremère

تحت عنوان : Notice d'un manuscrit arabe de la Bibliothèque du Roi,

Parls, 1831

- ولقد نشر هذا الجزء الخاص بإفريقيا الشمالية وترجم مع العنوان الفرنسي

" Description de l'Afrique Septentrionale " بمعرفة De Slane ، النص

طبعة الجزائر ، ١٨٥٧ ، والترجمة طبعة باريز ، ١٩٢٢

- وللبكري أيضا : معجم ما استعجم ، نشر Wüstenfeld طبع جوتنجن ، ١٩٢٢

(٢ ج) .

بروقنسال (E. Lévi - Provençal) ، مجموع رسائل موحدية ، النص العربي ، طبعة الرباط

١٩٤١ وعنوانها بالفرنسية : Trente sept lettres officielles almohades

مع دراستها بالفرنسية تحت عنوان Un recueil de lettres officielles almohades

باريز ، ١٩٤٢

بلاشير (R. Blachère) ، نخب من أهم الجغرافيين العرب في المصور الوسطى ، نصوص

عربية مصحوبة بدراسة بالفرنسية تحت عنوان Extraits des principaux

géographes arabes du moyen âge ، باريز ١٩٣٢

البُلُوِي (خالد بن ميسرة) ، الرحلة (تاج الملوك في تلمذة علماء الشرع) ، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس ، القسم العربي ، رقم ٢٢٨٦

البَيْدِق ، كتاب أخبار المهدي ابن لومرت وابتداء دولة الموحدين ، نشر وترجمة بروثنسال تحت عنوان : Documents inédits d'histoire almohade ، باريس ، ١٩٢٨
تاريخ السودان ، (أصول عربية خاصة بتاريخ السودان مع العنوان الفرنسي : Documents (Documents arabes relatifs à l'histoire du Soudan نشر O. Houdas طبع بباريس ، ١٨٩٨ .

التيجاني ، رحلة الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم التيجاني ، تونس ، ١٢٤٥/١٩٢٧ ؛ والترجمة الفرنسية لهذه الرحلة بمعرفة (A.) Tousseau تحت عنوان : Voyage du Cheikh at-Tijani ... ، باريس ، ١٨٥٣ (مستخرج من المجلة الآسيوية "J. A." سنة ١٨٥٢) .

دائرة المعارف الإسلامية .

روض القرطاس ، أنظر ابن أبي زرع .

السيوطي ، تنوير الحوائك ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ .

السيوطي ، حسن المحاضرة ، القاهرة ١٢٩٩ هـ .

الشَّقْنَدِي ، ترجمة أسبانية لرسالة الشقندي في فضائل الأندلس ، بمعرفة (Emilio Gomez Garcia) تحت عنوان : Elogio del Islam espagnol ، مدريد - غرناطة ، ١٩٣٤

الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، نشر De Goeje ، الجزء الأول ، ليدن ، ١٨٧٩ ، ١٨٨١

العَبْدَرِي ، الرحلة ، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس ، القسم العربي ، رقم ٢٢٨٣

عبد اللطيف البغدادي ، كتاب الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر ، نص عربي مصحوب بترجمة لاتينية بمعرفة J. White بعنوان :

Historiae Aegypti ، لندن ، ١٨٠٠

- ترجمة فرنسية بمعرفة De Sacy ، بعنوان : Relation de l'Egypte ، باريس ، ١٨١٠

عماد الدين الأصفهاني ، الفتح القس في الفتح القدسي ، نشر C. De Lamberg ، ليدن ، ١٨٦٤ (مع العنوان الفرنسي : Conquête de la Syrie et de la Palestine par Salah ad-Din) .

الْعَمَرِي ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ترجمة فرنسية جزئية خاصة بالمغرب

بمعرفة G.-Demombynes ، باريس ، ١٩٢٧

القاسي ، أخبار مكة ، نشر Wüstenfeld تحت عنوان : Die Chroniken der Stadt

Mekka ، ليبزج ، ١٨٥٩

القرآن (مع ترجمة Savary ، باريس ، ١٩٤٦ ، وترجمة Montet) .

القزويني ، كتاب عجائب المخلوقات ، نشر Wüstenfeld ، جوتنجن ، ١٨٤٩

كتاب الاستبصار ، لشرة جزائرية نائمة خاصة بالمغرب بمعرفة كرم (von Kremer)

مع العنوان الفرنسي : Description de l'Afrique par un géographe arabe :

anonyme du VI^e s. de l'Hégire ، فينا ، ١٨٥٢

- ترجمة فرنسية كاملة لهذا الجزء بمعرفة E. Fagnan تحت عنوان : L'Afrique

Septentrionale au XII^e siècle de notre ère ، قسنطينة ، ١٩٠٠ (Extrait

du recueil des notices et mémoires de la société archéologique

de Constantine. Vol. XXXIII ; année 1899)

- مخطوط المكتبة الوطنية بباريز ، القسم العربي رقم ، ٢٢٢٥

- مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر ، القسم العربي رقم ، ١٥٦٠ ؛ ورقم ٣٢١٦

كتاب الجغرافيا ، لكاتب مجهول الاسم من كتاب القرن السادس الهجري (١٢ م) ،

مخطوط المتحف البريطاني ، رقم add. 25,743 (يذكر بروكلمان هذا المخطوط

على أنه نسخة من كتاب الاستبصار) .

الكندى ، كتاب الولاية والقضاة ، نشر R. Guest ، ليدن ، ١٩١٢

مراصد الاطلاع ، أنظر ياقوت .

مجموع رسائل موحدية ، أنظر بروقنسال .

المسعودي ، مروج الذهب ، نشر وترجمة C. Barbier de Meynard et Pavet de

Courteille ، باريز ١٨٦١

- كتاب التنبيه والاشراف ، نشر De Goeje ، ليدن ، ١٨٩٤

المقيدسي ، أحسن التقاسيم ، نشر De Goeje ، ليدن ١٨٧٧

المقرئزي ، الخطط ، طبعة القاهرة (٢ ج) .

النجوم الزاهرة ، أنظر ابن تغري بردي .

ياقوت ، معجم البلدان ، نشر Wüstenfeld ، ليبزج ، ١٨٦٦ (٦ ج)

- واختصاره المعروف بـ : مراصد الإطلاع ، نشر T. G. J. Juynbol ، ليدن ، ١٨٥٢

اليعقوبي ، كتاب البلدان (مع كتاب ابن رسته) ، نشر De Goeje ، ليدن ، ١٨٩١

- والترجمة الفرنسية تحت عنوان : Les Pays بمعرفة (G.) Wiet ، القاهرة ، ١٩٣٧

المراجع الافرنجية والعربية المترجمة

الأندلس (مجلة معاهد الدراسات العربية بمدريد وغرناطة) Al-Andalus

Basset (H.) et Terrasse (H.), Sanctuaires et forteresses almohades, 1923

انظر ابن أبي زرع Beaumier

Bel, Les Banu Ganiya, Paris, 1903

انظر بلاشير Blachère (R.)

Brackelmann (C.) Geschichte der arabischen Literatur (G. A. L.)

- انظر ابن وصيف - شاه Carra de Vaux
- انظر المسعودي (مروج الذهب) De Courteille
- G. - Demonbynes, *Le Pèlerinage à la Mekke*, Paris, 1923
- *Notes sur la Mekke et Médine*, Paris, 1918
- *Une lettre de Saladin au calife almohade*, Mélanges René Basset, Paris, 1925
- وانظر العمري .
- انظر ابن بطوطة Defremery
- Despois (J.), *La Tunisie orientale, Sahel et Basse-Steppe, étude géographique*, Paris, 1940
- انظر ابن عذاري ، والإدريسي Dozy
- انظر دائرة المعارف الإسلامية Encyclopédie de l'Islam
- انظر ابن عذاري ، وكتاب الاستبصار Fagnan (E.)
- انظر الشقندي Gomez (E. Garcia)
- انظر تاريخ السودان Houdas (O.)
- انظر ابن عذاري Huici (H.) (El - Anonimo)
- Journal Asiatique
- Marçais (G.), *Les Arabes en Berbérie du XIe au XIVe siècle*, Paris, 1913
- *La Berbérie musulmane et l'Orient au moyen âge*, Paris, 1946
- *Note sur les ribâts en Berbérie*, Mélanges R. Basset, t.II, Paris, 1925
- Maspérol (J.) et Wiet (G.), *Matériaux pour servir à la géographie de l'Egypte*, Mémoires de l'institut français du Caire, t.36, 1919
- Jassignon (L.), *La Passion d'al - Hallaj*, Paris, 1916
- انظر المسعودي Meynard
- انظر القرآن (ترجمة) Montet
- انظر وصيف - شاه Orientalische Literatur Zeitung
- Palacios (M. Asin), *Una descripción nueva del Faro d'Alejandro (Al-Andalus)*, 1933 — Fasc. s)
- انظر بروغنسال ، والبيدق Provençal (E. Lévi-)
- Quatremère, *Mémoire géographique et historique sur l'Egypte*, Paris, 1811
- وانظر البكري .
- انظر أبو الفدا Reinaud
- انظر عبد اللطيف البغدادي De Sacy
- انظر القرآن (ترجمة) Savary
- انظر البكري ، وابن خلدون De Slane
- انظر ابن بطوطة Sanguinetti
- Sauvaget (J.), *La Mosquée omeyyade de Médine*, Paris, 1947

KITĀB AL-ISTIBSĀR

fī A‘jā’ib al-Amsār

**Description de la Mekke et de Médine,
de l’Egypte
et de l’Afrique septentrionale.**

par un écrivain marocain du VI^e siècle de l’Hégire (XII^es. J. C.)

**Texte arabe annoté,
publié avec une traduction de la partie
relative aux Lieux Saints et à l’Egypte**

Par

DR. SAAD ZAGHLOUL ABDEL-HAMID

Ancien professeur à la Faculté des Lettres de l’Université d’Alexandrie
Professeur à la Faculté des Lettres de l’Université de Kuwait

